الجزء الثالث   المجلد الخامس والخمسون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شعبان ١٤٠٠ هـ
تموز (يوليو) ١٩٨٠ م

روح الشاعر *

الأستاذ شفيق جبري

لم أهتد الى تعريف واضح لروح الشاعر ، ولكن الذي أعلمه أن لكل شاعر روحاً خاصة تغلب عليه في جملة شعره ، سواء أكان يمدح أم كان يرثي وسواء أكان يصف مشهداً من مشاهد الطبيعة أم كان يصف مشهداً من مشاهد الحياة العامة ، ولا يستطيع هذا الشاعر أن يتخلص من روحه في كل هذه الامور • فنراه في بعض المشاهد التي يستفيض فيها هدوء الحياة أو تنعم فيها العين بما يسرها أو يلذ فيها القلب بما يدخل عليه من الطمأنينة والسكينة يرجع الى روحه الخاصة من تلقاء نفسه أي من دون أن يفكر في هذا الرجوع ، ولعل في ضرب الامثال في هذا الموضوع توضيحاً لكل ماذكر :

فلنبدأ بشاعر من أشهر شعراء هذا العصر وهو « شوقي » • لقد زار شوقي في أوائل الانتداب الفرنسي مدينة دمشق ، واحتفل به في دار من دور دمشق القديمة في حي النصارى ، فجلس في إيوان هذه الدار هو والمرحوم فارس الخوري ومحمد عبد الوهاب ، والضيوف كلهم كانوا

---

* كان هذا المقال من آخر ما خطت يد المرحوم الاستاذ شفيق جبري في معتكفه في بلودان• وكان رحمه الله يعده ليبعث به الى المجلة ، وقد تفضل اخوته فبعثوا الينا باصوله أوراقا متفرقة متداخلة ، وتولت لجنة المجلة تنسيق هذه الاوراق على هذا النحو • وهي تامل ان يكون نشر المقال تذكيرا بتراث الاستاذ جبري ، واكثره مفقود نافد ، وبديوانه الذي لايزال مخطوطا • فلعل الوفاء يغلب على الجحود •

في ساحة الدار المكشوفة جالسين حول البركة ، إني لا أنسى وجه شوقي ومحمـد عبد الوهاب يغني ، لا أنسى ورد هذا الخد من شدة الطرب ، وقد عمل شوقي قصيدته المشهورة في دمشق : قم ناج جلق ... وألقاها عنه في المجمع العلمي المرحوم نجيب الريس صاحب جريدة القبس .

قدم شوقي دمشق والروح الوطنية في أهل دمشق وفي بلاد سورية كلها تلتهب التهاب النار ، لقد تغنى شوقي ببني أمية ومدحهم المدح اللائق بهم حتى سميت قصيدته في حينها : الأموية ، فقد كان لها الاثر البالغ في النفوس وعلى الرغم من هذا كله لم يتخل شوقي في قصيدته عن روحه الغالبة عليه ، فإذا هو يقول في بعضها :

والحور في دمر أو حول هامتها	حور كواشف عن ساق وولدان
وربوة الواد في جلباب راقصة	الساق كاسية والنحـر عريان

لم ينس شوقي في قصـيدته منظر الحور ومنظر السـيقان ومنظر الولدان كما أنـه لم ينس جلابيب الراقصات وكسـوة السيقان وعري النحور . هذا ما رآه شوقي في متنزهات دمشق الشهيرة : الربوة ودمر والهامة لا يخرج إليها أهل دمشق إلا لينسوا فيها متاعب الحياة وليتنعموا فيها براحة البال وطمأنينة النفس ، لا يذكرون فيها الحور والسيقان والراقصات والنحور ولا تخطر على بال واحد منهم ، هذه المشاهد في متنزهات دمشق خلقت لتدخل على قلوبهم لذة الهدوء والراحة . أما شوقي فما خطر بباله شيء من مثل هذه اللذة في هذه المتنزهات ، خطر بباله ما ألفه في مقتبل عمره من مسرات الحياة وأظن أن قليلا منا من يعرف ألفته بهذه المسرات ولاسيما وهو في باريس يدرس فيها ، ولا حاجة بنا الى ذكر شيء من هذه المسرات مما رواه في بعض أحاديثه المرحوم الامير شكيب أرسلان لما قدم باريس

وزار شوقي في فندقه . ولم يتخل شوقي عن هذه الروح في قصيدته في زحلة في أبياته المشهورة التي يغنيها محمد عبد الوهاب : يا جارة الوادي. وما أظن أن أحداً يجهلها ويجهل ماتضمنته هذه الابيات من الشيء الذي أشرت إليه ، أي من مسرات الحياة .

ولنرجع الى الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وأعني به المتنبي، إنّا نعلم أين نشأ أبو الطيب ، إنه ابن البيد والقفار فمن أفق البادية درج خياله وفي البادية نشأ هذا الجبار فلا عجب اذا علقت بذهنه صور هذه البادية ، فقد ألِف إبل البادية وخيلها ومهامهها ومفاوزها وغزوها وجيادها وسيوفها وقناها على نحو ما فصّلت هذا كله في كتابي « المتنبي » ولست في حاجة الى هذا التفصيل في هذا المقطع من هذا المقال فحسبي أن أقول انه ابن البادية ، لم يَخْفَ عليه أمر من أمورها ولم تشكل عليه اللغة التي يحتاج إليها ابن البادية في وصف الإبل والخيل والسلاح وضروب ذلك.

ولقد قوّت فيه هـذه النزعة مصاحبته لسـيف الدولة في بعض الحروب ، فكأن الدنيا كلها في نظره حروب تلمع فيها السيوف والرماح وتتلاحم فيها الجيوش والفرسان ، وتكثر فيها الهزائم ، الى غير ذلك مما يستفيض في الحروب حتى إن صور هذه الحروب قد تعود الى ذهنه في بعض غزله وفي بعض مراثيه . ولم تفارقه هذه الصور في مجامع أطواره سواء أكان في مصر أم عاد الى العراق أم خرج الى بلاد فارس . وقد يرقّ غزله بعض الشيء ثم يعود الى شنشنته ، الى لغة الحروب وأدواتها فهو كما قال فيه الشريف الرضي : قائد عسكر . وقد يلخص لنا هذا الوصف الوجيز سرّ كل ما نشاهده في بعض شعره من صور الحروب ، فحياته كلها مظلمة الجوانب مثل ظلام الحروب ليس فيها شيء من بشاشة الدنيا

وابتسام الايام ؛ وقد ظهر عبوس هذه الدنيا وجهامة هذه الايام في بعض نظراته الفلسفية ، وهذا موضوع اذا أردت التبسط فيه امتد بي نفس الكلام ولكني ألخصه في الاستشهاد ببعض أبيات من شعره تدلنا الدلالة الواضحة على روحـه الغارقة في رؤية الدماء والحروب وأدوات هـذه الحروب الكريهة •

قدم طبرية فمدح فيها علي بن ابراهيم التنوخي وتعرض لوصـف البحيرة في مديحه فقال :

والموج مثل الفحول مزبدة تهـدر فيها وما بها قَطَم

أفلا نجد الغرابة في هذا الوصف ؟

كثير منا زاروا طبـرية على ما أظن وكثـير منا تمتعوا في هدوئها وسكينتها وشعروا فيها براحة النفس وهدوء البال ، وما أظن أن واحداً منهم خطر بباله وهو على ضفاف البحيرة هدير الفحول أو مرّت بذهنه صور الفرسان والحروب وما يجري فيها من هازم ومهزوم ، فإذا ذهبنا الى طبرية في بعض الفصول من فصول السنة فإنما نذهب إليها لنتحلل من تعب الجسم والروح ولننعم براحة هذا الجسم وهذه الروح ، وكنت أتنزه على ضفاف البحيرة ماشياً ساعتين فلا يخطر ببالي شيء من متاعب الحياة، هذا ما كانت توحيه إليّ والى كثير من الناس بحيرة طبرية ، أما أبو الطيّب المتنبي فلم يستطع أن يتخلى وهو على شاطىء البحيرة من روحه المتعلقة بروح الحروب •

ولقد زار طبرية في عصرنا الحديث كتّاب من كتّاب فرنسة الكبار وهم : « أناتول فرانس » و « لوتي » و « بارس » •

زارها لوتي على ما أذكر ولكنه لم ير فيها ما رآه المتنبي ، لم ير فيها صورة الدماء ولم يسمع فيها هدير الفحول ولا وقعت عينه على الفرسان ولا مرّ بجيش فيه هازم ومهزوم . ولكن ماذا رأى فيها ؟ إنه تذكر السيد المسيح وهو مع تلاميذه يلقي عليهم روح المحبة والسلام . فإذا غلبت على أبي الطيب المتنبي روح الحروب في بحيرة طبرية فقد غلبت على « لوتي » روح السلم في كتابه وليس من الضروري أن يكون شاعراً فإن الروح تغلب على الشاعر والكاتب .

فاذا قلت ان لكل شاعر روحاً خاصة به تغلب عليه في كل مشهد من المشاهد ولا يستطيع التخلص منها في أي موضوع من موضوعاته فإني لا أبالغ في قولي على ما أعتقد .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر

وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

— ٤٥ —

الدكتور حسني سبح

١٣٠٥٥ تَسَيُّع الجسم الزُّجاجي 13055 Synchysis, synchisis

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سُيُولة الجِسْم الزُّجاجي

١٣٠٥٦ تَوازِي السُّطُوح 13056 Synclitisme

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : التَّزَامُل، وجاء في التعريف : إنْطِباق مِحْوَر الجزء الناتىء من الحَمِيل على مِحْوَر الحَوْض

١٣٠٥٧ غَشْي 13057 Syncope

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : غَشَيان — غَشْية وجاء في التعريف : فقدان الوَعْي تماماً لمدة أطول من الإغْماء

١٣٠٥٨ طَبَقَةُ الهَيولى المُخَبَّبَة 13058 Syncytium

وأقر مجمع اللغه العربية في القاهرة : مَخْلاة (بفتح

الميم) وجاء في التعريف : سيتوبلازم متعدد النوى •
ولم يظهر إلي مدلول المَخْلاة التي أقرها مجمع اللغة
العربية • وتدل اللفظة على جِبْلة مُتَعَدِّدة النوى
ناجمة عن التِحام عدة خلايا[1] وأرجح تسميتها
مُجَمَّع أو جَمّاع جِبْلات متعدد النوى

13059 Syndesmose ارتِباطُ العِظَام ١٣٠٥٩

وأرجح إرْتِباطٌ عَظْمِي لِيفِي أو تَمَفْصُل لِيفي

13059 Syndrome d'anurie traumatique
(1) (chez les accidentés de l'écrasement)

١٣٠٥٩ تَنَاذُر زُرام رَضِّي (في المَدْعُوسين)

(١) وأقر مجمع اللغة العربية ترجمة (syndrome)
بمتلازمة وهي جملة أعراض متلازمة • لذا أرجح :
متلازمة زَرَم[2] البول أو انْقِطاعه الرَضِّي في
المَدْعُوسين وأَذِيَّة الدَعْس ، مُتَلازِمة
الدَعْس وكُلاءُ الوَحْدة الكُلْوية السفلية ، كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3]

13059 syndrome d'habitude تَنَاذُر العَادة ١٣٠٥٩
(2)

(٢) وأفضل مُتَلازِمة الاعْتِياد

13061 syndrome de Lhermitte, lésion de la région
dorsale des pédoncules cérébraux
(troubles moteurs et hallucinations conscientes)

---

(١) لفظة (Syncytium) في معجم درلند الطبي.
(٢) الصفحة ٧٤٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة •
(٣) crush injurny, crush syndrome, lower nephron nephrosis.

١٣٠٦١ تنــاذر لرميت ، آفَةٌ النَّاحِيَــةِ الظَّهْــرِيَّة للسُّوَيْقَات الدِّماغِيَّة (اضْطِرابات حَرَكِيَّة وأهْلاس" مُدْرَكَة)

وأفضل مُتَلازِمَة لِرْميت،آفةٌ النّاحِيةالظّهرِيَّة لِلسُّوَيْقَتَيْن الدِّماغِيَّتَيْن (اضْطِــرابات" حَرَكِيَّة وأهْلاس" مُدْرَكَة) ومُتَلازِمَة ماكْ ألْبِين ؛ وداء الجُمْلَة الهَرَمِيَّة وخارج الهَرَمِيَّة المُشْتَرَك ؛ كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

13062 syndrome (maladie) de Ménière
vertige labyrinthique, vertige auriculaire,
surdité apoplectiforme, oticodinie.

١٣٠٦٢ تَنَاذُر (داء) مَنْيير ، دُوار تيهي دوار أذني، صَمَم سَكْتِي الشكل .

وأفضل متلازمــة (داء) مَنْيير ، الدُّوَار التيهي ، دُوَار مَنْيير،الصَمَم السَّكْتِي الشَّكل والخَطْف الأُذُني ترجمة لـ (oticondinie) وقد أهملته اللجنة

13066 Synostose, soudure des os de crâne

١٣٠٦٦ التصاق عظام الجمجمة

(١) (Lhemitte's and McAlpine's syndrome,)
(combined pyramidal and extra - pyramidal system disease)

(٢) في لسان العرب : الخَطْف الاستِلاب وقيل الخَطف الاخذ في سرعة وإستلاب . أقول وهي الترجمة الحرفية للفظة المذكورة .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: قُسُوط عَظْمِي
وجاء في التعريف : وفيه يتّحد عظمان متجاوران
بمادّة عَظْمِيّة . وأفضل قَسَط(1) عِظَامِ
الجُمْجُمَة والتحام عِظامِ الجُمجُمَة

13067 Synovial, le — مُتَعَلِّق بِرُطُوبَة المَفْصِل ١٣٠٦٧

13068 Synovie — رُطُوبَة المَفْصِل ، غِشاء مَصْلي ١٣٠٦٨

139069 Synovite — إلتِهابُ الغِشَاء المَصْلي ١٣٠٦٩

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصطلحات علم الطب الباطني ترجمة (synovia) بالسائل المُزلق — سينوفيا ، وجاء في التعريف : وهو سائل لزج في تجاويف المفاصل يسهل حركتها ، وفي مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها : الغشاء الزلالي (للمفاصل). وأرجح الزليل أو الغشاء الزَّليلي في اللفظة الاولى والتِهاب الزَّلِيلي في الثانية

13070 Synovite crépitante, aï douloureux, ténosite ou ténalgie crépitante, ténosynovite aiguëe sèche

١٣٠٧٠ إلتِهابُ الغِشَاء المَصْلي المُفَرْقِع الآه المؤلم : إلتِهَابُ الغَمْد أو ألَم الغَمْد المُفَرْقِع ، التهاب الغَمْد والغِشاء المَصْلي الحادّ الجَافّ .

(١) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح إلتهاب الزليلي المتفرقع ، إلتهاب غمد الوتر المتفرقع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

13071 synovite fongueuse

١٣٠٧١ إلتهاب الغشاء المصلي الكمئي
وأفضل التهاب الزليل الكمئي

13072 Syphilide

١٣٠٧٢ أفرنجية

13073 syphilide bulleuse

١٣٠٧٣ أفرنجية فقاعية

13074 syphilide érythémateuse, roséole syphilitique

١٣٠٧٤ أفرنجية حمامية ، وردية أفرنجية .
وأرجح طفح أفرنجي في اللفظة الأولى، وطفح أفرنجي فقاعي في الثانية وطفح أفرنجي حمامي وطفح وردي أفرنجي في الثالثة .

13075 syphilide opaline

١٣٠٧٥ أفرنجية لبنية اللون

13076 syphilide papuleuse, plaque muqueuse papuleuse syphilitique

١٣٠٧٥ أفرنجية حطاطية ، لوحة مخاطية
حطاطية أفرنجية
وأرجح طفح أفرنجي على هيئة الحليب في اللفظة الأولى وطفح أفرنجي حطاطي في الثانية

13077 syphilide pigmentaire

١٣٠٧٧ أفرنجية صباغية

(١) (tendosynovitis crepitans, tendovaginitis crepitans)

13078 syphilide tuberculeuse — أفْرَنْجِيَّة سِلِّيَّة ١٣٠٧٨

13079 syphilide ulcéreuse — أفْرَنْجِيَّة قَرْحِيَّة ١٣٠٧٩

وأفضل طَفَح أفْرَنْجِي في اللفظة الأولى وطَفَح أفْرَنْجِي دَرَنِي في الثانيـة وطَفَح أفْرَنْجِي قَرْحِي في الثالثة

13081 syphilis, vérole, mal napolitain

١٣٠٨١ دَاءٌ أفرنجِي ، دَاء نابُولي

وأقر مجمع اللغة العربية في مصطلحات علم الامراض ومتفرقاتها البَجَـل (الزُّهري) (داء الزهري كما يسمى في البادية) ، وفي مصطلحات علم الطب الباطني وفي الهامش (السفليس) وجاء في الشرح : مَرَض تناسلي يحدث فيـه كثير من التغيرات النسيجيـة والاصـابات الجلـدية . والذي أراه أن ترجمـة (syphilis) بالأفرنجي أو بالدَّاء الأفرنجي صحيحة واصطلح عليها في القديم : فقد جاء في تَذْكِرة داوُد الأنطاكي[1] ذكر الحَب الأفْرنجي مع وصفه الجَمْرة قائلا : والحَب الأفرنجي المعروف في مصر بالمبارك[2] وأعاد ذكـره عند وصفه (نـار فارسي) قائلاً : (ويقـارب الحب الأفرنجي ، ويعـرف في مصـر بالمبـارك تفاؤلاً وعنـد بعض العرب والحجـاز

(١) تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب تاليف داود بن عمر الانطاكي . الجزء الثاني : مادتا الجمرة ونار فارسي .

(٢) اذكر ان اسم حَبّ المبارك كان شائعا في سورية ايضا قبل الحرب العالمية الاولى .

بالشَّجَر ، وهو مرض عُرف ، من أهل إفرنجة أولاً وتناقل عن قريب بجزيرة العرب سنة سبع وثمانمائة وتزايد حتى كثر . فلنبسط الكلام عليه لعموم البلوى به تبرعاً لله عز وجل ، فنقول : هو مرض يعدي بمجرد العشرة وأسرع ما يفعل ذلك بالجماع الخ) ومما ذكره في علاج الحَب الافرنجي : (ومما ينفع عنه طبيخ العذبة مع السنا،وأما مايستعمل من مزائر البقر فخطر وكذا آكل الزئبق المعمول بدقيق الحنطة الخ) .

وعليه فإن لفظة الزهري والمرض الزهري والامراض الزهرية منسوبة الى الزُّهَرَة (إلهة الحب في أساطير الغرب) وهي مخصصة لـ (maladies vénériennes) وتشمل الداء الأفرنجي وداء السَّيَلان والقرحة اللينة، وأما البجل فهو شبيه بالافرنجي وعامله المرض قريب من عامل الداء الافرنجي .

13083 syphilis quaternaire accidents parasyphilitiques, parasyphilis

١٣٠٨٣ أفْرَنْجِي رَابِعِي ، عَوارِض ماوراء الأفرنجي

وأفضل أفْرَنْجِي رابعي أو رُبَاعِي ، عَوارض الأفْرَنجي البعيدة ، الأفرنجي البعيد

13086 syphilitique

١٣٠٨٦ مُصاب بالأفْرَنجي ، مَزهُور

وأفضل مُصاب بالأَفْرنجي ولا أرى لفظة مزهور تعني ذلك[1]

(١) في لسان العرب : زَهَرَ السراجُ يَزْهَر زُهورا وازدهَر تلألأ وكذلك الوجه والقمر والنجم . الى ان قال المَزهور من أزْهره الله كما يقال مجنون من أجنّه .

13089 Syphilophobie

١٣٠٨٩ خَوْف مِنَ الأفْرَنجي

وأرجح رُهَاب الأَفْرَنْجي

13090 Syringomyélie, gliomatose médullaire

١٣٠٩٠ تَكَهُّف النُّخاع ، دَاءُ النُّخاع الدِبْقي

وأرجح الدِّباق النُّخاعي في اللفظة الثانية

13091 Systématique, systématisé

١٣٠٩١ مِنهاجي ، رَتيب ، مُنظَّم

وأفضل مَنْهَجي ، مُتَسَّق ، مُرَتَّب

13092 Système circulatoire

١٣٠٩٢ جُمْلَة دَوَرانيَّة

والجهاز الدَّوراني أو جهاز الدَّوران والجُمْلة الوعائيَّة الدَّموية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

13093 système dispersé, de dispersion colloïdale

١٣٠٩٣ جُمْلَة مُبَعْثَرة ، جُمْلَة تَبَعْثُر شَبْغَري

جُمْلَة مُبَعْثَرة أو مشتتة ، نِظامُ تَبَعْثُر الغَرَوانيَّات

13094 systéme grand sympathique

١٣٠٩٤ جُمْلَة الودّي الكَبير

والجُمْلَة العَصَبيَّة الودّيَّة ، الجُمْلَة الصَّدْرِيَّةُ القَطَنيَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

---

(١) (blood - vascular system)

(٢) sympathetic nervous system, thoracolumbar system

13097 systéme pileux

١٣٠٩٧ جُمْلَة" شَعْرِيَّة

وأفضل مَجْموع الأشْعار أو الجِلْد المُشعَّر تاركاً شَعْرِيَّة ترجمة لـ (capilaire) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٢١٠٨) وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (١)

13098 système ou apparil porte

١٣٠٩٨ جُمْلَة أو جِهاز الباب

وأفضل الجُمْلة البَابِيَّة أو الجِهاز البَابي

T

13103 Tabacosis (pneumoconiose par la poudre de tabac).

١٣١٠٣ إلتِهابُ الرِّئَة التَّبْغي (الناشيء من إستِنْشاق مسحوق التَّبْغ)

والصحيح تَباغ الرِّئة (تَغَبُّر الرِّئة(٢) الناجم عن استنشاق غُبار التبغ)

13104 Tabagisme, nicotinismé

١٣١٠٤ تَبَغِيَّة (إنْسِمام بالتَّبْغ) إنسمام بالتبْغين

وأفضل الانْسِمام بالتَبْغ ، الانْسِمام بالنيكوتين ، التَّبْغِيَّة ، النِّيكوتِينِيَّة

13120 tache miroitante d'antimoine

١٣١٢٠ بُقْعَة الإثْمِد المُتَرَأرِئة اللاّمِعَة

---

(٢) (hairness, hair covering)

(٣) الصفحة ٢٢٨ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (antimony) بأتيمون . وأفضّل بُقْعَةَ الأتيمون اللامعة والمرآة الأثْتيمونيّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] وسبق للجنة أن ترجمت (nystagmus) برأرأة (اللفظة ٩٢٧٥)

13121 tache miroitante d'arsenic

١٣١٢١ بُقْعَةُ الزَّرْنيخ المُتَرَأرِأة اللامعة
وأفضل المِرآة الأَرسنيقيّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2]

13126 Tachycardie

١٣١٢٦ خَفْقَة (إسْراع القَلْب)
وأفضل تَسَرُّع القَلْب تاركاً خَفْقَة وخَفَقان ترجمة لـ (palpitation)

13127 tachycardie orthostatique

١٣١٢٧ خَفْقَة إنْتِصابيّة (إسْراع القَلْب الانتِصابي)

13128 tachycardie paroxystique

١٣١٢٨ خَفْقَة إشْتِداديّة (إسْراع القلب الاشْتِدادي)
وأفضّل تَسَرُّع القَلْب الانْتِصابي في الأولى وتَسَرُّع القَلْب الاشْتِدادي في الثانية

13129 Tachypnée

١٣١٢٩ إسْراع التَّنَفُّس
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة

(١) (antimony miror)
(٢) (arsenic miror)

بالبُهْر(١) وأرجح تَسَرُّع التنفس

١٣١٣٥ أَلَمُ العُرْقوب — 13135 Talalgie, pternalgie

والصحيح أَلَم الكاحِل ؛ أَلَم العَقِب

١٣١٣٧ عُرْقوب — 13137 Talon

والصحيح العَقِب(٢)

١٣١٤٠ طَبْل مُقَطِّع — 13140 tambour manipulateur

وأفضل طَبْل مُتَلَقٍّ،كما جاء في الترجمةالانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

13145 tampon

١٣١٤٥ سِدادَة ؛ صِمَام

وأرجح سِطام ، مِسَدّ ، حَشْوَة ؛ نَشْفَة(٤) .

وسبق للجنة أن ترجمت (bouchon) بسدادة (اللفظة ١٧٦٢) و (emboiie) بسدة وصمامة (اللفظة ٤٧٨٢) .

١٣١٤٧ قُطَيلَة غَزِّي — 13147 tampon de gaze

وقطيلة شاش(٥)

١٣١٤٨ دَكّ — 13148 Tamponnement

---

(١) في لسان العرب : البُهْر إنقطاع التنفس من الاعياء ، والبَهر تتابع النفس من الاعياء .

(٢) في لسان العرب : العُرقوب ، العَصَب الغليظ المتوتر فوق عَقِب الانسان .

(٣) (receiving tambour)

(٤) في لسان العرب : النَّشْفة الصوفة التي يُنَشَّف بها الماء .

(٥) الصفحة ٨٤٦ من المجلد الاربعين من هذه المجلة .

وأرجح سَطْم ، ضَغْط ، كَبْس (١)

١٣١٤٩ دَكّ ، وَقْي 13149 Tamponner

وأفضل سَطْم ، كَبْس ، نَشْف ، ضَغْط

١٣١٥٣ نُعَرَة ، قَمْعَة 13153 Taon

وأرجح الاقتصار على نُعَرَة باعتبار جنس هذا الذباب هو الناقل لبعض الطفيليات (٢)

١٣١٥٧ مَقيض ، مَوْزون فارغاً ، مُسْتَغْيَر 13157 taré, ée

١٣١٥٨ غَيْض ، نَقْضه وَزْن الإناء فارغاً 13158 tare

وأفضل ذو عاهَة ، فاسد في اللفظة الاولى ، وعاهَة وخَلَل في اللفظة الثانية،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٣)

١٣١٥٩ غَيْض وِراثي 13159 tare héréditaire

وأفضل عاهَة مَوْرُوثَة

١٣١٦٥ طَرْطَرات ، دُرْدِيّات 13165 Tartrate

وأفضل طَرْطَرات

١٣١٧٠ قَلَح ، طَرَامة 13170 tratre dentaire

وأفضل ، قَلَح بحَصَيّات سِنّيّة ، كما جاء في

---

(١) لفظة (tamponade) في معجم درلند الطبي .

(٢) في لسان العرب : الدكّ هَدْمُ الجبل والحائط ونحوهما .

(٣) (Tabanus) في معجم درلند الطبي

(٤) (taint, defect, infirmity)

الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

13173 Taux, niveau, rapport

١٣١٧٣ سَوِيَّة ؛ مُسْتَوى ؛ نِسْبَة

وأفضل سِعْر ، ثَمَن ، مُسْتَوى ، نِسْبَة

13174 taux (d'un corps dans un liquide, titre)

١٣١٧٤ عِيار ، قِيمَة ، مَبْلَغ

(جِسْم في سَائِل)

وأفضل مِقْدار ، نِسْبَة ، عِيار

13175 taux d'agglutination

١٣١٧٥ عِيارُ التَّراصّ

وأفضل نِسْبَة التَّراصّ

13177 taux de prothrombine

١٣١٧٧ مبلغ طليعة الترومبين

وأفضل نِسْبَة البرُوترُمبين

13178 taux supra-limitaire

١٣١٧٨ عِيار فَوق الحَدّ

نِسْبَة فوق الحَـد ، مُسْتَوى فَوْق العَتَبَة ،

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

13179 Taxis, tropisme

١٣١٧٩ إتّجاه ، إنْحِيَاز

وأرجح إنْتِظام(٣) ، تَوَجُّه إنْحِيَاز ، تاركاً

إتّجاه(٤) ترجمة لـ (destination)

(١) (dental tarter, dental calculus)

(٢) (supralimital rate, suprathreshold level)

(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٣٦٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

13180 Technique

١٣١٨٠ إصْطِلاح طَرِيقة العَمل ، خِطّة عَمَلِيَّة
وأقرَّ مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة
بالصَّنْعَة(١) والشائع تعريبها بتِقْنِيَّة

13183 technique de Burri à l'encre de Chine

١٣١٨٣ طَرِيقة عَمَل بُرّي بالحِبْر الصِّيني
(جراثيم)
وأفضل تَقْنِيَّة أو صِنْعَة بُرّي بالحِبْر الصِّيني
(جُرثُوميات) وطَرِيقة الحِبْر الهِنْدِيد والتَّلْوين
السالب كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم
الأصلي(٢)

13184 tégument (en direction du)

١٣١٨٤ الغِطَاء (باتّجاه)
وأفضَلُ نَحْوَ الجِلْد خَارِجِيّاً كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣)

13188 teigne microspirique, tandante,
teigne à petites spores de
Gruby - Sabouraud, microsporie

١٣١٨٨ سَعْفَة جَازّة دَقِيقَة البُزُور
سَعْفَة غُروبي ـ سابورو
بُثَيْرات دَقِيقَة ، دَاءُ الدَّقِيقَة البُزور

(١) وجاء تعريفها في لمعجم الوسيط : الطريقة الخاصة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني.
(٢) (Indian ink method, negative staining)
(٣) (dermead, towords the skin)

وأفضل سَعْفَة جَازّة دَقيقَة الأبْواغ(١) سَعْفَة غَروبي سَابُورو بأبواغٍ دَقيقَة ، دَاءُ الأبْواغ الدَّقيقَة .

13190 Teint (du visage) لَوْن (الوَجْه) ١٣١٩٠

والصحيح مَلامح(٢) (الوَجْه) تاركاً لَوْن تَرجمة لِـ (couleur)

13194 Télencéphale, cerveau terminal دِماغٌ اِنْتِهائي ١٣١٩٤

وأفضل الدِّمَاغ النِّهائي

13195 Téléradiographie تَصْوير اِشْعاعي عَنْ بُعْد ١٣١٩٥

وأفضل التَّصوير الشُّعاعي البَعيد(٣)

13196 Tellurique أَرْضي ١٣١٩٦

أرَضي تَلّوري أو تَلّوريومي نِسبَة الى عُنْصُر تَلّوريوم أيضاً(٤) .

13198 Tempérament, constitution morale

مِزاج ، جِبِلّة ١٣١٩٨

---

(١) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

واقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (microspore) بالبوغ الصغير وجاء في التعريف : وحدة تناسلية لا جنسية وهي عادة في التريدات التّبالية الابواغ كما انه اقر ترجمة (microsporangium) بحافظة الابواغ الدّقيقة أيضا .

(٢) في لسان العرب : وملامح الانسان ما بدا من محاسن وجهه ومساويه .

(٣) الصفحة ٧٢٩ من المجلد الثاني والخمسين من هذه المجلة .

(٤) لفظة (telluric) في معجم درلند الطبي .

وأفضل مِزاج : شِيمَة[١] وسبق لجبْلة أن قُبِلَت
ترجمته لِ (protoplasme) [٢]

١٣٢٠٧ حَرارَة المُحيط 13207 température ambiante
وأفضل حَرارة المَكان أو الحَرارَة الخَارجيَّة كما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣] ولأن
المُحيط قد يعني غير ذلك .

١٣٢١١ حَرارَة دُونَ النِّظامية 13211 température subnormale
وأفضل حَرارة دون الطَّبيعية أو دُونَ السَّويَّة ،
تاركاً نِظامي ونِظاميَّة ترجمة لِ (régulier)
و (régulière)

١٣٢١٧ زَمَنُ الجَلْسة 13217 temps de pose
والصحيح مُدَّةُ التَّعْرِيض (للنور) وكما جاء في
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤]

١٣٢١٨ زَمَنُ طَليعة التّرومبين 13218 temps de prothrompine
وأفضل زَمَن البَروترومبين[٥]

(للبحث صلة)

---

(١) في لسان العرب : الشِّيمَة الخُلُق ، والشِّيمة الطَّبيعة وتَشَيَّم أباه أشبهه في شِيمته .

(٢) الصفحة ٤٧١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (external temperature)

(٤) (exposure time)

(٥) انظر الصفحة ٤٤٨ .

حروف الجر

الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي

ليس شيء أولى بالتدبّر ، وأحق بطول الدربة والدراية ، من استعمال حروف الجر . إذ لا يكفيك للتثبت في صحة اختيار الحرف ، لتصريف الفعل في معنى من معانيه ، أن تعود الى المعاجم وحدَها ؛ بل لا يجزيك حيناً أن تقف ، في كتب النحو ، على ما يطرد فيه استعمال كل حرف ؛ أو يغنيك أن تطلع على مايتصل بذلك من علوم اللغة غير النحو ، أو تضرب بسهم في تصفح كتب الادب نثره وشعره . ذلك أنه لا بد ، لإحكام استعمال هذه الحروف ، من أن تعلق من كل ذلك بسبب وتحظى بطائل ، ويكون لك فيه قدم ومنه حظ . فيتحصل بمطالعتك هذه ومدارستك ، ما يبصّرك بتصريف هذه الحروف وإجرائها في مجاريها ، ويفقهك فيما يكون لها من شأن في تحديد معاني الافعال ، ومن أثر في تغيير دلالاتها . فيتسنى بهذا تمييز صحيح القول من فاسده ، واستبانة جيده من رديئه .

ومهما اتسع القول في هذا الباب وتشعبت مسالكه وتباينت وجوهه، فإن ثمة ضوابط يسترشد بها ، ومعالم يستهدى بضوئها . وسأذكر من ذلك ما يسهّل سبيل الحكم فيه ويوطىء أسبابه فيكون زماماً لما يراد من أشباهه وعياراً لما قد يتعذر طلبه منه أو يشتد إدراكه .

(١)

فمدار الامر قبل كل شيء أن الفعل إذا عـُدّي في المعاجم بحرف ، فليس يلزم من هذا ألاّ يتعدى بسواه اذا اقتضى معناه ذلك . فقد حكى الإمام السيوطي في الاشباه والنظائر (٣/١٧٦) عن أبي نزار قوله (إن الفعل قد يتعدّى بعدة من حروف الجر على مقدار المعنى المراد من وقوع الفعل . لأن هذه المعاني كامنة في الفعل ، وانما يثيرها ويُظهرها حروف الجر) ، وأردف : (وذلك أنك إذا قلت خرجت فأردت أن تبين ابتداءَ خروجِك ، قلتخرجت من الدار . فإن أردت أن تبين أن خروجك مقارن لاستعلائك ، قلت خرجت على الدابة . فإن أردت المجاوزة للمكان قلت خرجت عن الدار . وإن أردت الصحبة قلت خرجت بسلاحي .. فقد وضح بهذا أنه ليس يلزم في كل فعل ألاّ يتعدى إلا بحرف واحد).

فأنت ترى أن الإمام قد عمد الى تصريف الفعل في وجهاته بحروف اطّرد تصريفه فيها . وقد فعلتُ نحواً من هـذا في كتابي (أخطاؤنا في الصحف والدواوين) الصادر عام ١٩٣٩ م ، حين مضيت في تصريف (أجاب) بعدة من الحروف لابراز وجهة الفعل مع كل حرف ، فقلت : (أجبت في الكتاب ، وبالكتاب ، وأجبت عنك ، وعلى ورقة بيضاء ، ولأمر مهم ، وعن الاسئلة من أولها الى آخرها) ، كل ذلك على جهة القياس والاطراد .

فيستبين بذلك أنه لابد في اختيار الجار من أن تأخذ فيه بالسماع والقياس . ويرد النصّ بالسماع في المعاجم ، وهي لاتجاوزه عادة ولا تعدوه . ويعرف القياس في كتب النحو والأمهات اللغوية فيفصّل فيها وجوه تصريف هذه الحروف في وجهاتها المطّردة . فإذا نصّ في المعجم

على استعمال حرف مع فعل من الافعال أُخذ به للافصاح عن الدلالة المعينة لنفعل باستعماله • ولا يمنع هذا أن يصرّف الفعل في وجوه أخرى باستخدام حروف اطّرد جريانها قياساً في وُجْهات مُحدّدة • وقد يتفق لك استعمال فعل بحرف سماعي وآخر قياسي لقصدين متماثلين •

وقد مثّلت لذلك بأن قولك (أعاون على انشاء المعمل ، وأساعد على ادارة شؤونه) مثلا ؛ على التعدية السماعية ؛ لا يمنع من قولك على القياس : (أعاون في إنشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) • ذلك أن (في) تستعمل مع ظرف حقيقي كالدار والبيت والمسجد ، كما تستعمل مع ما يتصوّر أو يقدّر له حيّز من ظرف تقديري أو مجازي • قال الإمام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني): « إعلم أن ــ في ــ حرف جارٌ لما بعده • ومعناها الوعاء حقيقةً أو مجازاً• فالحقيقة نحو جعلت المتاع في الوعاء ، ومنه قوله تعالى : أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ــ البقرة / ٣٩ • والمجاز كقولك دخلت في الامر وتكلمت في شأن حاجتك • ومنه قوله تعالى : ادخلوا في السِّلم كافة ــ البقرة / ٢٠٨ ؛ وقوله تعالى : وتنازعتم في الامر ــ الانفال / ٤٣) •

فـ (في) في قولك (أعاون في انشاء المعمل ، وأساعد في إدارة شؤونه) للظّرفية المجازية أوالتقديرية • فـ (المعاونة) إنما تأتّت في (الانشاء) و(المساعدة) انما جرت في (الادارة) • أما المعاون عليه هاهنا والمساعد عليه فهو (الصعوبة) التي قدر أنها تعترض الانشاء وتعوق الادارة عادة• وقد استغني عن ذكر (على) بذكر (في) لظهور الغرض بهذه • وقد يكون التقدير في ذلك (أعاون على تذليل الصعوبة في انشاء المعمل ، وأساعد على تيسير الامر في ادارة شؤونه) فإذا حذف ما أمكن الاستغناء عن

ذكره ، صح قولك (أعاون في انشاء المعمل وأساعد في ادارة شؤونه) واستقام .

وقد استظهرنا فيما ذهبنا اليه بقوله تعالى : (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ــ الانفال / ٧٢) فإنه على الظرفية المجازية أو التقديرية . ولايخفى أن المستنصر عليه هاهنا أعداء الدين ، وقد حذف لظهور الغرض بما ذكر . وقد جاء على أصل التعدية السماعية قول الرسول ﷺ « اللهم أعنّي على ديني بدنياي ، وعلى آخرتي بتقواي » والمستعانُ عليه ، في الحق ، كل ما ينأى بك عن الدين أو يصرفك عن الآخرة .

وقد استشهدنا بالحديث (كلُّ سُلامى عليه صَدَقة ، كل يوم يُعين الرجل في دابّته ، يحامله عليها ويرفع عليها متاعَه ، صدقة) . ففي شرح صحيح البخاري للعدوي أن (قوله يحامله .. أي يساعده في الركوب)، وبالحديث (كلوا وأطعموا وادّخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جَهْدٌ، فأردتُ أن تُعينوا فيها) . فقد ذكر أن الضمير في (فيها) عائد الى المشقة المفهومة من الجهد ، فيكون تقدير الكلام (فأردت أن تُعينوا الفقراء في المشقة) .

ومن ذلك قول عليّ رضي الله عنه (فمن صَدَّق بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاعانة بالله ، في نيل المحبوب ودفع المكروه).

وفي شرح الحماسة للمرزوقي (١١٧٤) : (واستعن بالصبر في كل ما تزاوله وتراوده) . ومن هذا القبيل ماجاء في كليلة ودمنة (في باب بعثة برزويه) : « وإنه محتاج الى معاونتهم في ذلك / ٣٦ » . ونظيره ما جاء في زهر الآداب وثمر الالباب (٢/٤٥) : « واعتذر إليه في مدحه لغيره »،

والاصل (من مدحه لغيره) • وما جاء في كتاب حجج النبوة للجاحظ (وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء /١٢٨)، والاصل (وإن كان يرى أنه حاسد على شيء ، فهو يرى أنه محسود على شيء)، وقــوله (وأن مناكحهم مقصــورة فيهم ••/١٤٢) والاصــل (مقصورة عليهم) •

فإذا عَرفتَ هذا فلا بدع اذا استسرفتَ أن يسنع الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) قول القائل (يعاونهم في إنشائها ويساعدهم في ادارة شؤونها) ؛ قال (وتعدية هذيْن الفعلين بـ ــ في ــ خطأ صوابه بعلى)• والصحيح ما ذكرناه وفصَّلنا القول فيه • فإن استعمال ــ في ــ قد أغنى عن استعمال ــ على ــ واستقام بها التعبير •

قال قيس بن الحطيم الأوسي :

وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر زهــير" فأدَّى نعمــة وأفاءها

فقال المرزوقي في شرح الحماسة (١٨٦) : (ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنة ••) • وليست ــ في ــ هاهنا بدلا من ــ على ــ وإنما هي قد أغنت مُغناها •

ثم أنكرنا أن يعيب داغر استعمال ــ في ــ في قول القائل (ويبذل عنايته في طبعها) ويوجب استعمال الباء • ونحن لانعارض تعدية العناية بالباءِ لكنّا نعتقد صحة قول القائل (في طبعها) على الظرفية المجازية ، والتقدير (يبذل في طبعها عنايته) على حدّ قول الحريري في مقدمة مقاماته (وبذلت في مطاوعته جُهد المستطيع) •

وقد أنكر الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي ،

على ماجاء في كتاب أغلاط اللغويين القدماء للكرملي ، ما أنكرناه ، لكنه قال : (فقال الناقد : صوابها على إنشائها ، لأنه لم يَرَ تعدية عاون في المعاجم اللغوية ، وهي غير مستوفاة البحث ، ولا مستقصاة التحري) . فقلنا في الجواب عنه : (لا وجه ثمة لما عاب به الدكتور جواد معاجم اللغة فيما ذكر ،لأن المعاجم لم تؤلَّف لتبسط القول في القياس المنقاد ، وانما قامت لتنصَّ على السماع ، بل على ما لا يتأتَّى الاهتداء اليه بالقياس ، قبل كل شيء . وقد تشير الى القياس وتمثل له لاستبانة وجه من الوجوه، أو التنبيه على ما يقع فيه اللبس أو الخفاء فتكشف عنه . لكنها لاتعاب ولا تُنتَقص ، بالقصور عن الاستيفاء اذا أغفلت أن تستوعي التمثيل للقياس الظاهر في الاصل . وانما يؤخذ القياس المطَّرد ويُعرف مسراه بالاطلاع على ما قرره النحاة في أسفارهم بالبحث والاستقراء).

هذا واذا أردت الاحتكام الى المعجم في قول القائل (يعاونهم في انشائها) لتكون على يقين من صحته وثقة من سداده ، فليس لك الاَّ أن تطلب فيه حرف (في) . قال الجوهري في صحاحه : (في : حرف خافض، وهو الوعاء والظرف ، وما قدِّر تقدير الوعاء . تقول الماء في الإناء وزيد في الدار ، والشك في الخبر) . فـ ــ في ــ في قوله (الشكّ في الخبر) على الظرفية المجازية أو التقديرية ، وهو كقولك (المعاونة في إنشائها) .

(٢)

وقد يتعاقب (في) و (على) على الموضع الواحد ، فلا يعني هذا أنهما بمعنى ، إذ يكون كلٌّ على ماهو قياسه . فأنت تقول (في الغالب وعلى الغالب) و (في الجملة وعلى الجملة) ، و (في الاقل وعلى الاقل) و (في الندرة وعلى الندرة) ...

فأما استعمالك (في) فإنه هاهنا على الظرفية المجازية أو التقديرية. فالاصل ، كما مر بنا ، أن تدخل (في) على ماهو ظرف حقيقي ، لكن العرب أدخلتها أيضا ، على كل ما تصورت له حيّزاً فأنزلته منزلة الظرف الحقيقي . قالوا (نظرت في الامر) و (فكرت في المسألة) و (أعنته في مسعاه) . وهم حين قالوا (في الجملة) مثلا قدروا الحيّز في هذا . كما قدّروه في (الاقل) و (الندرة) وهكذا ...

أما قولهم (على الجملة) مثلا فيعني أن الكلام قد بُني على هذا الاعتبار . ونحو ذلك قولهم (على الاقل) و (على الندرة) وهكذا ..

وغريب ، على هذا ، أن يردّ الدكتور مصطفى جواد قول القائل : (على الاقل وعلى الاعم وعلى الغالب) ويجعل صوابه (في الاقل وفي الاعم وفي الغالب) . وقد استظهر ببعض ما جرت به أقلام الأئمة في استعمال (في) في هذا الموضع . وكأن استعمال هذا الحرف في هذا المقام، مانع من إعمال آخر في مثل موضعه بتقدير آخر .

وأورد الاستاذ جواد من كلام الأئمة قول الرضيّ (يكون المقتضي أمراً خفياً معنوياً ، وما يقوم به المقتضي أمراً جلياً في الاغلب) . وعلّق عليه فقال : (فهذا النحوي الكبير قد اتبع الفصحاء في هذه العبارة) ، وأردف: (ونيابةُ حروف الجرّ بعضها عن بعض نادرة وليست قياسية) . والجواب عن ذلك أن نيابة حرف عن حرف انما تكون اذا استعمل الحرف في موضع ليس من مواضعه المطردة في الاصل ، لانه موضع عرف به حرف آخر . والبصريون على تأويل ذلك وحمله على الشذوذ . فقد جاء في الهمع (٣٥/٢) : (عُلم مما حُكيَ عن البصريين في هذه الاحرف من الاقتصار على معنى واحد لكل حرف ، أن مذهبهم أن أحرف الجرّ لاينوب بعضها

عن بعض بقياس . كما أن أحرف الجزم كذلك . وما أوهم ذلك فإما مؤول تأويلا يقبله اللفظ ، أو على تضمين الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف أو على النيابة شذوذاً ...) . وليس ما نحن فيه ، على كل حال ، من قبيل نيابة حرف عن حرف . وكل ما في المسألة أن الرضيّ قد أجرى (في) فيما وضعت له قياساً .فقوله (في الاغلب) على تقدير (في الامر أو الحكم الاغلب).و(في)هاهنا للظرفية المجازية أو التقديرية . وقد كان له أن يأتي بـ (على) فيما وضعت له اطراداً أيضاً ، ولكن على تقدير آخر ، فيقول (على الاغلب) أي (مبنياً على الامر أو الحكم الاغلب) أو (مترتباً على ذلك) أو (محمولا عليه) . وكلٌّ على بابه . فانظر الى قول الرضي نفسه في شرح الشافية (١/١٨١) : (وكذا المال المنتفع به على الاغلب) . وإلاّ فأي دليل للاستاذ على المنع ، وكيف يستجيز القطع في هذا بلا حجة ، والجزم بلا بيّنة .

وانظر الى ماجاء في مقدّمة مختار الصحاح للامام أبي بكر الرازي (وأما الاسماء فإنا ضبطنا كل اسم يشتبه ، على الاعم والاغلب) . وهذا موضع (على) في أصل الوضع .

وكما تقول (على الغالب) فقد يتفق أن تصرّح بالاصل فتقول (حملا على الغالب) أو (بناء على الغالب) . قال صاحب الكليات أبو البقاء (١٦٣) : « والغاية تدخل في حكم ما قبلها مع حتى ، دون الجار ، حملاً على الغالب » . وقال (٩٨) : « وقولهم بناء على كذا ... أي لأجل البناء أو بانياً أو يبنى بناء ... ».

وأنت تقول (على الاكثر) كما تقول (على الاغلب) . قال الرضي

نفسه في شرح الشافية (١/١٣٦) : « وجاء وَزَعَ يَزَع بالكسر على الاكثر » .

وتقول (على الجملة) أيضاً ، كما تقول (في الجملة) ، فانظر الى قول ابن جني في الخصائص (٢/٣٩٠) : « فعلى الجملة فكلما ازداد الجزءان اتصالا ، قوي قبح الفصل بينهما » وقوله أيضاً (١/٢٣٦) : « وعلى الجملة فقد كثر منهم تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت إضافته الى مؤنث » . وانظر أخيراً الى ما جاء في أساس البلاغة (وإني لألقاه في الندرة وعلى الندرة أو النَّدَرى).

هذا وقد عاب الدكتور جواد على المفسّرين أنّهم أهملوا بيان الفرق بين وجهَي الاستعمال في إثْبات (في) وإسقاطها في قوله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ـ الفجر / ٢٩) ، وقال : (فالزمخشري على ولعه بالكتب النحوية والبلاغية لم يقل في تفسير ذلك الا : فادخلي في عبادي ، في جملة عبادي الصالحين .. وادخلي جنتي معهم . فهو لم يتعرّض لاختلاف الوجهين . وأهمل ذلك ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة / ١٨٦) ، وأردف قائلا « والوجه عندي أنه لما استعمل ـ ادخلي ـ للظرف المكاني ، وهو الجنة نصبه على الاتساع . ولما استعمل لغير الظرف وهو ـ عبادي ـ جيء بحرف الجر » .

أقول إن الأستاذ جواداً لم يزد على ما قاله الأئمة وفصّلوه شيئاً . ولو أردنا أن نبسط القول فيما ذكروه ونزيد في إيضاحه لقلنا إن (دخل) إما أن يُستعمل مع ظرف حقيقي كالجنة والدار والبيت والمسجد والمكان ، وإما أن يستعمل مع مايتصوّر أو يقدّر له حيّز من ظرف تقديري أو مجازي كالأمر والرحمة والعباد .. من غير الأمكنة . فإذا كان الاول جاز

حذف الجار ، أو اتفق الثاني امتنع الحذف . وقد اجتمعا في قوله تعالى (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) . فقد أثبتت (في) قبل عبادي إذ قدر حيزٌ (لجملة العباد الصالحين) على الظرفية التقديرية أو المجازية . وهذا ما حمل الزمخشري أن يقدر في كشافه (مضافاً) فيقول (في جملة عبادي الصالحين) قصد تصوير هذا الحيز . وهكذا فعل الرضي في شرح الكافية (٢/٣٢٧) اذ قال : (أي حاصلة في زمرة عبادي) . وقد أسقطت (في) قبل (جنتي) في الآية ، لأن الجنة ظرف من الامكنة تحقيقاً . وانما قيل إن حذف الجار فيه على الاتساع لأنه ظرف مختص[1] . ولو كان ظرفاً مبهماً لكان الحذف فيه على القياس كقولك : دخلت أرض الشام .

ومما جاء على الظرفية التقديرية أو المجازية فوجب فيه إثبات الجار، قوله تعالى (وأدخلناه في رحمتنا / الانبياء ٧٥) . قال ابن جني في الخصائص (٢/٤٤٢) : « كأنه زاد في أسماء الجهات والمحال اسماً هو الرحمة » ثم قال « إذ صُيِّر الى حيز ما يُشاهد ويُلمس ويُعاين » أي اعتدَّ لفظ (الرحمة) ظرفاً كما لو أن له حيزاً يُشاهد ويُلمس ويُعاين .

وهكذا قولك (دخلت في الامر) فإنه على الظرفية التقديرية أو المجازية . ولا بد فيه من إثبات الجار . قال المرزوقي في شرح الحماسة (١١٢١) : « وفي أنهم يقولون دخلت في الامر فيتعدّى بفي لاغير » ، أي أي لابد من تعديته بـ (في) ، ولا مساغ هنا لحذفها البتة .

أما قولك (دخلت الدار أو البيت أو المسجد) فهو على الظرفية الحقيقية لانها أمكنة ، ولذا جاز فيها حذف الجار ، لكن الحذف فيها

---

(١) الاصل فيه دخول الجار . قال ابن سيده في المخصص (١٤/٧٠) : « الا أن يجيء في شيء من ذلك اتساع فيكون الحرف معه ـ أي مع الظرف المختص ـ محذوفا كما حكاه سيبويه» .

اتساع ؛ لأن (الدار والبيت والمسجد) ظروف مختصة . قال ابن جني في الخصائص حول قولك (دخلت داراً ـــ ٢/٤٤٤) « ولا مجاز في هذه المفعولات » أي أنها ظروف حقيقية فهي أمكنة ، وأردف : (ولكن في الافعال الداخلة اليها مجاز) ، وهذا ما أوجب أن يكون الحذف فيها على الاتساع مجازاً .

وقد اختلف العلماء في مفعول (دخل) هاهنا : أمنصوب هو على الظرفية تشبيهاً للظرف المختص بالظرف المبهم ، أم على إسقاط الجار اتساعاً ؟ قال سيبويه وبعض المحققين بالرأي الاول (الهمع ١/٢٠٠) وذهب ابن هشام في المغني الى الثاني (٢/١٣٧) فقال : « وإنما يكون ظرفاً مكانياً مبهماً » وأردف « والصواب أن هذه المواقع ـــ أي الدار والمسجد .. ـــ على إسقاط الجار توسعاً » . وارتأى آخرون غير هذا وذاك .

أما مالم يكن مكاناً البتة فلا سبيل فيه الى إسقاط الجار . قال الرضي (٢/٢٧٠) : « فإن كان تعدّيه بنفسه قليلاً نحو : أقسمت بالله ، أو مختصاً بنوع من المفاعيل كاختصاص دخلت بالتعدي الى الامكنة . وأما غيرها فـ ـــ بفي ـــ نحو دخلت في الامر) . أي أن دخلت انما تختص في تعديها المباشر بالامكنة . فاذا كانت مبهمة كان النصب قياساً ، أو مختصة كان على غير قياس . وأما في غير الامكنة فلا بد من (في) . وهذا ما أتى به الاستاذ جواد حين قال : (ولما استعمل لغير الظرف..جيء بحرف الجر)!

ودعا الدكتور جواد ، حين اعتقد أنه اهتدى الى ما لم يسبق إليه ، الى دراسة القرآن دراسة لغوية ودراسة نحوية عوداً على بدء (ففي ذلك نعش العربية من كبوتها ..) أقول ان الدعوة الى هذا أمر حق . اذ

يستصبح بتدبر القرآن واستبطان نصوصه في الكشف عما أعضل فهمه أو تخريجه من مسائل النحو واللغـة وفي تصحيحه وتثقيفه ، وهـو جدير بالاهتمام خليق بالعناية . لكن الوقوف على ما انتهى اليه السابقون من ذلك والتروئة فيه والغوص عليـه ، أمر لابد أن يتقدّم هذه الدراسة ويوطىء لها .

(٣)

وقد يتعاقب (على) و (الباء) على الموضع الواحد ، فيبقى كل منهما على بابه وقياسه . وقد يكون أحدهما في نحو دلالة الآخر ، أو يفيد معنى غير معنى صاحبه. فأنت تقول (جزيته على فعله،وجازيته عليه،وكافأته عليه، وعاقبته عليه ، وعذبته عليه ، وآخذته عليه ؛ وحاسبته عليه وأثبتّهعليه) كما تقول : (جزيته بفعله ، وجازيته به ، وكافأته به ، وعاقبته به ، وعذبته به، وآخذته بـه ، وحاسبته به وأثَبْتّه به) . وليس استعمال هذه الافعال بعلى ، مانعاً من تصرّفها بالباء بحال من الاحوال .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه (الاخطاء الشائعة) : «ويقولون آخذه على ذنبه ، والصواب آخذه بذنبه مؤاخذة وعاقبه عليه . جاء في الآية / ٢٢٥ / من سورة البقرة : لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم . وقد جاء الفعل : آخذه بكذا ، وبمعنى عاقبه على كذا ، سبع مرات أخرى في القرآن الكريم » .

وفحوى كلام الاستاذ أنه اذا تعدّى الفعل في التنزيل بحرف في وجهة ما ، امتنع تصرّفه بحرف آخر في نحو وجهته ، وقال في معجمه : « ويقولون آخذه على ذنبه والصواب آخذه بذنبـه مؤاخذة : عاقبه

عليه) وليس القول ما قال • والصحيح أن نستهدي آي التنزيل لنقطع بصحة نهج جاء على مثالها في التعبير ، وليس سديداً أن نستنصحها لنمنع بها مثالا جاء على غير نهجها ، ما اتّفق له وجه من العربية وسبيل قاصد من سبلها • وليس بحث القرآن عن عدد المواضع التي أتى الفعل فيها بالباء بشيء قل أو كثر •

فهذا (جزى) و (جازى) • قال صاحب المصباح (جزاه الله خيراً أي قضاه وأثابه عليه •• وجازيته بذنبه : عاقبته عليه) • وفي الحديث: (الصوم لي وأنا أجزي به) • وفي مفردات الراغب : (ويقال جزيته بكذا وجازيته) • وقال ابن القوطية (جزيتك جزاء كافأتك بفعلك من خير أو شر) • وقال الجوهري في صحاحه (جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى) وفي التنزيل (وجزاهم بما صبروا جنة ــ ١٢) و (جزيناهم ببغيهم ــ الانعام / ١٤٦) و (جزيناهم بما كفروا ــ سبأ/ ١٧) • ولم يتعدّ (جزى وجازى) في التنزيل بهذا المعنى بغير الباء • فهل يلزم من تعديهما في هذه النصوص جميعا ، بالباء ، على هذا النحو ، أن يمتنع تعديهما بسواه ، ليؤدّيا ما كانا يؤدّيانه بالباء أو نحواً منه ؟

فانظر الى ماجاء في (باب السائح والصائغ) من كتاب كليلة ودمنة: (نجزيك بما أسديت الينا من المعروف / ٢٧٣) • وما جاء في (باب بعثة برزويه) : (لنجزيه على ماكان منه /٤٤) و (فإنه سيجزى على خلابته ومكره / ٤٥) ، وماجاء في (باب القرد والغيلم) : (أجازيك على إحسانك / ١٩٦) •

وقال ابن الاثير في النهاية حول الحديث(الصوم لي وأنا أجزي به):

(لِمَ خصَّ الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل ... وتولّى الجزاء عليه بنفسه) . فدلَّ هذا أن تعدّي (جزى وجازى) بالباء لم يمنع من تعديهما بعلى .

وهذا (كافأ) فانظر الى ماجاء في كتاب الحجاب للجاحظ :

وحقي أن تكافيني مزيداً — بشكري إذ به نزل الكتاب

وماجاء في باب السائح والصائغ من كليلة ودمنة / ٢٧٣ / : (لعلي أكافئك بما صنعت إلي من معروف) . وما جاء في موضع آخر منه / ٢٧٢ / (فيقوم بشكر ذلك ويكافىء عليه أحسن المكافأة) . وفي الصحاح (وكافأته على ماكان منه مكافأة وكفاء جازيته) . وفي أساس البلاغة (وكافأته بصنعه جازيته) . فكشف هذا بأن تعدّي (كافأ) بالباء لم يحُل دون تعدّيه بـ (على) ولا منع منه .

وهذا (عاقب) فقد قال الجوهري في الصّحاح (وقد عاقبه بذنبه) وجاء في اللسان (وفي الحديث من أصاب من ذلك شيئاً أُخذ به، يقال أُخذ فلان بذنبه أي حُبس وجُوزي عليه ، وعوقب به) . وهو كلام ابن الاثير في النهاية. فاستبان أنك اذا أردت الكشف عن سبب العقاب عدّيته بالباء . وانظر الى ماجاء في المصباح (وجازيته بذنبه عاقبته عليه) . وماجاء في نهج البلاغة (٢/٥٦) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم ، التي عليها يثيب ويعاقب) ، وفي كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) للجاحظ : (ومن لم يزل يعفو عن العمد ، كيف يعاقب على السهو) ، وفي احدى رسائله الخاصة (فإذا أردت أن تعرف مقدار الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علّته / ٣١٥) ، تجد أن قولك (عاقبته على ذنبه) صحيح، وفي نحو قولك (عاقبته بذنبه) .

أما استعمال (الباء) مع الفعل في قوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين / النحل ١٢٦)٠
وقوله عز وجل (ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغي عليه ، لينصرنه الله ، إن الله لعفوٌ غفور ـ الحج/٦٠)،فليس لكشف سبب العقاب، وإنما لإظهار طريقة العقاب وحدّه٠فليس لمن عذّب على نحو أن يقتصّ على نحو يتجاوز به حدّ ما عذّب ٠ فمن عَذَّب بمثل ما عُذّب ، ثم بُغي عليه بالعودة الى تعذيبه لينصرنّه الله قال البيضاوي (وفيه دليل على أنّ للمقتص أن يماثل الجاني ، وليس له أن يجاوزه ٠ وحثّ على العفو تعريضاً بقوله : وإن عاقبتم ، وتصريحاً على الوجه الآكد بقوله : ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)٠

أما (المؤاخذة) فالقياس جواز تعديته بعلى كما عُدّي بالباء ٠ فانظر الى كلام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حَليم ـ البقرة/٢٢٥) ، قال:(حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ،تربصاًللتوبة) فعدّى (المؤاخذة) بعلى ٠ ونظير هذا قوله في تفسير قوله عز وجل (قال لا تؤاخذْني بما نسيت ، ولا ترهقني من أمري عسراً ـ الكهف/٧٤) ، قال : (لا تغشني عسراً من أمري بالمضايقة ، والمؤاخذة على المنسي فإنه يقال رهقه اذا غشيه ، وأرهقه إياه) ، فعدّاه بعلى أيضاً ٠ وهو يعلم حق العلم أن تعديته قد أتت بالباء حيثما اتفق في الآي ٠

وهذا (حاسب) فقد جاء في التنزيل (وإن تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه ، يحاسبكم به الله ـ البقرة / ٢٨٥) فعدّي الفعل بالباء ٠ وجاء في نهج البلاغة (١/١٠٤) : (فما أخذوه منها لها ـ أي ما أخذوه

من الدنيا لأجلها ـــ أُخرجوا منه وحوسبوا عليه ، وماأخذوه منها لغيرها، قدموا عليه وأقاموا فيه) • وجاء فيه (١٥٦/١) : (لها مرتهنون وعليها محاسبون) فوُصل الفعل بعلى ولم يوصل بالباء •

وهذا (أثاب) ، قال تعالى (فأثابهم الله بما قالوا ـــ المائدة / ٨٨)• وفي نهج البلاغة (٥٦/٣) : (إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ، ولها يرضى ويسخط ••• أن يخرج من الدنيا لاقياً ربَّه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ••)• فثَبَتَ أنك تقول (أثَبْتُه بكذا) و (أثَبْتُه عليه) •

والذي يتبين بما بسطنا ويتضح بما فصّلنا ، أنّ قولك (آخذته على ذنبه) كقولك (آخذته بذنبه) ، صحيح ، مستقيم ، لاسبيل عليه لآخذ ، خلافاً لما ذهب اليه الاستاذ العدناني • ولكن ما موضع الباء هاهنا ، وما موضع (على) ؟

أقول إن (للباء) في هذا الموضع دلالتين : الاولى أنها للسبب ، فإذا قلت (آخذته بذنبه) كان معناه (آخذته بسبب ذنبه) • قال ابن هشام في المغني : (الرابع السببية نحو إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ـــ البقرة / ٥٤ ، فكلاً أخذنا بذنبه ـــ العنكبوت / ٤٠) • الثاني : أنها للمقابلة ، وهو الارجح ، قال ابن هشام في المغني : (الثامن المقابلة ، وهي الداخلة على الاعواض ، نحو اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضعف وقولهم : هذا بذاك ، ومنه : ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون •••)•

أقول انما استؤديت (المؤاخذة) بتعديتها بالباء هاهنا معنى المجازاة مقابلة ومكافأة • وعندي أن آي التنزيل على ذلك • فقولك (آخذته بما فعل) انما يعني أنك آخذته مؤاخذة تقابل ما فعل • وفي هذه المقابلة

معنى المناسبة أو المكافأة . فقولك كافأته على مافعل معناه جازيته . قال الجوهري في الصحاح (وكافأته على ما كان منه مكافأة وكفاء جازيته) . لكن قولك كافأته بما فعل تعني الى ذلك شيئا آخر . قال الزمخشري في الاساس : (كافأته بصنعه جازيته جزاء مكافئاً لما صنع) . وفي نهج البلاغة (٢/٣٥) : (ولاتخاطبنا بذنوبنا) . قال الشارح : (لاتخاطبنا أي لاتدعنا باسم المذنبين ، ولا تجعل فعلك مناسبا لأعمالنا) .

أما (على) في قولك (آخذته على مافعل) فإنه للسبب . وهو نظير قولك (حاسبته عليه ، وعاقبته عليه ، وجازيته عليه ، ووبخته عليه ، ولمته عليه ...) بل هو كقولك (عذبته عليه) أيضا . فإذا كان قد جاء في التنزيل (فلم يعذبكم بذنوبكم ــ المائدة / ٢٠) فإن استعمالك (على) مع الفعل قد جاء على قياس أيضا . ففي نهج البلاغة (٢/٣٢) : (ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه) .

وخلاصة القول أن النص على تعدية (المؤاخذة) بالباء : لم يمنع من تعديته بعلى كما رأيت . فلا وجه للنأي عنه أو الاعتراض عليه البتة .

(٤)

وقد يتعاقب (على) و (اللام) على موضع ، فتقع (على) موقعها سماعاً ويتفق أن تأتي (اللام) في معنى (على) أو مايخالف معناها ، على وجه من القياس .

قال الاستاذ أسعد داغر في (تذكرة الكاتب) : (ويقولون هذا مما يؤسف له ، وهو شائع كل الشيوع ، فيعدون أسف باللام ، ولم يسمع تعديته عن العرب إلا بعلى) . وقال الدكتور مصطفى جواد في

كتابه (دراسات في فلسفة النحو ..) : « فإنه يقال أسف على الانسان وعلى الشيء ، لا أسف لهما » . وخالفهما الاستاذ محمد العدناني في كتابه (معجم الاخطاء الشائعة) فأتى بما يشهد بتعدية الأئمة للفعل باللام ، كقول أبي عليّ القالي في نوادره : (فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه) .

والصحيح أنه اذا عدّي (حزن وأسف ..) بعلى سماعاً ، وأنت تقصد أن تذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف بسبب فقده أو فوته ، فإن لك أن تعدل الى نهج آخر تقول به على القياس والاطّراد : (حزنت لفقد فلان وأسفت لفراقه) أي من أجل ذلك . قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٨) : « لا آسف لما أرى من الحرمان أسَفَ من يَبكي ويُبكي غيره » ، وقال : « الصدر من البيت تحسُّر لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته » ، وقال (٨٨٦) : « وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده ، وانما يريد الحزن لسلامة الواتر » .

وقال مهيار ، وقد استشهد بقوله المعجم الكبير ، على تعدية (أسف) باللام :

أسفت لحلم كان لي يوم بارق فأخرجه جهل الصبابة من يدي

ومعناه أن الشاعر قد تحسَّر من أجل حلم كان له ثم خرج من يده ، فبات يتلهف لفقده . وفي محاضرات الادباء (٣/٣٨) :

اذا أبصروا حالي ولم يأسفوا لها ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

أوليس عجباً أن يلحّنوا قول القائل (أسف له) ، وهو القياس

المنقاد في استعمال اللام ، وأن يحتاج هذا الى دليل يسدده وشاهد يثبته؟ وانما نذكر الدليل للانس به ، لا لدعم القياس وتصويبه •

وأنت تقول على الاصل (بكيت عليه) ، لكنك تقول على القياس (بكيت له) • قال العباس بن الاحنف :

فما بكيت ليوم منك أسخطني إلا بكيت عليه بعدما ذهبا

وقال النابغة :

ألا أيها الباكي لأحداث دهره تحملْ على ما يحدث الدهرُ فاصبر
فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً وأبصرتَ تنكيراً لذاك فأنكر

وأنت تقول (صبرت على البلاء واصطبرت) ولكنك تقول أيضاً (صبرت لما أصابني منه واصطبرت) • وعليه قول النابغة كما رأيت (فإن أنت لم تصبر لما كان جائياً) • وقالت امرأة من بني عامر :

سيتركها قوم ويَصلى بحرِّها بنو نسوة للثكل مصطبرات

قال المرزوقي في شرح الحماسة (٧٤٩) : (وقد تعوَّد الثكلَ أمهاتُهم ، فلا يجز عن لقتلهم ، وألف الأيْمَة نساؤهم فلا يحزنّ لموتهم ، ومعنى للثكل : من أجله) ، وأردف : (وهذه اللام في هذا الموضع قد تؤدي معنى على فاعلمه) •

هذا وقد يكون للام هاهنا شأن آخر • قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى : (فاعبده واصطبر لعبادته ـــ مريم / ٦٥) : (خطاب للرسول ﷺ مرتب عليه ••• أي لما عرفت ربَّك فإنه لاينبغي له أن ينساك ••• فأقبل على عبادته واصطبر عليها) فأوقع اللام موقع على ، كما فعل المرزوقي • على أنه أردف : (وإنما عُدِّي باللام لتضمنه معنى الثبات

للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق ، كقولك للمحارب : اصطبر لقرنك) . وعندي أن لا بأس بحمل هذا المعنى على التضمين . ذلك أن للصبر وجهين ، فهو احتمال للشدة من أذى أو حرمان أو حبس ، وهو مثابرة على هذا الاحتمال دون جزع أيضا . فاذا شئت الالحاح فيه على هذا ، ضمّنت (صبر) معنى (ثبت) فقلت : صبرت لقرني ، أي صبرت على الشدة ثابتاً لقرني) . قال أبو حيان في البحر المحيط حول قوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) : (وعدّى فاصطبر باللام على سبيل التضمين، أي ثبت بالصبر لعبادته لان العبادة تورد شدائد فاثبت لها ، وأصله التعدية بعلى ، كقوله تعالى : واصطبر عليها) .

وفي (صبر له) قول أبي تمام :

أتصبر للبلوى عـزاء وحسبة   فتؤجر أم تسلو سلوّ البهائم

وما جاء في نهج البلاغة (٣٠/٩٠) : (وأنصفوا الناس من أنفسكم ، واصبـروا لحوائجهم ، فإنكم خزان الرعيّة) ، وفي محاضـرات الادباء (٢/٢٣٩) : (المتحمّل للشدائد ، الصابر لها) .

على أنه اذا كانت تعدية (حزن) و (أسف) باللام تؤدّي مؤدّى تعديتهما بعلى اذا ذكر الامر الذي كان الحزن أو الاسف لفقده أو فوته ، كقول المرزوقي (٩٨٩) : (ولا شيء من أعلاق المنى يحزن له اذا أُفيت)، فليس الحال كذلك اذا ذكر الانسان الذي كان مصدر الحزن وموضع الاسف . فقولك (حزنت على الرجل) شيء ، و (حزنت له) شيء آخر . فـ (حزنت لفلان) بمعنى رققت له وعطفت ، وهو غير حزنت عليه . فانظر الى ماحكاه الراغب في المحاضرات (٤/٥٠٨) (ولما مات ذر بن عمر بن ذر ، قام أبوه على قبره فقال : يا ذر شغلنا الحزن لك ، عن الحزن

عليك ؛ فليت شعري ما الذي قلت ، وما الذي قيل لك ؟ اللهم انك قد أنزمته طاعتك وطاعتي ؛ فإني قد وهبت له ما قصَّر فيه من حقي ؛ فهب لي ما قصَّـــر فيـــه من طاعتك . اللهم ماوعدتني من الاجر على مصيبتي به فقد وهبته له فهب لي من فضلك) . فكأن حزنك على الرجل توجّع عليه وجزع ؛ فهو انفعال ليس غير ، أما حزنك له فهو رثاء لحاله وعطف عليه واهتمام بأمره ومصيره ، فهو انفعال وفعل . وقد جاء في الاساس (هؤلاء حزاتتك أي أهلك الذين تتحزن لهم وتهتم بأمورهم) ، وتحزَّن في الاصل ، صار حزينا .

أقول وليس كذلك (حزنت لفقده ، وعلى فقده) فإن اللام هنا في موضع على كما قال المرزوقي في شرح الحماسة .

وفي اللغة (أسيَ عليه اذا حزن) . قال الفيومي (وأســيَ أسىً من باب حزنَ فهو أسيءٌ مثل حزين) . وفي الصحاح : (وأسِيَ على مصيبته بالكسر يأسى أسىً أي حزن.وقد أسيت لفلان أي حزنت له)فأنت تقول (أسيت عليه كحزنت) ، لكنك تقول (أسيت للرجل اذا حزنت له أي أي رققت له فشغلت بأمره) . فانظر الى ما حكاه الراغب في المحاضرات (٥١٦/٤) : قال الموسوي :

يموت قوم ولا يأسى لهم أحدٌ   وواحــدٌ موته هــمٌ لأقوام

أو ليس فحواه : يموت قوم فلا يهتمّ لموتهم أحد ، ويموت فرد فيهتم به أقوام) .

وهذا (جزع) ؛ فإنك لاتكاد تظفر بنص معجمي يبين عما يصرّف به من الحروف . وغالب ما نصّوا عليه أن الجزع نقيض الصبر . ولكن

اذا تعرفت معناه دلّك على أنه الحزن والخوف كما في النهاية • أو هو الحزن يصرف الانسان عما هو مصدره ويقطعه عنه ، كما في المفردات• وفي المصباح (جزع الرجل اذا ضعفت منّته — أي قوته — عن حمل ما نزل به) وهو نص العباب • وفي اللسان (الجزوع ضد الصبور على الشر ، والجزع نقيض الصبر) • وعلى هذا تقول : جزعت على فلان اذا حزنت • ففي محاضرات الادباء (٤/٥١٢) : (وقد توفي له أخٌ فاشتدّ جزعه عليه) • وقال الشاعر (٤/٥١٧) :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

وتقول جزعت على ما أصابني • ففي المحاضرات (٤/٥٠٤) : (إن كنت جازعاً لما أُفلت منك ، فاجزع على مالم يصل إليك) وفي شرح الحماسة قال المرزوقي (٨٥٨) : (تبرّؤ من الجزع على الرزء) •

وتقول جزعت لما حدث ، كما مر بك في قوله (ان كنت جازعاً لما أفلت منك) • وقد قال الشاعر (٣/٣٣٥):

جزعت للشيب لمّا حلّ أوّله ... فجاءني حادث أنسانيَ الجزعا

ولكن ، ما الذي يعنيه قولك (جزعت لفلان) أفيعني (جزعت على فلان) ؟ الذي أراه أن اللام ليست هاهنا في منزلة على ، فقولك جزعت له مؤداه رققت له وتوجّعت اهتماماً بأمره ومبالاة له ، كقولك (حزنت له) • فانظر الى قول قراد بن سَلْمِيّ بن ربيعة :

أولئك لو جزعت لهم لكانوا ... أعز عليّ من أهلي ومالي

والمعنى على ما ذكره ابن جني في التنبيه : (لو جزعت لهم لكنت معذوراً في ذلك لانهم أعز عليّ من أهلي ومالي) • وقال أبو علي

المرزوقي في شرح الحماسة (١٠٠٤) : (لو أعطيت الجزعَ حكمه لكان حالي حينئذ بخلاف حالي الساعة ، ولكان لي عذر في ذلك ، لأنهم أعز علي من أهلي ومالي ..) . وقد يَسأل المرء عن الجزع لمـن فَـقَـدَ فيظهر العذر منه : اذ لايعقل أن يجزع أو يحزن إلا لعزيز . ولا يسأل عن الجزع على من فقد ، أياً كان الذي فقد . وثمة (شجِيَ) كحزن وزناً ومعنى . ففي المصباح (شجي الرجلُ يشجى شجى من باب تعب حزن ، فهو شجٍ بالنقص ، وربما قيـل على قلة شجيٌّ بالتثقيل ، كما قيـل حَزِن وحزين). وتقول تشاجيت . ففي أساس البلاغة (وتشاجت فلانة على زوجها : تحازنت عليه) . وانظر الى قول أبي تمام :

لاتشجيَنَّ لها فإن بكاءها ضَحِكٌ وإن بكاءك استغرام

فـ (شجي له) قد جاء بمعنى (حزن له) .. وفي قول الشاعر (لاتشجينَّ لها) معنى (لا تبالينَّ بها) !

ويبـدو الفـارق جلياً بين (غضبتُ على فـلان) و (غضبـتُ له) . فغضبتُ عليـه معناه سـخطتُ ، أمَّا غضـبتَ له فمـؤداه أنَّك غضـبت من أجله ، فاذا غضبت لرجل فقد اهتممت به وانتصرت له وكان غضبك على مـن أسخطه . وقيل (غضب به) بمعنـاه اذا كان المغضوب له ميتاً ، والباء هنا للسبب كما جاء في (الجنَى الداني للمرادي) وقد جاء في أساس البلاغة (وللشماخ :

وقد أتاني بأن قد كنت تغضبُ لي ووقعـة منك حـقٌّ غير إبراقِ
فسرَّني ذاك حتى كدتُ مِن فرحٍ أساور الطود أو أرمي بأرواق[1])

(١) رمى بارواقه على الدابة اي ركبها وعلاها .

وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣٦) : (وغضب الرشيد على رجل فقال له جعفر : غضبت لله فأطع الله في غضبك بالوقوف الى حال التبيّن ، كما غضبت له) . وجاء في شرح الحماسة للمرزوقي قول قراد ابن عباد (٦٧٠) :

اذا المرء لم تغضب له حين يغضب فوارسُ إن قيل اركبوا الموت يركبوا
ولم يَحْبُه بالنصر قوم أعزّةٌ مقاحيم في الامر الذي يتهيَّبُ
تهضَّمه أدنى العداة ولم يزلْ وإن كان عِضّاً بالظلامة يُضرب

أي اذا غضب المرء ولم ينتصر له فوارسُ يطلبون الموتَ وأعزةٌ مقاديمُ لا يخشَون الصعبَ، ظلمه أدنى العداة ، ولو كان أهلا للقتال.

ومما جاء فيه استعمال اللام نقيض استعمال على (بخّر) بالتضعيف. قال الزمخشري في أساس البلاغة (ويقال بخّرت لنا : طيبت ، وبخّرت علينا تنّنت ، وأرادت أن تبخّر لنا فبخّرت علينا) وكأن الاول من رائحة البخور ، والثاني من (البَخَر) بالتحريك وهو الرائحة النتنة الخارجة من الفم . ففي المصباح : (بَخِرَ الفَمُ بَخَراً من باب تعب أنتنت ريحه) . ومثله (تعصَّبت له) و (تعصَّبت عليه).

هذا وقد قالوا(لامهُ على فعله)فاستعملوا فيه(على). كذا نصّ المعاجم قال صاحب المصباح(لامه لوماً من باب قال عذله فهو ملوم على النقص).ولم يمنع هذا أن تستعمل فيه (اللام) فتقول : (لمته لما أقدم عليه) . واللام فيه للتعليل ، ومؤدّاه لمته من أجل ذلك . ففي اللسان (يكرم إكراماً يلام من أجله) وفي التاج (يكرم إكراماً يلام لأجله) . ولا سند لما أنكره الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته من قول القائل (لمته لما فعل). فأنت تقول:علامَ

لمته ، ولِمَ لمته ، وفيم لمته ، وبم لمته ؟ كــل ذلك صحيح . وقــد يكون (الملوم له) غير (الملوم عليه) ، كقولك (لمته على فعلته لقبحها وفحشها) و (لمتك على ما كان لما قد يجر عليك من العار فيغضّ من مكانتك ويضع من قدرك) . وقد تغني اللام فيما سلف مغنى على ، لو قلت : (لمتك لقبح مافعلت) و (لمتك لما قد تجرّه فعلتك من العار ...) .

وأنت تقول (استحق فلان على فعلته اللوم والعذل) . لكنك تقول: (استحق فلان لفَعْلته ، اللومَ والعذلَ) . قال المرزوقي (٧٦٦): (فعدَّت امرأته تلك الفعلة منه ، وما اتفق عليه ، سفهاً وذنباً ، يستحق لهما اللوم، فطفقت باكرة عليه تعجّزه وتؤنبه) .



ولنعد الى ماكنا بسبيله من تعدية (أسف) . فاذا قلت (أسفت من حسدك إياي) ، أفكنت ترجو أن تنصّ معاجمنا على (أسف منه) لترتاح الى سداده وتسكن الى صوابه ؟ فقد جاء في محاضرات الادباء (٤/٣٩٤) قول الشاعر :

وقد يأسف المرء مــن فوت ما لعلَّ السلامة مــن فوته

وقول الشاعر (٤/٤٩٩) :

فلا تجزعن من موته وهو ناشيء ولاينكرنْ هذاك من جرَّب الدهرا
فكل طويل المجــد يقصر عمــره كذاك سباع الطير أقصرها عمرا

وقول الشاعر (٣/٢٨٧) :

لاتجزعنَّ من الهزال فطالما ذُبح السمين وعُوفي المهــزول

وجاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٩٦١) :

بكت دارهم مــن فقدهم فتهللت دمــوعي فأيُّ الجــازعين ألومُ

وجاء فيه قول أبي الطمحان القيني :

وقبل غد يا لهف نفسي على غد اذا راح أصحابي ولست برائح

قال المرزوقي (١٢٦٦) : (يُروى يالهف نفسي من غدٍ .. وهو أتلهف من غد) . و (من) في كل ذلك (للتعليل) كما هو شأنها . قال صاحب المغني (٢/١٤) في معاني (من) : (الرابع التعليل) . ومما مثل له قول الفرزدق في مدح علي بن الحسين بن عليّ كرّم الله وجوههم :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته فلا يكلَّم إلا حين يبتسم

ومثال آخر : تقول على الاصل (حسدت فلانا على نعمته وفضله) ولكنك تقول الى ذلك (حسدت فلانا لنعمته وفضله) . فقد جاء في محاضرات الادباء قول الشاعر :

لاينزع الله عنهم ماله حسدوا

أي ما حسدوا من أجله أو بسببه ، وهو ما حُسدوا عليه .. وفي المحاضرات (المحسود لفضله) أي من أجل فضله ، وهو المحسود عليه .

هذا وأنت تقول (جزع فيه وبه) كما تقول (صبر فيه وبه) . قال المتنبي :

أجد الحزن فيك حفظاً وعقلا وأراه في الخلق وعراً وجهلا

وجاء في شرح ديوان المتنبي المنسوب لأبي البقاء العكبري (٣/١٢٤): (قال الواحدي المراد بالعقل الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل انما يحزن بالميت اعتباراً به ، وعلماً أنه عن قريب يتبعه . وحزنُ غير العاقل انما يكون خوفا من الموت ، وهو جهل لانه ميت لا محالة وإن حزن) . وقال أبو

البقاء : (والمعنى إنما تحزن على من تصاب به ممن أحبتك ، حفظاً لذمتهم ورعاية لخدمتهم وانصافاً وعقلا ووفاء وكرماً . وأراه في غيرك خوفاً وجزعاً وجهلا) . ومما جاء في تعدية (جزع وحزن) . قول المرزوقي (٨٠٤) : (وإنهاء مايقاسونه من الجزع فيهم) وقوله : (أو أحــزن في إثر فائت أو أجزع بتولي مدبر) . وقوله :(وقوله أولئك لو جزعت لهم لكانوا ... إقرار بأنه لم يوف الجزع فيهم حقه) .

وحكى الراغب في المحاضرات (٤/٥٠٧) عن خالد بن صفوان قوله (صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك ، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك) .

وقال المرزوقي (٨١٧) : (فيشقى بالجزع له وفيه) .

ولك أن تقول (حزنت إثر فائت) كما تقول : (في إثر فائت) لانه على الظرفية ، قال شاعر من كلب : فآليت آسى بعدهم إثر هالك .

قال المرزوقي (١٠٧٦) : (وقوله فآليت آسى بعدهم يريد حلفت لا آسى بعدهم في إثر هالك ، فحذف لا ،ولم يخف التباسه بالواجب[1] .. والمعنى أن خوفي كان فيهم ، وإذ قد أصبت بهم فإني لا أجزع لفائت .. وقوله اثر هالك .. انتصب على الظرف) . وانظر الى قــول هشام بن عقبة العدوي :

فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

قال المرزوقي (٧٩٥) : (ونبه بهذا الكلام على أن الجزع بأوفى ، لم يزل ما تعقبه من المصيبات ، ولكنه زاده اشتداداً) ، وأردف : (فالهلع بموت أوفى وقد أمد بمصاب آخر يكون أتم وأكمل) .

---

(١) الواجب خلاف المنفي .

ويتحصل من كل ذلك أنك تقول أسفت على فلان اذا حزنت عليه أو غضبت ، وأسفت على أمر أو شيء اذا تلهّفت أو تحسرت أو ندمت عليه • وأسفت لفلان اذا حزنت له أو غضبت،وأسفت لأمر اذا أسفت لأجله،وأسفت مما جرى أي بسببه •

هذا وغريب ألاّ يعرض أحد من النقاد للفرق بين قولك (أسفت للرجل) و (أسفت عليه) بعد أن ثبت له صحة القولين على وجه من الوجوه، وغريب ،الى هذا، أن يقول الاستاذ العدناني:(وانفرد المعجم الوسيط بقوله: أسف له تألّم ونَدِم،دون أن يذكر المعجم أن مجمع القاهرةوافق على ذلك•• ثم أصدر المجمع نفسه الجزء الاول من المعجم الكبير وقال فيه : أسف له أسفا وأسافة تألم وندم واستشهد بقول مهيار : أسفت لحلمٍ ••، ونحن لانستطيع الاعتماد على قول شاعر الحمامة :

فيا عجبا من آسف لامرىء ثوى وما هو للمقتول ظلماً بآسف

لان الضرورة الشعرية قد تكون السبب في الاتيان باللام بعد آسف ، بدلا من على، ولكنا نعتمد على قول المعجم الكبير وأبي علي القالي)•

ذلك أن الجواب عما جاء من وجهين • الاول أن في نص المعجم الكبير (أسف له : تألم وندم) إجمالا يوجب اللبس • وهو معجم حديث أحق بالتبيين وأخلق بالتوضيح • فإذا قلت (أسف للرجل : تألم) فهو سائغ : أو قلت : (أسف لما فرط منه : ندم) فهو صحيح أيضا • أما الجمع بينهما في إجمال قوله (أسف له : تألم وندم) ففيه نظر • اذ لايصح أن يكون أسفك لرجل ، أو لفقد شيء ، ندماً •

والثاني : أن قولك : (أسف له) عربي فصيح على كل حال • وليس هو في حاجة الى مجمع يقرّ صوابه ويؤكّد صحته • ولسنا نفتقر في مثل

هذا الى التوقف لاتباع المسموع ،فاستعمال (اللام) فيه قياس منقاد لاشأن فيه للسماع كما أسلفنا . فأسفت له كتأسفت له وحزنت له وغضبت وجزعت له وأسيت له وصبرت له واصطبرت له وتوجعت له .. كله جائز، جار على القياس . وليس في سكوت معاجمنا عنه ، على ما ألفتهُ ودرجت عليه . إغفال أو إهمال . بل الاغفال أن يقال (أسفت للرجل وعليه) ولا يشار الى فرق ما بينهما ، كما أوضحناه . وقد أردف الاستاذ العدناني : (ونعتمد أيضا على رأي ابن جنّي الذي أفرد بحثاً رائعا في الخصائص عن استعمال الحروف بعضها مكان بعض . ويجيز لنا أن نقول : أسف عليه وأسف له ، راجع مادتي ، لايخفى على القراء ، وأعتقد ، في هذا المعجم).

أقول لا أظن بين قولنا (أسفت عليه وأسفت له) وما عقده ابن جني من الكلام على استعمال الحروف بعضها مكان بعض في الخصائص (٢/٣٠٦ ــ٣١٥) نسباً أو صلة أو لحمة . فالباب الذي جاء به ابن جني وبسط القول فيه قد قصره على ما أسموه بحمل الكلام على المعنى أو التضمين . وليس ما أتينا به هاهنا ، في شيء من هذا القبيل . ذلك أن كلامنا في صحة (أسف له) وفي معناه . اجراء لما عليه (اللام) في كتب النحو ، وانفاذ لما خُصّت به ووُضعت له باستقراء كلام العرب ، على ما هو مفصّل في المظان .

(٥)

ويتعاقب (على) و (اللام) فيكون لكل وجهته ودلالته . تقول حفظت الشيء له وحفظته عليه . أما الاول فمعناه أنك أثبتّ الشيء له وأبقيته على حاله . وأما الثاني فعلى معنى أمسكته وأبقيته عليه بالتفقد والحراسة والتعهّد والرعاية ، دون أذى من تلف أو هلاك أو فوت أو ضياع . فاذا

أردت أن تذكر ما يمكن أن يفسد عليك هذا الحفظ عدّيت بـ (عن) فقلت حفظته عن الابتذال ، متى كنت تحاول أن تبعده عنه . قال صاحب المصباح (صنته عن الابتذال) ، وقال المرزوقي (٥٣٧) : (وحفظتها عن التبذل). ولك أن تحلّ (من) محل (عن) ؛ متى كنت تبغي أن تقي الشيء من أذى أو تمنعه من شر ؛ على حد قوله تعالى : (وحفظناها من كل شيطان ـ الحجر / ١٧) .

وغريب ، على هذا ، أن يمنع الدكتور مصطفى جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) : (حفظ له الشيء) ويوجب مكانه (حفظ عليه الشيء) . وقد عاب على الشيخ رؤوف جمال الدين قوله (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) ؛ فقال : (والفصيح بل الصواب محفوظة على المؤلف . يقال حفظ فلان عليه الشيء حفظاً ؛ فالشيء محفوظ عليه) . واستظهر بكثير من كلام الأئمة شعراً ونثراً .

وأنت تعلم أنه اذا ثبت لك بالبيّنة المقنعة صواب قولك (حفظ عليه الشيءَ) فكنت منه على بيّنة ، فقد تتناصر الادلة الواضحة أيضا على سداد قولك (حفظ له الشيءَ)فتكون منه على يقين جازم ، ولكل وجهة ودلالة . ولايمنع ثبات الاول واستفاضته ؛ جودة الثاني واستقامته . فقولك (حقوق الطبع محفوظة للمؤلف) معناه أن حقوق الطبع ثابتة له . فالحفظ جارٍ في ثبات الشيء وإثباته . قال أبو حيان التوحيدي في مقابساته (الحفظ ثبات صور المعقولات والمحسوسات في النفس) ، وقال الجرجاني في تعريفاته : (الحفظ ضبط الصور المدركة) .

قال صاحب اللسان : (ويقال استحفظت فلاناً مالا اذا سألته أن يحفظه لك). وجاء في نهج البلاغة (١١/٣) : (واحفظ لله ما استحفظك من حقه

فيهم ، واجعل له قسماً من بيت مالك) • فاتفقت تعدية (حفظ) فيهما باللام• وقال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٥٧) : (وحفظ لها وعليها مياهها وبلادها ومراعيها ، فعدّى باللام وعلى ، ودلّ بهذا أن لكل وجهته ودلالته • وقال مسكين الدارميّ على ما حكاه صاحب المحاضرات (٣/٢٣٢) :

فإني سأخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

واستعمال اللام في كل ذلك قياس منقاد لا حاجة به الى حجة من سماع أو دليل من نص • قال الشيخ نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس (ومُودِع بالضم اسم فاعل من أودعه الشيء جعله عنده وديعة يحفظه له) ، أفكنت تحتاج الى سماع يقرّ قولك (حفظت له الوديعة)، أو اجتهاد يسيغ لك ماينتجه القياس ؟ أفليس من القياس أن تقول حين تحفظ شيئاً من أجل صاحبك (حفظت له الشيء) ؟ وانظر الى قول ابن الاثير في النهاية (يريد أن القراءة التي تجهر بها •• يكتبها الملكان ، واذا قرأتها في نفسك لم يكتباها ، والله يحفظها لك ولا ينساها ، ليجازيك عليها) • وقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى (فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله ـ المائدة/٣٣) : (فسهّله له ووسّعه ، من طاع له الموقع اذا اتسع •••، وله ، لزيادة الربط ، كقولك : حفظت لزيد ماله) !

ومن العجب أن يُقر جواد استعمال (اللام) مع (حفظ) في صورة مجازية واحدة ، وينكر ماعداها ، فقد ارتضى قول القائل (أحسنتُ الى فلان فحفظ لي ذلك) أي ذَكَرَه • أفليس هذا مبنياً على معنى الاثبات والضبط للفعل أصلا • تقول (حفظت لك العهد) اذا أثبته بالبرّ والوفاء• قال صاحب المفردات : (الحفظ يقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما

يؤدي اليه الفهم . وتارة لضبط النفس ، ويضاده النسيان . وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال : حفظت كذا حفظاً ثم يستعمل في كل تفقد وتعهّد ورعاية) . فما بال الاستاذ يسيغ هذا الذي ذكره من حفظ الصنيع لفاعله ، وينكر حفظ الحق لصاحبه ؟ والذي يحدث اليقين بما قلناه أن استعمال اللام في ذلك مقيس مطرد . وإنما نسوق الشاهد ونبتغي الدليل ليسلكنا الى القناعة والارتياح .

أما قولك (حفظت عليه الشيء) فيعني أنك أمسكت الشيء وحبسته وأبقيته دون فوت أو ضياع أو هلاك ، وهذا يؤدّيك أن تأخذه بالتفقد والحراسة والتعهّد والرعاية . ففي اللسان (وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعْملون من خير أو شر) أي أمسكه عن الضياع والنسيان فأحصاه عليهم . قال صاحب اللسان : (الحفظة الذين يحفظون الاعمال ويكتبونها على بني آدم من الملائكة) .

ومن شواهد الاستاذ جوادماجاء في نهج البلاغة(٣/٢١٧):(وسأله رجل أن يعرّف الايمان ، فقال عليه السلام : اذا كان الغد فَأْتِني حتى أخبرك على أسماع الناس — فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك ، فإن الكلام كالشاردة ينقفها هذا — أي يصيبها — ويُخطئها هذا) . وهو على المعنى الذي ذكرناه ، فإذا حضر الناس مقالة علي — ع — في تعريف الايمان ، أمسكوها أن تضيع أو تذهب على السائل ، فذكروها له اذا نسيها أو أخطأها . ومن ذلك قول زين العابدين علي بن الحسين —ع—: (اللهم احفظ عليَّ سمعي وبصري الى انتهاء أجلي) أي أبقهما عليَّ وأمسكهما عن الذهاب . ومنه ماجاء في الحديث (مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر لعلنا نتام ؟ قال بلال : أنا يارسول الله أحفظه عليك) فإنه على

معنى أنا أمسك عليك صلاة الفجر من أن تفوت .

هذا وقد جاء في نهج البلاغة (١/١١٧) : (حافظاً على عهدك ماضياً على انفاذ أمرك) فدلّ هذا على جواز قولك (حفظت على الشيء) اذا حافظت عليه . ولم أره في معجم .

وجاء في التنزيل (وربّك على كل شيء حفيظ ـ سبأ / ٢١) ، فقال الزمخشري في تفسيره : (مُحافظٌ عليه ، فعيل ومفاعل متآخيان) ، فهو لم يحمل الآية على قولهم (حفظ على الشيء) ، بل قدّر حفيظاً الدالّ على كثرة الحفظ . لانه فعيل للمبالغة من فعل متعدّ . كمحافظ الدالّ على موالاة الحفظ والمواظبة عليه ، فتآخيا ، فجاء حفيظ على الشيء كمحافظ عليه . وهكذا جعل (حسيباً) في قوله تعالى (إن الله كان على كل شيء حسيباً ـ النساء / ٨٥) على تقدير : يحاسبكم على كل شيء . وفعيل هنا إما لايقاع الحدث صيغة مبالغة ، وإما للثبوت قد أشرب معنى الصفة المشبّهة . وجاء في اللسان : (يقال فلان حفيظنا عليكم ، وحافظنا) فيكون الحفيظ هاهنا مبالغة أنزلت منزلة الصفة المشبهة على جهة الثبوت ، و (عليكم) متعلق بمستقر محذوف . وعلى ذلك قوله تعالى (الله حفيظ عليهم ، وما أنت عليهم بوكيل ـ الشورى/٦) . وهكذا جاء (حافظ) في قوله تعالى (وإنّ عليكم لحافظين ـ الانفطار / ١٠) ، فإنه على معنى : ان عليهم من يحفظ أعمالهم ، كما جاء في البحر المحيط . وجاء (حافظه) كـ (حفظه) أيضا . قال المرزوقي في شرح الحماسة (٥٨٥) : « فلم يراعوا ذمة ولم يحافظوا حرمة » ، وقال (٧٤٠) : « واذا حافظنا الحقوق ورلعينا الوسائل » ، ولم أره في معجم . وقد ذهب

الشنتمري في (حافظه) الى أنه على حذف الجار ، على ما جاء في شرح شواهد الكتاب (٩٧/١) .

* * *

ونحو من ذلك قولك (وفّرت له الشيء بالتشديد اذا أتممته ولم تنقصه ، فتوفر هو اذا تحصّل دون نقص) وهو كقولك (وفرته بالتخفيف ، اذا أكملته ولم تنقصه ، فاتّفر هو أوفر) .

فمن النقاد من قصر (توفر) على صورة مجازية واحدة جاء بها الصحاح والتهذيب واللسان والمصباح والتاج والاساس . قال الزمخشري: (ومن المجاز ... توفر على صاحبه اذا رعى حرماته ، وتوفّر على كذا كان مصروف الهمة اليه) ، فوقفوا عند هذا النص ، ولم يجاوزوه ،فأنكروا ماعداه ، كما فعل الاستاذ أسعد داغر في تذكرة الكاتب ، والاستاذ محمد العدناني في معجمه . قال العدناني : (ويقولون توفر الذكاء والاجتهاد، والصواب وفر أو توافر أي كثر ، لأن معنى توفر عليه رعى حرماته وبرّه وصرف همّته إليه ، مجاز) .

وقد أثبت الدكتور مصطفى جواد في كتابيه (دراسات في النحو والصرف ..) و (قل ولا تقل) : (توفر) كـ (وفر) لازما . وذكر في شواهده قول بشّار فيما حكاه صاحب الاغاني (١٤٥/٢) : (إن عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل ، بما ينظر اليه من الاشياء ، فيتوفر حسّه) . وقول المرتضى في أماليه (٥٦/١) : (فيتوفر اللّبن على الحلب) . وكلاهما شاهد بصحة (توفّر الشيء) اذا وفر وتجمّع. وينزع منزع هذا قول أبي حيان التوحيدي في كتابه (البصائر والذخائر ١٧٠/١) : (يقال من أكثر الخيرَ سار به ذكره وتوفر عليه أجره) ،وقول

أبي علي المرزوقي في شرح الحماسة (٧٩٠) : (توفّرت عليه الرحمة) وقوله (وإن العناية متوفرة من جهتهم) .

وإذا استمرفتَ مقالة داغر والعدناني في إنكار (توفر الشيء) فلا تملك الا استغراب مقالة جواد في إثبات (توفر عليه الشيء) دون (توفّر له الشيء) كما فعل في (حفظ) !

فقد اقتصرت المعاجم على القول (توفّر على صاحبه اذا رعى حرمته ...) لكنها ذكرت أنه مجاز . ولكل مجاز أصل فاذا التمست هذا الاصل استبان أنهم يقولون (وفّرني فلان على كذا) اذا وفّر عليه جهده توفيراً . فصرف همته اليه . قال المرزوقي (١٣٢٠): (ولم توفّروني على ما أهمّ به) . فاذا قلت (توفرت على صاحبي) عنيت أنك وفّرت همتك على ما تستقيم به أموره . وهذا ما قصدت اليه المعاجم حين تناقلت نصها (ومن المجاز : توفر على صاحبه .. وتوفّر على الشيء ..) . وهكذا جعلوا (التوفّر) بالمجاز مرادفاً للعناية بالامر والانصراف اليه، والاهتمام بالانسان وتفقده وحسن رعايته ، كما أورده المرزوقي في غير موضع من كلامه ، كقوله (لحسن توفرنا عليه واحتفالنا بسوق الخير اليه / ١٢١) ، وقوله (وإن التوفر على الضيف وإكرامه .. من الخصال المحمودة / ٧٠٠) .

أما مقالة جواد في إثبات (توفر عليه) وإنكاره (توفّر له) فقول مدفوع ، لا يقوم عليه دليل ، ولا يتجه فيه عذر . فليست شواهده في صحة (توفر عليه) وإن كثرت وتعددت وتناصرت ، سنداً له أو ظهيراً في حظر (توفر له) وهو القياس المنقاد ، لا ينكسر ولا ينتقض . فإذا جئت بقول صاحب المصباح (وفّرت له الطعام توفيراً) أفلا تقول في إثره

(فتوفر له الطعام) . فانظر الى قول أبي حيّان التوحيدي في مقابساته (٢٣٨) : (ولهذا لاتتوفر القوتان للانسان الواحد) ، وقول المرزوقي (١٥٠٧) : (خبّروني أي العادتين أقرب الى الكرم وأجرى في وفاء الشيم ، أعادة من يستنزل الاضياف عن أموالهم وينقص ما توفّر لهم، أم عادة من يزيدهم ويثمّر حظوظهم ؟) .

ومن أعمل الفكر اتضح له فارق التعدية بين الحرفين . فاذا قلت (توفّر له المال) فقد أردت تجمعه في يديه وصيرورته الى ملكه وحوزته، واذا قلت(توفّر عليه المال)فقد لحظت الى تجمع المال ضفوهوسبوغهعليه.

هذا وقد اتفق (توفّر) في كلام المرزوقي بمعنى ، لم أرَ به نصاً. فقد قال(٢١٨) : (قضيته الدينَ فاقتضاه أي قبله وتوفّره) فجاء توفره متعدياً كاستوفاه واستوفره ، وقد أورده،كما رأيت،موردالنص.

(٦)

وتتعاقب (الى) واللام على الموضع ، وكل على ما هو له . وليس استعمال أحدهما بمانع من استعمال صاحبه ، فأنت تقول (أرسلته اليه وله ، ودفعته اليه وله ..) وهكذا . قال العدناني في معجمه (ويقولون أرسل له مالاً ، والصواب : أرسل إليه مالاً ، وجاء في الآية — ٧٣ — من سورة المائدة : وأرسلنا اليهم رسلاً) وليس في استدلاله حجة قاطعة أو بيّنة ملزمة !

فـ (الى) لانتهاء الغاية ، واللام للاختصاص . وكل فعل احتاج في تصريفه الى هذين واتسعت دلالته لهما ، صحّ أن يوصل بهما . فاذا قلت (أرسلت المال اليه) فقد قصدت الافصاح عمن كان الارسال منتهياً اليه . ومتى قلت (أرسلت له مالا) فأنت تروم أن تبين عمن كان الارسال له

دون سواه ؛ وذلك على حدّ قول القائل (أدوم لك ما تدوم لي) كما مثّلوا لمعنى اللام فيما مثّلوا . هذا هو الاصل . وقد يكون المرسل له هو المرسل إليه كأنْ تقول (كَتَبَ فلانٌ إليَّ في حاجةٍ ، فأرسلت له المال لتداركها) ؛ فيُغْنِي قولك (له) مُغْنَى قولك (إليه) ولو تغايرا في الاصل ، وقد يكون المرسل له غير المرسل اليه ، فتقول : (أرسلت لإخوتي المال ، الى مصرف البلدة) فقد أرسلت بالمال (الى مصرف البلدة) ؛ ولكن (لإخوتك) دون سواهم .

واذا كان قد جاء في التنزيل (وأرسلنا اليهم رسلاً ـ المائدة/٧٣) وهو ما استظهر به العدناني ؛ ومثله كثير ، فقد جاء فيه أيضاً (أرسلنا للناس رسولاً ـ النساء ٧٨) . وقد أوّله المفسرون على وجهين : الاول تعليق الجار والمجرور بالفعل ونصب ـ رسولاً ـ على الحالية . والثاني تعليقهما بالحال نفسها . قال الامام العكبري في إعرابه (وللنّاس تتعلق بأرسلنا ، ويجوز أن يكون حالا من رسول) . فهم لم يستبعدوا تعلق (للناس) بـ (أرسلنا) . وصح بهذا تعدية (أرسل) باللام . وبعث، في هذا ؛ كأرسل . قال تعالى (إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا مَلِكاً نقاتلْ في سبيل الله ـ البقرة / ٢٤٦) . وقال عز وجلّ (قال لهم نبيُّهم ان الله قد بعث لكم طالوت مَلِكاً / ٢٤٧) . وجاء في محاضرات الادباء للراغب (٢٣١) : (ثم بعثت للرجل بألف دينار) . وقال الفرزدق :

بعثت له دهماءَ ليست بلقحة تدرّ اذا ما هبَّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) :(ليست بلقحة أي ليست هي بناقة وانما هي قِدرٌ تدرّ مَرَقَتَها عقيم الرياح بالنحس ؛ ويعني بها الدبّور لأنها لا تُلقح).

وقال صاحب الكليات أبو البقاء في الفرق بين ارسال الرسل وبعثهم (وفي إرسال الرسول تكليف دون بعثه) ، وأردف : (وكفاك شاهدا قوله عليه الصلاة والسلام : بعثت الى الناس عامة ، لا مُرسلا اليهم كافة ، لأن تبليغ الرسالة الى أطراف العالم من أصناف الامم خارج عن الوسع) . وقال : (قال الله تعالى أرسلناك للناس ولم يقل الى الناس) . وفحوى هذا أن الرسول قد بعث الى الناس جميعاً ، لكنه لم يرسل اليهم كافة ؛ أي لم يكلّف تبليغ الرسالة اليهم جميعاً ، على أنه أرسل للناس أي للعالمين جميعا ، لا لقوم دون آخر . وفي هذا تفريق بين استعمال الارسال باللام و الى ، وتوثيق لاستعماله بهما جميعا .

وقد استدرك أبو البقاء فقال (وأما قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله إليكم جميعاً ، فهو باعتبار تضمين البعث) . قال الامام البيضاوي في تفسير الآية (الاعراف / ٥٧) : (الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً الى كافة الثقلين ، وسائر الرسل الى أقوامهم) وقد تعاقب (الارسال) و (البعث) على معنى في موضع آخر من التنزيل . قال أبو البقاء (وما أرسلنا في قرية ، وكذلك أرسلنا في أمّة ، لِما أن الأمة أو القرية جعلت موضعاً للارسال . وعلى هذا جاء بعث في قوله تعالى : ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ــ الفرقان / ٥١) .

وأنت تقول (دفعت اليه المال) ، اذ جاء في التنزيل (فادفعوا إليهم أموالهم) و (فاذا دفعتم إليهم أموالهم ــ النساء / ٥) . لكنك تقول كذلك (دفعت له المال) . ففي محاضرات الادباء للإمام الراغب (ادفع لي ثمن الاغنام التي ابتعتها مني ٢٣١) .

وتقول (أَسَلْتُ إليه الماءَ) و (أَسَلْته له) . ففي نهج البلاغة

(١٧٩/٢) : (فانظروا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها) ؛ فقد رام الاشارة الى أن الاسالة انما كانت لهم .

وتقول (صرف فلان الى كذا) ، لكنك تقول (صرفته لكذا) . ففي نهج البلاغة (٣/٥٤) : (وأوتيت خيراً منه عاجلا أو آجلا ، أو صرف عنك لما هو خير لك) ؛ لا لما هو شر لك .

وتقول (أطلقت إليك هذا) ، ولك أن تقول (أطلقته لك) . ففي نهج البلاغة (٣/٣٨) : (وهذه حجتي الى غيرك قصدها . ولكن أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها) .

وتقول (صاروا الى كذا) أي آلوا اليه ، لكنك تقول (صار المال لك) اذا امتلكته . ففي نهج البلاغة : (وصارت أموالهم للوارثين ، وأزواجهم لقوم آخرين) . وعلى هذا قول أبي الابيض العبسي :

وذي أمل يرجو تراثي وإن ما   يصير له مني غداً لقليل

قال صاحب الكليات أبو البقاء حول تعدية (هدى) : (ثم ان فعل الهداية متى عُدّي بإلى تضمن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية ، ومتى عدّي باللام تضمّن التخصيص بالشيء المطلوب ، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعين) . ومن ثمّ أوضح بعض الأئمة أن الهداية إنما تكون للدين والإيمان والتي هي أقوم ، لأنها هي الغرض والهدف والغاية القصوى التي تتوخى على وجه التخصيص والتعيين ، وتكون الى الطريق والى الصراط لأنهما السبيل التي يتوجه إليها في طلب تلك الغاية المرتجاة .

على أن هناك قياساً آخر لاينكسر: ذلك أنه كلما أردت أن تذكر سبب

وقوع الفعل وعلته كان لك أن تعديه الى السبب والعلّة باللام ، ولو كانت تعديته في الاصل بـ (الى) • فأنت تقول (قدت فلانا الى السوق) ، ولكنك تقول (قدته لابتياع الثياب) ،على حـدّ ما أتى به الراغب في محاضرات الادباء (٢٢١) ، قال : (لما رأت زوجها يُقاد للقتل ••) •

وتقول (ساقني الى النار) • لكنك تعدّيه باللام ؛ على غرار قول الحريري في مقاماته (١٩) : (ساقني لوصاله) • وكذا القول في (أرسل). ففي نهج البلاغة (وأرسله لإنفاذ أمره) •

وقد عرض الاستاذ محمد العدناني لهذا فذهب فيه مذهباً آخر • قال : (ويخطّئون من يقول دعاه للنزول ، ويقولون ان الصواب هو : دعاه الى النزول ؛ اعتماداً على ماجاء في الآية ــ ٤٦ ــ من سورة الاحزاب: داعياً الى الله بإذنه ، واعتماداً على ماجاء في الحديث : لو دُعيت الى ما دعي اليه يوسف عليه السلام لأجبت،يريد حين دُعي للخروج من الحبس)، وأردف قائلا : (هذا هو رأي المعاجم • أما النحاة فإنهم استشهدوا بقوله: تعالى في الآية ــ ٥ ــ من سورة الزلزال : فان ربك أوحى لها ، أي أوحى إليها • ومع أن الفعل ــ أوحى ــ جاء ماضياً أو مضارعاً / ٦٥ / مرة ، متلواً بحرف الجر ــ الى ــ ولم يأت باللام الاّ مرة واحدة) • أقول لا شأن للمعاجم ، فيما أجمعت كتب النحو على القطع به • فقولك (دعاه للنزول) صحيح مستقيم ، واللام فيه للتعليل • والاستاذ قد حكى كلام ابن الاثير في تفسير الحديث ، ولم يعلق على موضع ماجاء فيه • قال ابن الاثير في النهاية : (يريد حين دُعي للخروج من الحبس) • وفي قوله (دُعي للخروج) تعدية للفعل باللام ، واللام فيه للتعليل • فصحة قولك (دعاه للنزول) كصحة قول ابن الاثير (دُعي للخروج) ، وماجاء في نهج البلاغة

(دُعوا للجهاد) . ولا مكان لنقل المعاجم فيما نحن بسبيله . بل لا وجه لقياس (دعاه للنزول) بقوله تعالى (داعياً الى الله بإذنه) أو بقوله (بأنَّ ربك أوحى لها) أو بالحديث (لو دعيت الى ما دُعيَ اليه يوسف عليه السلام لأجبت) ، بل لا صلة له بنيابة حرف مناب حرف .

وقد ختم الاستاذ العدناني كلامه فقال : (وأنا أوثر مع ذلك كله وضع حروف الجرّ . كما وردت في المعاجم ، مراعاة للدقة ، دون أن أخطّىء من ينيب بعضها عن بعض ، اذا لم يلتبس المعنى) . أقول متى كانت تعدية الفعل قياسا رُدّت الى أصول النحو ، فإذا تعلقت بالسماع عُزيت الى نص المعاجم . ولا قياس في نيابة حرف مناب حرف ، ولو لم يلتبس معناه . هذا هو الاصل . وقد جاء في حاشية الصبان (٣/٣٧) : (إعلم أن مذهب البصريين أن حروف الجر لاينوب بعضها عن بعض قياساً ، كما لاتنوب حروف الجزم والنصب عن بعض . وما أوهم ذلك محمول على نحو تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، أو على شذوذ النيابة) . فاستعمال اللام في (دُعي للخروج) و (دُعوا للجهاد) و (دعاه للنزول) قياس لا شأن فيه للسماع ، ولو صحَّ في مكانها وأغنى مَغناها (الى) ، فكل على بابه وتقديره .

فانظر الى قول أبي الحسن الشهير بالقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة / ٣٤٦) : (ودعا لكذا أي من أجله . فقال أبو الطيب يقال دعا للقتال وللخير والشر ولما به ، أي اليه ومن أجله . قال طرَفة :

إن أُدعَ للجلّى أكن من حماتها   وإن يأتك الاعداء بالجهد أجهد)

فقد فسّر (دعا له) بـ (دعا من أجله) ، ثم قال : (أي اليه ومن أجله) . فشاكل بينهما . وعندي أنه فعل ذلك لان أحدهما يغني عن الآخر

فأنت إن دعوت فلانا الى القتال فإنما تدعوه ليقاتل ، فاذا دعوته الى الجهاد فانما تدعوه ليجاهد أيضا . لذلك سدَّ أحدهما مسدَّ الآخر فناب قولك دعوته الى الجهاد والقتال مناب قولك دعوته للجهاد والقتال ، وصحَّ العكس .

أما قول الشاعر (وإن أدعَ للجلَّى) أي للامر العظيم فإنه يماثل على حد ماذكرنا (وان أدعَ الى الجلَّى) ذلك أن من يدعى لأمر أو يرغب أن يدعى له ، فإنما يُدعى ليتخذ له من الامر موقعاً وبه شأنا . وكذلك من يدعى الى الامر، فانما يُدعى اليه توقعاً لهذا، وإلا ففيم كانت دعوته اليه أو رغبته في ذلك ؟ قال الجوهري بعد أن أورد بيت طرفة ، وقال آخر:

وإن دعوت الى جُلَّى ومكرمةٍ قوماً كراماً من الاقوام فادعينا

وقد جاء في التنزيل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ــ الانفال/٢٤). فمن الأئمة من علَّق (لما يحييكم) باستجيبوا ، ومنهم من علقه بدعاكم. قال أبو حيان في البحر المحيط (والظاهر تعلق ــ لما ــ بقوله دعاكم . فاذا صحّ هذا كان موضع اللام فيه كموضعها في (إن أُدعَ للجلَّى) وقد استشهد به أبو حيان كما مثل بقول القائل (دعوت لما نابني مسوّراً). هذا وقد ذهب بعض الأئمة بعدما رأيت من تماثل (الى) و (اللام) وتقاربهما فيما يؤديانه وإغناء أحدهما عن الآخر ، الى تعاقب الحرفين على معنى . فقال الزمخشري في الكشاف حول تفسير قوله تعالى (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ــ المؤمن / ٤١) : (يقال دعاه الى كذا، ودعاه له ، كما تقول هداه الى الطريق وهداه له) .

وقال أبو حيان في البحر المحيط حول تفسير قوله تعالى (يا أيها

الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ــ الانفال/٢٤) (ودعا يتعدّى باللام .. وقيل اللام بمعنى الى) . وقال صاحب المصباح (عاد الى كذا ، وعاد له أيضاً) ولم يفرق . وجاء في تفسير القرطبي حول قوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا ــ المجادلة / ٣) : (وقال الاخفش لمّا قالوا والى ما قالوا واحد ، واللام والى يتعاقبان ، قال الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وقال : فاهدوهم الى صراط الجحيم ، وقال : بأن ربك أوحى لها ، وقال : وأوحي الى نوح) . وجاء في اللسان حول قوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) : (قال الفراء يصلح فيها في العربية ثم يعودون الى ماقالوا) . وفي الكشاف (أوحى لها بمعنى أوحى اليها) . وفي اللسان (قال الزجّاج في قوله تعالى : قل الله يهدي للحق ، يقال هديت للحق وهديت الى الحق بمعنى واحد ..) وليس هذا وحسب بل استرسل بعضهم فاعتقد أن تعاقب هذين الحرفين قياس . قال الامام أحمد بن عبد النور المالقي في كتابه (رصف المباني في شرح حروف المعاني) : (الموضع الخامس أن تكون ــ أي اللام ــ بمعنى الى ، وذلك قياس . لان الى يقرب معناها من اللام وكذلك لفظها . ألا ترى الى قوله تعالى : وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ــ الاعراف /٤٣ ــ وهدى يتعدّى بإلى ، كما قال: وهديناهم الى صراط مستقيم ــ الانعام / ٨٧ . فالهداية في المعنى أوصلت المهديّ الى الصراط المستقيم . والوصلة موجودة في معنى ــ الى واللام . وهي موجودة فيهما حيثما كانا ، وإن كان بينهما فرق من حيث إن ــ الى ــ لانتهاء الغاية ، واللام عارية عنها . فاللام أقرب الحروف لفظاً ومعنى الى ــ الى ــ من غيرها . فلذلك قلنا ان دخول كل واحدة منهما في موضع الأخرى . ألا ترى الى قوله تعالى : فادفعوا اليهم أموالهم

ـ النساء / ٦ ، وادفعوا لهم : يتقاربان • فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز ، كما ذكر • ومنه قوله تعالى : وأوحى ربك الى النحل ـ النحل / ٦٨ ـ وقال في موضع آخر : بأن ربك أوحى لها ـ الزلزال/٥)•

أقول الاصل هو التفريق في الاداء بين اللام والى • واذا كان بعض الأئمة قد قال بتعاقبهما حينا ، كما فعل الاخفش والزجاج والزمخشري وأبو حيان ، أو ذهب الى تعاقبهما قياساً ، كما فعل الامام المالقي ، فذلك لتقاربهما وتماثلهما في كثير من المواضع •

وقد رأيت كيف يستدرك المالقي فيقول : (وإن كان بينهما فرق من حيث ان ـ الى ـ لانتهاء الغاية واللام عارية عنها) ، ويردف (فاستعمال احداهما في موضع الاخرى جائز) • وأنت تعلم أن إغناء أحد الحرفين عن الآخر ، لايعني أنهما على معنى • فجواز تعدية الفعل بالحرفين شيء واتفاق معناه فيهما شيء آخر • وليس صحيحاً أن هذا الاغناء جائز في كل موضع، فاذا قلنا مثلا : جلست للاستراحة ، فهل يصح أن تقول في معناه : جلست الى الاستراحة ؟ والغالب فيما تراوح فيه الحرفان على موضع أن تقوم اللام محل الى دون العكس •ولا ننس ما قاله أبو البقاء في الكليات (ثم ان فعل الهداية ، متى عُدّيَ باللام تضمَّن الايصال الى الغاية المطلوبة فأتى بحرف الغاية • ومتى عُدّيَ باللام تضمَّن التخصيص بالشيء المطلوب) • وأكد هذا ، الامام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق ، قل الله يهدي للحق ـ يونس / ٣٥)• قال البيضاوي (وهَدى كما يُعدّى بإلى لتضمنه معنى الانتهاء ، يُعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية ، وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ، ولذا عُدّي بها ما أسند الى الله تعالى) • والموضع الذي

عدّيت فيه الهداية باللام في التنزيل ، هو ما صحّ أن يكون المهدي اليه غاية الهداية حقاً ، كالإيمان ، والتي هي أقوم ، ونور الله ، والحق . وانظر الى ما جاء في الصحاح . قال الجوهري : (الهُدى : الرشاد والدلالة، يؤنّث ويذكر . يقال : هداه الله للدين هُدى) فعدّاه الى الدين باللام . ثم قال (وهديته الطريق والبيت هداية أي عرّفته ؛ هذه لغة أهل الحجاز . وغيرهم يقول : هديته الى الطريق والى الدار ، حكاها الاخفش) . فكلما عدّى المتكلّم الهداية باللام فقد أشار أن المهديَّ اليه هو غاية الهداية . هذا ولم أقع على من فرّق بين (أوحى اليه) و (أوحى له) في التنزيل . لكن الذي رأيت أن (أوحى) لم تتعد باللام الا في موضع واحد . قال تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض أثقالها . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ــ الزلزال) أوليس يستفاد أن (الايحاء) هاهنا انما كان للارض على وجه التعيين والتخصيص . فالارض تحدّث أخبارها لإيحاء ربك لها ، أو تحدث أخبارها بتحديثها بأن ربك أوحى لها ، أو تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها ــ على البدل ــ كما فصّل الزمخشري في شرح معنى الآية .

وأحسن ما يُختم به ما نحن بسبيله ما قاله أبو البقاء الكفوي في كلياته : (الفعل المتعدّي بالحروف المتعددة ، لابدّ أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر . وهذا بحسب اختلاف معاني الحروف . فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق ، نحو : رغبت فيه وعنه، وعدلت اليه وعنه ، وملت اليه وعنه ، وسعيت اليه وبه . وان تقاربت معاني الادوات عسر الفرق نحو : قصدت اليه وله ، وهديت الى كذا ولكذا . فالنحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر ، وأما فقهاء أهل

العربية فلا يرتضون هذه الطريقة ، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف ومعنى مع غيره ، فينظرون الى الحرف وما يستدعي من الافعال . وهذه طريقة إمام الصناعة سيبويه) . وأبو البقاء من تعلم ، تبسطاً في العربية واستبحاراً ، وإيغالا في البحث وسعة اطلاع .

(٧)

ولابد هنا من التنبيه على موضع يتصل بما نحن بسبيله . فقد منع الاستاذ العدناني (أرسلت له المال) وجعل صوابه (أرسلت اليه المال). وقد علمت أنْ لا وجه لمنع تعدية (أرسل) باللام ، وأنه اذا ثبت مجيء النص بتعدية الفعل بحرف ، فلا يلزم منه ألاّ يتعدى بسواه . لكنه يُخشى أن يشهد العدناني بصحة (أرسل اليه المال) هاهنا ، ويعودعنْ هذا كما يبدو ، فيأباه وينكره في موضع آخر . قال العدناني في (بعثهُ وبعثَ به / ٣٩) : (أما اذا كان المرسل شيئا ، فإن الفعل يعدّى اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو برسالة ، لأن الاشياء لا تذهب وحدها بل تذهب مع شخص آخر) قال هذا !! واستظهر بقول صاحب اللسان (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) .

فاذا كان (أرسل) في هذا كـ (بعث) وصحّ ماذهب اليه ، فكيف يسوغ أن يقول (أرسلت اليه المال) ؟ أوليس ينبغي أن يجعل في مكانه (أرسلت اليه بالمال) بإدخال الباء على المفعول ، مادام (المال) مما لايذهب وحده ، على حدّ تعليله ؟

على أن الذي أوجبه العدناني في ادخال الباء على مفعول (بعث) متى كان شيئاً ، غير واجب . وقد اتسع القول في هذا عند الأئمة واتسعت

وجوهه . فالعدناني ليس أول من ذهب هذا المذهب . فقد سبق اليه الحريري في (درّة الغواص) ، فقال : (ويقولون بعثت بغلام وأرسلت اليه هدية فيخطئون ، لان العرب تقول فيما يتصرف بعثته وأرسلته ؛ وتقول فيما يحمل بعثت به وأرسلت به) . وقد حذا حذو الحريري صاحب الكليات أبو البقاء .

وأول من أخذ بهذا ونبّه عليه من المتأخرين الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلة الضّياء وجاراه فيه وحاكاه الاب أنستاس ماري الكرملي والشيخ ابراهيم المنذر . وقصد قصدهما الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولا تقل) . وكلهم عاب قول القائل (بعثت أو أرسلت هدية) وأوجب دخول الباء على ما لايتأتى أن يرسل أو يبعث بنفسه .

وميّز صاحب المصباح فأوجب دخول الباء على ما لا ينبعث بنفسه في (بعث) فقال : (وكل شيء لاينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإن الفعل يتعدّى اليه بالباء فيقال بعث به) . وأجاز في (أرسل) تعدية الفعل بنفسه فيما يتصرف أو لا يتصرف بنفسه فقال : (وتراسل القوم أرسل بعضهم الى بعض رسولا أو رسالة) ! ولعل العدناني رام انتحاء هذا المذهب في التفريق بين الفعلين ، فأوجب دخول الباء في مفعول بعث دون أرسل فيما لا يتصرّف بنفسه ؟ لأن ظاهر كلامه مقصور على (بعث) . ولو أنه استعمل ــ الارسال ــ في تعبيره اذ قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يعدّى إليه بالباء) .

وعرض لهذا الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه (نظرات في اللغة والادب) فخالف الحريري وعارض من تابعه وأوضح المقصود يقول ابن منظور (بعثه يبعثه بعثاً أرسله وحده ، وبعث به أرسله مع غيره) ،

فقال : (فالمبعوث به مع غيره شخصا كان أو شيئا تلزمه الباء تقول بعثت إليك بولدي اذا أرسلته مع غيره ، كما تقول بعثت اليك بكتابي • وذلك أن بعث تقتضي مبعوثاً ، فإن كان مرسلا وحده عدّيت الفعلَ اليه بنفسه • وان كان مرسلاً به مع غيره عديته اليه بالباء ، لافرق أن يكون المبعوث شخصا أو شيئا كما رأيت) • وكلامه هذا في معنى قول ابن برّي • قال الخفاجي في الرد على الحريري : (مازعمه الحريري ممنوعاً صرّح ابن جني بجوازه في شرح ديوان المتنبي •• وقال ابن برّي : بعث يقتضي مبعوثاً ومبعوثاً به متصرفا كان أو لا • تقول بعثت زيداً بغلام وبكتاب ، فلهذا لزمته الباء • وكذا أرسلت يقتضي مرسلا ومرسلا به ، متصرفاً كان أو غير متصرف ، فلا إنكار لما أنكره المصنف) • وقصد بالمصنف الحريري • هذا وقد أضفتُ في قول ابن برّي ــ ومبعوثاً به بعد كلمة ــ مبعوثاً ــ لأن سياق الكلام يقتضيه والمثال يشهد به ، وقد سقط في الأصل •

فابن برّي يرى أن الذي أوجب الباء هاهنا أن الغلام أو الكتاب قد صاحب زيداً ، أو صاحبه زيد •• ، فلهذا لزمه الباء • فالمرسل أو المبعوث متى كان وحده جاز أن يكون مما يتصرّف أو لا يتصرف • فاذا كان الاول لم تدخله الباء ، تقول : بعثت زيداً أو أرسلته •أو كان الثاني جاز دخولها ، تقول : بعثت بالهدية أو أرسلت بها ، وصح عدم دخولها ، تقول : بعثت الهدية أو أرسلتها • أما دخول الباء فعلى تقدير المصاحبة ، وأما اسقاطها فعلى انزال غير المتصرف منزلة المتصرف مجازاً ولو بدا لشيوعه كالاصل ، ذلك أن الاصل أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه •

أما اذا اجتمع في البعث مبعوث ومبعوث به صريحان،واتفق في الارسال

مرسل ومرسل به ، فلا بد أن يكون المبعوث أو المرسل متصرفا بنفسه ، أما المبعوث به أو المرسل به فيحتمل الامرين،ولا بدَّ أن تلحقه الباء فيهما. تقول بعثت زيدا أو أرسلته بغلامي ، وبعثت زيداً أو أرسلته بالهدية .

ولكن ما موقع النصوص مما ذكرنا وبيّنا ، وما الذي جرت به أقلام الفصحاء ؟

جاء في القاموس (بعثه أرسله) وفي الاساس (بعثه لكذا فانبعث له) وفي مختار الصحاح (بعثه وابتعثه : أرسله فانبعث) ، وليس في واحد منها فرق بين متصرف بنفسه وغير متصرف . وانظر الى قول ابن القوطية في كتابه (الافعال) : (أرسلت الرسول والوصية بعثتهما) وهو صريحٌ بأن المرسل أو المبعوث وحده أياً كان لاتلزمه الباء .

وقال الفرزدق :

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدرّ اذا ماهبَّ نحساً عقيمها

قال المرزوقي في شرح الحماسة (١٧٠٣) : (بعثت له دهماء يعني بها قِدْراً ... وليست بلقحة أي ليست بناقة) . فعدّى الفعل بنفسه الى الدهماء ، وقد عنى بها القِدر التي لا تتصرف .

وقال المتنبي في بيت له :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنـوانه للنـاظرين قتـام

وقد جعله صاحب الوساطة من مختار شعره ، ولم يعبه عائب أو يعاه عليه ناعٍ . وقد عيب من أبيات المتنبي :

فآجرك الإله على قليـل بعثت الى المسيح به طبيبا

ذلك لإدخال الباء على ضمير المبعوث وحده ، وهو متصرف بنفسه ،

وهذا غير جائز وقيل في الاعتذار له أن المبعوث قد اعتدَّ من الهدايا فجاز لهذا دخول الباء ، ويشهد له ما بعده :

ولست بمنكر منك الهدايا ولكن زدتني فيها أديبا

وفي محاضرات الادباء ، قال ابن قيس (٣/١٧٩) :

ولما أبى أرسلت فضلة ثوبه إليه فلم يرجع بحزم ولا عزم

ومن كلام الفصحاء قول ابن جني في مقدمة كتابه (المحتسب) : (كتابك المنزَّل على لسان أمينك ، المرسل الى جنان صفيِّك خاتم الرسل) فقد قال (كتابك المنزل .. المرسل ..) ولم يقل (المرسل به) .

وجاء في محاضرات الادباء (٤/٧١٨) : (قال ميمون بن مهران : ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به ، فبعث اليَّ سبعة آلاف دينار ، وقال: ادَّخر هذه للحوادث بعدي ولك الجراية والكفاية ، مادمت حيا) .

وفي كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لأبي اسحق الحصري القيرواني (٢/١٣٢) : (قال أحمد بن يوسف : وقد بعثت الى أمير المؤمنين طبقَ جَزْع فيه ميل ، فلما قرأ المأمون الرقعة قال : أجاءت هدية أحمد بن يوسف ؟) .

وقد رأيت أن ما أتينا به من النصوص والنقول يقوّي في النفس ما ذهبنا اليه ، ولكن ما القصد بما يتصرف بنفسه وما لايتصرف ؟

قد أراد بعض النقاد بـ (المتصرف بنفسه) أنه الشخص ، و (غير المتصرف) أنه الشيء ، كما فعل العدناني حين قال : (أما اذا كان المرسل شيئاً فإن الفعل يتعدّى اليه بالباء نحو بعثت إليك بهدية أو رسالة ، لأن الاشياء لاتذهب وحدها ..) . وذهب جواد الى نحو من هذا بقوله (ولا

تقل بعثت اليه كتابا وبعثت اليه هدية لأن الكتاب لاينبعثأي لايسير بنفسه) •

والذي يتبين بالاستقراء أن المتصرّف بنفسه هو ما لايستعان في بعثه أو ارساله الى سواه،ليصحبه أو يأتي به،وغير المتصرّف ماليس كذلك•وقد يعتدّ ما يتصرف بنفسه في موضع غير متصرف في موضع آخر ، وقد يكون العكس أيضا • فأنت تقول أرسلت الجند بالخيل المحمّلة الى القلعة ، كما تقول أرسلت الخيل بالاسلحة الى المعركة • وتقول أرسلت غلامي بالفرس . وأرسلت أخي بغلامي •

وفي محاضرات الادباء للراغب (٦٩٩) : (قال عديّ قلتُ يا رسول الله أرسل كلبي فيأخذ الصيد فلا أجد ما أذبحه به ••) فلم يحتج في تعدية الفعل الى الباء ، لان المفعول يتصرف بنفسه وتقول : أرسلتِ الشمسُ ضوءَها وبعثت أشعتها ، ولاحاجة بمفعول الفعل في الاصل الى الباء إذ ليس يُفتقر الى من يصحب الضوء في ارساله أو مايرافق الاشعةفي بعثها•فان الشاعر يصف ابنة العنب كما جاء في زهر الآداب للقيرواني (٢٠٩) :

ظلّت تسامرنا وقد بعثت ضوءاً يلاحظنا بلا ذهب

وقد فسّر الآلوسي في كتابه كشف الطرّة عن الغرة كلام ابن برّي، فارقاً بين المرسل والمبعوث ، إذ أوجب الباء في المبعوث اذا لم يتصرّف بنفسه ولم يوجبه في المرسل ، واستدلّ بقوله تعالى (وهو الذي يرسل الرياح ــ الاعراف / ٥٦) • والجواب عن ذلك من جهتين ، الاولى أن ابن برّي لم يوجب الباء الا فيما كان في ارساله مرسل ومرسل به ، وليس في الآية مرسل ومرسل به ، والثاني أن الرياح مما يتصرف بنفسه ولو كان شيئاً ، خلافا لما ذهب اليه • وقد جاءت الآية على الاصل ، ومثلها كثير •

ستقول وما حاجتنا الى ميز غير المتصرف بنفسه من المتصرّف اذا كان يسكن انزال الاول منزلة الثاني • أقول لابد من الميز فيما كان فيه مبعوث ومبعوث به ليكون الاول هو المتصرّف بنفسه ، أما مالم يكن فيه الا مبعوث فإنك تتبين المتصرف لتسقط عنه الباء ما لم يكن داع الى اعتداده بخلاف ذلك . فإذا أسقطتها عن غير المتصرف حملاً له على المتصرف مجازاً كقولك بعثت الهدية أو أرسلتها ، فقد أوحيت أن لاحاجة بك الى ذكر من صاحَب المبعوث أو التذكير به •

والعجب ممن أوجب الباء فيما لايتصرف ، كقولك (أرسلت كتابي) بحجة أنه (لايذهب وحده أو لايسير بنفسه) ! وليت شعري ألم يقل الفصحاء (وافاني كتابك) و (وَرَدَت عليَّ رسالتك) و (جاءتني موعظتك) ؛ فلم لم يُستغرب ذلك منهم ولم يُستندر ؟ وما بال البحتري يتصوَّر أن يسعى المنبر الى صاحبه ، وهو شيء لا يسير ولا يتحرك دون محركٍ ، فلا يُنعى عليه ذلك حين يقول :

ولو ان مشتاقاً تكلّف فوق ما   في وسعه لسعى اليك المنبر

وقد جاء في نهج البلاغة (٣/٨) (أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصّلة ورسالة محبَّرة) أفليس هذا كله من المجاز والصورة واحدة ؟ فما بالهم خصوا المنع بـ (أرسل) و (بعث) ؟

(٨)

وقد يعتمد بعض النقاد في التخطئة دليلا لايمت الى أصل لغوي ، وان بدا حجّة معقولة • فالمدار في الحكم ، هاهنا ، على ماجرت عليه اللغة من طرائق ، وما ألفته من سنن ، وعرفت به من خصائص وسمات ، لا على

ما يمليه منطق التعليل العقلي . قال صاحب الكليات أبو البقاء (٤٢٩) : (الاحكام اللغوية لا يمكن اثباتها بمجرد المناسبات العقلية القياسية ، بل لا بدّ أن تكون معتبرة في الاستعمالات اللغوية) .

من ذلك ماذكره الدكتور مصطفى جواد في كتابه (قل ولاتقل) ، اذ منع قول القائل (تسلل اليها) واعتلّ لذلك فقال : (وذلك لان التسلل هو خروج وتقصٍّ وتخلّص من زحام أو غمار أو جمع ، وليس هو بدخول . فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سرّاً ... هو التوغل والوغول والايغال) .

أقول غريب حقاً منع تعدية (تسلل) بـ (الى) ! فاذا كان (التسلل) خروجاً على حدّ قول الاستاذ ، أولست تقول (خرجت الى السوق) ؟ فما وجه المنع اذاً وما بينته ؟

وانظر الى (صبأ) مثلا . قال صاحب المصباح (وصبأ من دين الى دين يصبأ مهموز بفتحتين ، خرج فهو صابىء) . فالصبوء هاهنا خروج، لكنه خروج من دين ودخول في دين آخر . قال الدكتور جواد (التسلل خروج وتقصٍّ ...) والتقصي هو التباعد ، ونحوه كـ (الانفصال) و (المباينة) . فانظر الى ماجاء في محاضرات الادباء (٣/٢١١) : (وكتب الصابىء عن عز الدولة الى أبي تغلب وقد نقل ابنته اليه : قد وجّهت الوديعة ، وانما نقلت من وطن الى سكن ، ومن مغرس الى مغرس ، ومن مأوى عزّ وانعطاف الى مأوى برٍّ وإلطاف ..) ، وأردف : (وهي بضعة مني انفصلت إليك ، وثمرة من جني قلبي حصلت لديك ، ولا ضياع على من تضمّه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك) . أفرأيت كيف عدّى الانفصال بـ (الى) وهو مباينة كالتسلل ؟

فقد ثبت بذلك أن قولك (تسلل اليه) صحيح مستقيم . ولكن ما معناه على وجه التحقيق ؟

قال ابن منظور (الانسلال المضي والخروج من مضيق أو زحام ، وانسلّ وتسلل انطلق في استخفاء) . فـ (الانسلال والتسلل) افلات وانطلاق في استخفاء ، أو في انسياب لا يُشعر به ، كما هو فعل الجندي الهارب من معسكره أو السجين الفارّ من محبسه . فاذا مضى الجندي أو السجين فبلغَ غايته ومأمنه ، وانتهى الى ملاذه ومفزعه فقد ذهب الاستخفاء وحلّ محله ظهور ومجاهرة . فقولك (تسلل جنود العدو إلينا) صحيح لكن فحواه أنهم أفلتوا من معسكرهم في استخفاء ولحقوا بنا . وقد يكون لحاقهم هذا لمظاهرتنا على من كانوا في معسكرهم ، خلافا لما يفهمه الكتاب منه . فانظر الى ما جاء في نهج البلاغة (٣/١٤٤) : (أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قِبَلك يتسلّلون الى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عَدَدهم ، ويذهب عنك من مددهم ... وقد عرَفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه ، وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة ، فهربوا الى الأثَرة ، فبعداً لهم وسُحْقاً) . وهذا صريح باستعمال (تسلل اليه) ولكن بمعنى (هرب اليه) .

قال الاستاذ جواد (فأقرب الكلمات معنى من المراد اليوم بالدخول سراً .. هو التوغل والوغول والايغال) . وليس هذا بالوجه . والذي أراه أن يُستعمل (اندس) مكان (تسلل) فيقال (المندسون) لا (المتسللون) . فانظر الى ما جاء في شرح الحماسة للمرزوقي (٤٤٤) : (وجهوا فارساً ليندسّ في أثناء خيلنا ويعرف سرّنا وعلننا ، ويقف على عددنا وعُدّتنا) . وهذا ما عناه الكتاب باستعمالهم (تسلل) . أما

(وغل) فقد قال صاحب المصباح (وغل .. توارى بشـجر ونحوه فهو واغل . قال السرقسطي : وغل في الشيء .. دخل ، .. دخل بغير إذن) أما أوغل فمعناه أمعن وأسرع . ومن ثمَّ كان (اندسَّ) أليق بالمعنى .

ونحو من (تسلل اليه) : (تسرَّب اليه) فقد اعتده الدكتور مصطفى جواد خطأ ، وجعل صوابه (تسرَّب فيه) . وقَصد قصده الاستاذ محمد انعدناني فقال : (ويقولون تسرَّب الى المكان والصواب تسرَّب في المكان أي دخله خفية ، هذا هو رأي المحكم واللسان والتـاج ، ومثله انسرب الثعلب في جحره) وتابع قوله (أما سَرَّب اليه فيعني أرسل اليه) . وعلى ذلك قول الاستاذ أسعد خليل داغر في تذكرته ، والاستاذ أحمد العوامري في مجلة المجمع القاهري .

أقول السروب والانسراب والتسرُّب جري ومضي وذهاب : لكنه جري في رفق وتلطُّف ، وذهاب في سروح . فاذا ضاق المجرى كان التسرب انسياباً في تدافع ، وفي غير ملامسة تعوق المتسرب أو تشعر به . ومن ذلك سرَّبه اذا أرسله وأطلقه في تتابع .

فاذا كان انطلاق السارب أو المتسرب من محبس ، كان السروب أو التسرب على معنى الخروج ، أو كان الانسراب والتسرُّب في مدخل أو جحر أو بيت ، كان على معنى الدخول ، ففي الصحاح (والسَرَب أيضا بيت في الارض تقول : انسرب الوحش في سَرَبه وانسرب الثعلب في جحره وتسرب أي دخل) ، أو كان السَرَب أو السروب أو الانسراب في الارض أو الطريق ، كان على معنى الذهاب والمضي .قال الراغب في مفرداته (السرب الذهاب في حدور) وقال ابن القوطية (وسَرَب في الارض سروباً ذهب ، والابل سرحت نهاراً) . وفي الكامل للمبرد (يقال خلِّ سَرْبه أي طريقه

حتى يذهب حيث يشاء ، ويقال ذلك للابل لانها تنسرب في الطرقات) . وفي الاساس (سَرَبَ في الارض سروباً مضى فيها وهو يسرب النهار كله في حوائجه) . وفي اللسان (سربوا فيها – أي الطريق – : تتابعوا).

فليس (الدخول) إذاً ، وقد فسّر به (التسرّب والانسراب) في موضع من القول ، أصلا في معنى الفعل يعتمد في تقرير تعديته ، وانما الاصل سواه كما ذكرنا. فقولك (انسرب الوحش في جحره) انما يعني مضيّ الوحش في وكره ، في رفق وتدافع كما تنساب الحية في مسربها أو جحرها. قال الراغب (وانسربت الحية في جحرها) . وفي اللسان (ومسارب الحيّات مواضع آثارها اذا انسابت في الارض على بطونها) . وقال المرزوقي يصف مشي امرأة (هي تنساب أي تتدافع في مشيها تدافع الحية، فهي في انسيابها تتجافى عن الارض جُهدها) .

وانظر الى ماجاء في المقاييس لأحمد بن فارس عن أصل معنى (سرب)، قال : (السين والراء والباء أصل مطّرد ، وهو يدلّ على الاتساع والذهاب في الارض . من ذلك السِّرب والسُّربة ، وهي القطيعُ من الظّباء والشاء لانه ينسرب في الارض راعيا) ، وقال : (وقال أبو زيد يقال خلٍّ سَربه أي طريقه يذهب حيث شاء ، وقالوا سِرب بالكسر .. وقال : يعني الطريق ، ويقال : انسرب الوحشي في سَربه) . فقد رأيت كيف جعل الاصل في معنى الفعل هو الذهاب ، وردّ كل مصارف الفعل اليه ، ولم يستثن قولهم – انسرب الوحشي في سَرْبه – بل لم يذكر مع الذهاب أصلا آخر كما اعتاد ذلك فيما لايمكن أن ترد دلالاته الى أصل واحد . ومنه (التسريب) ، قال صاحب الاساس (ومن المجاز سرّبت اليه الاشياء : أعطيته اياها واحداً بعد واحد) أي في تتابع . وانظر الى ماقاله

الراغب في مفرداته (السَرَب الذهاب في حدور،والسَرَب المكان المنحدر، قال : فاتّخذ سبيله في البحر سَرَبا ــ الكهف ــ وسروبا ، نحو مرمراً ومروراً ، وانسرب انسرابا كذلك لكن سَرَب يقال على صدور الفعل من فاعله ، وانسرب على تصور الانفعال منه ، وسَرَب الدمع ، سال ، وانسربت الحيّة في جحرها ، وسرب الماء ..) ، فقد ردّ قولهم (انسربت الحية في جحرها) الى الاصل الواحد ، ولم يعدل به الى ســواه . كما فعل النقّاد .

فاذا ثبت هذا واطمأنّ وكان التسرب والانسراب في الاصل جرياً وذهابا ومضياً .كان تعديهما بـ (في) يعني تعيين موضع حدوث الفعل ، وتعدّيهما بـ (الى) يعني الدلالة على موضع انتهائه وبلوغ غايتــه . والاّ فكيف تمتنع تعدية (تسرب) بإلى وهو يقع موقع الجري والذهاب ويجوز مجازهما ؟ فقولك (تسربت أموال الخزانة الى الجيــوب) اذا تتابعت،و (الاخبار الى العدو) اذا انتهى بعضها اثر بعض ، صحيح مستقيم، لاسـبيل عليه لعائب .

ونظير (تسرّب) : (انساب) . فاذا قلت (انسابت الحية في جوف فلانٍ) فمؤدّاه أنها دخلت ومضت : قال صاحب النهاية (إن رجلا شرب من سقاء فانسابت في بطنه حيّة .. أي دخلت وجرت مع جريان الماء ، يقال : ساب الماء وانساب اذا جرى) .

وكذلك (دبّ) فأنت تقول (دبّ في جوفه) اذا أردت دخوله . قال المرزوقي (دبّ في مسامه وموالجه ــ أي الهوى) . وقالَ الزمخشري في الاساس (ومن المجاز دبّ الشراب في عروقه) . أما اذا قلت (دبّ اليه) فأنت تروم التوجه والانتهاء كما أردت من تسرّب اليه . قال ابن القوطية

(دبّ النحل دبيباً ، والقوم الى العدو مَشَوا مشياً رفيقاً ، والشراب في الجسد كذلك) . فعدّى (دب) بإلى ، كما عدّى بفي ، وكل على بابه.

وهكذا (تغلغل) . ففي الصحاح (تغلغل الماء في الشجر اذا تخللها). لكنك تقول (تغلغلت الى كل غامض فجلوته) . قال الجاحظ في بعض رسائله (والتغلغل الى دقائق الصواب) ، وقال صاحب الوساطة : (أو معنى غامضاً قد تعمق فيه مستخرجه وتغلغل اليه مستنبطه / ٣٠٨) وقال المرزوقي في مقدمة شرح الحماسة (متوصل الى الظفر بمطلوبه ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى).

فاستقر بذلك أنه لايغنيك في تعدية فعل أن تقف على نصّ قد اتفق لك في تعديه فتلزمه وتعجل به ، بل لابد من تدبر أصل معناه والكشف عن وجوه تصرّفه ، على ما تتسع له دلالته .

(٩)

وهذا موضع آخر لاستعمال حرف من حروف الجر ، قد نسب الى الوهم ، على حين اتفق منه في كلام الفصحاء ونصوص المعاجم ما يشهد بصحته ويقر بسداده ، بل جاء منه في آي التنزيل ماينفي عنه شبهة الخطأ وينأى به عن الردّ والانكار .

قال الاستاذ محمد العدناني في معجمه : (ويقولون فلّ من حدّ السيف أي ثلمه ، والصواب فلّ حده يفلّه فلاً أو فلّله ، أما فلّ القوم فمعناه هزمهم) .

وواضح أن الاستاذ انما اعتمد نص المعاجم ، وقد جعلت تعدية

(فلّ) بنفسه . ففي الصحاح (يقال فلّه فانفلّ اذا كسره فانكسر) . وفي الاساس (فَلّ منه شيء اذا انكسر) .

لكن العرب قد أجازت ادخال (من) في هذا الموطن ، وجرت عليه . ففي الاساس (كسرت خصمي فانكسر ، وكسرت من سَوْرته) . وفيه (اغضض من صوتك : اخفض منه ... وغُضّ من لجام فرسك أي صوّبه وطأمنه لتنقص من غربه) .

وفي المصباح (غضّ الرجل صوته وطرفه ، ومن طرفه ومن صوته ... خفّض) .

وفي نجعة الرائد لابراهيم اليازجي (كسر من غلوائه وكف من غربه) ، والغرب الحد .

وفي الفاخر لابن عاصم ، حول قول العرب (فتّ في عضديه) : (العضد القوة ، والفت الكسر من قولهم فتتّ الشيءَ اذا كسرته صغاراً ، ومعنى – في – من ، والمعنى كسر من عضديه أي من قوته) . وفي الالفاظ الكتابية للهمذاني (ونهنه من غربك أي كفكف من حدّتك) ، وفيه (أخمل فلان فلاناً وأوضعه ، وخفض من حاله) .

وفي المقابسات لأبي حيان التوحيدي (٣٧) : (كفكف من غربك ونهنه من سربك) .

وفي نهج البلاغة (١/٧٤) : « قد طامن من شخصه – أي خفض – وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه وزخرف من نفسه » . وفيه أيضاً (٢/٦٤) « وانهما لايقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق » . وفي شرح الحماسة للمرزوقي (٩٢٥) : « سكّن من جأشي وأزال قلقي » . وفيه

(١١٦٨) : « فلا جرم أن كفّ من شأو شرّه وغرب عداوته » .

فتبين بما تقدم أنك تقول :(كسرته وكسرت منه وغضضته وغضضت منه وخفضته وخفضت منه وكففته وكففت منه وفتته وفتت منه ..) كما تقول : (طأمنته وطأمنت منه وقاربته وقاربت منه وقرّبته وقربت منه وسكنته وسكنت منه ..) ، فما الذي أجاز دخول (من) على مفعولات هذه الافعال ، وما الذي يعنيه دخولها في هذا الموضع ؟

ذهب فريق الى زيادة (من) هاهنا ، ومنهم الاخفش . وذهب آخرون الى أصالتها ومنهم سيبويه ، ذلك أنه اشترط للقول بالزيادة أن يتقدّم (مِن) نفيٌ أو نهي أو استفهام . وقد تابع المفسرون سيبويه كما فعل الزمخشري وأبو السعود وغيرهما . واشترط صاحب المغني للزيادة ثلاثة شروط الاول ما ذكرناه ، والثاني تنكير مجرورها ، والثالث كونه فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ ، وقال بزيادتها في المنصوب والمرفوع جميعا .

فاذا أخذنا بمقالة سيبويه وهو لايجيز زيادة (مـن) في الكلام الموجب ، وعليه كثرة النحاة والمفسرين ، كانت (من) في الامثلة المتقدمة (تبعيضية) والمفعول محذوف تقديره (.شيئاً) . ففي التنزيل (يكفر عنكم من سيئاتكم ــ البقرة/٢٧١) و (يغفر لكم من ذنوبكم ــ الاحقاف/٣١ ، ونوح / ٤) . والمعنى يكفر شيئا من سيئاتكم ، ويغفر شيئا من ذنوبكم. قال أبو حيان في البحر المحيط (٢ / ٣٢٦) في الآية الاولى (مِـن ، في قوله : مـن سيئاتكم للتبعيض ، لانّ الصدقةَ لا تكفّـر جميعَ السيّئات) ، وقال (٨ / ٦٨) في الآيةِ الثـانية : (مـن ، للتبعيض لانّه لا يغفـر بالايمانِ ذنوبَ المظـالم) . وقد أيّـدَ الرضيّ في شرح الكافية (٢/٣٢٣) أن ــ من ــ في هذه الآية للتبعيض اعتماداً

على المعنى ، وفصّل ذلك تفصيلا ، كما شرحه صاحب الكليات. أبو البقاء فاستوفى شرحه . فقد آثر النحاة والمفسّرون القول بأصالة (من) هاهنا ، اذ جعلوا معوّل الحكم في المسألة على المعنى . قال الامام الانباري في كتابه أسرار العربية (٢٦٠) : (فأما قوله تعالى : ويكفر عنكم من سيئاتكم ، فـ ــ من ــ فيه للتبعيض لا زائدة ، لانه من الذنوب ما لايُكفر بإبداء الصدقات ، أو اخفائها واتيانها للفقراء ، وهي مظالم العباد . أما قوله تعالى : يغضوا من أبصارهم ، فـ ــ من ــ فيه أيضا للتبعيض لانهم أُمروا أن يغضوا أبصارهم عما حُرِّم عليهم ، لا عما أحلّ لهم ، فدلَّ على أنها للتبعيض وليست زائدة) .

ويستقيم على هذا ما أوردناه من الامثلة جميعا على تقدير حذف المفعول . تقول فللت من حد السيف ، أي فللت من غُربه وكففت ، وكسرت من سورته اذا خفضت شيئاً من غلوائه ونهنهت . والذي يتحصل من هذا كله أن قولك (فلّ من حد السيف) صحيح فصيح ، لا محلّ فيـه لتخطئة .

هذا وتدخل من (التبعيضية) هذه ، على ما حقّه الرفع ، كما دخلت على ما وجب نصبه . وقد مثّلوا لذلك بقوله تعالى (ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي بعض نبأ المرسلين أو بعض من نبـأ المرسلين ، فالفاعل هو المحـذوف .

ولكن اذا اشترط للقول بزيادة ــ من ــ أن يتقدمها نفي أو نهي أو استفهام فهل يجب للقول بأصالتها أن يكون الكلام موجباً ؟ أجاز ابـن مالك الطائي في كتابه (شواهد التوضيح) القول بزيادة ــ من ــ في حديث عائشة (فإذا بقي من قراءته نحوا من كذا) على تقدير (فاذا بقي

قراءته نحوا) برفع (قراءته) على الفاعلية ، ذاهبا فيه مذهب الاخفش . لكنه رجّح القول بأصالتها على تقدير (فاذا بقي باقٍ من قراءته نحوا) وقال : (وهذا الحذف كثير قبل ـ من ـ لدلالتها على التبعيض) ، وذكر (أن تقدير الفاعل المحذوف باسم فاعل الفعل ، أولى من تقدير غيره لدلالة الفعل عليه معنى ولفظاً) ، وجعل التعويل في كل ذلك على المعنى.

بقي أن نشير الى أن فيما مرّ بنا من قول ابن عاصم حول (فتّ في عضدي) مايدعو الى النظر . ذلك أنه جعل ـ في ـ هنا في موضع ـ من. فإذا علمنا أن العرب تقول (فلان يفت في عضد فلان ، ويقدح في ساقه) كما جاء في اللسان ، وتدبّرنا المشاكلة بين (فتّ فيه) و (قدح فيه) ، كان لنا في المسألة رأي آخر . فقد استعمل العرب أفعالا متعدّية أرادوا بها مجرّد وقوع حدثها فلم تحتج الى مفعول يذكر أو يقدّر . اذ جاء في التنزيل (وأصلح لي في ذريتي ـ الاحقاف / ١٥) . قال صاحب الكشاف : (كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي ..) ، وقال البيضاوي في تفسير الآية (اجعل الصلاح سارياً في ذريتي ، راسخا فيهم ، نحو قوله:
وان تعتذر بالمحل عن ذي جذوعها الى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي)

وقد أنزلت هذه الافعال منزلة الافعال القاصرة ، فذهب صاحب المغني (٢/١٢٣) الى أنها على تضمين المتعدي معنى فعل لازم ، فخرّج (أصلح) على تضمينه معنى (بارك) ، و (جرح) على تضمينه معنى (عثا أو فسد) . وأشار الى ذلك صاحب الكليات (٣٢٥) .

فأنت تقول اذاً (أصلح لي في كذا) أي اجعل لي الصلاح فيه . و (الحزن يحزّ في كذا) أي يجعل الجرح فيه . كما تقول (يفت هذا الامر في عضدي) يجعل الفتّ أو الكسر فيه ، و (يقدح في ساقة) أي

يجعل القدح فيها . وفي اللسان (وقدح الدود في الاسنان والشجر قدحاً ، وهو تأكّل يقع فيه) .

وفي الحديث (والإثم حزاز القلب) قال صاحب الصحاح (الحزاز ما حزّ في القلب . وكل شيء حكّ في صدرك فقد حزّ). قال صاحب النهاية (تحزّ فيها أي تؤثر ، كما يؤثر الحزّ في الشيء) . وفي الاساس : (زاده الله مالاً : وزاد في ماله). فاذا قلت (يفتّ من عضدي) كانت ــ من ــ على التبعيض ، أي يفت شيئا من عضدي ، وهو غير (يفت في عضدي) لان هــذا بمعنى يجعل الفت في عضدي . وقد جاء في التنزيل (ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ــ الشورى / ٢٠) ، فاستعملت (في) مع زاد دون (من). وقد فرّق الزمخشري بين (نزد له في حرثه) . و (نؤته منها) فقال : (وفرّق بين عمليْ العاملين بأن من عمل للآخرة وُفق في عمله وضوعفت حسناته . ومن كان عمله للدنيا أُعطي شيئاً منه ، لا مايريده ويبتغيه). فلم ير في (نزد له في حرثه) تبعيضاً كما رآه في (نؤته منها) . وهذا يعني أن (نزد له في حرثه) غير (نزد له من حرثه) لو قيل ، لأن هذا على التبعيض خلافا للاول .

(١٠)

ومما عاب الاستاذ محمد العدناني في معجمه ، وهو صحيح لاسبيل عليه لآخذ ، (زاد عنه) قال العدناني (ويقولون زاد عنه في الكرم والصواب زاد عليه) . وقد استظهر بقول ذي الاصبع العدواني :

وأنتمْ معشر زَيْدٌ على مائــةٍ . فأجمعوا أمركمْ طرّاً فكيدوني

أقول ان (زاد) يتعدّى تعدّي (فضل) بعن وعلى . فان قصدت به المجاوزة وبيان الفرق بين أمرين أو مقدارين ، استعملت (عن) . كأن تقول (زاد المال عن حاجتي) أي جاوز الحاجة ففضل عنها وبقيت منه بقية . كما تقول (مالُ فلان يفضل عن حاجتــه) . قال الزمخشري في الاساس (ومال فلان فاضل كثير ، يفضل عن القوت) ، وقال : (وأخذ حقه واستفضل ألفاً . اذا أخذه فاضلا عن حقه) . فذكر في الاول أن ثمة فضلا بين ما يملكه فلان وما يحتاج اليه للانفاق على قوته . وأشار في الثاني أن هناك فرقاً بين ما أخذه وما يستحق . قــال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (وحتى يقضوا على حدّ الضــارّ والنافع ، ويعرفوا فضل ما بيْن الدّاءوالدواء ، والاغذية والسموم) . فالفضل هاهنا الفرق واستعمال (عن) فيما سلف انما هو للمجاوزة على حدّ قول النحاة .

هذا وأما اذا قصدت الى بيان ما يفوق به شيء شيئاً آخر ، استعملتَ (على) لانها للاستعلاء . تقول (ثروة خالد زائدة على ثروة أخيه) أي تفوقها وتفضل عليها . ففي نهج البــلاغة (١٤٣/٣) : (فان طاعة الله فاضلة على ما سواها) . قال الجاحظ في كتاب استحقاق الإمامة (لأن العبد اذا فضلت طبائعه وشهواته على عقله وأوامر رأيه ، أُلفي بصيراً بالرشد ، غير قادر عليه) .

هذا هو الاصل في تعدية (زاد) و (فضل) بعــن وعلى . وقــد يتماثل المعنيان في كل منهما اذا عدّيته بالحرفين ، فيقع (زاد عنه) موقع (زاد عليه) ، وينزل (فضل عنه) منزلة (فضل عليه) .

قال صاحب الكليات أبو البقاء في تعدية (زاد) : (الزيادة هي أن ينضم الى ما عليه الشيءُ في نفسه ، شيء آخر ... والزيادة تلزم وقد

تتعدى بعن كما تتعـدّى بعلى ، لان نقص يتعـدّى به ، أي بعن ؛ وهو نظيره) .

فالذي أراده أبو البقاء أن (زاد عنه) صحيح حملا على (نقص عنه) لانه نظيره . ولكن ما الذي عناه بهذا ؟ فاذا قصد الى أن (نقص عنه) هو الاصل ، وأن (زاد عنه) هو الفرع المبنيّ عليه ، فالرأي غير هذا ؛ ولاستعمال كل منهما بعن ، أصل معروف . فالنصّ على أن (عن) انما هو للمجاوزة . قال صاحب الهمع (عن للمجاوزة وهي الاصل . لهذا عدّي بها صدّ وأعرض وأضرب وانحرف وعدل ونهى ...) . ولكن ما وجه هذه المجاوزة ؟ فأنت اذا تجاوزت بالحَدَث شيئاً استعملت (عن) كما تقول خرجت عنه ، فاذا جاوزك الشيء فقصرت دونه ؛ استعملت (عن) أيضاً . وإلا ففيم استعمالك (عن) في قولك (عجز عنه وضعف عنه وقعد عنه وأبطأ عنه وكسل عنه ووَنى عنه ..) ؟

ففي اللسان (قال النحويون : عن : ساكنة النون حرف وضع لمعنى ماعداك وتراخى عنك) . وهذا صريح باستعمال (عن) فيما تجاوزت بالحدث عن أمر ، وما قصرت به عنه أيضا . فأنت تقول (نقص المال عن الحاجة) لانه قصّر دون هذه الحاجة فعجز عن قضائها ، كما تقول (زاد المال عن الحاجة) لانه تجاوز ما اقتضته وعداه . وعلى هذا قول المرزوقي في شرح الحماسة (١٥٧٥): (أو تزيد عن المطلوب) . وعلى ذلك قول الجاحظ في كتابه في النساء) وليس كلّ حب يسمّى عشقا ، وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار ... والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصاداً) .

وغريب على هذا تخريج (عن) في قول الشاعر :

أؤاسي سراة الحيِّ حيث لقيتهم فلا تكُ عن حمل الرّباعة وانيا

على أنه (للظرفية) حملا على قوله تعالى (ولاتنيا في ذكري ــ طه / ٤٢) • قال صاحب الهمع : (ورُدّ بأن تعدية ونى بعن معروف ، وفرق بين ونى عنه وونى فيه بأن معنى الاول جاوزه ولم يدخل فيه ، والثاني دخل فيه وفتر) • فتعدّي (ونى) بعن معروف كما ذكر صاحب الهمع ، لانه كضعف عن وقصر عن • قال الزمخشري في الاساس (وقد ونى في الامر ضعف وفتر ، ولاتنيا في ذكري ، وفلان لايني ولا يوني ولايتوانى : لا يقصّر ••) وقد استشهد الزمخشري بقول ابن مقبل :

مَرَتْه الصَّبا بالغور غورِ تهامة فلما وَنَت عنه بشفعين أمطرا

يقول ان الريح استدرّت السحاب فلما ضعفت عنه بشفعين ،وهو اسم موضع ، أمطر •

وجاء في الاشباه والنظائر للسيوطي (٣/١٩٤) قول ابن هشام صاحب المغني ، في تأويل قول القائل (فلان لايملك درهماً فضلا عن دينار) : (قال ابن هشام : اعلم أنه يقال فضل عنه وفضل عليه ، بمعنى زاد •• وانما القيد قوله فضلا عن دينار ، والكلام لم يسبق لنفي ملك الزائد عن الدينار) ، وقال : (أخبرتك بهذا بزيادة عن الإخبار عن دينار)، وقال : (استفهمت عنه زيادة عن دينار) ، فعدّى (زاد) بعن ، كما عدّاه كثير من الأئمة قبله كالمرزوقي • وجاء في شرح ديباجة القاموس لنصر الهوريني (ولعل المصنف لم يطلع عليه ، وإلا لزاد عنه / ١٦) ، بل اتفق (زاد عنه) في الشعر القديم أيضا ، فانظر الى هذا البيت وقد نسبه الامام التبريزي في ديوان الحماسة الى قبيصة بن النصراني • قال قبيصة الجرمي :

يزيد نبالة عـن كل شـيء ونافلة وبعض القوم دونُ

قال المرزوقي في شرح الديوان (٦٢٦) : (نبالة مصـدر نبل ، والنافلة الفضل ... يقول : ومع اجتماع هذه الخصال : فيه سَروٌ ونبل وحسبٌ وعز . فيفضل على كل نبيل ، ويعلو على كل ذي شأن نبيه ، وبعض القوم ساقط قاصر ، متأخر ناقص) . فانظر اليه كيف فسّر يزيد نبالة عن كل شيءٍ فقال (يفضل على كل نبل ويعلو على كل ذي شأن نبيه) ، فماثل بين زاد عنه وزاد عليه ، وهو ما أراده الشاعر .

فتبين بهذا ان استشهاد الاستاذ العدناني بقول ذي الإصبع العدواني (زيد على مائة) ، وقد أورده الزمخشري في الاساس لاستعمال — زيد على — في البيت بمعنى يزيدون ، لايمنع من تعدية الفعل بـ (عن) كما يتعدّى بـ (على) . والزيد مصدر كالزيادة .

هذا وقد ابتغينا بما قدّمنا وبسطنا القول فيه أن نذكي البصر على تعريف حروف الجر ، ونُحدّ النظر الى ما قد يقـع منها مواقعه ، وما يُعدل به عن منازله ومواضعه . ولم تشغلنا ، فيما انتحينا ، روعـة اللفظ فتسبق بنا الى إغفال المعنى . ونرجو أن نكون قد قرّبنا العبارة في هذا الباب وجمعنا المتفرّق وأحسنا التأدية .

ولو شئنا أن نمضي في الكلام فنتقصـى البحث في ذلك ونشبعه ونؤكده ، لكان لنا فيه مجال واسع ومذهب فسيح . لكـن غاية قولنا ومدار أمرنا أن تدلّ بما ذكرنا على الطريقة ونقف بالقـارىء على المنهج ، فيجعل مما مثّلنا عيارا لما يرد عليه من هذا ، فيأتي كل مسألة من وجهها ويتلمّسها من مأتاها .

صلاح الدين الزعبلاوي

فوائد من معجم شيوخ الطبراني

الاستاذ مطاع الطرابيشي

معاجم الشيوخ لون من ألوان التصنيف عند المحدِّثين ، يمثّل ثمرةً من ثمرات الرحلة في طلب الحديث . ولاريب في أن هذه الكتب ـ الى جانب فوائدها الحديثية الأصيلة ـ تشتمل على فوائد أخرى قيّمة ، إذ هي مصدر عظيم الشأن في البلدانيات ، ونظرةٌ لامحةٌ في معجم ياقوت الحموي تفي بالبيان والبرهان . وهي في الوقت نفسه مجالٌ رحيب لرصد الحياة الثقافية والنشاط العلمي في العصر الذي تنتمي اليه .

أما الطبراني المعنيّ بالعنوان فهو المحدِّث المعمَّر صاحب الرحلة الواسعة ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الطَّبَراني ، نسبة الى طبرية ، مدينة مُشرفة على البحيرة المنسوبة اليها في فلسطين . وُلد في طبرية أو عكّاء عام ستين ومائتين للهجرة ، وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة للهجرة .

ولقد كانت المعاجم الثلاثة أجلَّ أعمال الطبراني ، فاشتُهر بها وعُرفت به ، فما يكاد يُذكر اسمه إلا مقروناً بها . إنها « المعجم الكبير » في أسماء الصحابة وتراجمهم وماورووه عن رسول الله ﷺ ، و« المعجم الاوسط » جمع فيه فرائد الاحاديث التي رواها عن شيوخه ، و « المعجم الصغير » في أسماء شيوخه . وقد رتّب معاجمه الثلاثة على حروف المعجم في أوائل الاسماء .

وهذا البحث يدور حول المعجم الصغير بخاصةٍ ، لقد اشتُهر بهذا

الاسم نظراً للطافة حجمه بالقياس الى المُعْجَمَيْن الآخرَيْن ؛ لكن اسمه الحقيقي هو معجم شيوخ الطبراني ، وبه ذُكر في ثَبَت الكُتب التي ورد بها الخطيب البغدادي دمشق[1] ، وكذلك ذكره السمعاني في الأنساب (٨/٢٠٠) ؛ والذهبي في تاريخ الاسلام (ل : ٦٥ / أ)[2] ، والصفدي في الوافي (مج ٨/ل ١٦٢)[3] .

أما تاريخ تأليفه فيرجع – فيما ظهر من البحث في تراجم رواته الأوّلين – الى الفترة الأخيرة من حياة مصنّفه ؛ فالراوية المشهور لهذا الكتاب وهو (أبو بكر بن رِيْذَه) مولود في سنة ستٍّ وأربعين وثلاثمائة[4] ؛ ولا يصح سماعه للكتاب قبل بلوغه خمس سنوات على الاقل ، ومعنى ذلك أن تاريخ تأليف الكتاب يجب أن يكون في العشر الاواخر من حياة الطبراني .

هذا الكتاب يُعَدّ بحق في طليعة معاجم الشيوخ المعروفة .صحيحٌ أنه سبقه في هذا المضمار مشيخات عدة : لابراهيم بن طَهْمان (ت ١٦٣) ويعقوب بن سفيان الفَسَوي (ت ٢٧٧) ، وأبي عبد الرحمن النَّسائي (ت ٣٠٣) ، وأبي يَعلى الموصلي (ت ٣٠٧) ، وأبي القاسم البَغَوي (ت٣١٧) ، ومحمد بن مخلد الدُوري (ت ٣٣١) ، وأبي العباس بن عُقْدة (ت ٣٣٢) ، وأبي سعيد بن الاعرابي (ت ٣٤٠) ، وعبد الصمد الطَّسْتي

---

(١) انظر الجزء في « تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق من الكتب المصنفة » من مخطوطات المكتبة الظاهرية (ق : ٢٩ / أ)

(٢) مصورة المجمع بدمشق .

(٣) مصورة المجمع بدمشق .

(٤) العبر ١٩٣/٣

(ت ٣٤٦) وإبراهيم بن محمد الاصبهاني (ت ٣٥٣)[1] . لكنّ الملاحَظ أن بعض تلك المشيخات لم يكن من صنع مَن نُسب اليه ؛ وإنّما قام بها عنه بعض تلامذته . كما أن بعضها الآخر ليس فيه استقصاء أو ترتيب . يضاف الى ذلك أن طائفة من هذه الكتب قد غدا الآن مفقوداً .

إنما الجدير بالتسجيل أن جُلّ أولئك الذين تقدّموا الطبراني في صنع المشيخات كانوا من شيوخ الطبراني نفسه ، كالنّسائي وأبي يَعلى والبَغَوي وابن عُقْدة وابن الاعرابي ، ويبدو مـن المقارنة بين معجمي أبي سـعيد بن الأعرابي وأبي القاسم الطبراني أن هذا الاخير اقتفى أثر شيخه في صنيعه ؛ لكن عمله امتاز بإضافة تحسينات غير قليلة على عمل شيـخه .

كما تبدو لنا قيمة هذا الكتاب في كثرة نُسَخه المخطوطة المتناثرة في أرجاء المكتبات العالمية ؛ مما يدل على سعة انتشاره في الأزمنة الماضية ، فقد استقرت نُسخه في مكتبات القسطنطينية والهند والإسكوريال والمتحف البريطاني والازهر والمدينة المنورة[2] .

ومع ذلك لم يكن حظّه هذا الكتاب من الطباعة حسناً ؛ فقد طُبع مرتين : في دلهي سنة (١٣١١ هـ) ثم في القاهرة سنة (١٣٨٨ هـ) ، ومن المؤسف أن كلتا الطبعتين لم تتوفر لها شروط النشر العلمي ؛ فظهرت تفيض بالخطأ والتصحيف ، ولولا خشية الإطالة لعرضتُ نماذج من أخطائهما ؛ وما أكثـرها .

(١) انظـر الرسالة المستطرفة (ط. الثالثة ، ص : ١٣٥ ـ ١٣٨) ، وبحوث في تاريخ السنّة المشرفة (ص : ١٥٠ ـ ١٥١) ، وفهرس الاستاذ ناصر الدين الالباني (ص: ٣٧٤،٢٥٠،٤)
(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٤٨٦

قدم الطبراني لمعجمه هذا بقوله: « هذا كتاب فوائد مشايخي الذين كتبتُ عنهم بالأمصار، خرّجتُ عن كل واحد منهم حديثاً واحداً، وجعلتُ أسماءهم على حروف المعجم »(١) .

قلت: ولكنه، فيما يظهر، لم يلتزم هذه القاعدة التزاماً دقيقاً، ذلك لأن عدد شيوخه المذكورين في الكتاب بلغ ألفاً ومائة وخمسين شيخاً، على حين بلغ عدد الاحاديث التي أخرجها ألفاً ومائتين وتسعة أحاديث(٢).



١ ـ منهج البحث:

يمتاز هذا الكتاب بأنه يقدم معلومات قيّمة عن رحلة الطبراني الواسعة، وعن توزّع مشيخته في الامصار، فهو بذلك يمكّن من استنتاج تصورات صحيحة عن مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الاسلامي آنذاك، وعن مدى نشاط كل منها.

على أن تحديدات الطبراني جاءت متفاوتة: تارة يذكر مكان سماعه من الشيخ وزمانه، وتارة يكتفي بذكر مكان السماع فحسب، وأحياناً يقتصر على ذكر نسبة الشيخ الى بلده أو قريته، وقد يذكر اسم الشيخ مجرّداً من أي تحديد.

وبناء على ذلك، فقد قمتُ بجرد كل قسم على حدة، ثم رتّبتُ الاقسام الثلاثة الاولى في قوائم موزعة على الأقطار، وذكرتُ بجانب اسم

(١) المعجم الصغير ١/٧

(٢) وقعت للسابقين بعض اوهام في هذا المجال، فظن بعضهم ان جملة احاديثه الف وخمسمائة حديث، وظن آخرون ان عدد شيوخه الف شيخ، وكل ذلك رجم بالغيب. (انظر الرسالة المستطرفة ١٣٦)

البلدة أو القرية عدد الشيوخ الذين سـمع منهم فيها أو انتسبوا اليها . وبذلك أمكنَ التعرّف الى مسار رحلته محدّداً بالزمان والمكان ، كما أمكنَ تصنيف مشيخته على المدن ثم على الاقطار ، ومن ثمّ الكشفُ عن ملامح الخارطة الثقافية للعالم الاسلامي في الربع الاخير من القرن الثالث الهجري، وذلك بتحديد المراكز العلمية العاملة فيه آنذاك، واستخراج نسبة مشاركة كل قطر في القيمة الإجمالية لمشيخة الطبراني[1] .

ولقد قاد البحث في هذا المجال الى نتائج محدّدة ، استدعت توسيع نطاق العمل ، بمقابلة الاحصاءات ونتائجها بإحصاءات أخرى في مصادر مماثلة ، لاستكمال الصورة من جهة ، وللتحقق من صحة النتائج المستفادة من جهة ثانية .

لذلك قمتُ بمراجعة فهارس «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ت٢٣٠)، فأحصيتُ عدد الصحابة في كل قطر واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم في الامصار ، ثم قمتُ بإحصاء عدد التابعين من بعدهم واستخرجتُ نِسَبَ توزّعهم كذلك ، ثم صنعتُ الإحصاء نفسه للفقهاء والمحدّثين اعتباراً من ظهور بغداد سنة (١٤٥) وحتى آخر الطبقات حوالي سنة (٢٣٠) ، فكانت النتائج هنا مؤدّية الى النتائج هناك ومؤيّدة لها في الوقت نفسه ، وبذلك أمكن تعميم النتائج على القرون الثلاثة الاولى معا .

وقد كنتُ هممتُ أن أجري الاحصاء نفسه في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت ٥٧١) ، لكنّ ذلك يتطلّب جولاتٍ مماثلة في مشيَختَي

---

(١) كان اعتمادي في العمل على النسختين المطبوعتين للتحقق ، لكني وجدت لدى المقابلة بينهما أنهما متفقتان في الغالبية العظمى من الاخطاء ، فاكتفيت لذلك بالاحالة الى الطبعة الثانية.

أبي سعد السمعاني (ت ٥٦٢) وأبي طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦) لتتبّع الحياة الثقافية في القرن السادس الهجري بصورة شاملة ؛ ممّا رجّح إرجاء هذا العمل الى بحث مفرد لذلك . على أن اطلاعي على جملة المدن التي ذكرها الحافظ السِّلَفي في « الاربعين البلدانية » [1] له ؛ أوحى إليَّ بأنَّ المعالم الاساسية للخارطة التي أظهرتها مشيخة الطبراني لم تتغيَّر كثيراً في القرون الثلاثة التالية .

هذا ولم يخلُ البحث من بعض المصاعب : منها أن الطبراني أهملَ ذكر تواريخ سماعه في المراحل الاخيرة من رحلتــه ؛ فَعَمَّضَتْ تلك الفترة علينا ؛ وبخاصةٍ (المرحلة الايرانية) . كما بدا أن بعض التواريخ المذكورة في المعجم موضع نظر ، مع أنها مُثبتة بالارقام والحروف معــاً في كلتا النسختين ؛ فقد ظهر خطأ بعضها واضطراب بعضها الآخر . ولقد أصبتُ في كتاب أبي نُعيم في « ذكر أخبار أصبهان » بعض الفــوائد في الكشف عن أحوال مشيخة الطبراني في أصبهان ، كما ظهر أن بعض أولئك المجاهيل الذين ذكرتُهم آنفا كانوا من أهل أصبهان . أما الارقام المضطربة فقد خصصتُها بدرسٍ مُفصَّل .

وعلى ذلك فسيأتي البحث على النسق التالي : رحلة الطبراني ، معالجة المشكلات والارقام ، تَوَزُّع المشيخة ودلالاته . وسأُثبِت بآخر البحث قوائم في بيان توزع المشيخة ، وفهارس طبقات ابن سعد . ولستُ أزعم ــ بعد كل الحذر الذي أخذتُ به نفسي خلال هذا العمل ــ أن ماوصلتُ

(١) اسمها الكامل : « كتاب الاربعين المستغنى بتعيين مافيه عن المعين » ، وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية ، برقم (مجموع ٧٦ : ق ٦ــ٢١) . وقد خرَّجَ فيها الحافظ السِّلَفي أربعين حديثا عن أربعين شيخا بأربعين مدينة ، من المدن التي زارها خلال رحلته .

اليه هو القول الفصل في هذا المجال • وإنما هو الرؤيةُ المتأنّية في حدود ما استشرفتْ من آفاق ؛ وأسأل الله التوفيق •

* * *

٢ ــ رحلة الطبراني :

بدأت رحلة الطبراني من طبرية في سنة (٢٧٤) ؛ حيث صحبه أبوه فزار به القدس[١] • وامتدت رحلته في أرجـاء فلسطين أربع سنوات : من سنة (٢٧٤) الى سنة (٢٧٧) ؛ زار خلالها حواضر العلم في بلده •

ثم رحل في السنتين التاليتين : (٢٧٨ ــ ٢٧٩) في سائر بلاد الشام ؛ فزار مدناً وقرى عدة في الداخل والساحل ، وفي الجزيرة ومنطقة الثغور المتاخمة للروم في الشمال •

ثم نزل جنوباً فكان في مصر سنة (٢٨٠) ، فبقي فيها نحواً من ثلاث سنوات • ثم غادرها الى الحجاز ، فكان في مكة والمدينة في سنة (٢٨٣)؛ وربما سافر من (قُلْزُم) القريبة من مدينة السويس حالياً ، الى (أيلة)؛ ومنها الى (جُدَّة) ، فمكّة • والظاهر أنه حجّ في ذلك العام •

ثم تابع الرحلة في العـام التالي قاصداً اليمن ؛ فكان في صـنعاء سنة (٢٨٤) ؛ وزار شِبام وزَبيد والكدراء • ويبدو أنه عاد راجعاً الى مصر إذ سَجّل وجوده فيها ثانيةً في سنة (٢٨٥) •

ثم ارتحل الى العراق ، فأقام في بغداد ثلاث سنوات ؛ من سنة (٢٨٦) الى سنة (٢٨٨) ، وطاف في تلك الاثناء مدن العراق والاهواز ؛ وقد كانت أكثر المراكز الثقافية تألقاً في العالم الاسلامي •

(١) اما ماذكره الذهبي في سير اعلام النبلاء من ان أول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين فهو وهم ، كشف عنه البحث في معجم شيوخ الطبراني •

ثم واصل الرحلة الى المشرق ، فزار أرّجان وشيراز ، وكان في أصبهان سنة (٢٩٠) ، وما لبث أن خرج منها ، ثم عاد اليها ثانية بعد بضع سنوات ليستقرّ فيها بصورة دائمة .

* * *

٣ ـ مشكلات وأرقام :

كان ذلك هو الوجهَ المتّسق الواضح من رحلة الطبراني ، وبقيت مشكلاتٌ مطروحة للبحث ، قد لا نملك حتى الآن جوابا حاسما لبعضها ، من ذلك هذا السؤال :

● متى كان تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان ؟

توزعت الاجابةَ عن هذا السؤال أقوالٌ شتّى ، وهذا بيانها :

١ ـ ذكر الطبراني في معجم شيوخه سماعَيْن له في أصبهان : الأول سنة (٢٩٠) ، والثاني سنة (٢٩٥)[١]

٢ ـ وذكر تلميذه أبو نُعيم أن شيخه الطبراني « قدم أصبهان سنة تسعين ومائتين ، فخرج منها ثم قدمها ثانياً فأقام بها محدّثاً ستين سنة »[٢] ومعنى ذلك أن قدمته الثانية كانت على رأس الثلاثمائة ، لأنه توفي سنة سنة ستين وثلاثمائة ، كما هو معروف .

٣ ـ ونقل أبو زكريا بن مَنْدَه عن إبراهيم بن يحيى بن مَنْدَه ما يفيد بأن القدمة الثانية كانت في سنة أربع وثلاثمائة . ثم نقل عن أبي بكر بن مردويه أنها كانت في سنة عشر أو احدى عشرة وثلاثمائة[٣] .

(١) المعجم الصغير ١/٦٤ ، ٢/٥١

(٢) ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٥

(٣) جزء في مناقب الطبراني ، لأبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده (ق:٣/أـب)

٤ ــ على حين ذكر ياقوت أن الطبراني قدم أصبهان في سنة تسعين، فأقام بها سبعين سنة حتى مات[١] .

قلت :

ان ما ذكره ياقوت خطأ صريح ، لأن دخول الطبراني أصبهان مرتين أمر محقَّق . أما التاريخ الثاني المذكور في المعجم الصغير فقد ظهر خطؤه لأسباب سأبيِّنها في فقرة تالية .

وتبقى بعد ذلك الارقام التاليـة : « ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣١١ » مرشَّحة لتحديد تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان . والظاهر أن الصواب في الرقم الثاني منها ، أي أن عودته كانت في سنة (٣٠٤) وذلك لسببين :

الاول: هو أن هذا التاريخ موافق لبحثنا التالي عن مدة رحلته الكاملة.

والثاني : أنه أثر عن رجل رافق الطبراني في أصبهان في المرتين .

«قال إبراهيم بن يحيى بن منده[٢]: قدم أبو القاسم الطبراني أصبهان أول كرَّة ، فكنت أماشيه يوماً فسألته عن سنّه فأخبرني به . ثم غاب وعاد في القدمة الثانية بعد أربع عشرة سنة ، فكنتُ أماشيه يوما الى المدينة فسألته في « ميدان فاخر » عن مولده فقال : أبا إسحق ، أخذتَ في مثل هذا ! فقلتُ : أيش عملتُ ؟ فقال : أليس قد سألتني عن مولدي في تلك السنة في قدمتي الاولى بباب دار محمد بن مقرّن فأخبرتك به ؟! »

قلتُ : فإذا كانت قدمته الاولى في سنة (٢٩٠) فذلك يعني أن قدمته الثانية كانت في سنة (٣٠٤) كما ذكرنا آنفاً . ويبرز هنا سؤال كبير : ترُاه

(١) معجم البلدان « طبرية »

(٢) مناقب الطبراني (ق: ٣/أ)

أين قضى هذه المدة الطويلة بين القَدْمَتَيْن ؟ أرجعَ الى العراق أم تجوّل في المشرق ؟ هذا ما لم نستطع معرفته بعد .

● السؤال التالي هو : كم كانت مدة رحلته ؟

اختلفت تقديرات المؤرخين في هذا الامر اختلافا بيّنا ، فهي عند ابن خلكان ــ وتابَعَه القنّوجي وبروكلمن ــ ثلاث وثلاثون سنة ، وعند الذهبي ست عشرة سنة[1] .

أما القول الفصل في هذه المسألة فقد جاء على لسان الطبراني نفسه ؛ إذ سئل عن كثرة حديثه فقال : « كنت أنام على البواري ثلاثين سنة »[2]

والبواري : جمع بُوريّ ؛ وهو الحصير المنسوج من القصب ، وقد عنى به حُصُر المساجد التي كان ينام عليها أثناء رحلته ، والظاهر أن طلبة العلم كانوا ينزلون المساجد خلال أسفارهم واغترابهم عن أوطانهم[3]

وبما أنه قد ثبت لدينا من معجم شيوخ الطبراني أن بداية رحلته كانت في سنة (٢٧٤) ، فذلك يعني أن تاريخ قدمته الثانية الى أصبهان بقصد الاقامة والاستقرار كان في سنة (٣٠٤) كما مرّ بنا آنفاً .

وهنا لابدّ من التمييز بين مدة رحلته ومدة سماعه ؛ لأن سماعه للحديث سابقٌ على رحلته ، ومتأخر عنها أيضاً ، فقد ذكر الطبراني في معجمه أسماء شيوخٍ سمع منهم بأصبهان بعد استقراره بمدة .

المهم اذن هو البحث عن بداية سماعه : لقد طلب الطبراني العلم

---

(١) انظر : وفيات الاعيان ٢/٤٠٧ ، وابجد العلوم ٣/٨٢٧، وتاريخ بروكلمن (النسخةالمعربة) ٣/٢٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/١٧٣

(٢) مناقب الطبراني (ق : ٤/أ) ، وعنه سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٤

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (ص : ٣)

بعناية أبيه في وقت مبكر من حياته ، وأول خبر وصلنا بهذا الصدد يرجع الى سنة (٢٧٣) حين سمع بطبرية من هاشم بن مَرْثَد الطبراني[1] وله من العمر اذ ذاك ثلاث عشرة سنة .

ويبدو أن الذهبي اعتبر هـذا التاريخ بداية لسماعه الحديث[2] ، وتابَعَه في ذلك الصفدي[3] وابن شاكر الكتبي[4] وزادا : « من دُحَيْم لما قدم طبرية » .

والحق أن ما ذهب اليه الذهبي فيه نظر ، اذ لا يصح استنتاجه من هذا الخبر ؛ لأنه تاريخ أحد السماعات العشرة في طبرية التي كشف عنها المعجم ، ولم يَصرِّح الطبراني فيه بما قاله الذهبي فيما بعد . ثم إن سماع الصغار كان مألوفاً آنذاك ومعتمداً لديهم منذ بلوغ الطفل الخامسة من عمره . هذا وقد كان أبوه اعتنى به منذ صغره ، ورافقه بعدُ في رحلته ، ولعل فؤاد سزكين كان أقرب الى الصواب حين جعل بدء دراسته للحديث في العاشرة من عمره ، أي في سنة (٢٧٠)[5]

أما زعمُ سماعه من دُحَيْم فهو وهمٌ نشأ من الخطأ في فهم عبارة الذهبي في تاريخ الاسلام ، اذ قال : « سمَّعه أبوه ورحل به ، لانه كان له ماسَّةٌ بالحديث قد سَمع من دُحَيْم لما قدم عليهم طبرية »[6] ، فالاب هو الذي سمع من دُحَيْم ، أما الابن فلم يسمع منه ؛ لأن دُحَيْماً توفي سنة

(١) المعجم الصغير ١٣٦/٢
(٢) سير أعلام النبلاء (١٧٣/١٠) وتاريخ الاسلام (٦٤/١) .
(٣) الوافي بالوفيات ١٦٢/٨
(٤) عيون التواريخ ١٤٢/١٢
(٥) تاريخ التراث العربي ٤٨٤
(٦) تاريخ الاسلام ٦٤/١

(٢٤٥)[1] أي قبل ولادة أبي القاسم بخمس عشرة سنة .

● السؤال الاخير هو : الى أين انتهت رحلاته في الاقطار ؟

للإجابة عن هذا السؤال يحسن فرز كل جهة على حدة :

١ ــ ففي الشمال : في منطقة الثغور التي كانت خط التماسّ بين العرب والروم في شمال بلاد الشام ، نستطيع أن نتصور خطاً وهمياً يصل ــ من الشرق الى الغرب ــ ما بين : نصيبين ، ورأس العين ، وحَرّان ، والمَصيصة ، وأَذَنَة ، وطَرَسُوس . فهذا الخط هو الغاية القصوى لرحلته في الشمال كما يظهر من معجم شيوخه .

٢ ــ أما في الغرب : فقد ذكر الطبراني في المعجم سماعاً له من (أحمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي)[2] . لكن ابن عساكر ، وعنه ياقوت ــ فيما يظهر ــ حَرّفا العبارة فقالا : « سمع ببرقة أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البَرقي »[3].

ثم نقل ياقوت في موضع آخر من معجمه ، عن المؤرخ المصري ابن يونس ؛ أنه : « ذكر أحمد بن عبد الله في البرقيين ، وذكر أخاه محمداً في المصريين ، وقال : انه كان يتّجر هو واخوته الى برقة فعُرف بالبَرقي ، وهو من أهل مصر »[4].

قلت : ويبدو الاضطراب واضحا في نقول ياقوت . ثم ان الطبراني لم يسمع من أحمد البرقي هذا ، وانما سمع من أخيه عبد الرحيم ووهمَ في تسميته ، وذلك وهمٌ مشهور عنه[5].

---

(١) العبر ٤٤٥/١

(٢) المعجم الصغير ٤٨/١

(٣) تاريخ مدينة دمشق (نسخة ب : مج ١١/ل٤٤٧) . ومعجم البلدان « طبرية » .

(٤) معجم البلدان « برقة » .

(٥) سير أعلام النبلاء (مج ١٠/ل ١٧٥/ب)

وكذلك نرى أن الطبراني لم يتجاوز مصر الى جهة الغرب البتة•وليس لدينا ــ بهذه المناسبة ــ مايثبت نزوله جنوباً الى صعيد مصر •

٣ ــ أما في المشرق : فالظاهر أن رحلة الطبراني في ايران قد وقفت عند الخط الواصل مابين أصفهان شمالا وشيراز جنوبا ، وإن كان هناك احتمال قوي تشير اليه مشيخته،وهو أنه ربما بلغ الري شمالا ، ونيسابور شرقاً ، والله أعلم •

* * *

وبعد ، فقد وجدت في المعجم أرقاماً تدعو الى الريب ، طرحت بوجودها سؤالاً غريبا : ترى هل هي سهو من الطبراني لم تسعفه ذاكرته بصوابه ، أو تصحيف من عمل الناسخين أو الطابعين ؟! لقد اعتمدت في بحثي النسختين المطبوعتين ، وتبيّن أنهما تجتمعان على الخطأ الواحد مع أن الارقام مؤيّدة فيهما بالحروف ، ولم أتمكّن بعد من الاطلاع على الاصول المخطوطة للمعجم الصغير ، ويغلب على ظنّي ــ والاسباب سأذكرها ــ أن بعض تلك الاخطاء يرجع الى ذاكرة الطبرني نفسه ، وإن كان من الثابت أن في المطبوعتين تصحيفات كثيرة من عمل الناشرين •

الرقم الاول : في سماعه من محمد بن أسد بن يزيد الاصبهاني ، بمدينة أصبهان سنة (٢٩٥)[١]

هذا الرقم لا يصح ، لأن الرجل توفي قبل سنتين من التاريخ المذكور ، فقد :

ا ــ ترجمه أبو نعيم الاصبهاني وقال : « كان من المعمّرين ، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين » • ثم روى الحديث المذكور في (المعجم

(١) المعجم الصغير ٥١/٢ ، وانظر الطبعة الهندية ص ١٨٨ .

الصغير) عن شيخه الطبراني عنه، لكن من غير ذكر للتاريخ المشار إليه[١]

ب ـ وذكره أبو الشيخ الاصبهاني ـ وهو من طبقة الطبراني ـ فقال: « كنتُ أصير إليه مع والدي قاصداً للدعاء، وكان من المعمَّرين، مات سنة ثلاث وتسعين ومائتين »[٢]

ج ـ ثم أرّخ الذهبي في « العبر » وفاة هذا الرجل في سنة ثلاث وتسعين ومائتين[٣].

فهذا الاجماع ينفي صحة الرقم المذكور أولا، ولعل صوابه: سنة تسعين ومائتين.

الرقم الثاني: في حديثه عن عبدان بن محمد المروزي، سمعه منه بمكة سنة (٢٨٧)[٤]

ومن الغريب أن هذا الحديث نقله الذهبي في ترجمة عبدان بن محمد في « سير أعلام النبلاء » ونقل معه الرقم نفسه، وأضاف: « لقيه الطبراني في الحج »[٥]

هذا الرقم محلّ نظر؛ لأنه يصادم أرقاماً أخرى بيَّنتْ أنه كان في تلك السنة ببغداد، وأن تاريخ وجوده بمكة يرجع الى سنة (٢٨٣). أتراه حجّ ثانية في ذلك العام ورجع من فوره الى بغداد، أم أن في الرقم خطأ، والصواب (٢٨٣)؟ الله أعلم.

---

(١) ذكر اخبار اصبهان ٢/٢٣٢
(٢) طبقات المحدثين باصبهان لأبي الشيخ الاصبهاني، نسخة الظاهرية: ٢٣٨
(٣) العبر ٢/٩٦
(٤) المعجم الصغير ١/٢٣٤، وانظر الطبعة الهندية ص ١٣٥
(٥) سير أعلام النبلاء، مصورة المجمع بدمشق: مج ٩ / ل ١٤١

الرقم الثالث : في سماعه من إبراهيم بن سُويد الشِّبامي ، بمدينة شِبام باليمن ، سنة (٢٨٢)[1] .

هذا الرقم لايمكن الاطمئنان الى صحته ؛ لأنه يستلزم أن يكون الطبراني غادر مصر الى اليمن سنة (٢٨٢) ، ثم انتقل الى مكة والمدينة سنة (٢٨٣) ، ثم عاد ثانية الى صنعاء سنة (٢٨٤) ، ثم رجع الى مصر سنة (٢٨٥) ، وذلك مُستبعد في تلك الظروف .

وزاد الامرَ تعقيداً أن البيهقي ذكر في (السنن الكبرى ١٠/٢٢٨) أن الطبراني سمع من الرجل المذكور في شِبام باليمن سنة (٢٧٨) وهو رقم غير صحيح أيضا ، لأنه كان في تلك السنة بالشام ، لم يخرج منها بعدُ .

ومن دلائل التحريف في هذا الرقم ؛ أنه ورد قبله بصفحة واحدة حديث سمعه الطبراني بصنعاء سنة (٢٨٤)[2] . والغالب على ظني أن الحديث الذي سمعه بشِبام ــ وهي قريبة من صنعاء ــ كان في السنة نفسها أيضا ، والله أعلم .

الرقم الرابع : في حديثه عن إبراهيم بن اسماعيل الرَّقّي سنة (٢٩٩)[3] ، وهو خطأ ثانٍ ورد في صفحة واحدة مع الخطأ السابق ؛ وقد جاء مقترنا بجملةٍ محرَّفة لايستبين معناها ؛ مما يؤكد احتمال الخطأ[4].
هذا الحديث سمعه الطبراني من رجل من أهل الرقّة ، ومن الثابت لدينا أنه كان في الشام سنة (٢٧٩) ، وعلى ذلك يكون الرقم المذكور أولا

(١) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٢) المعجم الصغير ١/٧٨
(٣) المعجم الصغير ١/٧٩ ، وانظر الطبعة الهندية ص ٤٢
(٤) وانظر لسان الميزان ١/٤٠٥ ، ففيه السند نفسه وقد خلا من الجملة المحرّفة.

تصحيفاً لهذا الرقم ، وصواب العبارة فيما أرى هو : « حدثنا بها سنة تسع وسبعين ومائتين » ، والله أعلم .

* * *

٤ ـ توزّع مشيخة الطبراني على الامصار

أثبتُ توزّع شيوخه بصورة مفصّلة في قوائم ملحقة بآخر البحث، وأكتفي الآن بعرض الخلاصة التالية :

ا ـ عدد الشيوخ :

١ ـ العراق ٤٢١ شيخاً
٢ ـ الشام ٢٣٦ شيخاً (منهم ٥٧ في فلسطين)
٣ ـ إيران ٢٢٣ شيخاً (منهم ٦٧ في الاهواز)
٤ ـ مصر ١٢٢ شيخاً
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٣ شيخاً

المجموع ١٠٤٥ شيخاً*

ب ـ نِسب توزّعهم :

١ ـ العراق ٤٠٪
٢ ـ الشام ٥ر٢٢٪
٣ ـ إيران ٥ر٢١٪
٤ ـ مصر ١٢٪
٥ ـ الحجاز واليمن ٤٪

---

* ويبقى بعد ذلك (١٠٥) من الشيوخ لم يذكر الطبراني مكان لقائه بهم ، أو نسبتهم الى بلد من البلدان .

ج ــ توزّع المراكز الثقافية :

١ ــ الشام ٤٧ (منها ١٥ في فلسطين)
٢ ــ ايران ٢٨ (منها ٨ في الاهواز)
٣ ــ العــراق ١٤
٤ ــ الحجاز واليمن ١١
٥ ــ مصــر ٩

المجموع ١٠٩**

* * *

النتائج المستفادة

أولا ــ الصورة العامة

تقدمت العراق سائر الاقطار العربية والاسلامية ، ثم تلتها الشام وإيران ، وهذه الاقطار الثلاثة كان لها الحظ الأوفى في الحركة العلمية في ذلك العصر ، إذ حازت ثمانين ونيّفاً بالمئة من كامل عدد الشيوخ ، ومن مجموع المراكز الثقافية .

أما مصر والحجاز واليمن فقد كان نصيبها متواضعاً بالقياس الى الزمرة الاولى ، بل إن الحجاز واليمن أصبحتا في الدَّرْك الادنى من السلّم الثقافي ، وغاب المغرب العربي فلم تظهر له مشاركة في هذا المجال .

هذه الخارطة الثقافية للعالم العربي الاسلامي ليست ــ كما يبدو ــ وليدة مشيخة الطبراني ، ولا هي مقصورة على الربع الاخير من القرن الثالث الهجري ، بل إن ملامحها العامة بدأت في الظهور قبل أكثر من قرنين ، وازدادت وضوحاً مع ظهور بغداد سنة (١٤٥) ، فقد كان توزّع

** يمثل هذا الرقم مجموع المدن والقرى المذكورة في معجم شيوخ الطبراني .

الصحابة في الامصار ، ثم التابعين من بعدهم ، ثم الفقهاء والمحدثين الى سنة (٢٣٠) ؛ كان توزّع أولئك وهؤلاء يُشير بصورة واضحة الى أسبقية العراق في كل الفترات .

ثم إن خطوطها العريضة ستترك آثاراً قوية على الخوارط اللاحقة حتى أواخر القرن السادس الهجري ؛ كما مرّ بنا في أوائل هذا البحث[١] .

* * *

ثانيـا ـ الكشف التفصيلي :

(العـــــراق)

نالت العراق حصة الاسد في مشيخة الطبراني ؛ إذ اتسب إليهـا (٤٠٪) من كامل مشيخته . كما بلغ عدد المدن والقـرى التي تردّد ذكرها في هذا المجال (١٤) مدينة وقرية .

ولابدّ ـ بهذه المناسبة ـ من الاشارة الى أن « إقليم الأهواز » في إيران هو في واقع الامر امتداد للعراق ؛ فكلّ الظواهر تدل على أن المناخ الثقافي السائد في الاهواز بخاصة إنما كان جزءاً من المناخ الثقافي السائد في العراق بعامة . وعلى ذلك فلو أضفنا مشيخة هذا الإقليم الى مشيخة العراق فإن النسبة ترتفع فتبلغ (٤٧٪) وعدد المراكز الثقـافية يصبح (٢٢) مركزاً .

فهذه الوفرة الغنيّة في عدد العلماء والمحدّثين ، الى جانب الكثافة الظاهرة في المراكز الثقافية ، أعطت للعراق الأسبقية المطلقة على سائر أقطار

(١) وبهذه المناسبة أود التنبيه ثانية الى ارتباط هذه النتائج بمصادرها ، ويبقى المجال رحبا لكل بحث جديد تابع من مصادر جديدة .

العالم العربي الاسلامي ؛ فكانت قطبَ الرحى ومنبع التوهّج الثقافي في قلب الدولة الاسلامية الواسعة الارجاء .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٥٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار أقاموا في العراق ، ثم ارتفع الرقم من بعدُ فبلغت نسـبة التابعين المقيمين في العراق (٥٦٪) مـن التابعين المذكورين في الطبقات ، ثم ذهب الرقم صعُداً في الحقبة التالية فبلغت نسبة المحدّثين والفقهاء (٦٦٪) من مجموع عددهم في الاقطار .

فليس عجيباً اذن أن تفوز العراق بقصـب السبق في المجال العلمي طوال القرون الثلاثة الاولى ، بل لقد دام هذا التفوق حتى سقوط بغداد سنة (٦٥٦) للهجرة ، وبذلك كانت العراق مركز العلم وحاضرة الثقافة في العصور الذهبية الزاهية بمجد العرب والاسلام .

● بغـداد :

أما بغداد فقد كانت بحق عاصمة الحضارة والعلم ؛ كما صورتها لنا الارقام المستخرجة من معجم شيوخ الطبراني ، إذ بلغ عدد المشيخة فيها رقماً لم تُقاربه ؛ بَلْهَ أن تبلغه ، مدينة أخرى ، لكن نموها العلمي كان كان فيما يبدو أحياناً على حساب المدينتين العظيمتين : البصرة والكوفة .

● الكوفة والبصرة :

كان عدد الصحابة الذين نزلوا هاتين المدينتين ــ وقد بُنيتا في وقتٍ متقارب ؛ في السنة السابعة عشرة للهجرة[1] ــ متساوياً . ثم مالبثت الكوفة أن تقدمت على البصرة تقدماً عظيماً في عهد التابعين[2] ، ولعل ذلك

(١) بلدان الخلافة الشرقية : ٦٤ ، ١٠١

(٢) الكوفة ٦١٧ تابعيا ، البصرة ٢٨٠ تابعيا

راجع الى ازدهار سياسي واجتماعي نالته الكوفة في تلك الحقبة من الزمن[١] . ثم بدأت الكوفة بالتراجع ، وبخاصة منذ ظهور بغداد .

على أننا نلحظ في مشيخة الطبراني تفوقاً — بالمقابل — للبصرة على الكوفة[٢] ، بحيث غدا الفارق كبيراً بين التوءمين . ويبدو أن الكوفة كانت تتراجع باستمرار ؛ فقد أفاد وصف الإصطخري لها — في المئة الرابعة للهجرة — أنها دون البصرة في الاتساع والشأن . ثم في سنة (٥٨٠) ذكر ابن جُبير أنه « لا سور لها ؛ فقد استولى الخراب على أكثرها[٣] »

● واسط :

وتأتي في طليعة المراكز العلمية البارزة في العراق خاصة والعالم الاسلامي عامةً ؛ إذ احتلّت المركز السادس في سلّم المدن المذكورة في مشيخة الطبراني .

ثم تتوالى مراكز الإشعاع الثقافي في العراق على النسق التالي : (الموصل ؛ الأبلّة ؛ الانبار) .

* * *

(الشــام)

إن الخارطة الثقافية لبلاد الشام — كما بدت من خلال مشيخة الطبراني — لاتمتاز بالكثافة والتركيز ، بل بالامتداد والانسياح . فبلاد الشام لم تحوِ مركزاً ضخماً تكثّف فيه النشاط العلمي واكتظّ بالعلماء

---

(١) كانت الكوفة أول عاصمة لبني العباس . وفيها تمت البيعة لأبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ .

(٢) البصرة ١٠٢ من الشيوخ ، الكوفة ٤٧ شيخا

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ١٠١-١٠٢

من كل لون ، وإنما ضمَّت مراكز عدة في الداخل والساحل ، وفي الجنوب والوسط وأقصى الشمال ؛ تلك المنطقة التي كانت تسمى الثغور ، حيث اتخذ الصحابة ومَن جاء بعدهم مراكز علمية وحربية بآن واحد ، يقيمون فيها مرابطين في سبيل الله .

ولقد كشفت طبقات ابن سعد عن أن (٢٠٪) من الصحابة الذين تفرقوا في الامصار استقروا في بلاد الشام خاصة ، ثم تدنَّت النسبة في عهد التابعين فغدت تقارب (٨٪) ، ثم عادت الى الارتقاء في مشيخة الطبراني فبغلت (٢٢٫٥٪) أي في المرتبة الثانية بعد العراق[١].

---

(١) كنت قد ميزت ـ اثناء فهرستي لطبقات ابن سعد ـ مابين فترتين في عهد التابعين ومن تلاهم : الاولى قبل ظهور بغداد سنة (١٤٥ هـ) ، والثانية بعد ظهورها وحتى آخر الطبقات التي ذكرها ابن سعد . واضطررت هنا لادماج الفترتين معا ، نظرا لتشابه أحوالهما بحيث أصبح عهد التابعين المذكور أعلاه يغطي ـ على وجه التقريب ـ مابين سنتي (٨٠ ـ ٢٢٥ هـ) . ولا بد من التنبيه كذلك الى أن مشيخة الطبراني في بلاد الشام قد عاصرت الفترة الواقعة مابين سنتي (٢٧٣ ـ ٢٨٠ هـ) .

على أن الارقام التي استنتجتها الدكتورة ملكة أبيض من « تاريخ ابن عساكر » قد سارت في اتجاه آخر ، اذ بيَّنت « أن عدد العلماء ازداد ازديادا واضحا في القرن الثاني ، ولكنه ما لبث أن تناقص في القرن الثالث * » .

ومن المتوقع أن يكون ما ذكره ابن عساكر عن علماء الشام أوفى مما ذكره ابن سعد ، وهو ما يدعو الى التريث في اطلاق الاحكام ، لكن تفسير الدكتورة أبيض للأرقام لديها قد جاء مضطربا بشكل ملحوظ ، اذ قالت : « وقد حصدت الشام في القرن الثاني ثمار الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون والأمويون . وبعد انتقال مركز الدولة الاسلامية الى العراق في خلافة العباسيين بدأت الفعاليات الثقافية والتربوية تتراجع في الشام ، وتجلى ذلك في القرن الثالث بصورة خاصة » .

قلت : إذا كان التراجع قد بدأ بعد انتقال مركز الدولة الاسلامية إلى العراق سنة (١٣٢ هـ) أما كانت تظهر بعض آثاره ، على الأقل ، خلال الثلثين الباقيين من القرن الثاني ؟ ثم كيف تجلت آثاره في القرن الثالث بصورة خاصة ، على حين أثبتت مشيخة الطبراني أن الشام كانت في مطلع الربع الأخير من القرن الثالث في مرتبة متقدمة تلي العراق مباشرة ؟!

أعود فأقول : إن التريث في إطلاق الاحكام في هذا المجال واجب محتم ، وبخاصة اذا عرفنا أن ابن عساكر نفسه قد صرح في مقدمة كتابه الكبير بقوله : « ومع ذلك فمن ذكرت أقل ممن أهملت ** » .

=

ولعل أول ما يلفت الانتباه في مشيخة الطبراني في بلاد الشام ظاهرة تتصل بالحديث عن الطبراني وصلته بموطنه الاصلي ؛ تلك هي أن عدد المدن والقرى التي زارها الطبراني في الشام أو انتسب اليها علماء شاميون قد بلغ رقماً قياسياً بالنسبة الى سائر الاقطار[1] ؛ والحق أن المتتبّع لمشيخة الطبراني يشعر بأن المصنّف كان مدفوعا برغبة قوية الى التنويه بذكر وطنه ومشيخته في وطنه ؛ فهو قد حدّد سماعاته في أنحاء فلسطين ثم في أرجاء الشام تحديداً دقيقاً يشمل الزمان والمكان بحيث أطلعنا بشكل جليّ ومنسّق على تنقلاته بين المراكز الثقافية المتعددة في بلاد الشام ؛ على حين ضنّ بالتحديد نفسه على الاقطار الاخرى ؛ فبدت المراحل الاخيرة من رحلته غامضة يصعب التعرف اليها . ولقد كان الطبراني ، وهو يصنف معجم شيوخه ، قريب العهد من مشيخته في إيران ، ذلك القطر الذي استقرّ فيه ستين عاما من حياته أو تزيد ، ومع ذلك فقد سكت عن بيان أي شيء يتصل بسماعاته تلك ؛ حتى اضطررنا للاستعانة بكتاب أبي نعيم الاصبهاني في « ذكر أخبار أصبهان » للتعرف الى بعض مشيخة الطبراني هناك .

وخلاصة القول : لقد قدّم لنا الطبراني في معجم شيوخه صورةً مشرقة لبلاد الشام وحركتها الثقافية في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري ؛ بشكل لا ينافسه فيه مصدر آخر فيما نعتقد .

= *(انظر الصفحة ٧٢٨ من الكتاب الذي ضم البحوث الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ، وأصدرته وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ، عام ١٩٧٩ م)

** تاريخ مدينة دمشق ج١ / ص ٥

(١) ٤٧ مدينة وقرية ، منها ١٥ في فلسطين ، و٣٢ في سائر بلاد الشام .

● دمشـــق :

ساوت دمشق الكوفة في عدد الشيوخ ؛ فاحتلتا المرتبة الثالثة في مشيخة الطبراني ؛ بعد بغداد والبصرة[1] . كما يلاحظ أنه استقر في دمشق وحدها (٢٦٪) من مجموع المشيخة في بلاد الشام[2] . وهـذا مايمنحها رتبة متقدمة في الشام خاصة ؛ والعالم الاسلامي عامة .

ثم تتوالى المراكز الثقافية في بلاد الشام حسـب الترتيب التالي : « حمـص ، الرملة ، المصيصة ، أنطاكية ، حلب ، الرقة ، طبـرية ؛ صور ، حران ، طرسوس ، عكا ، غزة ؛ عسقلان » . ولقد تشكلت هذه المدن مشاعل نور على خارطة الشام الثقافية في ذلك العصر .

* * *

(إيـــران)[3]

في الفترة الاولى من التاريخ الاسلامي لم يكـن لإيران حظ في الثقافة الاسلامية،ففي طبقات ابن سعد ذكر لستة من الصحابة استقروا في خراسان ، أي بنسبة (١٪) من مجموع الصحابة الذين تفرقوا في الاقطار ، وكذلك كان الشأن في عهد التابعين ؛ إذ لم تزد النسبة على ماذكرنا آنفاً .

---

(١) اما اصبهان فقد تبين أن مشيخة الطبراني فيها موزعة على أكثر من طبقة ، بسبب طول أقامته فيها ، ولذلك فلا مجال للمقارنة بينها وبين غيرها من المدن المذكورة في المعجم .

(٢) وأما ما ذكرته الدكتورة ملكة أبيض عن احصاءاتها التي بينت « أن مدينة دمشق استقطبت أكثر من نصف علماء الشام خلال القرون الثلاثة » فيصح اعتباره دليلا على ما اهمله ابن عساكر من الشيوخ خارج دمشق ، وقد كان متوقعا ان يصرف جل اهتمامه الى دمشق بخاصة ، في كتاب عنوانه : « تاريخ مدينة دمشق ، وذكر فضلها ، وتسمية من حلها من الاماثل ، او اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها » . (انظر الصفحة ٧٣١ من الكتاب المذكور في الحاشية الاولى من الصفحة السابقة)

(٣) استفدت هذا العنوان من كتاب لسترونج « بلدان الخلافة الشرقية » اذ كان شاملا معظم البلدان الوارد ذكرها في معجم شيوخ الطبراني ، مما له صلة بتلك الجهات .

لكن مع بداية العصر العباسي وظهور بغداد طرأ تحسّن ملموس في وضع ذلك القطر ؛ فقد ارتفع عدد العلماء وتعدّدت المراكز الثقافية . فذُكر في الطبقات ثلاثة وخمسون محدّثاً وفقيها موزّعين على خراسان والريّ وهَمَذان وقُم ، أي بنسبة (٦٪) من مجموعهم في الامصار ، وبذلك غدت ايران في المرتبة التالية للشام مباشرة •

ثم ارتقت الارقام صُعُداً في مطلع القرن الرابع الهجري ؛ ففي مشيخة الطبراني ذكْرٌ لـ (٢٢٣) شيخاً في ايران وحدها ، أي أنها فازت بنسبة (٢١٫٥٪) من كامل مشيخة الطبراني ، وبذلك أصبحت في طليعة الاقطار المشاركة في صنع الثقافة الاسلامية بعد العراق والشام •

والظاهر أن هذه الحركة العلمية النشيطة التي بدأت هناك في الشطر الثاني من القرن الثاني ، وتوطّدت أركانها في القرن الثالث . الظاهر أنها استمرت ثلاثة قرون أخرى ، إذ نلاحظ في مشيخة أبي سعد السمعاني (ت٥٦٢هـ)[1] ، وكذلك في مشيخة أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)[2]، أن ايران كانت في مقدمة الاقطار العربية والاسلامية ؛ في علوم الحديث بخاصة • بل تبيّن من دراسة « الاربعين البلدانية » لأبي طاهر السِّلفي (ت ٥٧٦ هـ)[3] أن نسبة المدن الايرانية في تلك الاربعين قد بلغت (٥٧٪)[4]

---

(١) نشر في العراق نسخة مختصرة منها باسم « التحبير في المعجم الكبير » ، وهي في الحقيقة تهذيب للتحبير • انظر مجلة المجمع بدمشق : (مج ٤٨/ ج ٢ / ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ ، ومج ٥٥/ج١/ ص ١٤٩ ـ ١٥١) •

(٢) مصورة في المجمع بدمشق •

(٣) نسخة الظاهرية (مجموع ٧٦/ق : ٦ ـ ٢١)

(٤) هذه النتائج أيدتها الارقام التي ذكرها ناجي معروف رحمه الله في كتابه « عروبة العلماء »

وبهذه المناسبة لا مناص من الاشارة الى ظاهرتين كبيرتين في تاريخ ايران الثقافي :

الأولى ــ هي أن الأهواز امتداد للعراق من الناحية الثقافية :

ظهر ذلك في مشيخة الطبراني بشكل واضح ؛ فالكثافة في المراكز العلمية والكثرة في عدد العلماء في هذه المنطقة ، كلّ ذلك يُلحقها بالعراق وبمناخها الثقافي . ففي الاهواز (٦٧) شيخا موزعين على ثماني مدن ، على حين بلغ عددهم في سائر المدن في ايران (٣٦) فحسب ، أي حوالي النصف ممّن كانوا في الاهواز وحدها . ومن الطريف أن تاريخ وجود الطبراني في الاهواز كان مُلابساً لتاريخ اقامته في بغداد سنة (٢٨٨ هـ).

والثانية ــ هي استعراب ايران في العصر العباسي :

قد يكون في هذا العنوان بعض الغلوّ أو المجازفة ؛ لكنني اخترته للتنبيه الى مبلغ تغلغل العربية في ايران في تلك الحقبة من الزمان .

يظهر للمتأمّل في حركة الفتح الاسلامي في المشرق أنها كانت مُرافقة بتيار من الهجرة العربية ؛ تمثّل في موجات متتالية تصدر من قلب الجزيرة العربية وأطرافها باتجاه الشمال . وقد كانت البصرة والكوفة بمثابة رأس جسر في ذلك التحرك الحربي ؛ تتوقّف عنده القبائل العربية من مُضر وتميم والأزد وعبد القيس زمناً ، ثم تتابع المسير الى خطوط القتال في المشرق ، وهذه بعض أمثلة :

=
المنسوبين الى البلاد الاعجمية ــ في خراسان » (ط سنة ١٩٧٦ م) اذ ذكر في الصفحة (٤٧٧) أن مجموع العلماء في نيسابور والري قد بلغ اوجه في القرون : الثالث والرابع والخامس والسادس من الهجرة .

في السنة التاسعة عشرة للهجرة نزل عثمان أو الحكم بن أبي العاص «تَوَّج» من أرض فارس ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين، وأسكنها عبد القيس وغيرهم[1] .

وفي سنة (٥١ هـ) ولّى زيادُ بن أبي سفيان الربيعَ بن زياد الحارثي خراسان ، وحَوَّلَ معه من أهل المصرَيْن ـ البصرة والكوفة ـ زهاء خمسين ألفاً بعيالاتهم[2] .

وفي سنة (١١٢ هـ) استعمل هشامُ الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن المرّي على خراسان ؛ فأمدَّه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من أهل البصرة،وبعبد الرحمن بن نُعيم في عشرة آلاف رجلٍ من أهل الكوفة[3].

فهذه الهجرة العربية من جانب ، ودخول الايرانيين في دين الله أفواجاً من جانب آخر ، أثمرا في منتصف القرن الثاني للهجرة سبوغ صبغة عربية على تلك الاصقاع . ويبدو أن تلك الصبغة ازدادت عمقاً ووضوحاً في القرنين الثالث والرابع ؛ بحيث أصبحت العربية لغة الثقافة والعلم ، بل لعلها غدت لغة التخاطب في أيام الطبراني ؛ الذي عاش الشطر الاول من القرن الرابع في أصبهان ولم يُحسن من اللغة الفارسية إلاّ ثلاث كلمات .

قال يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدَه في الجزء الذي جمعه في مناقب الطبراني : « سمعتُ مشايخنا رحمة الله عليهم يقولون : سمعنا ممَّن نثق به ونعتمد عليه أن أبا القاسم الطبراني رحمه الله لم يُحسن من كلام

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ط بريل ١٨٦٦ م) : ص ٣٨٦
(٢) المصدر السابق : ص ٤١٠
(٣) المصدر السابق : ص ٤٢٩

الفارسية إلا ثلاثة أشياء ... » ثم ذكر ثلاث كلمات فارسية[١].

ويظهر أن ذلك الوجه العربي للثقافة في ايران قد ظلَّ مُشرقاً هنالك حتى القرن السادس الهجري ، ثم كانت فتنة الغُزّ ونكبة المغول وتدمير تيمورلنك ضرباتٍ متلاحقة دُكّت صرح الحضارة في تلك البلاد وأذهبت ريح العربية في الوقت نفسه[٢] .

● أصـبهان :

كانت أصبهان في مطلع القرن الرابع الهجري مركـزاً ثقافياً كبيراً بالمشرق ، دَلَّ على ذلك عدد الشيوخ الاصبهانيين المذكورين في معجم شيوخ الطبراني ؛ وهو (١٢٠) شيخاً . ولقد أَخَلَّ ــ رحمه الله ــ بذكر تواريخ سماعاته في أصبهان ، فأورثنا بذلك غموضاً حالَ دون معرفة تلك المرحلة الهامة من مراحل حياته العلمية الخِصبة . على أن كتاب تلميذه أبي نُعَيم « في ذكر أخبار أصبهان » سدَّ بعض الثغرات ممّا أخَلَّ به شيخه ، ولقد تبيَّن من المقـارنة بين الكتابين أن المعجم المذكور أصلٌ من أصول كتاب أبي نُعيم ، إذ تَجَمَّع لديَّ من البحث فيهما أسـماء (١١٢) شـيخاً ذُكروا في كلا الكتابين ؛ وقد توزَّعوا بالشكل التالي :

٧٦ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني ومصادر أخـرى .

١٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من معجم الطبراني فحسب.

(١) الورقة ١٣/أ

(٢) انظر عروبة العلماء في المشرق الاسلامي (ط ١٩٧٤ م) : ٧٨/١

٢٣ شيخاً اقتبس أبو نُعَيم ترجماتهم من مصادر أخرى .

ثم تبيَّن من دراسة تواريخ وفيات هؤلاء الشيوخ أن ثمانية وخمسين منهم تُوفوا بين سنتي (٢٩٠ و ٣١٠) أي أنهم أبناء طبقة واحدة . فهذا الرقم الكبير دليل نشاط علميّ عظيم نافست أصبهانُ به دمشقَ وغيرها من أمّهات المدن العربية فغدت مركز إشعاع ثقافي وهّاج .

ولانعلم مدة هذا الازدهار الذي عاشته أصبهان ، لكننا نعتقد أنه دام أمداً بعيداً ؛ فقد تردّد ذكرها كثيراً في القرن السادس ، في مشيختي السمعاني وابن عساكر .

وبعد أصبهان تأتي سبعٌ وعشرون مدينة وقرية ايرانية شاركت في مشيخة الطبراني ؛ كان أبرزها على التوالي : تُسْتَر ، عسكر مُكرم ، الأهواز ، جُنديسابور ، شيراز ، الريّ ، رامَهُرْمُز ، نيسابور ، عبادان ...

* * *

(مصـر)

بلغ عدد الشيوخ المصريين المذكورين في المعجم (١٢٢) رجلاً ، أي ما يعادل (١٢٪) من المشيخة ، وهو مايجعل مصر في عداد الاقطار التي تأتي في الدرجة الثانية في المجال الثقافي في ذلك العصر .

والظاهر أن هذا الدور الثانوي كان ملازماً لمصر فيما سبق ؛ فقد كانت حصّة مصر من الصحابة والتابعين والمحدّثين المذكورين في طبقات ابن سعد ضئيلة ؛ تتراوح بين خمسة واثنين وثلاثة بالمئة من المجموع لكل فئة .

وأول ما يلفت الانتباه في الخارطة الثقافية لهذا القطر هــو كثافة العلماء المذكورين تحت اسم «مصر» ممّا يثير هذا التساؤل : ما المقصود بكلمة مصر ، القطر أم العاصمة ؟

لقد مرّ بنا في طبقات ابن سعد ذكرٌ لمصر فحسب ، أما معجم شيوخ الطبراني ففيه ذكرٌ لمصر ، ودمياط ، وتنّيس ، والجيزة ، وقُلْزُم ، ودَمِيْرَة ، والقنطرة ، وإخميم ، ممّا يوحي بأن المقصود بمصر بلدٌ بعينه ، وهو العاصمة .

يؤيّد هذا الاستنتاج أن أبا طاهر السِّلَفي نزيل الاسكندرية ، الذي أقام بها ستّين سنة (ت ٥٧٦) ، ذكرَ في « الاربعين البلدانية »[1] نه مصر والاسكندرية باعتبارهما مدينتين من المدن التي زارها ، وانتخب من مسموعاته فيها أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً في أربعين مدينة ، ومن الواضح أنه قصد بمصر مدينة القاهرة .

فاذا ما صحّ أن المقصود بمصر في مشيخة الطبراني عاصمة مصر ، فذلك يعني أنها كانت مركزا ثقافيا عظيما يُعد في طليعة المراكز الثقافية في العالم الاسلامي ، كما يعني في الوقت نفسه أن الخارطة الثقافية للقطر المصري تمتــاز بكثافة النشاط العلمي في العاصمة وضـــموره في سائر الاطراف[2] .

بقي أن نشير الى أن مصر كانت منــذ العصور الاسلامية الاولى قاعدة المغرب العربيّ ، إذ تتّجه اليها وفود طلبة العلم من المغاربة ، وفي

(١) انظر التعليق الثالث بحاشية الصفحة ٥٤٢ .

(٢) اجتمع ١٠٤ من الشيوخ في العاصمة ، وتفرق ١٨ منهم في بقية الاطراف .

معجم شيوخ الطبراني بعض أصداء من ذلك . وقد ازداد مركزها هذا رسوخاً مع فشوّ التعريب في أقطار المغرب ، حتى جمع الحافظ السِّلفي في القرن السادس معجماً هو من أجلّ كتبه وأنفسها ، واسمه « معجم السفر » ذكر فيه تراجم الشيوخ الوافدين على مصر من المغرب والاندلس .

وإذا ما أضفنا الى ذلك ما حَلّ بالمشرق الاسلامي والعراق بخاصة من دمار ؛ بأيدي التتار الذين اجتاحوا كالسيل الجارف معالم الحضارة من تلك الديار ؛ تبيَّن أن مصر كانت المؤهَّل الوحيد لاستقطاب النشاط العلمي واستئناف البناء الحضاري في العالم العربي بدءاً من تاريخ سقوط بغداد سنة (٦٥٦ هـ)

* * *

(الحجاز واليمن)

وهما آخر حبات العنقود في منظومة النشاط الثقافي في أواخر القرن الثالث الهجري ؛ إذ بلغت حصيلة رصيديهما معاً (٤٪) من مجموع شيوخ الطبراني .

ويُشير توزُّع المشيخة فيهما الى أن عدد الشيوخ في اليمن يقارب عددهم في الحجاز ، وأن عدد المدن والقرى اليمنية المذكورة في المعجم يعدل ضعفي تلك التي في الحجاز ، مما يكشف عن حركة علمية أصيلة متغلغلة في شعاب اليمن ؛ رغم قلّة الكثافة العددية في الشيوخ .

ولقد أبانت طبقاتُ ابن سعد ـ مع النقص الواضح في بعض الطبقات ـ عن تفوّق الجزيرة العربية بعامّة والحرَمَيْن الشريفين بخاصة في عهد الصحابة والتابعين . إلا أن التراجع بدأ فيما يظهر اعتباراً

من النصف الثاني من القرن الثاني ؛ فقد سجّلت النسبة انخفاضاً واضحاً في عدد الفقهاء والمحدّثين ، وهو ما انتهى في أواخر القرن الثالث الى التدنّي الذي كشفت عنه مشيخة الطبراني •

وأخيراً قد يثب على لسان الباحث ــ وهو يتأمّل تنقّل الطبراني فيما بين مصر والحجاز واليمن ــ هذا السؤال : ترى ؛ هل سلك الطبراني سبيل البحر في الرحلة من اليمن الى مصر أو بالعكس ؟ إنه لو صحّ مثل هذا الفرض لكان مفتاح بحثٍ طريف في الصلات ما بين القطرين الشقيقين في تلك الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي •

* * *

٥ ـ الملحقـات

● توزّع مشيخة الطبراني في الامصار :

١ ـ مشيخته في فلسطين*

	عددالشيوخ
ا ــ سمع في :	
١ ــ طبرية : سنة ٢٧٣ ثم ٢٧٧	١٠
٢ ــ بيت المقدس : سنة ٢٧٤	٤
٣ ــ رَمادة الرملة : سنة ٢٧٤	١
٤ ــ عكا : سنة ٢٧٥	٥
٥ ــ قيسارية : سنة ٢٧٥	٢
ب ــ وسمع في :	
٦ ــ الرّملة	١٨

* القوائم مرتبة على نسق موافق لرحلة الطبراني •

	عدد الشيوخ
٧ ـ غـزّة	٥
٨ ـ يافا	١
٩ ـ أرسُوف (على الساحل ، بين قيسارية ويافا)	١
١٠ ـ سِجلّين (من قرى عسقلان)*	١
١١ ـ عجّس (من قرى عسقلان)	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١٢ ـ عَسْقلان	٥
١٣ ـ حَنْدُرة (من قرى عسقلان)	١
١٤ ـ عَيْنُون (من قرى بيت المقدس)	١
١٥ ـ أيْلَة (على البحر الاحمر)	١
المجموع ٥٧ شيخاً	

٢ ـ مشيخته في سائر بلاد الشام

ا ـ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ـ دمشق : سنة ٢٧٨ ثم ٢٧٩	٤٧
٢ ـ حمص : سنة ٢٧٨	٢١
٣ ـ حلب : سنة ٢٧٨	١٤
٤ ـ أنطاكية : سنة ٢٧٨	١٥
٥ ـ المصيصة : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	١٦
٦ ـ طَرَسُوس : سنة ٢٧٨ (شمال اسكندرون)	٥

* كذا بكسر الجيم وتشديد اللام ـ في المعجم الصغير والانساب واللباب وتاج العروس . وضبطها ياقوت في معجم البلدان : « سحلين » بالحاء المهملة الساكنة .

	عددالشيوخ
٧ ــ سنجار : سنة ٢٧٨ (في الجزيرة)	١
٨ ــ جبلة : سنة ٢٧٩ (في الساحل)	٤

ب ــ وسمع في :

٩ ــ الرقّة	١١
١٠ــ حَرّان (شمال الرقة)	٦
١١ــ الرافقة (متصلة بالرقة)	٢
١٢ــ نصيبين	٣
١٣ــ منبج (شمال حلب)	٢
١٤ــ كفر بيّا (بإزاء المصيصة)	١
١٥ ــ شَيْزَر (بين حماة والمعرّة)	٢
١٦ ــ عِرْقَة (شرقي طرابلس)	١
١٧ــ بعلبك	٣
١٨ــ طَرَطوس	١
١٩ــ جُونية	١
٢٠ــ صُور	٦
٢١ــ صَيْدا	١

ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :

٢٢ ــ بيروت	٤
٢٣ ــ اللاذقية	٢
٢٤ــ أذَنَة (قرب المصيصة)	٢

	عددالشيوخ
٢٥ـ مَلاطية (في أعالي الفرات)	١
٢٦ـ رأس العين (في الجزيرة)	١
٢٧ـ بالس (في الجزيرة)	١
٢٨ جبيل (شرقي بيروت)	١
٢٩ـ عم (قرية بين حلب وأنطاكية)	١
٣٠ـ مَشْغرا (من قرى البقاع)	١
٣١ـ فَوْز (من قرى حمص)	١
٣٢ـ حصن مقدية (قرب درعا)	١

المجموع ١٧٩ شيخاً

٣ ـ مشيخته في مصر

ا ـ سمع في :	عددالشيوخ
١ ـ مصر : سنة ٢٨٠ ثم ٢٨٥	١٠٤
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ دمياط	٤
٣ ـ تَنّيس	٤
٤ ـ الجيزة	٣
٥ ـ قلْزُم (قرب السويس)	٣
٦ ـ دَمِيْرة (قرب دمياط)	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٧ ـ القنطرة	١

٨ ــ إخميم (بالصعيد)	١
٩ ــ بـــرقة	١

المجموع ١٢٢ شيخاً

٤ ــ مشيخته في الحجاز واليمن

ا ــ سمع في :	عدد الشيوخ
١ ــ مكة : سنة ٢٨٣ ثم سنة ٢٨٧*	١٥
٢ ــ المدينة : سنة ٢٨٣	٦
٣ ــ صنعاء : سنة ٢٨٤	١٣
٤ ــ شِبام : سنة ٢٨٢* (قرب صنعاء)	١
ب ــ وسمع في :	
٥ ــ جُـــدّة	١
٦ ــ زَبِيـــد (باليمن)	٢
٧ ــ الكدراء (باليمن)	١
ج ــ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
٨ ــ مَعَـــين	١
٩ ــ جَنَـــد	١
١٠ ــ دَبَـــر	١
١١ ــ عـــدن	١

المجموع ٤٣ شيخاً

* هذه الارقام محل نظر ، انظر ص : ٥٣٢ ــ ٥٣٣

٥ ـ مشيخته في العراق

	عدد الشيوخ
ا ـ سمع في :	
١ ـ بغداد : سنة ٢٨٦* ثم ٢٨٧ ثم ٢٨٨	١٩٩
ب ـ وسمع في :	
٢ ـ البصـرة	١٠٢
٣ ـ الكوفة	٤٧
٤ ـ واسـط	٣٠
٥ ـ الأُبُلَّة	١٠
٦ ـ الانبـار	٨
٧ ـ سُرَّ من رأى	٤
٨ ـ بَلَـد (شمال الموصل)	٢
٩ ـ قصر ابن هُبيرة (بجوار بغداد)	٢
١٠ ـ الحديثة	١
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :	
١١ ـ الموصل	١٢
١٢ ـ المدائـن	٢
١٣ ـ بابَسير (من قرى واسط)	١
١٤ ـ عُكبـرا	١
	المجموع ٤٢١ شيخاً

* استفدتُ هذا الرقم من كتاب « تسمية من يُروى عنه من أولاد العشرة » لعلي بن المديني (نسخة الظاهرية ـ ق : ٦٩/ب) ، ثم ثبت لدي بمقارنة ما في المعجم للصغير (٢/٤٨) مع ما ذكره ابو نُعَيم في اخبار أصبهان (٢/٢٢٧)

٦ ـ مشيخته في ايران والمشرق

		عدد الشيوخ
ا ـ سمع في :		
١ ـ عسكر مُكرم : سنة ٢٨٨*		١٤
٢ ـ أصبهان : سنة ٢٩٠ ثم ٢٩٥**		١٢٠
ب ـ وسمع في :		
٣ ـ جنديسابور	في الاهواز	٨
٤ ـ عبادان	في الاهواز	٤
٥ ـ شيراز (عاصمة فارس)		٨
٦ ـ أرَّجان		٢
ج ـ وسمع من شيوخ منسوبين الى :		
٧ ـ تُسْتَر	في الأهواز	٢٤
٨ ـ الأهواز	في الأهواز	١١
٩ ـ رامَهُرْمُز	في الأهواز	٤
١٠ ـ مَنُوث	في الأهواز	١
١١ ـ إيذج	في الأهواز	١
١٢ ـ فارس	في فارس	١
١٣ ـ فسا	في فارس	١
١٤ ـ تَوَّز	في فارس	١
١٥ ـ إصطخر	في فارس	١

* هذا الرقم من سير اعلام النبلاء : مج ١٠/ل ١٧٤

** هذا الرقم محل نظر ، انظر (ص ٥٣١)

		عددالشيوخ
١٦ ـ كيش (جزيرة بين عُمان وفارس)		٢
١٧ ـ الـري ّ		٥
١٨ ـ الباطُرقان	في الجبال	١
١٩ ـ أسفيذن	في الجبال	١
٢٠ ـ الدينور	في الجبال	١
٢١ ـ برديج		١
٢٢ ـ نيسابور		٣
٢٣ ـ مـرو	في خراسان	٢
٢٤ ـ بَلْـخ	في خراسان	٢
٢٥ ـ فِرياب	في خراسان	١
٢٦ ـ نَسـا	في خراسان	١
٢٧ ـ بَغْشـور	في خراسان	١
٢٨ ـ سِجستان		١

المجموع ٢٢٣شيخاً

* * *

● توزّع الصحابة والتابعين والمحدّثين في الامصار
مستخرج من فهارس طبقات ابن سعد (الاجزاء : ٥ و ٦ و ٧)

أ ـ توزع الصحابة :

في المدن والاقاليم

١ ـ الكوفة	١٥٠
٢ ـ البصرة	١٥٠
٣ ـ الشام	١١٤
٤ ـ مكة والطائف	٨٧
٥ ـ مصر	٣٢
٦ ـ اليمن	٢٧
٧ ـ البحرين	٢٥
٨ ـ اليمامة	٦
٩ ـ خراسان	٦
١٠ ـ الجزيرة	٥
١١ ـ المدائن	٢
المجموع	٦٠٤

في الاقطار

١ ـ العراق	٣٠٢
٢ ـ الحجاز واليمن والبحرين	١٤٥
٣ ـ الشام والجزيرة	١١٩
٤ ـ مصر	٠٣٢
٥ ـ خراسان	٠٠٦
المجموع	٦٠٤

كشف بالنّسب*

١ ـ العراق	٥٠٪
٢ ـ الحجاز واليمن والبحرين**	٢٤٪
٣ ـ الشام والجزيرة	٢٠٪
٤ ـ مصر	٥٪
٥ ـ خراسان	١٪

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .
** هذه النسبة تمثل الصحابة الذين توزعوا في انحاء الجزيرة العربية ، باستثناء المدينة المنورة .

ب ـ توزع التابعين قبل ظهور بغداد :

في المدن والاقاليم

١ ـ الكوفة	٦١٧
٢ ـ المدينة المنورة*	٤٠٥
٣ ـ البصرة	٢٨٠
٤ ـ مكة والطائف	١١٠
٥ ـ الشام	٩٩
٦ ـ مصر	٢٦
٧ ـ اليمن	٢٠
٨ ـ الجزيرة	١٥
٩ ـ خراسان	١٤
١٠ـ واسط	٧
١١ـ اليمامة	٦
١٢ـ المدائن	٥
١٣ـ أيلة	٢
١٤ـ تونس	١
المجموع	١٦٠٧

في الاقطار

١ ـ العراق	٩٠٩
٢ ـ الحجاز واليمن	٥٤١
٣ ـ الشام والجزيرة	١١٤
٤ ـ مصر	٠٢٨
٥ ـ خراسان	٠١٤
٦ ـ تونس	٠٠١
المجموع	١٦٠٧

كشف بالنسب**

١ ـ العراق	٥٦٪
٢ ـ الحجاز واليمن	٣٤٪
٣ ـ الشام	٧ ٪
٤ ـ مصر	٢ ٪
٥ ـ خراسان	١ ٪

* سقط من المطبوعة : الطبقتان الرابعة والخامسة من طبقات المدنيين ، انظر طبقات ابن سعد ٥/٤٠٨ ـ ٤٠٩

** النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

ج ـ توزع الفقهاء والمحدثين : من ظهور بغداد سنة ١٤٥ هـ وحتى سنة ٢٣٠ هـ:

في المدن والاقاليم

١ ـ الكوفة	٢٣٧
٢ ـ بغداد	١٦٥
٣ ـ البصـرة	١٥٢
٤ ـ المدينـة	٠٧٤
٥ ـ مكـة	٠٤٢
٦ ـ خراسـان	٠٤٢
٧ ـ الشـام	٠٣٩
٨ ـ الجـزيرة	٠٢٤
٩ ـ واسـط	٠٢٣
١٠ـ مصـر	٠٢٢
١١ـ الثغور الشامية	٠١٩
١٢ـ اليمـن	٠١٤
١٣ـ الري وهَمَذان وقم	٠١١
١٤ـ اليمـامة	٧
١٥ـ أيلـة	٧
١٦ـ المدائـن	٤
١٧ـ الانبـار	٣
١٨ـ الاندلس	١
المجموع	٨٨٦

في الاقطار

١ ـ العراق	٥٨٤
٢ ـ الحجاز واليمن	١٣٧
٣ ـ الشـام	٠٨٢
٤ ـ ايـران	٠٥٣
٥ ـ مصـر	٠٢٩
٦ ـ الاندلس	٠٠١
المجموع	٨٨٦

كشف بالنِّسَب*

١ ـ العـراق	٦٦٪
٢ ـ الحجاز واليمن	١٦٪
٣ ـ الشام	٩٪
٤ ـ ايـران	٦٪
٥ ـ مصـر	٣٪

* النسبة مقربة الى الاعداد الصحيحة .

التعريف والنقد

مجلتان تاريخيتان

الدكتور شاكر الفحام

– ١ –

في غمرات الصراع الدولي الراهن ، لعله لم تعان أمّـــة من الامم ما عانته وتعانيه الامة العربية من وطأة الاستعمار والامبريالية والصهيونية. لقد بدأت الامة العربية صراعها الدامي العنيف مع الاستعمار الغربي في التاريخ المعاصر منذ أن قام بعدوانه السافر الغادر على بلاد الجزائر واحتلها عام ١٨٣٠ (١٢٤٦ هـ)[١] . ثم امتد الصراع امتـــداد هذا الاستعمار الغربي الذي ألقى بظله الثقيل البغيض على البقاع العربية قطراً فقطراً، يستغلها ويستنزف ثرواتها ، حتى كاد يشمل الارض العربية كلها. وناضل العرب النضال الطويل المرير ، وطرقوا بأيديهم المضرجة أبواب الحـــرية مائة عام أو تزيد ، وظفروا بعد التضحيات الجسام بالاستقلال : رفعـــت سورية العربية رايته الاولى حين جلا المستعمر الغاصب عـــن أرضها في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦ م ، ولم يستطع الاستعمار وقف اندفاع أخواتها العربيات التي تسعَّرت أرضها ناراً عليه ، وانسحب من الارض العربية : مكرها ، مغلوبا على أمره .

وراع الاستعمار الذي مزق شمل الامـــة العربية دهراً ، وعاث في

(١) كانت طلائع هذا التعدي الاستعماري على البلاد العربية في التاريخ المعاصر قد أطلت برؤوسها البشعة يوم جاس نابليون بجيوشه ديار مصر والشام ، وفي ركابه أدلاء الصهيونية ، فارتد على عقبيه مذموما مدحورا .

أرضها فساداً ، ونهب خيراتها ، وأثار كل النزعات الضـالة ، والنزوات المنحرفة ، والاهواء الشريرة ، أن يشهد مولد الفتوة العربية من جديد ، تتفتح للحياة الحـرة الكريمة ، وتجاهد التفرقة والتجزئة لترسي أسس الوحدة ، وتعمل ليل نهار جادّة نشيطة لتقضي على التخلف والجمود ، وتسعى يحدوها المثلُ الاعلى لبناء الحضارة العربية الحديثة ، وملءُ عينيها وفيض قلبها التفاؤلُ والامل ، يقترنان بالعزم والتصميم في ارادتها . واندفعت الامبريالية المذعورة ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية ، لتنزل بالامة العربية ضربتها القاصمة، تريد لها ألا تنهض بعدها . وتعاونت الاطراف الحاقدة ، وتكالبت على الامة العربية ، لا يصدّها رادع من خلق ، ولا وازع من ضمير ، ولا مسكة من شرف ، حتى أقامت دولة العـدوان الشريرة العنصرية في قلب الوطن العربي ، تمزقه وتنهكه وتشرد أبناءه ، وتحول دون وحدته وتقدمه وعودته الى ساحة الحضارة الانسانية . لقد كان همّ الاستعمار والامبريالية الاول هو ألا يسمحا للعرب بالتحرر والوحدة ، وأن يعوقا ، بمختلف الوسائل والاساليب ، كل خطوة عربية نحوهما .

يقول الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت١٣٣٥ هـ/١٩١٦–١٩١٧م) في كتابه: (حليـة البشر) ، وهو يتحدث عن أعمال محمـد علي باشا والي مصر واصلاحاته وهزيمته الدولة العثمانية : « فنشأ في مصر جيل جديد ، وعصر جديد ، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة ، فافتتح النوبة وسنار ، واستولى على الشام والحجاز .. بل امتدّ بالاستيلاء الى قرب الآستانة في الاناطولي ، ... فتعصب الانكليز الى الدولة [العثمانية] في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من انشاء دولة اسـلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر ، ... فلذلك حاربته انكلترا مع

الدولة العثمانية التي هي اذ ذاك على ضعف شديد ... فقهروا محمد علي، ولكن لاتمام مقاصد انكلترا لم تسمح للدولة [العثمانية] بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا ، فكان الاوفق لها ابقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كلٌ من الجهتين ... »[1] .

بهذه الكلمات القليلة المعبرة رسم الشيخ البيطار أفاعيل الاستعمار الحاقد على الامة العربية ، وكشف عن مطامعه وغاياته منذ مطالع النهضة العربية . وهاهي ذي الامة العربية اليوم تستقبل القرن الخامس عشر الهجري،وهي تواجه أقسى مرحلة تمرُّ بها في تاريخها ، قد أنشب الاستعمار الظالم ، وفي طليعته الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية ، مخالبه في جسدها ، يريد أن يمزقها أشلاء ، وداس بقدميه كل القيم الروحية والمبادىء الخلقية ، وتنكر لحقوق الانسان أبشع تنكر ، فعمل وساعد على طرد شعب فلسطين العربي من أرضه ، وسلبه وطنه ليحل محله غرباء معتدون أتوا من أقاصي البلاد ، لا يربطهم غير الحقد والجشع ، يتابعون العدوان والسلب، ولا يلقون غير التشجيع والتعزيز والعون من الاستعمار .

ان هذا الموقف الموجع الفاجع الذي فرضته الامبريالية الامريكية والصهيونية على الامة العربية تريد أن تذلها وتسكتها لن يطول أمده ، أمام ارادة الجماهير العربية المتحفزة لحريتها ووحدتها ، المندفعة أبدا تناضل في كل ميدان وساحة : تحارب التخلف وما يجرُّ اليه ، وتحثُّ على التقدم وما يتطلبه ، تدعو العلماء أن يتبتلوا في محاريب العلم والتكنولوجيا ليضعوا ثمرات بحوثهم فى خدمة المجتمع العربي وتطوره ، تهيب بذوي الاقلام ورجال الفكر أن يقفوا نفوسهم وطاقاتهم لحشد قوى الامة ،

(١) حلية البشر ٣ : ١٢٤١ ـ ١٢٤٢ .

ولخدمة أهدافها ، تنادي رجال الحرب أن يعدوا العدة للدفاع عن الوطن، والذود عن الحمى ، شعارها : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) • انها تريد أن تخوض معركتها الضارية مع الاســتعمار بكل وجوهها ومتعدد مناحيها[1] ، قد جندت لها كل أسلحتها ، كل ما قدرت عليه وأطاقته ، واجتثت من طريقها كل المثبطات والمعوقات التي زرعها الاستعمار والتخلف• وسيكون حليفاً قوياً لها في معركتها الكبرى الحق ومنطق التاريخ يؤيدانها في مطالبها ، ويستجيبان لها في نضـالها العادل المرير • لقد دنت ســاعة الخلاص ، وأذن شروق الفجر ، والويل لمن يحاول وقف مسيرة الشعوب نحو حريتها ، وحقها في الحياة والكرامة •

— ٢ —

من هذا المنطلق أتطلع الى مظاهر النشاط الثقافي العربي ، وبهـذا المنطلق أرصده وأتتبعه • أرفض كل ما لا يندرج في مضمونه أو يخالف عن غايته وهدفه ، وأتقبل بالرضا والارتياح كل ما يعمل على ترسـيخ الاصالة العربية والهوية القومية ، ويشقُّ طريق التقدم ، ويهيىء النفس العربية للتفتح والابداع ، ويغذي روح النضال والتفاؤل لتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الحر الموحد •

ـ وفي هذا الاطار تتابع الحركة الفكرية الثقافية التي تدعو الى اعادة كتابة التاريخ العربي كتابة منهجية ناقدة ، تستوحي المبادىء والنظريات

(١) اذا كانت المعركة العربية الاولى مع الاستعمار والامبريالية في التاريخ المعاصر قد بدأت عام ١٨٣٠ م باحتلال المستعمر الفرنسي أرض الجزائر لتنتهي في عام ١٩٦٧ م بطـرد المسـتعمر الانكليزي من اليمن الجنوبي ، فان معركة العرب الثانية مع الامبريالية والصهيونية تدور رحاها على أرض فلسطين الطاهرة ، وسيواصل العرب كفاحهم في سبيل حريتهم واستخلاص أرضهم حتى يتحقق النصر وتندحر الامبريالية والصهيونية • وان للباطل جولة ثم يضمحل •

التي أفضت اليها التجربة التاريخية العالمية ، حصيلة هذا التطور الانساني العظيم في الفكر والفلسفة وصناعة التاريخ ، ويتوافر لأصحابها كل الصفات والشروط ؛ وتتهيأ لهم كل الوسائل والادوات التي يطالب بها (النقد التاريخي) مما يتيح لنا معرفة الماضي العربي معرفة صحيحة صادقة ، تنفي كل ما سطّر حول تاريخنا من الزيف والتحريف ، وتزيح كل ما علق به من الخرافة والاباطيل ؛ وتنفذ الى الخفي المستتر الذي كان المحرك الفعال في الاحداث والوقائع ، تكشف عنه وتحدد دوره ، بدل الانخداع بالمظاهر الطافية على السطح .

ـ وأعرض هنا لمجلتين تاريخيتين هما أحدث ما صدر في هذا الباب :

أما المجلة الاولى فهي مجلة البحوث التاريخية التي يصدرها مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي . اطلعتُ على أعدادها الثلاثة الاولى (وهي عددا عام ١٩٧٩ ، والعدد الاول لعام ١٩٨٠) ؛ واذا كان الحافز المباشر لانشاء مركز البحوث والدراسات واصدار مجلته التاريخية انما هو قلة الكتب المؤلفة في تاريخ ليبيا ، وكثرة التحريف والخطأ في المؤلف منها (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٩ــ١٢) فإن المجلة قد خرجت منذ عددها الاول على هذا الاطار الضيق ، ودعت دعوة صريحة الى أن تلتقي على صفحاتها « أقلام المختصين في مغرب الوطن العربي ومشرقه ؛ وغيرهم من أجانب ، المهتمين بالدراسات التاريخية العربية الاسلامية والعالمية ، لنعمل جميعا بأمانة ومنهجية على خدمة البحث العلمي،وترقية الدراسات التاريخية». (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٧ ، ٨) .

لقد أرادت المجلة أن يعالج المختصون على صفحاتها موضوعات التاريخ العربي بنظرة جديدة ، هدفها البحث عن الحقيقة التاريخية ، مما

يهيىء للمشاركة الجادة في اعادة كتابة التاريخ العربي « على أسس علمية ومنهجية سليمة » ، ويجنبنا الاخطاء التي ارتكبها المؤرخون الغربيون ومن سار على دربهم بحق تاريخنا عمدا وبغير عمد ٠ وفي مقالة : (لمـاذا كتابة التاريخ ؟) أبان الدكتور محمد الطاهر الجراري المحاولات الانسانية في كتابة التاريخ ، والمراحل التي مرت بها ، والتجارب التي عاناها المؤرخون والمفكرون في سبيل الوصول الى الحقيقـة التاريخية (المجلة ، ع ١ ، س ١ : ٨٣ ــ ٨٦) ٠

ونظراً لقيام مركز البحوث في ليبيـا فقد كانت أكثر موضـوعات العددين الاول والثاني مستمدة من التاريخ الليبي مثل : منظمة «تشكيلاتي مخصوصة » السرية ودورها في الجهاد الليبي ، حملة رمضان باي على غدامس ، حركة الترجمة في ليبيا ، الطريق من طرابلس الى فزان ، روفلس وليبيا (مترجمة) ، الوثائق العثمانية كمصـدر لتاريخ ليبيا الحديث ، منطلقات نظرية في منهجية التاريخ الليبي ، آفاق جديدة حول كتابة التاريخ الليبي ٠ وقام الى جانبها بحوث من مثل : جبل طارق ، نحو مفهوم للحضارة الاسلامية ، وهو أمر قد نبهت اليه المجلة في افتتاحية العدد الاول ، فقد ذكرت أن « معظم مادة هذا العدد ان لم تكن كلها تتعلق بتاريخ ليبيا »، وبعد أن بينت مردّ ذلك أهابت بكل « البحاثة والدارسين في تاريخ الشمال الافريقي والعربي خاصة والاسلامي والعالمي عامة » أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم ، لان المجلة قد فتحت صفحاتها لهم جميعا مرحبة ٠ ثم بدا شيء من التوازن في مقالات العدد الاول من المجلة لعام ١٩٨٠ ، فظهرت فيه مقالات مثل : امارة عربية أندلسية في جزيرة اقريطش ، الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر الهجري ، الصلات التاريخيـة

والحضارية للعرب قبل الاسلام ، مما كشف عن وجه المجلة العربي ، وأبان ملامحه جلية واضحة . وعززت مقالة : حول تحرير التاريخ من الفكـر الاستعماري (المجلة ، ع ٢ ، س ١ : ٥١ـ٦٣) الفكرة التي تنادي بها المجلة بشواهد جديدة بغية العمل على انتزاع الفكر الاستعماري المترسب في ثقافتنا وقيمنا ...

وتمشياً مع هدف المجلة ، وتحقيقاً لغايتها التي رمت اليها في كتابة التاريخ العربي كتابة علمية نقدية ، فقد أوضحت المجلة في صدر عدديهـا (الثاني لعام ١٩٧٩ ، والاول لعام ١٩٨٠) أنماط البحوث التي تؤثر نشرها، وتفضلها على ماسواها . وأفردت المجلة في صفحاتها بابا لمراجعات الكتب التاريخية الصادرة حديثـا وتقويمها ، مثل كتـاب لمحات عن الاوضاع الاقتصادية في ليبيا في أثناء العهد الايطالي،كتاب خلاصة النازلة التونسية، تاريخ المغرب ــ محاولة في التركيب ، المشرق العربي والغرب .

ــ اننا مـع المجلة في خطتها التي أعلنتها في تقـدير آراء الآخرين واحترامها ، وفي اعتمادها الحوار العلمي الهادىء ، في جو من النزاهة والصراحة ، لمناقشة وجهات النظر ، وتلاقيها ، وعرفان بعضها بعضا (المجلة، ع ١ ، س ١ : ٧) ، فهذا النهـج هو وحده الكفيل بنتاج فكـري خصب يدنو بالمجلة من الهدف،ويضمن لها النجاح في تأدية رسالتها التي نصبت نفسـها لها .

ــ واننا نؤيد المجلة في دعوتها الرامية الى كتابة التاريخ العربي بنظرة جديدة تنشد الحقيقة ، وترمي الى تنقية تاريخنا مما علق به من مفتريات كاذبة ، أو ما خالطه من خرافات ومزاعم باطلة ، وتجنبنا المزالق التي زلت

بها أقدام مؤرخين باحثين سابقين ضلوا عن الطريق ، اذ تعمدوا تشويه وجه الحق ، أو غمّ عليهم تبينه .

ويقتضيني القول أن أشير هنا الى أن هذا النهج العلمي القومي الذي التزمت به المجلة دقيق ، بالغ الصعوبة ، يتطلب كثيرا من الحيطة والروية والاناة . فقد تجمح بعض الاقلام وهي تعالج موضوعا يتناول قطرا من أقطار العروبة ، فتنغمس في موضوعها انغماسا تغيب معه عنها صـورة الوحدة العربية التي يندرج القطر حضاريا وثقافيا في منظومتها ، وتتناسى التفاعل الحي المتبادل بين هذه الاقطار العربية ، فاذا هي تنزلق في الاقليمية البغيضة التي تخالف عن حقيقة مسيرة التاريخ العربي ، ولا تتفق مع هدف المجلة . دع عنك تلك الاقلام التي لاتؤمن بوحدة العروبة مكابرة وانكاراً، ولا تستمد من هذا المداد فيما تسطره من صفحات . فمن الخير أن تدقق المجلة كل التدقيق حتى لا نقرأ كلاما بعيدا شديد البعد عـن الحقيقة التاريخية ، ويضاد مقاصد المجلة والغايات التي تروم بلوغها .

كذلك فان هذا الموقف الناقد الذي تقفه المجلة من المؤلفات المسطورة في التاريخ العربي ، وما شابها من الاهواء التي انحرفت بها عن الجادة ، ودعوتها الى اعادة النظر لكتابة التاريخ العـربي كتابة تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتستمد مادتها من الوثائق والنصوص الاصيلة الاساسية قد يؤدي ببعض الباحثين أن ينقلب عملهم من بحث عن الحقيقة ومعرفة الماضي كما وقع ، بقوته وضـعفه ، بابداعه وعقمه ، الى محاولة لتمجيد الماضي والدفاع عن كل ما فيه ، واختيار النصوص والوثائق التي تساند مثل هذا الاتجاه المتعصب ، ذي الافق الضيق ، المجانب للنظرة العلمية . أنه حقا موقف مثل حد السيف دقةً وصعوبةً ، يتطلب ما يتطلب من الجهد

والمثابرة والمتابعة والحوار والمراجعة لنظل معصمين بسكّان السفينة[1] لانفارقه ، ماضين على الجادة •

هل يحسن أن أتحدث عن الحلة القشيبة التي ظهرت بها المجلة ، وأن تعاوناً وثيقاً قد تمَّ بين مركز الدراسات والبحوث وجامعة حلب التي تولت طباعة أعداد المجلة الثلاثة ، فأحسنت طباعتها واخراجها • لقد نوَّهت المجلة بهذا التعاون المثمر الخير الذي نرجو أن يؤتي أكله أضعافا مضاعفة (المجلة: عدد حزيران ١٩٧٩ : ٥ ؛ عدد كانون الثاني ١٩٨٠ : ١٦١) •

لانملك الا أن نرى في الاعداد الثلاثة من مجلة البحوث التاريخية باكورة طيبة لجنى نرجو أن يوافينا وخياره فيه ، وأن تمضي المجلة في طريقها القاصد الى هدفها ، تحدوها الرغبة في المشاركة بكتابة التاريخ العربي كتابة تجلو صورته بكل قسماتها وسماتها ، تتلألأ بنور الصدق والحق •

-٣-

أما المجلة التاريخية الثانية فهي مجلة (دراسات تاريخية) ، وهي مجلة علمية فصلية تُعنى بالدراسات حول تاريخ العرب ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق • وهي لجنة هدفها الاول أن يكتب تاريخ العرب في موسوعة كتابة منهجية ناقدة ، ولعله يحسن أن نوطّىء للحديث عن هذه المجلة وخطتها ونهجها بكلمة قصيرة نوجز بها الوقائع التي أفضت لصدورها •

ـ بدأت القصة بدأها المنطقي ، فتاريخ العرب لم يكتب على حقيقته حتى اليوم • لقد استطاع المؤرخون الغربيون ذوو النزعة الاستعمارية ،

(١) سكان السفينة : الخشبة التي تعدل بها السفينة في سيرها •

وأضرابهم ممـن لاذ بهم وسلك مسلكهم ، أن يشوهوا صورة التاريخ العربي ، وأن ينفثوا من سمومهم وأكاذيبهم ما يرضي مطامعهم الجشعة ، ويلبي مآربهم الاستعمارية الخبيثة . كان كل عربي يمضه الالم وهو يقرأ ما لفقه الغربيون الاستعماريون ومن مشى في آثارهم ، وينتظر القلم الحر الذي ينشد الصدق ، ويستوحي في كتابته المنهج التاريخي الناقد ، ويصور الماضي بملامحه وقسماته دون تزيد أو تحريف . كذلك فقد عانى التاريخ العربي ماعانى من ذوي النزعات الاقليمية ، والنظرات السياسية الضيقة المتعصبة،ومن التقليديين المحافظين وأصحاب الثقافات المحدودة الذين لم يخالطوا روح العصر ، ولم تسهم ثقافته إلا مساً رفيقاً لا يجاوز السطح . لقـد أخطؤوا جميعـا ، وحرّفوا وجانبوا الحق ، وأرهقوا التاريخ ، استجابة لنزعاتهم الخاصة وأهوائهم ، ونظراتهم السياسية والعقائدية . ولا ينكر منكر مالتلك البقية الباقية من المؤرخين العرب ومن الاجانب المنصفين الذين عالجوا التاريخ العربي بروح ناقدة نزيهة ، تبغي الحقيقـة ، وتعتمد في بحوثها النظرة التاريخية المنهجية ، وتتثبّت من النصـوص والوثائق التي تستمد منها أحكامها . ولم يكن بد من مبادرة علمية تضم كل هذه الجهود العربية ، وتنسق بينها لتعمل جميعاً وفق خطة مرسومة مدروسة ، للنهوض بهذه المهمة الكبيرة ، مهمة كتابة التاريخ العربي في موسوعة تستجيب لهذه الرغبة العميقة في معرفة الماضي المعرفة الصحيحة ، وابراز الجانب الحضاري الذي طال تناسيه ، وفي تبين التيارات الاساسية التي حركـت أحداثه ، والاسباب العميقة التي تفسر وقائعه ومساقاته في نهضاته الحضـارية وابداعه وفيضه ، وفي تصديه وتوقفه وعقمه . وبدأت اجتماعات متتالية في دمشق، ضمت حلقاتها المؤرخين والمفكرين القوميين والباحثين ، وكانت مشاركات

جادة خصبة منتجة بلغت ذروتها وأوجها في عام ١٩٧٦ ، وقد لقيت هذه المبادرة العلمية التشجيع والتأييد من القيادة السياسية ومن جميع المؤسسات الثقافية والعلمية في القطر العربي السوري .

وانتهت الاجتماعات الى تشكيل لجنة تحضيرية قامت بتلخيص النظرات التي أثارتها المناقشات الخصبة الجادة ، ودلت على الخطوط الاساسية لمراحل التاريخ العربي ، وعرضت بإيجاز للمنطلقات ومبادىء العمل : ثم ضمت ذلك كله في كراس أصدرته بعنوان (مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ـــ دمشق ١٩٧٦) ، ووزعته على المهتمين والمعنيين بالفكرة في مختلف الاقطار العربية ليكون ورقة العمل ، ومنطلق المناقشة في ندوة موسعة يدعى اليها المؤرخون والباحثون العرب ، يثغنون في اجتماعهم وحوارهم متضمن المشروع ، ويستكملون جوانبه النظرية والعملية . وجرت اتصالات ومشاورات مع المؤرخين والمفكرين العرب ، وانعقدت الندوة بدمشق في (٢٠ــ٢٢) كانون الاول ١٩٧٧ ، وحضرها علماء مختصون من مختلف الاقطار العربية، ونوقش المشروع المطروح مناقشة مستفيضة أغنته وأضافت اليه اضافات قيّمة . وكان لتبادل وجهات النظر وتقليب الآراء أثره الواضح في الصيغة التي انتهى اليها المشروع المقترح . ورأت اللجنة التحضيرية أن النتائج التي أسفرت عنها المناقشة لها شأنها وأثرها في تحديد النهج الذي سيعتمد لكتابة التاريخ ، واستشفاف خطوطه الكبرى ومنطلقاته . وكان من أبرز توصيات الندوة « اصدار مجلة (دراسات تاريخية) تكون محكاً للافكار ، وميداناً لعرض الآراء الجديدة كيما يثبت الصحيح منها بعد مناقشته » . واستجابت جامعة دمشق ، ووكلت الى لجنة كتابة تاريخ العرب بالجامعة مهمة اصدار المجلة .

ـ كان أول أعمال لجنة الاشراف على المجلة أن أصدرت عددا تمهيديا من المجلة عام ١٩٧٩ ، يتضمن : مشروع اعادة كتابة تاريخ العرب ، الذي أعدته اللجنة التحضيرية (ص : ٦ـ٣٦) ، ويتلوه أعمال ندوة كانون الاول ١٩٧٧ ، وتشمل المناقشة العامة التي شارك فيها جميع المنتدين (ص : ٣٧ ــ ٤٣) ، ثم ما قامت به اللجان الاربع المنبثقة عن الندوة (ص : ٤٤ ــ ٧٠) • وكان صدور هذا العدد التمهيدي ضروريا للتعريف بهذا المشروع الهام ، واطلاع المؤرخين الباحثين والجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي على مناقشات الندوة ، وما انتهت اليه من توصيات ومقترحات ، تفتح الآفاق لعمل علمي وقومي له شأنه وأهميته وضرورته في الحيــاة الثقافية العربية ، وفي احلال التاريخ العربي مكانته التي هو جدير بها في تاريخ الانسانية • .

وصدر بعد ذلك عددا آذار وحزيران ١٩٨٠ ، ولم تكن الغاية من اصدار مجلة (دراسات تاريخية) أن تضاف مجلة تاريخية جديدة الى تداد المجلات التاريخية العربية الاخرى • كان من الواضح البيِّن ، وهدف المجلة مستمد من توصيات الندوة ومحدد بها ، أن غايتها الاساسية هي أن تمهد وتوطىء وتخلق الظروف الملائمة لتيسير كتابة التاريخ العربي ، هي أن تلتقي على صــفحاتها أقلام الباحثين والدارسين مــن المؤرخين والمفكرين ، يتعارفون ويتلاقون حول فكرة من أعز الافكار على نفوسنا، وألصقها بقلوبنا ، يناقشونها ، ويقلبون جوانبها ، وينيرون بآرائهم طريق المجلة ، ويساعدون في طي المراحل الممهدة لبلوغ الهدف المرتجى • وحرصاً من المجلة على تحقيق غرضها ، والوصــول الى مقاصدها فقد رغبت الى المؤرخين والمؤلفين أن يوافوها ببحوثهم وآرائهم التي تندرج في هــذا

الاتجاه الذي تدعو اليه وتعمل له ، وهو اتجاه ذو ثلاث شعب :

١ ــ أن يتناول البحث أو الدراسة فكرة كتابة التاريخ العربي في موسوعة واحدة ، تستوحي مبادىء النقد التاريخي ، وتكشف عن صورة الماضي بكل سماتها وقسماتها . أوليس من الخير كل الخير أن يتاح للاقلام جميعا مناقشة هذه الفكرة : هدفاً ومبادىء عمل ؛ مناقشة تغنيها وتكشف عن خصوبتها ؛ وتوسع من جوانبها ؛ وأن تعرض بالتالي لهذه الآراء والانظار التي طرحتها ندوة دمشق تتعمقها ، وتقلب وجوهها لتصل الى مقطع الحق فيها .

٢ ــ أن يعالج الباحث أمر دعوة المؤرخين القادرين الكفاة ؛ والمؤسسات الجامعية والعلمية لتعاون يضمهم ويجمع بينهم ؛ ويضع الخطط الكفيلة بالافادة من قدراتهم ليتوزعوا هذا العمل العظيم ، وينهضوا بهذه المهمة ، مهمة التأليف والكتابة والمراجعة ، وفق منهج مدروس ، يضمن التنسيق في الجهود ، والدقة في العمل ، والانجاز في المهل المحددة. والمجلة ترحب بكل مقترح في هذا المضمار يساعد على السير خطوة الى الامام ، ويهيىء الوسائل الكفيلة بانفاذ الخطة أو التعجيل بانفاذها ؛ حتى تستقيم لها الطريقة المثلى في هذا العمل البنّاء .

٣ ــ أن يقدم الناقد الباحث موضوعا جديدا أصيلا ينسجم مع هدف المجلة ؛ أو يثير حوارا في موضوعات التاريخ العربي . ان كل بحث في هذا المنحى انما هو امتحان وسبر للمنهج المعتمد المرتقب ، ويرتفع بمستوى الكتابة التاريخية ، ويغني مضمونها .

لقد آثرت مجلة (دراسات تاريخية) أن تفتح صفحاتها لهذا النمط

من الكتابة بشعبه الثلاث،وغايتها من وراء ذلك أن تتعارف الآراء وتتلاقح الافكار ، وتتلاقى وجهات النظر ، وتنضم الجهود الى الجهود في طـريق واحدة بدل التبدد والتشتت ، ليبدأ بعد ذلك المرحلة الجادة الاساسية وهو كتابة التاريخ العربي كتابة « تفصح عن معنى الوجود العربي ، ونمائه في التاريخ » ، وتصور الماضي الصورة الحية الصحيحة الصادقة التي تحرره من أثقاله ، وتعين الاجيال العربية على الثقة بنفسها وبأمتها وبقدرتها على التقدم والإبداع .

لقد حملت المجلة أمرا عظيما ، واضطلعت بمهمة كبيرة ، هي التمهيد وتيسير السبل لتعاون بين المؤرخين ورجال الفكر وثيق ، ينهض بكتابة التاريخ العربي في موسوعة جامعة . واننا لنرجو لها السداد فيما قصدت له واتجته ، وأن تشهد مولد الملحمة الكبرى في حياتنا الثقافية ، ونطالع تاريخنا بماضيه الحافل ، وحاضره ، يمهدان لمستقبل هذه الامة العربية العريقة المستقبل الواعد ، تستأنف به المشاركة الجادة في مسيرة الحضارة الانسانية .

دمشـق　　　　　　　　　　**شاكر الفحام**

عَرْف البَشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام

تأليف محمد خليل المرادي المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد

مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

ظلَّ هذا الكتاب مخطوطاً مطّرحاً على رفوف المكتبات ، يعلوه الغبار ، حتى قيض الله سبحانه له من ينفض عنه غبار القرون ، فجاء الشابان الاستاذ محمد مطيع الحافظ والاستاذ رياض عبد الحميد مراد فقاما بتحقيقه وطَبَعَهُ مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٩ .

أما هذا الكتاب فطريف في موضوعه دسم في مادته ، مؤلفه مفتي دمشق الشام في زمنه ونقيب الاشراف فيها : صدر الدين أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد المرادي المتوفى في حلب سنة ١٢٠٦هـ = ١٧٩١ م . وكان قد تولى منصب الإفتاء بدمشق الشام سنة ١١٩٢ وبقي فيه حتى وفاته . وهو بعدُ أديب شاعر كاتب من أبرز علماء عصره في بلده ؛ ألّف كتابه هذا بعد توليه منصب الافتاء استجابة لطلب أحد علماء عصره الشيخ محمد الدويكي ، فجمع تراجم لسبعة وثلاثين مفتياً بدمشق ، منذ اختيار أول مفتٍ لدمشق سنة ٩٢٢ هـ يوم دخلها السلطان سليم العثماني ورتب أمور الفتوى فيها الى عصر المؤلف ، الى كتب أخرى ألّفها المرادي تجدها في ثبت مؤلفاته في ترجمته الحافلة في أول الكتاب : على رأس تلك المصنفات سلك الدرر المشهور الذي عرف به المرادي فيما بعد .

يقع كتاب (عرف البشام) في خمسة فصول ، ضم الفصل الاول مقدمات في الفتوى وآدابها ، وشمل الفصل الثاني تراجم لتسعة مفتين من القرن العاشر ، وفي الفصل الثالث تراجم لأربعة عشر مفتياً من القرن الحادي عشر . وفي الفصل الرابع تراجم لثلاثة عشر مفتياً من القرن الثاني عشر ، وفي الفصل الخامس والاخير خص المرادي نفسه بترجمة ذاتية ملأها بالتواضع المصطنع المسهب ، وحشاها بأشعاره وذيلها بالمدائح التي قوبل بها من علماء عصره وشعرائهم يوم تسنم منصب الإفتاء ، مما يقال بكل عصر لكل مسؤول ابتغاء الحظوة عند أصحاب السلطان ، وعلى هذا يكون مجموع من ترجم لهم المرادي من المفتين من سنة ٩٢٢ هـ الى آخر القرن الثاني عشر سبعة وثلاثين مفتياً ، آخرهم المرادي نفسه .

اعتمد المحققان في اخراج هذا التراث الدمشقي النافع نسختين مخطوطتين من هذا الكتاب تعود الثانية منهما للاولى لأنها فيما ظهر مبيّضة لها ، فالنسخة الأصل وقعت للمرحوم الشاعر الاستاذ خليل مردم بك الرئيس السابق لمجمع اللغة العربية بدمشق ــ طيب الله ثراه ــ وهي قد آلت فيما بعد الى ظاهرية دمشق ، عنها نسخ بقلمه وخطه ــ كما ذكر المحققان في المقدمة ــ الأستاذ مردم بك الجزء الاكبر من الكتاب في نسخةٍ خاصة به عليها بعض التعليقات والملاحظات ، أهداها فيما بعد ولده الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ، فيما أهدى من كتب أبيه الى المجمع مشكوراً ، فاجتمعت للمحققيْن في الظاهرية والمجمع نسختان من الكتاب هما معتمد التحقيق والمقابلة .

هذا ، وقد ضم المحققان للكتاب ذيلين ليسا من صنع المرادي ، الاول وريقات مخطوطة في ظاهرية دمشق تضمنت تراجم شديدة الايجاز للمفتين

من بدء إحداث منصب الافتاء الى المفتي محمــود حمزة ، فهي تشترك مع كتاب المرادي من أوله الى ترجمة المرادي ، ثم تنفرد عنه الى المفتي محمود حمزة المتوفى ســنة ١٣٠٥ ، ويرجح أن كاتبها عاصر هذه الفترة الاخيرة أو بعضها وأخــذ عمّن سلف ، واني لأميل الى أن تكون هذه الوريقات واسمها الكامل على غلافها (رسالة فيمن تولّى وقضى وأفتى) اختصاراً لكتاب المرادي (عرف البشام) من مطّلع غير عالم كما يبدو ، مع اضافات من المختصِر ، وان لم يظهر على ذلك دليل • وأما الذيل الثاني فهو من صنعة الاستاذ محمد مطيع الحافظ أفادها مما نقله عن عمه المرحوم الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت وهو من كبار العلماء الدمشقيين المعمَّرين، كما أفادها من دراسات له متفرقة في التاريخ وفن التراجم • وهذا الذيل استمرار لتراجم المفتين بعد الشيخ محمود حمزة الى يوم نشر الكتاب•

وقد تتوج كتاب (عرف البشام) بعد خطبة التحقيق بمقدمة مفيدة موسّعة اشملت على :

أولاً : ترجمة واســعة للمؤلف ولأشهر آبائه ولأســرته المرادية ، مستقاة من ترجمته الذاتية ، وممن ترجموا له ولأسرته كالبيطار والحصني والجبرتي والزركلي وأضرابهم ، وفي آخرها جدول بنسب بني المرادي ، ثم بحياته ومؤلفاته •

ثانياً : دراسة للكتاب في فصوله وتراجمه •

ثالثاً : نسخ التحقيق المعتمدة ووصفها وصفاً علمياً ووضع رمــوز خاصة بهــا •

رابعاً : منهج التحقيق •

خامساً : دراسة عن الذيلين ، ثم تأتي الرواميز •

ويقع الكتاب في نحو ثلاث مئة صفحة ونيف من صفحات القطـع

العادي ماعدا المقدمات التي استغرقت من أول الكتاب زهاء عشرين صفحة.

فالكتاب قيم يؤرخ لنا الافتاء والمفتين في مدينة دمشق ذات المآثر الخالدات ، والمفاخر الباقيات ؛ دمشق عرين العروبة ومعقل الاسلام وفسطاط المسلمين في آخر الزمن — ليؤرخ لنا عرف البشام ذلك كله في زهاء أربعة قرون .

والعمل جيد ومشكور ، والجهد واضح الاثر ، ومصادر التحقيق ومراجعه كثيرة تدلّ على اطلاع واسع ، وعمق في الدرس ، وأصالة في منهج البحث،زد على ذلك حسن الاخراج والتبويب وغزارة المعلومات.

على أن الكتاب لم يخل من أخطاء مطبعية قليلة ندّت لا تخفى على القارىء استدركها المحققان في الصفحة ذات الرقم ٣١٠ من الكتاب .

وهناك ملحظ أجدني ملزماً بالاشارة اليه ذلك هو قلة شرح بعض المصطلحات العلمية كالدَّوْر وبحر السلسلة وما ماثله فهذا لا يعرفه من القراء إلا المتخصصون وأشباههم .

وثمة أيضاً نوع اقتصار في الرجوع الى المراجع الرئيسية في شروح الغريب ضمن التعليق لا في التراجم ، فأشهد أنها مستوفاة في هذا المضمار بقدر واسع ، فقد اعتمد المحققان على شرح كلمتي عرف البشام على القاموس المحيط ، وكان الأليق أن يرجعا الى لسان العرب أو تاج العروس أو الصحاح للجوهري وما شابه .

أما رأيي الخاص في صنعة المرادي فهو أن أسلوب هذا الرجل قديم لزمانه طويل ممل ، فيه كثير من الحشو والإطناب ، وهو رحمه الله معذور في ذلك فليس في وسع الرجل أن يتجاوز عصره وأن يكلمنا بلغة نهاية القرن الرابع عشر وبداية الخامس عشر وهو في نهاية الثاني عشر وبداية الثالث عشر الهجري ، فهو انما يكتب بلغة ذلك العصر . ولا يذلأحد في

ذلك ولا نستطيع مخالفة أمانة النقل والتحقيق والعهدة العلمية فنذهب الى اختصار الكتاب أو تهذيبه . ولكني لو استشرت لاقترحت زيادة ذيل ثالث في آخر الكتاب يُعدُّ ملخصاً لما سبق ، ويُجعل ذيلا لكتاب المرادي، يشتمل على تراجم مختصرة وافية لكل مفتٍ أورد المرادي له ترجمة في كتابه تقع في زهاء خمسة أسطر تضم اسمه الكامل ولقبه وكنيته وولادته ونشأته وشيوخه ووظائفه ومتى تقلد الفتيا ومتى عزل منها ومتى توفي ومكان الوفاة مع ذكر مزيته العلمية ، وحذف ما سوى ذلك من الأشعار والاقوال ؛ فبذلك نكون قد أرحنا الباحثين من عناء الخوض في تلك التراجم التي أغرقت في الغلو والمبالغات والالقاب والنعوت والاشعار التي لاطائل تحتها ؛ فمن أراد من الباحثين اللب والجوهر فعليه بهذا الذيل ينقع غلته وينل بغيته ؛ ومن أراد أن ينقل نص كلام المرادي لغرض توثيق فعليه بالاصل فهو بين يديه ، وتُرتَّب التراجم في هذا الذيل حسب حروف المعجم، ولعل ذلك يكون في الطبعة الثانية .

وبعدُ ..

فذلك كله لا يغض من قيمة الكتاب ولا يصرف النظر عنه ، فهو كتاب قيِّم جداً ، وتحقيقه ونشره كذلك أضفيا عليه حلة سيراء موشّاة ، فأضحى بحيث يجدر بكل من له اتصال بالبحث العلمي أن يطلع عليه نظراً لما حوى من الفوائد التي لاتكاد توجد في غيره ، لاسيما في الهوامش والذيول ؛ واني لا أبالغ أبداً اذا قلت ان جهد المحققين يوازي جهد المؤلف ان لم يزد عليه والفضل للمتقدم ، فرحم الله المرادي وبارك بالاخوين اللذين نشرا علم المرادي وفضله وخصّا دمشق بلد العلم وعش العلماء بهذه العناية والرعاية التي هي لهما أهل ، وهما أيضاً لكل مكرمة أهل .

دمشق في ١ ربيع الانور ١٤٠٠ هـ — الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور

آراء وأنباء

حفل استقبال

الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته الاولى المنعقدة في ١٣ شوال ١٣٩٩ هـ/٤ ايلول ١٩٧٩ م (الدورة المجمعية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م) الاستاذ عبد الكريم زهور عدي عضواً عاملا في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الاستاذ الدكتور جميل صليبا . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ تاريخ ٢٣ المحرم ١٤٠٠ هـ / ١٢ كانون الاول ١٩٧٩ م.

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم في جلسة علنية عقدها في قاعة الامير مصطفى الشهابي بدار الكتب الظاهرية يوم الخميس في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ / ٢٢ أيار ١٩٨٠ م ، حضرها نخبة طيبة من رجال الفكر والثقافة وفي طليعتهم السيد وزير التعليم العالي الدكتور أسعد عربي درقاوي . وافتتح الحفل الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع بكلمة نوه فيها بالعضو الجديد ، وأشاد بعلمه وكفايته ، مرحباً بانضمامه الى المجمعيين ، يشاركهم في مسيرتهم التي وقفوا نفوسهم لها ، ألا وهي خدمة الفصحى، والدفع عنها. ثم ألقى الاستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمته في استقبال زميله المجمعي ، وبسط أطرافاً من سيرته ومزاياه العلمية والخلقية . ثم ألقى الاستاذ عبد الكريم زهور عدي خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا .

وننشر فيما يلي كلمات الحفل :

كلمة الاستاذ الدكتور حسني سبح

رئيس مجمع اللغة العربية

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم

بسم الله القائل ــ وجل من قائل ــ وهذا لسان عربي مبين

باسمه تعالى ؛ افتتح هذه الجلسة العلنية من جلسات مجمع اللغة العربية

سيادة الوزير ؛ الاساتيذ الاكارم ؛ سيداتي وسادتي

يعقد مجمعنا هذه الجلسة احتفاء باستقبال عضو عامل جديد هو الاستاذ عبد الكريم زهور عدي ، وقد حاز بحق وعن جدارة ثقة زملائه اعضاء المجمع بانتخابهم اياه في الجلسة النظامية التي عقدها مجمعنا لهذه الغاية ، مساء الثالث عشر من شوال عام ١٣٩٩ الموافق للرابع من ايلول عام ١٩٧٩ ، وصدر المرسوم ذو الرقم ٣٠١٥ وبتاريخ ١٢ من كانون الاول لعام ١٩٧٩ بتسميته عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية،فأهلا به وسهلا.

وبعد،فأرى لزاماً علي ، بادىء ذي بدء ، أن ارحب وأحيي باسم مجمع اللغة العربية هذا الجمع الكريم شاكراً لكل فرد من افراده الاماثل تلبية الدعوة ، وشهود هذا الحفل مع بعد الشقة وتعذر بلوغ هذا الصرح العتيد.

درج مجمعنا منذ عدة سنوات على استقبال العضو العامل الجديد في داره المعروفة وفي احدى قاعاته التي تحمل اسم مؤسسه المرحوم محمد كرد علي، إلا ان تصدع بعض جوانب القاعة وتعذر الترميم بالسرعة

اللازمة حملاتنا على أن نستبدل بها هذه الردهة من دار الكتب الظاهرية وهي المخصصة في الأصل لارتياد المطالعين والمستفيدين مما في خزائن الدار من نفائس وأعلاق جعلت شهرتها عالمية ٠

ولئن فاتنا أن يكون حفلنا هذا في كنف الرئيس المرحوم محمد كرد علي ، لقد عوضنا بهذه القاعة التي تحمل اسم المرحوم الامير مصطفى الشهابي ؛ فالأساتيذ كرد علي وخليل مردم بك والأمير الشهابي أعلام ثلاثة أبلوا بلاءً حسناً في خدمة اللغة العربية ورفع شأنها وهم ممن يشار اليهم بالبنان في الوطن العربي الكبير من أقصاه الى أقصاه ، رحمهم الله جميعا وأحسن اليهم في الآخرة بقدر ما أحسنوا في هذه الفانية وأسكنهم فسيح جناته ؛ اولئك اسلافي فجئني بشلهم ٠

وانها للمرة الأولى التي يقام بها مثل هذا الاحتفال في غير دار المجمع واني لوطيد الأمل بله الرجاء أن تكون المرة الأخيرة أيضاً ، بعد أن نتهي ما نحو باذلون من جهد لاتمام ردهة الاحتفال في المبنى الجديد لمجمعنا ، وقد أوشك أن يكون الانتقال اليه في المرحلة الأخيرة ، لنقيم حفل الاستقبال الآتي فيها ان شاء الله ٠

وبعد هذا كله ، فان الأمل معقود على الرصيف الجديد الذي انضم الى اسرة المجمع ، بأن يشتد به الأزر وأن يكون خير عون لنا في المضي قدماً فيما نذرنا له أنفسنا من خدمة اللغة الحبيبة ، لا سيما وهو يخلف في منصبه هذا ، المرحوم الدكتور جميل صليبا الذي أدى أجل الخدمة طيلة أربعة عقود ، سواء في ميادين العلم والأدب والفلسفة ، ولا يساورنا أي شك في أن لا يقل هذا الخلف عن ذاك السلف ان شاء الله ٠

خطاب الدكتور شاكر الفحام

في حفل استقبال الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

السيد وزير التعليم العالي

السيد الأستاذ رئيس مجمع اللغة العربية الموقّر

السادة الزملاء أعضاءَ مجمع الخالدين

أيها الحفل الكريم

١

ما أجملها سُنّةً متّبعةً أن نلتقي هذا اللقاء الحميد ، يسوده الجلالُ والودُّ ، نحتفي باستقبال أخٍ كريم ، ينتظم في صفوف السادة الخالدين . يمضي في صحابتهم ، يسيرون معاً على الجادّة ، يكشفون عن الخالد المتألق من التراث ، ويدلّون على أصول العربية المبينة ونواميسها التي حليت بها فرزقتها الأصالة والخلود ، ويمسحون عن وجهها النضير ما علق به من أوضار عصر الجمود ، ويرودون بها دروب العلم الحديث والمصطلح والمعاصرة يروضونها عليها ، وهي الطيّعةُ الذلول ، تستجيب ، بمرونتها وقدرتها ، لمقتضيات العصر والبيئة ، لا يتأبّى عليها شيء .

وما أسعدني اليوم أن يتاح لي أن أرحّب بالأستاذ الصديق عبد الكريم زهور عدي زميلاً عزيزاً في مجمع اللغة العربية ، تتلقاه مستبشرين بمقدم فارسٍ مُعْلِمٍ ، نجّذته التجاربُ ، وغذّته الحكمةُ ، قد فطر على حبّ العربية التي راعت ببيانها المعجز ، وتفتح لعينيه وقلبه سِحْرُها وعبقريتها . فأكْرِمْ به عضداً يُشَدُّ به الأَزْرُ ، وركناً

شديداً يئوي اليه في الانتصار للعربية ، والذياد عنها ، ولتخصب أرضه المريعة بأطيب الأكل ، وأزكى الثمرات .

٢

ولد الأستاذ عبد الكريم زهور عدي بمدينة حماة سنة ١٩١٧ ، في بيئة محافظة ، ونشأ في أسرة عرفت بالاستقامة والصلاح والتدين والعلم ، فشب على التمسك بفضائل قومه ، والتحلي بآداب أهله .

بدأ دراسته الابتدائية بمدينة حماة عام ١٩٢٤ م ليتابع من بعد المرحلة الثانوية ، وقد حصل على البكالوريا الأولى ــ الفرع العلمي عام ١٩٣٥ م ، والتحق بعدها بحلب ، وقضى فيها سنة نال في ختامها البكالوريا الثانية ــ قسم الرياضيات (عام ١٩٣٦ م) . وعُرف عبد الكريم طوال دراسته بالألمعية والفطنة ، وشهد له أساتذته بالتفوق والموهبة . وقد أحلته ماحُبِيَ به من توقدالذهن ، ورجاحةالعقل ، وحسنالسيرة مكاناً ممتازاً بين رفاقه وزملائه ، فكانوا يرجعون إليه ، لا في مسائل الدراسة فحسب ، بل في كثير مما يعرض لهم من شؤون ، يستشيرونه ، ويصدرون عن رأيه .

واختار عبد الكريم التعليم عملاً ، وقضى عامه الدراسي الأول (١٩٣٦ ــ ١٩٣٧) معلماً موقتاً في المدارس الابتدائية في بانياس فدمشق ، وهيأ له نجاحه في التعليم فرصة القبول للدراسة في دار المعلمين . وأمضى في الدار سنتين تخرج على اثرهما ليتولى التعليم في المدارس الابتدائية بمحافظة حماة . وأدى عمله أحسن ما يكون الأداء ; جداً وجهداً وبذلاً حتى سنة ١٩٤٢ م . وكان الشكر والثناء يتلقاهما خلال سنواته الثلاث ألسنةً ناطقةً بجميل ما صنع ، وشاهدَ عدلٍ على تقدير ما قام به .

ثم أُنْشِئت دارُ المعلمين العليا بدمشق ، وافْتُتِح فيهـا فرعُ الآداب العربية ، اختير له ، بعد مسابقة أجرتها الوزارة ، عشرةٌ من نابهي المعلمين الذين عرفوا بالتفوق والكفاية في العربية وآدابها ليتابعوا الدراسة العالية ، فكان عبد الكريم أحدهم ، وقضى في الدار سنة واحدة (١٩٤٢ ــ ١٩٤٣ م) أوفد بعدها مع ثلّةٍ من رفاقه الى كلية الآداب بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول آنذاك) ، والتقينا في القاهرة . آثر أن يلتحق بقسم الفلسفة ، وكنتُ أدرس في قسم اللغة العربية ، وعرفته من قرب ، فعرفت فيه الصديق الوفيَّ ، الجادّ في عمله ، الرصين في سلوكه ، المتوقد الذكاء ، المرهف الحسّ ، النافذ البصيرة ، الواسع الثقافة ، المتعلق بوطنه وأمته أوثق تعلقٍ وأقواه ، المتشوف أبداً الى معالي الأمور . وقد حاز بعد ثلاث سنوات من الدراسة الجادة (١٩٤٦ م) الاجازة في الفلسفة بتقدير ممتاز ، عاد بعدها ليدرّس مواد الفلسفة في ثانوية دير الزور فثانويات حماة ، فدار المعلمات بحلب حتى عام ١٩٥٤ م .

٣

وعاش عبـد الكريم همومَ جيله وقلقَه ، ولكل جيـلٍ همومُه وقلقُه وقضاياه . واذا كان الجيل الذي سبقنا قد شهد غدرةَ ميسلون اللئيمة ، وفجّعه عدوانُ الاستعمار الفرنسي على بلادنا ، بكل قسـوته ورعونته وغطرسته ، وعبَثُه بكل القيم الوطنية والإنسانية ، فإن جيلنا قد فتح عينيه على أنباء الثورة السورية ، وشهد حَمَلات التأديب الفرنسية الشرسة ، تجوس خلال الديار ، تعيث فساداً ، وتبذر شرّاً ، لا تلتـزم بشرعة ، ولا ترعوي عن ظلم وسفه ، تريد أن تقضي على الحسّ الوطني المتأجج في الصدور ، وأن تسكت صيحة الحرية ، وقد صمّمت أن تقترف

كل حماقة لتبطش بالثورة السورية الكبرى ، وبقادتها المجاهدين الصابرين في سبيل وطنهم وأمتهم . لله فرسان الصدام الأحرار ، أتمثلهم بقاماتهم المشوقة كعوالي الرماح ، يختالون في أردية الفتوة ، قد وهبوا أنفسهم لأرضهم ووطنهم ، يقدمون ، لا يتهيبون الموت ، يذودون عن الحمى العدوّ الدخيل . كنا نلتقط فتاتاً من أنبائهم ، وأخبار بطولاتهم وتضحياتهم ، تتسقطها خلسة ، ونحن نسترق السمع الى همس الكبار وأحاديثهم في مجالسهم . ونشأنا في جو الإرهاب والطغيان الذي فرضته فرنسا . كانت تخيم علينا الأحزان التي خلّفتها الثورة وشهداؤها ، وكان ينتفض في أعماقنا نداء الشهداء البررة أن نكون الأمناء على العقيدة ، الأوفياء لذكرى الآباء والأجداد ، تتابع الطريق لتحرير الوطن ، وتطهير الأرض من رجس المستعمر الغاصب .

وعاش جيلنا حركة عام (١٩٣٦ م) بكل ما ضمّته وانطوت عليه من أحداث ووقائع . شارك في النضال السلبي وفي التضحية أقصى المشاركة ، وتقبّل قَدَرَه بشجاعة ورضا ، ونهض بأعبائه ، لم يركن الى دَعَةٍ ، ولم يعرف هوادة في مطالبه الوطنية ، وتابع تطور ما يجري على الساحة بحيطة وحذر . كانت تلك تجربته الأولى في الحياة النضالية السياسية ، وكان في وقوف عصبة العمل القومي بمبادئها العربية ، ودعوتها القومية ، وشعارها الاخلاقي موقف المعارض للكتلة الوطنية ما فتح بصائر الجيل على أنماطٍ من التفكير السياسي والعمل القومي ، وهيأ له فرصة الاختيار . وآثر جيلنا الاختيار الصعب : التمسك بالمبادىء القومية ، ورفض المراوغات في العمل الوطني[1] .

(١) كلمتي تشير الى المبادىء القومية والشعارات الاخلاقية التي نادت بها عصبة العمل القومي ، فانارت طريقنا ، وفطرتنا على الفكر العربي لا الاقليمي ، وطبعتنا على السلوك الملتزم =

وشهدنا نشوب ثورة فلسطين الكبرى عـام ١٩٣٦ م ، وراودتنـا الأحلام أن تنضمّ الجهودُ المشتّتة في بلاد الشام لننعم جميعاً بالاستقلال والوحدة . وكنا نمدُّ الطرف وراء بلاد الشام لتشمل الوحدة المنشودة الى جانب الشام بلاد العراق ، والجزيرة العربية بأكملها ، بكل دولها وإماراتها ومشيخاتها . كان ذلك ما نرنو اليه ويطمح جيلنـا الى تحقيقه . ولكن الاستعمار الظـالم لم يلبث أن كال للجماهير العربيـة الضربات القاسية القاصمة دون رحمة ، وأقام في وجوهها المتاعب والمصاعب ، ووقعت الفئة الحاكمة أسيرة مطامعها واستسلمت ، وتتالت النكبات وتهاوت الآمال : انتزعت فرنسا المستعمرة لواء الإسكندرونة الحبيب من جسد سوريـة لتقدمه رشوةً لتركيا المغتصبة ، ونكثت عهودها التي قطعتهـا في توقيع المعاهدة ومنح الاستقلال . واستطاعت انكلترا ، بتآمرٍ لئيم ، أن تسكت الثورة الفلسطينية ، وتبـددت الأماني والرؤى امـام هجمة الاستعمار والامبريالية الشرسة . وكان الجرح الذي خلفته التجربة النضالية السياسية الأولى في جيلنا عميقاً ، بعيد الغور ، نديَّ الدماء . وعانى جيلنـا مرارة الخيبة ، ولكن التجربـة القاسية أكسبته الخبرة في نضـال الاستعمار ، وعرّفته بأساليبه الملتوية الماكرة ، وهيأته ليخوض معه المعركة الحاسمة .

ليس من قصدي أن أمضي في التحدث عن هموم جيلنا ، أو اعدد صفاته ، فليس هنا مكانه ، ولستُ المهيّأ له ، ولكنها الكلمة العاجلة لا بدّ منهـا أوطّىء بها وأمهّد ، كي تتكشف لنا البواعثُ العميقة التي كانت تستأثر

=

بالعقيدة . ولا صلة لها باولئك الساسة الذين تصدوا لقيادة العصبة ، لا يجاوز ايمانهم تراقيهم ، فكانوا اسوأ مثل في التقلب والمراوغة ، قد استعبدتهم اهواؤهم ، واستبدت بهم شهواتهم ، فهووا على عتبات المطامع ، يستجدون المناصب ، لا يعصمهم خلق ، ولا يزعهم مبدأ .

بأبناء الجيل ، وتملك عليهم نفوسهم ، وتحفزهم للمشاركة الجادة في العمل السياسي الوطني مهما تكن مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . لقد عاش جيلنا هذه التجربة السياسية ، وشهد بقلبه وجوارحه كل فصولها . كان الجيل الذي شارك في نضال المستعمر وقهره حتى تحقق الجلاء . ثم كان الجيل الذي تصدّى لمؤامرات الامبريالية وللدفاع عن مطالب الشعب في عهد الاستقلال .

٤

وخاض جيلنا معاركه مع الاستعمار ومع الفئات الحاكمة ، وعرف جيلنا الانتصار والظفر ، وعرف الهزيمة والخيبات المرة . وكانت كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ التي بيّتت لها الاستعمار والصهيونية أفدح الكوارث التي نزلت بالعرب ، تجاوزت بفظاعتها وشناعتها كل ما شهده تاريخ البشرية من كوارث الشعوب . لقد خطط الاستعمار الخبيث والصهيونية الباغية لهذه الكارثة بكل تفاصيلها ، وأخرجاها هذا الاخراج ليخزيا العرب جميعاً ، وليكتبا عليهم الذلة والخنوع الى الأبد ، (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) . ولكن الجماهير العربية التي صعقتها النكبة لم تيأ س ولم تستسلم ، وعادت تتابع مسيرة النضال والتحرر ، ويأتي عام ١٩٥٤ ليسطر في أجمل صفحاته ظفر الحركة النضالية التي قادتها الجماهير العربية في سورية ، وأزاحت عن صدرها كابوس الحكم الدكتاتوري الظالم . وبدأت تجربة الحكم الشعبي تبسط سلطانها على أوسع نطاق . وخاض الأخ عبد الكريم الذي أنضجته حركة النضال العربي بلهبها المقدس لجّة المعترك السياسي والشعبي . ولقد دخل المعترك السياسي مزوداً بتجربته العميقة الغنية التي كانت قد كشفت

له فساد الواقع السياسي في البلاد العربية • ألم يكن قد تطوع مع المتطوعين، والتحق بجيش الانقاذ (فوج اليرموك) في أواخر عام ١٩٤٧ م ليشـارك المجاهدين شرف تحرير فلسطين من الهجمة الصهيونية • وهناك في أوار المعركة ، وعلى بطاح فلسطين الحبيبة ، ادرك عبد الكريم بفطرته السليمة ، وتجربته السياسية القومية زيف كل شيء في الحياة العربيـة السياسية ، وتبينت له ، مع رفاقـه ، خيوط المؤامرة التي كـان يمسك المستعمرون بأطرافها ليحركوا الدمى العربية ، وليضللوا الجماهير العربية عن مقصدها وهدفها ، وليقيموا دولة العدوان في قلب الوطن العربي • وبدأ المنعطف الكبير في حياة عبد الكريم القومية والسياسية وعاد ، وقد رفض واقعـه المريض الرفض البات ، واخذ يبشر بالحياة الجديدة ، حياة الثورةوالكفاح• وانتخب عبد الكريم نائباً عن حماة في تلك الفترة السياسية الخصبة مـن تاريخ سورية والبلاد العربية ، والتي بلغ فيها المدّ الشعبي أوْجَه •

سَقْياً لتلك الأيام الخالـدات في تاريخ العروبـة ، أيام الشموخ والعنفوان ، أيام تأميم قناة السويس ، واندحار العدوان الثلاثي ، وتصدي سورية للتهديد الاستعماري ، وسقوط حلف بغداد ، وبطولات الثـورة الجزائرية ، معجزة القرن في التضحية والفداء • وهل ينسى عربيٌ على مدى الدهر تلك الأيام التي تعالت فيها موجة النضـال العربي تقـارع الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وامتـدت من المحيط الى الخليج لتتوجها الجماهير العربية الظافرة بقيام الوحدة العظيمة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ م •

في تلك الأيام (١٩٥٤ ــ ١٩٥٨ م) أتيح للأستاذ عبـد الكريم أن يعمل مع اخوانه في المجلس النيابي ، وعلى النطاق الشعبي ، ليمتحنوا على

أرض الواقع المبادىء والمثل التي نادوا بها ، ودافعوا عنها ، وليستبينوا الطريق الصالح لتطبيقها . وكانت التجربة عميقة غنية فتحت عيني عبد الكريم وقلبه لآفاقٍ من العمل السياسي . وهل أفضل من التمرس اليومي والمعاناة الحية معينا ومرشدا لمن رزق الفكر الحصيف ، والرؤية البصيرة ، والإخلاص لقضية قومه وبلده ؟ كان عبد الكريم يرى في السياسة ما رآه من قبله أبو زيد البلخي صناعة « من أجلّ الصناعات قدرا ، وأعلاها خطرا ، إذ كانت صناعة بها تتهيأ عمارةُ البلاد ، وحمايةُ من فيها من العباد » . وجاهد الجهاد الأكبر ليكون عمله كفاء رأيه وقوله ، ولتأتي ممارسته طبق فكره ، في وقتٍ تباعدت فيه مسافة الخلف بين القول والعمل . كان يريد للعمل السياسي أن يرتقي ليبلغ الكمال ، ليكون في مستوى مطامح الأمة وأشواقها ، وكأنما كان يردد لنفسه كلمات الفارابي : « المدينةُ التي يُقصد بالاجتماع فيها التعاونُ على الأشياء التي تُنال بها السعادةُ في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة . والاجتماع الذي به يُتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والأمةُ التي تتعاون مدنُها كلها على ما تُنال به السعادةُ هي الأمةُ الفاضلة » .

وكان الأستاذ عبد الكريم يقدّر ما للانتصارات القومية من آثار بعيدة في حفز القوى النضالية الثورية على متابعة حركة التحرر ومسيرة التقدم ، فاحتفى في مقالاته بها ، وشدّد على المعاني النضالية المستخرجة منها . تجدُ صدى ذلك في مثل مقالاته : الحادث التاريخي العظيم لا تستنفد مرحلة تاريخية كل مضمونه ، ولا يحيط جيلٌ بكل معانيه ، يعني الجلاء عن سورية . الوحدة اول تفكيك جدّي لاستراتيجية

الاستعمار ، يعني الوحدة بين مصر وسورية • من هذه الوحدة تبدأ حرية العرب ، •••••

وبقـدر ما كان يستفزّه الفرحُ لانتصارات قومـه ، وانتصارات الانسان في ميـادين التحرر والتقدم ، كانت تؤرقـه وتستثير همومـه الامبرياليةُ المتربصة ، والصهيونيةُ الماكرة بمخططاتهما التآمريـة على الوطن العربي • كان يتخوّفُ الردة والنكسة والتخـريب والانزلاق في طريق الكوارث ودروب النكبات • ولطالما حذّر وأنذر •

والجميلُ الجسيلُ أن أذكر هنا أن الأستاذ عبد الكريم الذي أراد أن يرتفع بالعمل السياسي لبلده ، قد ارتفع حقاً بصناعة الكتابة السياسية ، فاذا الناس يقرؤون أسلوباً رفيعاً من الأدب ، يعالج فيه صاحبه موضوعات السياسة ، ويبسط فيه أنظاره وآراءه ، وقد طاع له البيان ، وواته ملكة التعبير الجميل[1] •

٥

عاد عبد الكريم بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية ليدرّس في دار المعلمين بدمشق عاما (١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ م) ، ثم اختير مديراً لدار الكتب الظاهرية • وقـد حبّب اليـه العمل في الظاهرية ، تحفّ بـه الكتب والمخطوطات ، فأنس به وسكن اليه ، وبقي في الظاهرية حتى عام ١٩٦٣ • وأمكنته الفرصـة ، وهو المولع بالقراءة ، ليُرْوِيَ ظمـأه ، ويشبع نَهْمَتَه ، وأسعفه الوقتُ ليطالع فيطيل المطالعة ، فما تراه إلا والكتابُ

(١) تجد أبرز مقالات الاستاذ عبد الكريم زهور السياسية القومية في صحيفة البعث (اعوام : ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨ م) ، الاعداد : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٦ ـ ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ـ ١٠٤ •

جليسه • ويحضرني هنا التشبيه الساذج لأعرابيّ وصف نفسه فقال : « كنتُ كالرملةِ لا يقطر عليها شيءٌ إلا شربته » • وقد تغريه المطالعةُ أحياناً فَيُجري القلم في صفة جملةٍ من الكتب مما تصدره المطابع يعرّف بها القراء ، فاذا انت تقرأ له في مجلة المجمع كلماتٍ يتناول فيها أمثال كتب : أنا والنثر للأستاذ شفيق جبري ، وتطور الغزل للدكتور شكري فيصل ، ومقام العقل عند العرب لقدري حافظ طوقان ، والعرب والعروبة لمحمد عزة دروزة ، ودراسات في العربية وتاريخها لمحمد خضر حسين ، والقومية العربيــة للدكتور حازم نسيبه ، وطبقات الصوفيــة للسلمي ، ومناهج البحث في علم النفس ، الى أمثال لها وأشباه • ويدهشك التنوعُ في مطالعاته ، والاحاطةُ في ثقافته واهتماماته ، وقدرته في النفاذ الى جوهر موضوع كتابه يعرضه في كلمات موجزات • يطالع كتاباً عنوانه : الدكتور صلاح الدين القاسمي ــ آثاره ، ويقع فيه على مقالته التي نشرها في المقتبس يحذّر فيها من خطر الصهيونية ، وينبّه الى مكايدها ومساربها الخفية في المكر ، فيعلق على ذلك بقوله : « هــذه الكلمات التي تخطّت التاريخ ما يقرب من اربعين سنة تدلل على أن العرب لم يُؤْتَوْا من ســوءٍ في الفهم ، وانما من سوءٍ في الظروف ، وسوءٍ في القيادة والسياسة العملية ، وتدلّل أيضاً على الألمعية المبكرة لصلاح الدين القاسمي •••• »[1] •

وتوثقت صلة الأستاذ عبد الكريم بالمجمع وأعضائه وأعماله خلال هــذه الفترة ، التي لعله ما زال يراها أجمل الفترات في حياته ، يحتفظ لها في نفسه بأحلى الذكريات وأخصبها •

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ، ٣٥ : ٤٩٥ ـ ٥٠١ ، ٣٦ : ١٤٦ ـ ١٥٠ ، ٣٧ : ١٣٩ ـ ١٤٠ ، ٤٩٨ ـ ٥٠١ ، ٣٩ : ١٣٨ ـ ١٤٤ ، ٤٩٤ ـ ٥٠٠ •

وضمَّ الأستاذ عبد الكريم الى عمله في الظاهرية التدريسَ في قسم الفلسفة بكلية الآداب . كان يُلقي على طلابه في الكلية محاضراتٍ في علم النفس ، وكان أبرز ما عُني به التحدث عن السلوكية . وقد ترك فيهـا أمالي لطلابه ، تقرؤهـا فيطالعك في سطورهـا عمقُ الفكرة واشراقُ الديباجة تلاقيا أحسن تلاقٍ ، مما يَفْصح عن تمكّن الباحث من موضوعه ومن لغته تمكّناً يتيح له أن يعرضَ قضايا السلوكية ، ويطرح مشكلاتها على هذا النحو من البيان الرائع ، يتغلغل وراء أدقّ الفكر وأغمضها ، ليبرزها بيّنةً واضحةً قريبة المتناول ، تختال في ثوبها القشيب . إنهـا موهبة التعبير الجميل قد أسلست له قيادها ، طيعةً لا تتأبى عليه في مجال. ولقد استجابت له في علم النفس الاستجابة التي ارتضاها ورضي عنها . هل أسمحُ لنفسي بعرض أول نموذج صادفته وأنا أقلب صفحات الأمالي بين يديَّ لأختار كلمة منهـا . يقول : « أن تكون السلوكيـةُ حركةً امريكية ، ذلك ما يؤكده ، اذا عدمنا أدلة أخرى ، الانتشارُ الواسعُ الذي حصلت عليه في الولايات المتحدة ،.... والاخفاقُ الذي أوشك ان يكون تاماً ، والذي مُنيت به في اوربا . فهناك لقيت القبول لما تؤكد ، وهنا لقيت الإعراض لما تنفي .

قد يكون سببُ الحماسة التي أثارتها في امريكا أن شعبها شعبٌ من غير تراث ، ولذلك تحمس لسيكولوجيا تدّعي أنها من نوع امريكي ، وأنها صناعة امريكية خالصة . ولكن نجاح السلوكية يرجع إلى أسـباب أكثر عمقا . فهي ، لأنها حقاً نتاج امريكي ، ولأنها صدرت عن العقليـة الامريكية ، كانت قادرةً على قضاء حاجاتٍ قائمةٍ هنـاك . فالشعب الامريكي ، كما هو معلوم ، شعبُ مهندسين وميكانيكيين ورجال أعمال،

يحكمون على مذهب فكري ، كما يحكمون على آلة ، بتطبيقاته في الحياة والأعمال ، بمنفعته وبمردوده ، ولذلك تجاوبت السلوكية ، سيكولوجيا الموضوع والحوادث القابلة للملاحظة والتسجيل والقيـاس والتحقيق ، سيكولوجيا التنبؤ التي توحد بين الفكر والسلوك ، وتدرس الانسان الحي في تلاؤمه مع عالم الأشياء المألوفة والأعمال وكأنه آلة من الآلات ، تجاوبت تماماً مع ما يتطلبه المزاج الامريكي ... » ، ويمتـدُّ نَفَسُ القول على هذا النمط من التعبير ، يرضيك ويعجبك بقوته وجودة حبكه .

٦

وقعت الواقعة الفاجعة في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٦١ ، يوم استطاعت الامبريالية الامريكية الغادرة وحلفاؤها أن يفصموا الوحـدة الرائدة ، وتفرقت بالقوميين العرب المؤمنين بوحدة أمتهم السبل ، وتشعبت بهم المنازع . واذا كان لي أن أصف وقع النازلة في النفوس ، ومشـاعر الأسى والقلق واليأس التي انتابت القلوب ، واضطربت بها الجوانح فاني أجتزىء بكلماتٍ قليلة من مقال للأخ عبـد الكريم تصف حقيقة موقف جيل القوميين العرب الذين صدمتهم الردة فأذهلتهم ، وهي ، الى ذلك ، نموذج لأسلوب الكتابة السياسية الذي اصطنعه عبـد الكريم وآثره ، يروعكم باشراقه ، ووشيه ، وسلاسته . يقول (وعنوان مقاله : معركتان ، والزمن : اول ايلول ١٩٦٢) : (حين أوقظتُ بغير رفق ، وقيل لي بلهجة عجلة ، فرحة مذعورة : « قم ، اسمع ، ثورة في العراق ، انقلاب ... هجموا على القصر الملكي ... » ارتجفتُ مجفلا ، وهرعتُ ألقي السمع ، ونزت دموعٌ عصيّةٌ : « دولتنا ذات الاربعين مليوناً ولدت ... أحلام الطفولة والفتوة المهانتين المعذبتين بوجود الغاصب ، رؤى الشباب والكهولة ،

والافكار والنظريات ، والقلق على المصير ، والتصميم .. حنين أمةٍ ألف عامٍ ، أمة مقطعة الأوصال ، منتهكة الحمى ، مسحوقة الوجود ، تتحقق... تتحقق في هذه اللحظات ، وفي بغداد » . وضممتُ ولدي بنظرة وَجْد ، وتردد هَمْسٌ في النفس : « هذا ما فعله جيلنا ، استخرج أمتنا من تحت الركام ، ووضعها في تيـــار الزمان ... وجيلكم سيعرج بهـــا ، سيبدع حضارتها » . ذلك كان يوم ١٤ تموز ، يوم بلغت موجةُ الثورة العربية في المشرق ذروتها ، ومدّها مداه . لم يعد في القلب المكتهل مكان للعاطفة ، وليس مطرحها على كل حال في مقال سياسي ، ولكنها ذكريات تلحّ عليّ ولا أستطيع لها إبعاداً ، وأنا أعيش في هذا الجو الخانق من التآمر المستهتر على وجود أمة ، على مصير أمة ، ومن التمزيق الحاقد لحقيقة هذه الأمة . لقد انتقموا منا شرّ انتقام .... « تريدون أيها العرب أن تكون لكم دولة كبرى ؟ سنذري حطام هذه الدولة في الرياح ، وسنجعل من دولكم الصغيرة التافهة التي لم تقنعوا بها حطاماً أيضا ... وسنردكم الى أبأس مما كنتم فيه ، وسنذلكم في الأرض حتى ما ينبض منكم عرق بشرف ، ولا يورق في خيالكم أملٌ بنجاة » . ولكن ، من هم اولئك الذين انتقموا منا ، من هذه الأمة العربية ؟....) . وبمثل هذه الكلمات القاسية تصكّ الأسماع ، تساقط كأنها الحجارة ، مضى عبد الكريم يصف معركة الانتقام من الأمة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربيـــة ، تقودها الولايات المتحـــدة الامريكية والصهيونية وحلفاؤهما من أعداء العروبة ، يحملون أحقـــادهم المؤرَّثة ، يتميزون غيظاً ، قد بدت البغضاءُ مـــن أفواههم ، وما تخفي صدورهم اكبـــر ، انقضّوا بكل مكرهم وغَدْرهم ، وبكل ضراوتهم وفتكهم ليمزقوا شمل الأمة العربية ، ويطووا صفحتها الى الأبد . أتراه

كان ينظر بعين الغيب حين يقول في ختام مقاله الدامي ، وهو يصف آخر طرف من أطراف خطة التدمير الكبرى التي حاكتها الامبريالية لتحطيم الأمة العربية ، بلهجة كلها اليأس والتشاؤم : « إن هذه المعركة ، معركة الانتقام من الامة العربية ، معركة التنكيل بالقومية العربية التي ابتدأت ... هي جزء من خطة كبرى اخذت تبرز أطرافٌ منها هنا وهناك .... وطرفٌ آخر يطرّق له كي يبرز وهو أن يعلن عبد الناصر ، أو أي ناصر آخر يظهر في مصر ، اعتزال مصر مشاكل العرب ، واكتفاءها بنفسها ومصريتها » . لقد نجحت الامبريالية الامريكية والصهيونية حقاً في تمزيق أوصال الأمـة العربية ، وطالعتنا مأساةُ عزل مصر عن العرب بوجهها القبيح في يوم نحس مستمر . وها نحن أولاء نشهد الدرك الذي تردّى اليه حاكم مصر ، سعى في الأرض ليفسد فيها ، قد زُين له سوء عمله فرآه حسنا .

كان عبد الكريم يـدرك حق الادراك دور النظريـة في الحركات السياسية . انها وحدها التي تجنبها المغامرة والردة والتشتت . وكـان يأسى أبلغ الأسى أن لم يكن للفكر أثره الفعّال في السياسة العربيـة . كان يتمنى « أن ينطلق العمل السياسي من نظرية كاملة واضحة ، أو شبه نظرية ، وأن تكون هذه النظرية مغروزة الجذور عميقاً في الواقع ، تعبر عن قواه التي تدبُّ في أحشائه ، وأن تظلَّ دائماً في تفاعلٍ مع الواقع ، وأن يولّد هذا التفاعلُ الخطط السياسية المرنة حقا ، ولكن الواضحـة وغير المائعة ، وأن تحدد هذه الخطط الأهداف القريبة مع التأكيد على صفتها الموقتة ، لتكون درجات في السلم الصاعد دائماً نحو الأهـداف النهائية ، وأن تعرف هذه الخطط القوى المتصارعـة والمترددة ، وتقلب القوى حسب تقدم الكفاح او انكفائه ، وأن تثقف قوى الشعب التقدمية

باستمرار ، وتنظمها بحزم » . ولكنه كان يصطدم دائماً بغياب النظرية في واقع السياسة العربية ، ويتساءل تساؤل الحزين : « لماذا كانت العاطفية والعفوية والارتجال والانتهاز هي الصفات التي يمكن ان توصف بها الحركات السياسية السليمة ــ اقول : السليمة ــ في المشرق العربي ؟ ولماذا كان العقل والارادة والتخطيط والثورة في عالم السياسة عندنا غرائب كغرائب الابل مبرحة ضرباً مطّردة ؟... هذه هي الحقيقة ، انها علقم ؛ ولكنها يجب ألا تلفظ ، يجب أن تتذوق حتى الثمالة ، ثم يعبر عنها بكل أساريرها القبيحة ، لتكون تجربة مثقفة هادية لهذه الأمة .... » .

لم تسكت النازلةُ عبد الكريم ؛ ولم يُلْجمه المصاب، فكتب مقالاتٍ ينصح فيها عن موقفه ، وينذر بالمخاطر التي تتردى اليها سياسةُ الانفصال، تجدها منثورة في مجلة المعرفة ، وصحيفة البعث ، وكتاب : في الفكر السياسي[1] .

٧

وسُمّي الأستاذ عبد الكريم وزيراً للاقتصاد ، في أول وزارة ألّفتها ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ . ثم آثر التفرغ للعمل العلمي ، وقام بإلقاء محاضرات في قسم الفلسفة بكلية الآداب لست سنوات (١٩٦٩ــ١٩٧٥م). وكانت محاضراته هذه المرة في الفلسفة اليونانية ، وفي التصوف الاسلامي. وعاش عبد الكريم مع المتصوفين الكبار من أمثال الحلاج وابن عربي ، واستهوته الحياة الصوفية ، وسِيَرُ المتصوفة ، وسحرته أقوالهم ورموزهم . كان يرتدُّ بالتصوف الى منابعه الأولى ، ويقف الوقفات الطوال.

(١) مجلة المعرفة ــ عدد حزيران ١٩٦٢ ، صحيفة البعث (عام ١٩٦٢ م) ، الاعداد : ٣ــ١٢ . في الفكر السياسي (دار دمشق) ، الجزء الاول ــ ١٩٦٣ م .

وهو يتقصّى حركة الزهد العربية الأولى ، ويلابس الزهاد الكبار كالحسن البصري ومحمد بن واسع ، ويستنطق أخبارهم • وراح يغري طلابه بالاطلاع على كتب القوم ، ويتأنسهم بقراءة الرسالة القشيرية وما ينحو منحاها • كان يختار لهم النصوص ويقرئهم ويفسر لهم ، يمضي بهم رويدا حتى يتألفهم ، في قراءة متأنية ناقدة ، تروضهم على فهم النص وتذوقه ، وتبين معانيه وما تومىء اليه رموزه ، مما يدنو بهم للكشف عن القيم الانسانية المستسرّة فيه • وكان لا يخليهم ، في أثناء ذلك من دراسة النص على نحو أدبي تدلّهم على مواطن الجمال ، وتنمّي فيهم الحسّ الفني • وسحره الأدبُ الصوفي حقا ، كان يرى فيه متعة فنية ، وتجربة روحية خصبة تغني قارئها ، وتطلّ به على آفاق من الوجدان والتذوق والسلوك والمجاهدة رحاب • وأخذ يبشّر ، استجابة لهذا التعلق ، بأن يُقدَّم الى الطلاب مختارات" من الأدب الصوفي الى جانب ما اعتدنا أن نقدمه لهم من مأثور الشعر وروائع النثر • واذا كانت دراسات الاستاذ عبد الكريم في المتصوفة والتصوف تنطوي على المعرفة التي تخاطب العقل فانها تمتلك ، الى ذلك ، القدرة الموحية بالتجربة الروحية العميقة التي عاشها المتصوفة ، والتصوير المؤذن بتذوق معانيهم واشاراتهم ورموزهم •

ولقد أتاحت له هذه المعاناةُ الحيةُ مع المتصوفة واقوالهم ورموزهم أن يعود الى قراءة الشعر العربي ، والشعر الجاهلي خاصة ، بتجربة روحية جديدة ، ونظرة تستشف الرموز التي تتراءى من خلال الألفاظ والصور والمعاني • وها هو ذا يتناول موضوعات وقضايا في الشعر يعالجها على نحو جديد مبتكر ، لعله لم يُسْبَق اليه • يقف بك أمام صورة النخلة وصورة الليل يستخرج دلالتهما الرمزية في الشعر الجاهلي • وتستأثر باهتمامه

أوصاف الحية وما أضفاه عليها الشعراء ، يستقريها بتذوقٍ جديد يتعرف من ورائه الى ما أومأ اليه الشعراءُ الجاهليون من رمز . ونال الماءُ وقيمته الرمزية في الشعر الجاهلي من جهده ومن اهتمامه النصيب الأوفى . ومن دراساته النفسية الشائقة تلك الدراسات التي عرض فيها لعروة بن الورد ولثلاثة من الشعراء الصعاليك : الشنفرى وتأبط شرا والسليك بن السلكة. وكانت دراساته الصوفية سبيله لدراسةٍ طريفة موضوعها : صورة الرسول العربي في عقول المسلمين . إني كلما حاولت أن أفسر سر ضن الأخ عبد الكريم وإقلاله في نشر دراساته ، تراءت لي حكمةُ الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري : « ادفن وجودك في أرض الخمول ، فما نبت مما لم يدفن لا يتمُّ نتاجه » .

يتسم كلُّ ما نشره الأستاذ عبد الكريم بالتعمق في الدراسة ، والاستقصاء في تتبع الفكرة ، والوضوح في العرض ، والاشراق والجزالة في التعبير . ولعل في مقالاته الأخيرة التي سطرها في عرض (أعمال سامي الدروبي في ميدان علم النفس) وفي تحليلها نموذجاً معبراً عن الطريقة التي يصطفيها في كتابته : يتعمق الفكرة ، ويستقصي جوانبها متتبعاً ، ويناقش وينقد مقوما . يطل عليك وانت تقرؤه في بزة بحاث مجادل ، ونظار صبور ، وناقدٍ لا يتعبه التنقير والتدقيق ، وكأن لسان حاله : « ما يكتب دون جهد ، يقرأ عادة دون استمتاع » . وهو الى ذلك لا تشغله معانيه عن العناية بأسلوبه ، بل لعله لا يرى لمعانيه أن تبرز الا مترديةً هذا الثوب المتنوَّق فيه . ثم اني لأستشفُّ في مقالاته هذه معنى أخلاقياً تنطوي عليه. أليس فيها الوفاء كل الوفاء لصديق عزيز غادرنا أحبَّ ما كان الينا[1] .

(١) مجلة المعرفة (عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م) ، الأعداد : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .

٨

أيها السادة

اننا ، ونحن نحتفي باستقبال الزميل الأستاذ عبد الكريم ، لا نملك إلا ان نذكر سلفه الراحل أستاذنا الدكتور جميل صليبا بأحسن ما يذكر به فقيد عزيز ، ونشيد بأياديه البيض على العربية وعلى الناشئة • لقد أسعدني الحظ فكنت بين تلاميذه عام (١٩٤٠ ــ ١٩٤١ م) في تجهيز دمشق الأولى ، حين آثر ، وهو المثقل بالأعباء في رئاسة التعليم الثانوي ، أن يقوم بتدريس المنطق في صف الرياضيات (البكالوريا الثانية) • كنا ننتظر بشوق وبهجة ساعتي المنطق ، وقد اختار وقت تدريسهما صباح السبت من كل اسبوع • وكنا نعجب لدقته البالغة ، يبدأ درسه في الثامنة صباحاً لا يتأخر دقيقة واحدة ، وكان درسه شائقاً ، جم الفوائد ، ولاأنسى صوته المحبَّب يتسلسل بكلماته الفصيحة المبينة في رفق وتؤدة تسلسل الماء العذب ، وتسْلمه الفكرة الى الفكرة في ربط محكم ، حتى ما تكاد تندّ عنه واحدة تتصل بموضوعه • كان يمضي في حديثه ونفوسنا متعلقة به تتابعه حتى ينهي درسه ، وقد استوفى كل عناصر بحثه ، وكأنه يقرأ خواطرنا وما يعنّ لنا من فِكَر ، فما تكاد تخطر لنا فكرة نسأل عنها بعد عرضه الممتع الواضح المحيط • لقد كان معلماً مربياً حقا ، وكان له قدرةٌ لا تحدّ في جذب طلابه وسامعيه والاستئثار بكل انتباههم • واستطاع في كل الميادين التي عمل فيها أن يكون المجلي المبرز السبَّاق • انضمَّ الى حلبة الخالدين ، وآثر المجمع بحبه ، وكان له في خدمة العربية ، والإبانة عن أسرارها ودقائقها والمنافحة عنها القِدْحُ المعلّى • لقد وقف في الساحة مع زملائه ورفاقه المجمعيين ، يحمل الراية ، يتقدم بها مظفرا موفقا اربعاً

وثلاثين سنة ونيفاً (آذار ١٩٤٢ ــ تشرين الأول ١٩٧٦ م) حتى وافــاه الأجل المحتوم ، فتلقّى منه الراية الأستاذ عبد الكريم باليمين ليمضي على السنن القاصد ، يكمل البناء الذي أرسى السابقون دعائمه ، يشارك في حمل الرسالة التي تسلمناها وائتمنا عليها • فلئن عظُم رُزْؤُنا بفقيدنا الغالي ، إن لنـــا في خلفه الأستاذ عبد الكريم الأمل الأخضر والرجــاء الخصيب :

إذا مات منـــا سيّدٌ قام بعــده نظيرٌ له يُغْني غَناه ويَخْلُفُ

ايها الزميل العزيز

هنيئاً لك مكانك بيننا في رحاب المجمع ، تقف معنا بعزيمتك وهمتك، تذود عن العربية المبينة في هذه المعركة الضارية التي يشنها علينا من كــل حَدَبٍ أعداء أمتنا الحاقدون ، يريدونها المعرَكــة الحاطمة ، لا تُبقي ولا تذر ، يدمّرون فيها كل شيء • لقد عبثوا بتاريخنا ، قطّعوا أرحامنا الواشجة ، باعدوا بين أنسابنا المتشابكة ، مزّقوا وطننا ، سخروا من قيمنا ومثلنا ، أنشبوا فينا مخالبهم دون رحمة ، واستهانوا بنا بين الأمم • ثـــم زادوا فانهالوا على هذه اللغة الشريفة الكريمة ، الحِصْنِ الذي نئل اليه ونلوذ به ، في حفظ وحدتنا ، وضمّ شتاتنا ، فهاجموها يريدون أن يدكّوا بنيانها من القواعد ، قد أرّقهم وأقضّ مضاجعهم أن تظلّ ، على كثـــرة ما كادوا لها ودبّروا ، ثابتةً شامخة كالطود ، نعتصم بها ، نتفيأ ظلالها ، فتضافروا جميعُهم ، جميع قوى الشرّ ، وأجلبوا جميعا واتقضّوا يريدون استئصال العربية من الجذور • قــد افتنّوا في ذلك وأعــدوا له شتى الأساليب الماكرة الخادعة • وأقسى ما في المعركة وأصعبه أن انضمّ الى

اعدائها الضالّون والمضللون من أبنائها ، وما أكثرهم ! قد زُين لهم الريُّ بماءٍ آجن •

كيف يتأتى لك أن تفسّر هذا الإعراض الأعمى ، وهذا العزوف في الجامعات العربية عن اصطناع العربية لغة علم وحضارة ، يؤثرون عليها اللغات الأجنبية • أنَسُوا أن العربية كانت لغة العلم والحضارة لجميع الشعوب التي سكنت ما بين البرانس الى أسوار الصين ، كتبوا بها مؤلفاتهم ، وتخيروها لسان محاوراتهم ومناقشاتهم وندواتهم العلمية ، بله عباداتهم ، مئات السنين ، لا يرتضون بها بديلا ؟

كيف تتقبل ، والعربية واحدة من اللغات الست التي يُسمح بالتحدث بها في المحافل الدولية ، أن يتخلّى عنها أبناؤها ليرطنوا بلغات أجنبية ، تقرباً الى أعدائهم وزلفى ، أو جهلاً بمنزلة لغتهم العظيمة بين اللغات • يا لله ! لقد أسفّوا حين طار الناس ، ورضوا بالحقير حين أبى غيرهم إلا صعوداً في المعالي •

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم   لبئست الخلتان : الجهلُ والجبنُ

لن أمضي في تعداد وجوه المأساة ! ولكنها نفثةُ مصدور في هذه المحنة الكبرى التي يمرُّ بها شعبنا العربي الأصيل العريق ، لن تزيده إلا استبصاراً في أمره ، واستمساكاً بحقه ، وثباتا على مبادئه ، وصبرا في نضاله ، واندفاعاً في تضحيته حتى يتحقق النصر ، ويتنفس الصبح ، يشرقُ بنوره على الأرض العربية الموحدة الحرة لا غاصب فيها ولا دخيل • أما التجربة المرة التي تمتحن بها العربية ، الغريبة بين أهلها فلن يطول ليلها • ليُظلِلْنا الأملُ بأن الظلمة منجلية ، وأن اشراقة الفجر قريب ، وأن العربية

ستعود سيرتها الأولى ، تحتل مكانتها السامية التي بلغتها في أمسها ، (وما ذلك على الله بعزيز) .

٩

أليس من الوفاء أن نذكر بالتجلة والتقدير اولئك الفرسان الرواد الاوائل ، دعاهم صوتُ العربية الحبيب الى نفوسهم فلبوه ، ونهضوا تظللهم الرايةُ العربية تخفق في سماء دمشق بعد طول غياب ، ليرسوا لهذا المجمع الخالد قواعده . هاهم أولاء أراهم يخطرون فرحين مستبشرين ، على وجوههم بسمة ؛ وفي قلوبهم تطلعٌ وتشوف ، قد تلببوا واستلأموا لتعريب الألسنة والدولة ، وما أصعبها مهمة ، ولإحياء التراث واللغة ؛ وقد طال عليهما العهد في زوايا الاهمال والنسيان . سقى اللهُ تلك الايام ! كانت أيام العنفوان والشموخ والعزة القومية ، وكانوا ثمانية فرسان غمرتهم الحماسةُ والايمان ، فاضطلعوا بأعباء العمل العظيم الشاق ، وما أشقَّ العمل في مرحلة التأسيس ؛ لم ينوا ولم يفتروا ، ولم تكرثهم العوائق والمثبطات ، وما اكثرها . ومضوا على صراط مستقيم ، ينظرون في إصلاح اللغة المتداولة ، ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية ، ويعملون على نشر آداب العربية واحياء مخطوطاتها ، وتعريب كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، يضم الى ذلك التأليف وتشجيعه ، والعناية بالآثار وجمعها خشية أن تنالها يد العفاء والبلى . ثم أصدروا مجلة المجمع يتابعون على صفحاتها الرسالة التي نيطت بهم . ولقد كان المجمعيون ، أغدق الله عليهم صَوْب رضوانه ، على بينة من أمرهم في عملهم ، يتأتون للامور من وجوهها ، لا تغيب عنهم صغيرة تفسد عليهم ما أخذوا به . انهم دعاة الإحياء والتجديد ، دعاة البعث والمعاصرة ، يتشوفون الى

المستقبل الوضيء دون أن يفقدوا الهوية العربية ، يريدون ان يقيموا الجسر الذي نعبر عليه حتى لا تكون هوة فاصلة بين الغابر والحاضر . هل تريد رمزاً يلخص لك طريقهم ؟ لقد اختاروا ان يجتمعوا في رحـاب العادليـة والظاهرية ، في هذه البقعة العزيزة الغالية ، تنطوي حناياها على تاريخ دمشق ومجد العرب ، تكر علينا أحاديثَ الماضي ، تقص علينا ما قامت به دمشق الخالدة ، وما صنعته جماهيرها ، جماهير الشام ، في ظلال نورالدين الشهيد ، وصلاح الدين الناصر ، والعادل ، والظاهر ، نهضوا في الأزمات الشداد التي تصدت فيها دمشق العروبة لمقاومة غـزو أوربا ، يذودون عن الديار ، ويشيدون دور العلم ، ويكرمون العلماء ، ويصنعون المكرمات . اي تاريخ حافل يتراءى لك ، اينما تلفت لا تقع إلا على أثر يواجهك ، يروي لك أحاديث تلو احاديث ، وقصصا اثر قصص ، فانت تتنقل بين المآثـر والمكارم . ولكن المجمعيين ، حرصوا الحرص كله ان يبقى المجمع وثيق الصلة بالجامعة التي تمثل كل الطموح وكل التطلع في ارساء النهضة على قواعد من العلم الحديث والثقافة المعاصرة . وتعاون المجمع والجامعة معاً على اداء الرسالة : في احياء التراث وخدمة اللغة ، وفي ترجمـة العلوم الحديثة ، وفي اصطناع المصطلح . فكانت الجامعة بهمة اساتذتها الاوائل الجامعة العربيـة الاولى التي أعادت للغـة العربية رونقهـا ومكانتها ، واصطنعتها لغة علم وحضارة ، لم تشح بوجهها عنها ، على كثرة ما عانته في سبيل ذلك من مقاومة الاستعمار وتعنته . وكان مجمعنا بهمة مؤسسيه الأوائل اول المجامع في البلاد العربية ، رفعوا مناره ليكون حافظاً للعربيـة وردْءاً . ولقد تسلطت فكرة ارتباط المجمع بالجامعة تسلطا دعا الى ضم الجامعة والمجمع معا فترة من الزمن حرصاً على ابقاء هذا المعنى (الاحياء

والمعاصرة) حيا في النفوس ، وحماية له أن يُطمس او يتفلت على مـــر الأيام[١] . وان هذه الصلة الوثيقة التي قامت آنذاك بين المجمع والجامعة عن وعي وارادة يجب ان تظل وطيدة ، حية ، ليتحقق لنا ما نريد للغتنا مـــن مواكبة العلم ومعاصرة الحياة المتجددة . ورمز ثان ينبىء بهذا النهج الواعي الفطن في الاحياء ، الذي سلكه المجمعيون ، يتراءى لك في شعار المجمع. لقد اختاروا شجرة الزيتون رمزاً لمجمعنا الخالد . ألم تكن هذه الشجرة المباركة رمز بلاد الشام كما كانت النخلة رمز بلاد العراق . ما أجمـــل ما اختاروا . لقد أحيوا هذا الرمز الرامز يصل الحاضر بالماضي ، وجسَّدوا كلمة الفرزدق شاعر العرب يخاطب بني امية :

فنصحي لكم قاد الهوى من بلاده ألى منبت الزيتون من منبت النخلِ

تلك هي سيرة الرواد المجمعيين ، طيب الله ثراهم ، سنُّوا لنا طريقـــاً جَدَداً في إحياء التراث ، واصطناع العربية ، يحفظ علينا عروبتنا وتاريخنا وهويتنا ، ونمضي من بعدُ ، بقدم ثابتة ، في ثقة وطمأنينة ، الى المستقبل الذي نتشوف له ، نخوضُ اليه عباب العلم والتقانة (التكنولوجيا) ، شعارنا التقدم ، وهمنا وغايتنا اللحاق بالركب العالمي ، نسلك اليـــه كل سبيل ، لنشارك في صنع الحضـــارة الإنسانية ، ونستعيد مكانتنا تحت الشمس ، فعل الجدود الأكرمين . فلنقتدِ بفعالهم ،ولْنقفُ على آثارهم ، بالعمل الدائب لا يفتر ، والعزيمة الصادقة ، جمعاً بين البعث والمعاصرة ، بين

---

(١) تأسست الجامعة السورية مؤلفة من المجمع العلمي العربي ومعهدي الطب والحقوق (١٥ حزيران ١٩٢٣) ثم فصل المجمع لتكون له شخصيته المعنوية على المثال الذي جرت عليه معظم مجامع العالم (١٥ آذار ١٩٢٦) ـ انظر : اعمال المجمع العلمي العربي في دمشق عن سنواته (١٩٢٢ ـ ١٩٢٤ م) : ٣١ ، والتقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي : ٦ .

الإحياء والإبداع ، بين التراث وفتوحات العلم الحديث . ولتتألق العربية المبينة وضاءة ، تبسط نورها في الخافقين .

أي عواطف متداخلة ، وأي نوازع مشتبكة ، تتنازع نفسي ، تتنابني في مقامي هذا الذي أقوم به ، تطلّ عليّ رؤى المجد وطيوف العـزّ . أتراني أنسب الى التكرار والترداد وأنا أشيد بمآثر قومي العظام ، طلعوا على الدنيا شموساً مشرقات ، « سكنوا كل ذروة من أشمّ » فأفاضـوا الخير ، وعلّموا المحبة ، وعاشوا التسامح ورفعوا بنيان الحضارة العربية الزاهرة سامقاً شامخاً يتلألأ ضياؤه ، فأراحت في ظلاله شعوب وشعوب . إنها الحضارة الخيرة السخية السمحة تسع الناس جميعا ، لم تحجب نورها عن أحد ، ولا بخلت بعطاء ، ولم تحتكر معرفة ، ولم تستغل ، ولم تحتجن . هي للإنسان أنّى كان ، ينهل منها كل وارد بقدر ما يريد . حضارة غايتها الانسان ، وشعارها ودثارها العمل للرقي بقيمه ومثُله . أتراني أنسب الى التعصب حين تفتنني مآثر قومي الخالدات ، وتبهرني صنائعهم ، وتسـلأ صدري فضائلهم ؟ لقد ساكنت قلبي هذه الصور الرائعات من البطولات والمحامد والمساعي ، شغفتني حباً ، وهي تتراءى أبداً حية ناضرة أمام عيني، أتمثلهـا ، تطالعني بمحياهـا الجميل ، تبعث في نفسي الآمـال المورقات والتفاؤل والنشوة ، وتبشرني بالمستقبل المشرق كلما ادلهمت الظلمات أمام قومي : ظلمات الفرقة والخصام والتخلف ، قد أغرقهم فيهـا الاستعمار الخبيث والامبريالية الغادرة والصهيونية الماكرة ، تآمرت جميعا على قومي، جثمت على صـدورهم ، لتحول بينهم وبين الوحدة والحرية والسـلام والتقدم والازدهار ، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن

يتم نوره) ، ويتم نعمته . كتب الله لقومي السلامة من شرورهم ، والنجاة من حبائلهم ، ومكّن لقومي في الأرض .

أتراني أنسب الى العصبية حين أجدني مفتوناً مأخوذاً بلسان قومي المعرب المبين ، أوثره ، أدين بحبه ، قد توثقت ألفتي له ، وتبينت لي أطراف من أسراره وسحره ، فراعني وتسلك علي نفسي . وضننت به على اللحن والخطأ ، ووددت لو أوتيت بيان شاعر ، وبلاغة كاتب وخطيب لأكشف عن مزاياه ، وأقف قلبي على التغني بمحاسنه واعجــازه . اني لأتطالع الى الآفاق أنتظر اشراقة الفجر ، يوم تعمّ العربية المبينة وتأخذ مداها . وان مع اليوم غدا ، وان لنا الغد المشرق ان شاء الله . وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

خطاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

في حفل استقباله

الحمد لله والصلاة على رسول الله • وبعد

أيها السيد الرئيس والاساتذة أعضاء المجمع والسادة الحضور •

لئن كان حقاً علي أن تكون فاتحة كلامي عرفاناً بفضل الاساتذة أعضاء المجمع علي ، أن فتحوا لي أبواب هذا الحرم المقدس للغة التنزيل؛ انه حق علي أيضا أن أقدم بين يدي اعترافاً لا يرجع الى التواضع ، مجلوباً أو غير مجلوب ، بل الى الصدق أمام النفس قبل أن يكون أمام الآخرين•

أقول : لقد فوجئت حين عرض علي بعض الاصدقاء أن أوافق على ترشيحي لعضوية مجمع اللغة العربية ، إذ لم يقم في نفسي قبلها مرة أن أطمح ، بمحصولي القليل من المعرفة والاقل من علوم اللغة العربيّة ، لمثل هذا المقام ، ولاسيما اذا كان من استوى عليه قبلي بجدارة رجلاً أوتي الجزالة في العقل والجسم وفي العلم والخلق والبيان • فكان ردي الاول والسريع الاعتذار معللاً بأنني لا أحمل شهادة علمية عالية ولست في مركز علمي هام ولم يصدر عني عمل علمي مذكور • انني رجل ابتلعت خير أيامي وجهودي الرمال العاقة للسياسة في هذه البلاد التعيسة • ولكن الاصدقاء ، سامحهم الله ، أبوا علي اعتذاري • فلبثت زمناً في حيرة بين الاصدقاء وبيني : اني أعلم يقيناً أنهم ذوو ضمائر مستقيمة وعقول نزيهة، فلا بد أنهم اشتروني جملة ولم يتقروا التفاصيل • وبعد لأي ماوافقتهم ، بل قل استسلمت لمشيئتهم•وغيربعيد أن يكون من أسباب هذا الاستسلام

ذلك الغرور الخفي الغادر الذي يتسلل الى نفوس الرجال ، مهما بلغوا من التواضع ، فيتجاوز بهم مقدارهم . فاعفوا عني واصفحوا .

قد يشد من أزري ، ذلك الى عون الاساتذة الزملاء ، هذا الهم المقيم في القلب والمتصل بهذه الامة ، التي تداعت عليها وعلى لغتها الامم كبيرها وصغيرها . والاخطر من ذلك التداعي هذا الدعاء الملح الصادر عنها : بالخوف الذي توحيه إليهم : بالموقع في الارض والمكان في التاريخ والكثرة في الانفس والثروة في الخامات والمقام الروحي عند كثير من الشعوب ، والطمع الذي تذكيه فيهم : بالتخاذل والضعف والتخلف والتظالم والضياع بين الفجور والقبور ؛ حتى كأن أمتنا شجرة اهترأت منها الجذور في هذا العالم المرتج بالاعاصير .

أرجو أن يكون هذا الهم لي مسعداً ، ولكنني لا أقدمه ، وما كان لي أن أقدمه ، عذراً ، فلست فذاً في حمله ، وما أنا إلا فرد من قبيل . فكم بين هذا الخلق المضطرب بين البحر والصحراء في هذه الرقعة الواسعة التي ندعوها وطن العرب ، ممن يجد العذاب في قلبه وهو يلوب في قلب هذه الفتن التي يصبح فيها العربي إنساناً ويمسي وحشاً أو عبداً أو دون ذلك أو أكثر . ان مثل هذه الهموم تُعِدُّ الانسان لأن يكون من أبناء أمته البررة أو المخلَصين أو المجاهدين ، وتلك لعمري مقامات عليا ، يشرّف الانسانَ ، أيَّ انسان ، أن يزحف في عتباتها ، وقد تعلو على مقامات العلماء ، ولكنها من عالم آخر غير عالم العلم . وطوبى لمن اتسعت نفسه للعالمين !

وهذا البلد ، الشام ، كم في باطن أرضه وعلى وجهها بعد من شهيد في سبيل هذه الامة واسلامها ولغتها . ولقد كان كذلك حاله منذ التقى

أبو عبيدة وخالد على مبعدة مئات قليلة من الأذرع من ههنا . فلئن كانت مدينة الرسول عاصمة دولة الاسلام ، التي تنزّل فيها ، في عهد الثلاثة : رسول الله والعمرين ، وللمرة الوحيدة في تاريخ الانسانية ، المثلُ الأعلى من ملكوته الى الارض فأصبح واقعاً ودولة بين الناس ــ لقد كانت دمشق عاصمة دولة العرب ، فأيّاً ماكان الاعتراض على بني أمية ودولتهم ، فلا جدال في أن دولتهم كانت دولة العرب الخالصة . ولكن الاسلام والعروبة، منذ ما تنزّل على قلب الرسول العربي القرآنُ بلسان عربي مبين من لدن عليم حكيم ، قد تخالا خلة امتنعت معها أية عملية لفصلهما أحدهما عن الآخر ، وكل محاولة في هذا السبيل جرتَ انما كانـت محاولة غبيّة أو خبيثة هدفها الخبيء الانتقاص منهما أو قتلهما معاً . وبعد العاصمتين لم تكن أي عاصمة أخرى للاسلام أو العروبة إلا انتقاصا على نحو وبمقدار من الاسلام والعروبة جميعاً .

وإن في التاريخ أحـداثاً وظواهر هي اشارات ورموز تكشف عن أقدار المـدن ، وللامصار كما للاشخاص أقدار . ففي كل مرة كان فيها الاسلام والعروبة في خطر شديد أو على شفا الهلاك،وقعت المعركة الفاصلة المنقذة على مقربة من دمشق ، مدينتنا هذه . فعلى كتفها في الجـولان والجليل جرت معركتا حطين وعين جالوت . وقد تجمعت النذر الآن ؛ ولا أرى إرهاصات بحطين جديدة . اننا ما زلنا ، لبؤس جيلنا ، في عهود ما قبل نور الدين ، ولكن زمانها سيخيّم ، وستقوم دمشق بدورها في تقرير المصاير .

وقد عرف العرب والمسلمون ، ملوكهم وسوقتهم ، خاصتهم وعامتهم، لهذا البلد مكانه . ففي مرتين في التـاريخ ، مرة مؤكدة ومرة مقولة ،

تعلّق أملُ خليفتين بالخلاص ، حين اشتدَّ التآمر واشتجرت الفتن ـ بدمشــق :

فالمتوكل (٢٠٧ ـ ٢٤٧ ، خلافته ٢٣٢ ـ ٢٤٧) الخليفة العباسي، وقد ورث عن أخيه وأبيه وعمه جملة من المشكلات كان أشدها خطراً مشكلة الجند من الاتراك وتسلّطهم على الحكم ، إذ مدَّ لهم الواثق حتى كادوا يصبحون الحكومة كلها ـ[1] « جعل يجيل الآراء في استئصالهم». فبدأ برأسهم ايتاخ فاحتال عليه فأوقع به[2] (سنة ٢٣٥) ؛ وأنشأ فرقة من الجند[3] « نحواً من اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك » ضمها الى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان . ولكنه ظل يشعر أنه مادام في سامرا فهو مقيد الحركة وتحت رحمة الجند ، فقرر نقل عاصمة ملكه الى دمشق. وفصل عن سامرا في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين ودخل دمشق في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين[4] ؛ ونزل في قصر المأمون[5] « بين داريا ودمشق ، على ساعة من المدينة ، في أعلى الارض ، وهـذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة » . ولكنه لتعسه ونكسه ؛ ولأسـبابٍ غير مقنعة يذكرها المؤرخون[6] ، وأسباب نخمّنها ولا نتأكدها ، لم يستقر في دمشق وعاد الى العراق[7] ، فبنى المتوكلية عاصمة جديدة يُذكر بها ، فلم تعصمه واغتاله فيها الجند من الاتراك[8] . فكان ، لولا الصحوة المعتضدية الاخيرة ، آخر خليفة عربي يملك ويحكم .

والخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (حكم من ١ أيلول ١٨٧٦ م ـ ٢٦ نيســان ١٩٠٩) ـ ولست في صدد تقويمه ولا تقويم المتــوكّل : شخصيتيهما وطريقتيهما في الحكم ـ حين اشتدَّ تآمر رجال تركيا الفتاة المؤيدين بقادة من الجيش وبالماسونية ـ كما يؤكد بروكلمان[9] ـ أي

بالصهيونية الدولية ، وادلهمّ الجو من حوله في استانبول « سعى لأن يجعل اللغة العربية لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها » ـ كما يذكر المستشرق كارل شولتز[١٠] ـ ؛ ونوى ـ كما يُروى[١١] ـ نقل العاصمة الى دمشق • ولكنه لم ينفذ وعاجله الجند فخلعوه • فكان آخر خليفة للمسلمين ، ولا اعتبار لرشاد ووحيد الدين وعبد المجيد اذ لم يكونوا أكثر من تطبيقات لقانون القصور الذاتي •

والزهاد والمتصوفة ، اذ كانوا يصدون عن بعض بلاد الاسلام ـ قال الكلاباذي (ـ ٣٨٠) : سمعت كثيرا من مشايخنا يقولون : كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاث : إذا حجّ عن غيره بمال ، واذا أتى خراسان ، واذا دخل اليمن ، قالوا : من أتى خراسان لم يأته إلا للرفق وليس بهـا مباح فيطيب مطعمه ، وأما اليمن ففيه طرق الى الفسق كثيرة[١٢] ـ كانت نفوسهم (الزهاد والمتصوفة) تهوي الى الشام • سأل ابراهيم بن أدهم (ـ ١٦٢) بعد توبته بعض المشايخ عن الحلال فقالوا له : اذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام[١٣] • وقال لشقيق البلخي (ـ ١٩٤) وقد لقيه في الشام : ماتهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام،أفر بديني من شاهق الى شاهق ومن جبل الى جبل ، فمن يراني يقول موسوس ومن يراني يقول هو حمال[١٤] • والغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥) حين أخذته الازمة الروحية حتى اعتقلت لسانه، فر بنفسه الى بلاد الشام[١٥] واعتكف مدة في المنارة الشرقية لجامع دمشق، وظل في سياحة عشر سنوات لم يكد يخرج فيها منها إلا الى الحج • وابن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨) نفذ بنفسه وصيته الواردة في وصاياه في آخر الفتوحات المكية ، قال[١٦] : « إن قدرت أن تسكن الشام فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : عليكم بالشام فإنه خيرة الله في أرضه

وإليها يجتبي خيرته من عباده » . وهكذا نعثر عليه ابتداء من سنة ٦١٣ في حلب وفي حمص ثم يستقر في دمشق منذ سنة ٦٢٠ حتى وفاته .

تلكم أحداث ومواقف ، ولها أمثال كثيرة ، تكشف عن الدور المقدور لهذا البلد : أرضه وشعبه في تقرير مصاير هذه الامة . وحين يكون قدر بلد مثل هذا القدر لا يخليه الله من أصحاب العزمات وممن يؤرقهم تقنيب الرأي في الصورة التي يجب أن يكون بها حملُ المسئولية .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت .. »[١٧] ، ولكن شوقي قال في أواخر الربع الاول من هذا القرن : « وعز الشرق أوله دمشق »[١٨] ؛ ولا ندري أهو إلهام من إلهامات شاعر أو نتيجة تعمق في فهم أحداث التاريخ، ولكن وقائع الازمنة الحديثة ، ما كان منها قبل هذه القولة وما كان بعدها، أتت مؤكدة لها .

فعلى أرض هذا البلد دارت معركة الوحدة العربية مرتين : مرة في عهد محمد علي (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) ، وأخرى عشناها (٢٢ شباط ١٩٥٨ ــ ٢٨ أيلول ١٩٦١) . وإني في هذه المناسبة أدعو كل عربي الى أن يستقري القوى الدولية : الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، الغربية والشرقية وحتى في هذا العالم البائس الذي يسمونه العالم الثالث ، ولينظر أيتها لم يكن عدواً لوحدة هذه الامة ــ وعندئذ يعلم معنى الامة العربية في هذا العالم ومعنى وحدتها .

وعن هذا البلد انحسرت ، في معركة امتزج فيها دهاء السياسة بمقاومة الشعب ، شيء خُصَّت به الشام يكاد يكون غريزة لها ــ انحسرت أول ما انحسرت جيوش الاستعمار الاوربي (١٧ نيسان ١٩٤٦) ؛ وكانت

فاتحة لكل بلاد العرب بل لكل العالم المستعمر . ولم ينس هذا البلد ، وهو في غمـرة أفراحه ، أن يقول بلسان رئيسه حينذاك وهو يرفـع العلم الوطني : لن يرتفع فوق هذا العلم إلا علم الوحدة العربية ــ وكان عند وعده .

وفي هذا البلد ، وقبل ربع قرن ونيف من تاريخ الجلاء هذا ، قامت أول دولة على أسس القومية العربية (٨ آذار ــ ٢٥ تموز ١٩٢٠) ــ وأقول مرة أخرى : لست في صدد تقويم الثورة العربية وقدرات قياداتها وطموحاتهم القومية والشخصية ــ . وحين أستعرض ذلك العهد الذي كان فيه فيصل في دمشق أميراً ثم ملكاً (تشرين الاول ١٩١٨ ــ تمـوز ١٩٢٠) ، لا أقضي العجب من نشـاط رجال البلاد حينذاك وحماستهم وإيمانهم في كل الميادين وكل المستويات . وفي ذلك العهد القصير الامد في هذا البلد وللمرة الثانية في التاريخ تم تعريب الدولة .

كانت المرة الاولى زمن عبد الملك بن مروان . لقد وضع عمر سنة ١٥ ديوان الجند وكان يكتب بالعربية ؛ أو كما يقول الطبـري « فرض على المسلمين الفروض ، ودوّن الدواوين ، وأعطى العطايا على السابقة في الاسلام »[١٩] . ثم زاد معاوية فجعل الدواوين خمسة : للجند والخراج والرسائل والخاتم والبريد ؛ ولكنها باستثناء ديوان الجند ، كانت تكتب بلغات البلاد المفتوحة : الرومية والفارسية والقبطية ، ويتولاها أشخاص منها دون العرب والمسلمين[٢٠] . فعمد عبد الملك ، سنة ٨١ ، الى تعريب الديوان في الشام ، وصرف سرجون بن منصور الذي كان يتولاّه ، وقلّده سليمان بن سعد الخشني ، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[٢١] .

ثم كانت هذه هي المرة الثانية . فقد واجهت الحكومة العربية التي

قامت في ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ مشـكلة تعريب الدولة . اذ كان « على الحكومة السورية ـ كما يقول ساطع الحصري ـ أن .. تحوّل اللغـة الرسمية من التركيـة الى العربية في جميـع الدوائر والمدارس والدواوين. وقد تمّ ذلك بسرعة فائقة . وقد استحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين .. وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة ... وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية »[٣٢]. وأنشأت الحكومة العربية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ « شعبة الترجمـة والتأليف » ، التي أصبحت حين ضمت إليها أمور المعارف العامة في ١٢ شباط ١٩١٩ « ديوان المعارف » . وانقسم هـذا الديوان حين اتسعت أعماله ، في ٨ حزيران ١٩١٩ الى قسمين : اختص الاول بأمور المعارف العامة ، والثاني بأمور اللغة والمكتبات والآثار ؛ وهذا القسم الثاني هو المجمع العلمي العربي[٣٣] ، الذي نهض منذ ذلك التاريخ بعمله الجليل ، وكان أول مجمع علمي عربي .

أيها السادة . لست غريباً عن هذا المجمع ، فقد قضيت فيه زهاء ثلاث سنوات من أوائل العقد السابع مديرا لدار الكتب الظاهرية ، أتفيأ ظلال التاريخ والكتب والهدوء ، وأستظل برعاية الرئيس الامير مصطفى الشهابي رحمه الله وشهامته .

أذكر أنه دعاني مرة إليه ، وكانت مجلة المعرفة الدمشقية نشرت لي مقالاً عرضت فيه رأياً مؤداه أن قادة الثورة العربية أيام الحرب العالمية الاولى ارتكبوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين حالفوا استعماراً فتياً ضد الاستعمار التركي العجوز المتهاوي ، وكان قصدي التعريض ببعض القادة العرب حينذاك إذ يرتكبون الخطيئـة نفسها حين يحالفـون الامبريالية

الامريكية ضد الاستعمار الاوربي العجوز . قال لي بعد حديث قصير: قرأت مقالك . قلت : أرجو أن تكون راضياً عنه . قال : أردت أن أناقشك في رأي عرضته فيه لأننا نعدّكم خلفاءَ لنا .. ثم ذكر لي : أن بعض رجال الثورة العربية لم تكن هذه الفكرة غائبة عنهم بل ناقشوها ، ولكنهم كانوا واقعين بين قرني الإحراج: إن مضوا مع الاتراك، فالاتراك أنفسهم واقعون تحت سلطان الالمان ، وأياً كان المنتصر من الطرفين الاوربيين فسيكون مصيرُ الاتراك والعرب جميعاً الخضوعَ لاستعمار المنتصر ، أمّا اذا تحالفوا مع الحلفاء فستكون لهم يدٌ عندهم فإذا انتصروا طالبوهم بردّ الجميل وإنفاذ الوعود . قلت ، وكنتُ صادقاً : أفدتَني شيئاً جديداً لم أكن أعلمه ، وسكتّ . كان للامير في نفسي من المهابة والإجلال ما منعني من متابعة النقـاش .

ومرة أخرى دعاني إليه ، وبحديث قد بلغ الغاية من اللطف والعطف أفهمني ، وكنت في حينها مجروحاً من نكبة الانفصال ويسـود مقالاتي المرارةُ والعنف ــ أفهمني أنني لو كفكفت شيئاً من غلوائي لأمكن تحاشي ما قد يصيبني من ضرر . قال ، وكان يعلم ما أنا فيه من ضائقة : إن هؤلاء حقودون . فأجبته بما أجبته ، فلم يزد وغيَّر الحديث . ثم علمتُ بعد زمان ومن جهات أخرى أنه طُلِبَ منه تسريحي فلم يوافق . ليرحمه الله بمقدار أنفته ومروءته وحبه لأمته .

وإني ، أيها السادة ، إذ أستعرض هذه الذكريات فليس للوفاء وحده، « وإنما لذة ذكرناها »(٢٤) . انها لذة مصفاة تلك التي نجدها حين تتأمل الخلق النبيل .

لقد تعرفت بالامير مصطفى الشهابي على ممثل ممتاز للجيل الاول

من أعضاء المجمع ، وتعرفت بالدكتور جميل صليبا على ممثل ممتاز أيضاً للجيل الثاني منهم :

كان أول معرفتـي به سـنة ١٩٣٦ . في تلك السنة أقيـم مهرجان للمتنبي في دمشق . وأصدرت جريدةُ الايام الدمشقية عدداً خاصاً جمعت فيه ما قيل في المهرجان . وقرأت العدد من أول سـطر فيه الى آخـر سطر . وأذكر أنني أعجبت بالدراسة التي قدَّمها الدكتور صليبا . لست أذكر الآن شيئا مما قرأت ولا شيئا من تلك الدراسة ، حتى عنوانها . كلّ ما أذكره أنني فضلتها في حينها على كل ما كُتِب وقيل في ذاك المهرجان ، وأنني راقني منها خاصة الروحُ القومية المنبثة فيها .

لم أكن ، لسوء حظي ، تلميذاً له . وكانت لقاءاتي له محدودة بالعدد والمدة والاحاديث التي كانت تدور فيها . لقيته بصفته رئيساً للتعليم الثانوي وعميداً لكلية التربية وفي لجنة الفلسفة وعلم الاجتماع في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . ولكنني قرأت في مطلع شبابي قراءة دراسةٍ كتاباته : من علم النفس الى دراساته التي قدّم بها للمنتخبات من فلاسفة العرب أو جمعها في كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » .وربما كانت سبباً من أسباب دعتنـي الى تغيير اتجاهي من الرياضـة والعلوم الفيزيائية الى الفلسفة .

أتتم ترون ، أيها السادة ، أن هذه اللقاءات والقراءات جميعاً لاتسمح بمعرفة نافذة وحقيقية . فهل يحق لي اعتماداً عليها وعلى ما استقيته ، وما استوفيت ، من بعض أهله وأصدقائه وزملائه وتلاميذه ، أن أقوم شخصيته وأصدر عليها بعض الاحكام ؟ إن أولى من يقوم بهـذه المهمة أصدقاؤه

الذين لازموه ملازمة طويلة وتوثقت بينهم وبينه العلاقة.ولكن اذا كان عليّ أن أحاول فإنني أقول من باب التخمين لا التأكيد :

يبدو لي أن الدكتور صليبا كان معتدل المزاج ضابطاً لأعصابه وتصرفاته وعواطفه ، عقلانيا واقعيا مجدّاً دؤوباً قادراً على التنظيم وصادقاً في أعماله . ومثل هذا الطبع لاتتحكم بمسيرة حياته النزوات والاهواء والانقلابات المفاجئة ، وانما هو التطور الهادىء تتولد المراحل فيه بعضها من بعض تولداً طبيعيا دون خلل أو انحراف أو عنف . واذا كان لابد من تقسيم حياته الى مراحل فلن تكون العمدة في هذا التقسيم على أسباب نفسية داخلية بل على أسباب خارجية . قال ابنه حبيب ، وأنصف أباه : « لقد شاءت الاقدار أن يكون مربياً فأخلص لدور المربي ، وشاءت الاقدار أن يكون مؤلفاً فأخلص لدور المؤلف والمفكر .. »[٢٥] .

ولد جميل بن حبيب صليبا في ٧ شباط سنة ١٩٠٢ في قرية القرعون . من قرى البقاع ، وأسرة صليبا أسرة كبيرة في سورية ولبنان تدعى أيضا صليبة وصليبي ، ولها تاريخ قديم مطبوع في لبنان (كما يقول في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع) .

انتقلت أسرته الى دمشق سنة ١٩٠٨ . ومن هذا التاريخ تبدأ مرحلة الطلب . درس في دمشق حتى حصل على شهادة المدرسة التجهيزية العربية (١٩٢١) . ثم أوفدته وزارة المعارف الى فرنسا ، فالتحق بالصوربون (جامعة باريز) . وهناك حصل على دبلوم التربية من معهد علم النفس (١٩٢٣) ، وليسانس في الآداب (فرع الفلسفة) (١٩٢٤) ، وليسانس في الحقوق (١٩٢٦) ، وتوج دراسته بالدكتوراه في الآداب من جامعة باريز

على رسالتيه : « دراسة لما وراء الطبيعة عند ابن سينا »[٣٦] و « النظرية الاجتماعية في المعرفة »[٣٧] .

ويعود الى دمشق ، فتبدأ المرحلة الثانية من حياته وأدعوها مرحلة التدريس ، إذ يعين مدرساً للفلسفة في تجهيز دمشق (١٩٢٧) . ولقد كان مدرسا ناجحا . يصفه تلميذه حافظ الجمالي على النحو التالي : « ..لاأزال أذكر تلك اللغة العربية الصافية التي يصوغ بها دروسه وكتبه ، وذلك الصوت العذب الرخيم الهادىء الرصين ، الذي يلزم الانسان بالانتباه إلزاماً .. فإذا تركت الصوت الى الموضوع ، وجدته يتسلسل نقطة بعد نقطـــة ، وفكرة بعد فكرة ، لينتهي الى كلٍّ شامل تعرف أوله وآخره ، وبدايته ونهايته ، في بنية موحدة ، ذات هندسة مكتملة ..[٣٨] . والى هذه المرحلة يرجع كتاباه التعليميان : « علم النفس » (١٩٣٦) و«المنطق» (١٩٤٤) ، وترجع المنتخبات من نصوص الفلسفة العربية مع مقدماتها : « ابن خلدون » (١٩٣٣) ، « المنقذ من الضلال » (١٩٣٤) ، « حي بن يقظان » (١٩٣٥) ، « ابن سينا » (١٩٣٧) ، وترجع المحاضرات الست في تاريخ الفلسفة العربيّة التي جمعها في كتاب «من أفلاطون الى ابن سينا» (١٩٣٥) . وما أظنني مبالغا اذا قلت : إن هذه الكتب مع كتاب الاخلاق للدكتور كامل عياد ، الذي شارك في المنتخبات ، تبدأ مرحلة الدراسات الفلسفية في بلاد الشام في العصر الحديث . لأنه : اذا كان حبل الدراسات الدينية والادبية واللغوية لم ينقطع بين العصور العربية الزاهرة والعصر الحاضر ، وان تقلبت عليها الســعود والنحوس ، فإن حبــل الدراسات الفلسفية قد انقطع أو كاد خلال قرون طويلة .

ثم تبدأ المرحلة الثالثة ، وأسميها مرحلة الادارة ، حين يُعيَّن رئيساً

للتعليم الثانوي والفني والإكمالي (١٩٣٥) ، فمديراً لدار المعلمين(١٩٤٤)، فرئيسا للجنــة التربية والتعليم (١٩٤٥) ، فأمينــاً عاماً لوزارة المعارف (١٩٤٩) • والدكتور صليبا مؤهل للنجاح في الادارة ، للصــفات التي ذكرت ، ولما أوتيه من رصانة ووقار وقوة في الحجة ووضوح في البيان ؛ ولما أوتيه خاصةمن سعةفي الأفق ومعرفة بالرجال،من يؤتاهايعلمأن مشكلات الادارة ليست مشكلات رياضية أو منطقية لها حل واحد ويكون بأقصر الطرق ، ولكنها مشكلات معقدة لانها تتصل بالناس ، والناس مجموعات متغيرة متحركة من الوحدات ـــ الافراد ، كل وحدة منها معقدة البنيان متغيرته في الزمان تمتاز من الوحدات الاخرى بل تكاد تكون غريبة عنها الغرابة كلها ؛ ولذلك كانت المشكلات الانسانية ، ومنها مشكلات الادارة، تتحرك في حيز كثير الابعاد متشبكها والزمان ـــ التاريخ بُعدٌ أساســي فيها ؛ ولذا قد يكون للمشكلة أكثر من حل ، وقد يكون فيها الحل الممتنع في لحظة ممكنا في لحظة أخرى ، وقد يكون الحل الانجع في القرار السريع الحاسم كما قد يكون في الطريق الملتوي الطويل الخ •• والدكتور صليبا لم يكن قادراً على تسيير ما يوكل اليه من أجهزة وحــلّ المشكلات التي تعترضه فقط ، بل كان أيضا ادارياً مُنَظِّراً ، يفيد من ممارسته لوضع الانظمة والخطط والبرامج وحتى ما يشبه النظريات • ففي هذه المرحلة من حياته وضع كثيراً من البرامج والانظمة للتعليم ، وســطر دراسات وتقارير عن اصلاح التعليم ، بعضها مطبوع (التقرير السنوي عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦) وبعضها محفوظ في السجلات ؛ كما عمل بالاشتراك مع ساطع الحصري على اصلاح التعليم فوضع كثيراً من قوانينه وأنظمته ولوائحه • ولقد أفاد كثيرا من تجربته في هذه المرحلة في تأليف كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » •

وفي سنة ١٩٥٠ عُيِّن عميداً لكلية التربية ، فبدأت المرحلة الرابعة من حياته ، وأسمِّيها المرحلة الجامعية • وهي فعلا مرحلة جامعة :

مارس فيها الادارة : عميداً لكلية التربيـــة (١٩٥٠ ــ ١٩٦٤) ، ورئيساً للجامعة بالنيابة (١٩٥٨) •

ومارس فيها التدريس والمحاضرة : ألقى محاضرات على طلاب كلية التربية في علم النفس (جمعها في « كتاب الغريزة والعادة والارادة » ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم أيضاً في التربية (جمعها في كتاب «مستقبل التربية في الشرق العربي » ــ نشر في سنة ١٩٦٢) • وألقى محاضرات على طلاب كلية الآداب في فلسفة برغسون (جمعها في كتاب «فلسفة برغسون» ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم في تاريخ الفلسفة الحديثة (جمعها في كتاب « في تاريخ الفلسفة الحديثة : بيكون ، ديكارت ، مالبرانش ، ليبنتز ، اسبينوزا ، لوك » ــ مخطوط) • وألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة باريس موضوعها : الفلسفة العربية وتطورها (١٩٥٤)• كما ألقى محاضرات على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربيـــة العالية التابع لجامعة الدول العربية « في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الادب الحديث » (١٩٥٨) (نشر الكتاب في السنة نفسها)• واشترك في الحلقة الدراسية التي دعت اليها الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٢ لاستعراض ما أسهم به المؤلفون العرب في الفكر الفلسفي خلال مائة السنة الاخيرة ، بدراسة مطوَّلة عن « الانتاج الفلسفي خلال المائة السنة الاخيرة في العالم العربي : الفلسفة العامة وفلسفة العلوم » (نشرت الدراسة فيمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : م ٣٦ ، ج ٤ ــ م ٣٧ ، ج١)•

ومثل هذه المحاضرات ، كما هو واضح ، لاتقوم إلا على بحث طويل

وتنقير وإعمالِ فكر وتحليل للمعلومات وتنسيق لها وتركيب . ففي هذه المرحلة اذن برزت شخصية العالم الباحث واتحدت بشخصية المدرس والمحاضر ، كما هو المفترض والواجب في الاساتذة الجامعيين.

وفي هذه المرحلة اتسعت علاقاته الثقافية فشملت ميادين متعددة وعلى صعد سورية وعربية ودولية . فقد انتخب عضواً في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ممثلا لليونيسكو (١٩٥٥) (وكانت قد نشرت له ترجمته « مقالة الطريقة » لديكارت التي علق عليها وقدم لها بمقدمة مطولة عن ديكارت وفلسفته) . وانتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضواً عاملا فيها (١٩٥٨) . واختير عضوا في مجلس المديرين للموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩) . ومثّل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية:كمؤتمرات اليونيسكو العامة (جميل صليبا ومدني الخيمي ، « تقرير عام عن الدورة السابعة لمؤتمر اليونيسكو ، المنعقد في باريز بين ١٢ تشرين الثاني و ١١ كانون الاول سنة ١٩٥٢ ») ، ومؤتمر الادباء العرب ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ، ومؤتمر اليونيسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونيسكو ، ورأس مؤتمر اليونيسكو لتدريس العلوم الاجتماعية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ . وشارك في كثير من الحلقات والمهرجانات والندوات العربية والدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي ، وحلقة إعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ومهرجاني ابن سينا في بغداد (١٩٥٢) وفي طهران (١٩٥٤) الخ .. فأصبح الوجه الثقافي الاول لسورية عربيا ودوليا .

وفي سنة ١٩٦٤ أحيل على المعاش ، وبدأت المرحلة الخامسة والختامية

من حياته ، وأدعوها المرحلة البيروتية ؛ فقد نقل سكنه ونشاطه فيها الى بيروت ؛ وإن أبقى على كثير من صلاته بدمشق • وفيها لم يخالف عن طريق المدرس المحاضر العالم • فقد ندب للمحاضرة في المركز الاقليمي لليونيسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي (١٩٦٤ ــ ١٩٧٠)• وحاضر في الجامعة اللبنانية • ودعي سنة ١٩٦٩ لإلقاء محاضرات على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية (جمعت المحاضرات في كتاب «اتجاهات النقد الحديث في سورية » ١٩٦٩) •

والطابع العام لهذه المرحلة ؛ وتبدأ في الحقيقة منذ سنة ١٩٦٢ ؛ أن جميل صليبا أراد فيها أن يقدم ؛ على أسلوبه أسلوب العالم الباحث لا على أسلوب الترجمة الذاتية أو المذكرات ؛ كشفاً شبه مستوفى عـن حياته وأعمـــاله :

أفاد من عمله محاضراً في كلية التربية ليعطينا حصيلة جهوده في ميدان التربية : اطلاعاً وممارسة ، ادارة وتدريساً ، بكتابه « مستقبل التربية »•

وأفاد من الحلقة الدراسية ليقدم لنا خلاصة عن اطلاعاته ورأيه في انتاج معاصريه مــن المفكرين والدارسين في ميـــدان الفلسفة بدراسته « الانتاج الفلسفي » •

وأفاد من دعوته مرتين للمحاضرة في معهـــد البحوث والدراسات العربية ليقدم لنا دراسة جامعة عن الادب والنقد الادبي في وطنه الصغير، الشام ، بكتابيه «الاتجاهات الفكرية ••» و «اتجاهات النقد الحديث••»•

وأفاد من محاضراته في الجامعة اللبنانية وبحجة تأليف كتاب حسب

المناهج اللبنانية فجمع لنا في جامع واف بحثه الطويل وتنقيبه وتأملاته في ميدان الفلسفة العربية بكتابه « تاريخ الفلسفة العربية » (١٩٧٠) •

وجمع كل جهوده في ميدان المصطلح الفلسفي في « المعجم الفلسفي » بمجلديه الضخمين •

وكأنما كان يقول : هذا أنا ، هذه حياتي ، هذه جهودي وسعيي في الارض ، خذوها •

وودع الحياة في بيروت في ١٢ تشرين الاول ، وشيع الى مثواه الاخير في دمشق في ١٦ منه سنة ١٩٧٦ • ولم يصدق أبو العلاء حين قال(٣٩) :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل نادي

نعم لا يصدق ما دمنا على هذه الارض نفكر ونتظر ونسمع بأبعادها ؛ أما من بعيد بعيد وبأبعاد الملأ الاعلى فغيب من غيوب الله •

حياة حافلة بالعمل غنية بالثمار الطيبة • فلو شئت أن أدرسها دراسة تحليلية نقدية محيطة لاقتضاني هذا العمل كتاباً برأسه • فاعذروني ، أيها السادة ، اذا أنا اكتفيت ، في هذا المقام ، بوقفة سريعة عند جميل صليبا العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق :

انتخب الدكتور جميل صليبا عضواً عاملا في المجمع في الجلسة المنعقدة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وصدر المرسوم بتسميته في ٢٨ آذار من السنة نفسها • واختير عضواً في لجنته الادارية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ ، وبقي فيها حتى استقال منها في ٩ تموز سنة١٩٦٤ ، بعد أن انتقل الى بيروت •

وكان ، كدأبه في كل عمل يوكل اليه ، يعمل بجد وانتظـام وانتاج في جلسات الهيئة العامة واجتماعات اللجنة الادارية . وقد مثل المجمع بكفاية ولياقة في كثير من المؤتمرات ، كمؤتمر المجامع العلمية العربية ، واحتفال المجمع العلمي السوفياتي بمرور أربعين عاما على تأسيسه (١٩٥٧)، ومؤتمر المصطلحات الفلسفية الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة وانعقد بين ٣ و ٨ أيار سنة ١٩٧١الخ.

ان مثل هذه الاعمال لاتكشف عنها محاضر الجلسات أو الاجتماعات والتقارير عن المؤتمرات ، ولا يستطيع أن يقدرها قدرها إلا الذين شاركوا صاحبها في العمل . وما دمنا لم نقع على شهادات من هؤلاء ، فستظل هذه الاعمال خافية علينا . وسنجد أنفسنا ، كما في كل مرة وجدنا فيها أنفسنا في مثل هذا الموقف ، تتذكر بالخير اخبارينا القدماء وماكانوا يجمعـون ويروون من حوادث وحكايات وأقوال ونكات ونوادر ولطائف وزلات وخطايا وأحلام وعظائم أعمال وصغائر الخ .. ويزداد تقديرنا لهم حين نطلع على نظريات التحليل النفسي وعلم الطباع .. لما توليه من أهميـة خاصة ، في الكشف عن طباع الانسان ودوافعه الخفية ، لاحلام الليـل والنهار ولمثل هذه الحوادث الصغيرة والهنات الهينة وأشياء من الحياة اليومية تافهة ..

فعدٌ عما لم تحصل عليه الى ما وجدته مسجلا مسطوراً . وأعمال جميل صليبا المجمعية المكتـوبة تتـوزع على ثلاثة مجالات : الدراسات والتعليقات التي زود بها مجلة المجمع ، والمخطوطات التي حققها له ، والمصطلحات الفلسفية التي وضعها أو ثبتها وحدد معانيها :

الدراسات الفلسفية :

ان مجلة المجمع هي وجهه المجلو على الناس أو على خاصة منهم في مواعيد محددة ، ونبضه الذي ينبىء عن قوة الحياة فيه . ولقد ظل الدكتور صليبا يمدّ هذه المجلة باستمرار وشبه انتظام من سنة ١٩٤٤ الى وفاته ، بل الى ما بعد وفاته : فقد نشرت له المجلة في الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين سنة ١٩٧٧ دراسة بست وثلاثين صفحة عن « فكرة الخير عند الفارابي » . وقد أحصيت له في هذه السنين الثلاث والثلاثين ستة وخمسين عنوانا ، ما بين دراسة مطولة قد تمتدّ على جزأين وتتجاوز العشرين أو الثلاثين صفحة وقد تجاوزت احداها الستين ، وتعليق أو نقد قد لايتجاوز الصفحة الواحدة ، ذلك الى ما نشره من مصطلحات فلسفية . وقد انصبت معظم الدراسات الجادة على الفلسفة العربية ، وجمع أكثرها في الجزء الاول من كتاب « الدراسات الفلسفية » (١٩٦٤) .

ان الميادين التي جرى فيها الدكتور صليبا كثيرة ، ولكن الميدان المفضل لديه كان الفلسفة العربية . لقد طالت صحبته لها : بدأت حوالي منتصف العقد الثالث من هذا القرن حين كان يحضر رسالة الدكتوراه عن فلسفة ابن سينا ، ولم تنته الا قبيل وفاته حوالي منتصف العقد الثامن حين قدم لمجلة المجمع آخر ما دفع للنشر من دراسات وهي « نظرية الخير عند الفارابي » .

وكان يؤثر تسميتها بالفلسفة العربية . عرض هذا الرأي في رسالة الدكتوراه بحمية الشباب[٣٠] ، ثم بسطه في « تاريخ الفلسفة العربية » بتسامح الشيوخ[٣١] : عرض أولا حجج من يقول بتسميتها فلسفة اسلامية، وأهمها أنها « اسلامية في مشاكلها ، والظروف التي مهدت لها ، واسلامية

أيضا في غاياتها وأهدافها .. » ؛ ثم قفّى بحججه وأهمها : « ان الاسلام الذي أثر في تكوين هذه الفلسفة دين عربي وقرآنه عربي ورسوله عربي وروحه عربية » ثم « ان هذه الفلسفة مكتوبة بلغة عربية » ؛ وانتهى الى القول: «ان هذه الفلسفة كتبت باللغة العربية،ونشأت في الاسلام وترعرعت في جو ّه ؛ فهي اذن فلسفة عربية مطبوعة بطابع اسلامي ، أو فلسفة اسلامية مكتوبة باللغة العربية . ولا مشاحة في الاسماء .» .

وقد خص الدكتور صليبا ، ولاسيما في شبابه ، بالقسط الاكبر من جهوده التي بذلها في درس هذه الفلسفة ، فيلسـوفي المشائية في المشرق الاسلامي : الفارابي وابن سينا وخصمهما غزالي « المنقذ » و « المقاصد » و « التهافت » . ولكن مشائية ذينك الفيلسوفين لم تكن مشائية خالصة، لان أرسطو وصل اليهما محاطاً بشروح الافلاطونيين الجـدد (اسكندر الافروديسي ، ثامسطيوس ، ثاوفرسطس ، فرفوريوس الصوري ..) ، كما سلّما بصحة نسبة كتب منحولةٍ لأرسطو ، أهمهـا كتاب الأثيولوجيا (الربوبية) وهو مقتطفات من تساعيات أفلوطين (التساعيتين الرابعة والخامسة) ؛ بل ربما كان في فلسفتهما من أفلاطون وأفلوطين أكثر مما فيها من أرسطو . وكان ذلك واضحا للدكتور صليبا ؛ بل ان كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » لم يكن له من غرض إلا تبيان هذه الحقيقة .

غير أن هذه المشائية المهجنة ، التي تمتزج فيها عقلانية أرسـطو بروحانية أفلاطون وأفلوطين ، هي التي كانت ماثلة أمامه حين حاول ، في مقال نشرته مجلة دمشق سنة ١٩٤٠ ، أن يلقي نظرة جامعة على الفلسفة العربية ويستخلص خصائصها العامة التي جعلها أربعاً[٣٢] :

الاولى الصفة العقلية ، وهي أن النفس الانسانية لاتستطيع أن تقلب الصور

الحسية الى معقولات كلية إلا بتأثير العقل الفعال المفارق للعقل الانساني. والثانية الصفة الروحية وهي الاعتقاد بأن النفس الانسانية جوهر روحي وأنها باقية بعد الموت بقاءً كلياً أو فردياً . والثالثة هي الإيمان بوحدة المعرفة والحقيقة . والرابعة هي الميل الى التوفيق بين الآراء المتعارضة ، وبخاصة بين الحكمة والشريعة . ولكنه حين لخص هذا المقال في مقدمة « الدراسات الفلسفية » ، وكان قد توغل في دراسة الفلسفة العربية ، وجد أن عليه أن يضيف[٣٣] : « ولهذه الصفات المختلفة أقسام وفروع ليس من السهل استقصاؤها هنا ، هذا عدا صفات أخرى .. كطبيعةالرازي وإشراقية السهروردي وصوفية الغزالي ووضعية ابن خلدون وغيرها ، وهي كلها تدل على أن الفلسفة العربية معقدة العناصر ، مشتبكة الاصول والفروع ، كثيرة الغايات والمقاصد ..» .

وجاء في مقدمة « الدراسات » : « وجميع ما بينته في هذا الجزء يدور حول مسألة فلسفية واحدة ، أعني مسألة الحقيقة والعقل والمعرفة »[٣٤]. فإذا استعرضنا فصول الكتاب ، نجدها موزعة على قسمين : عالج فيفصول القسم الاول الثلاثة بعض المسائل الفلسفية العامة : الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية ، معاني العقل في الفلسفة العربية ، معاني الحدس والفكر؛ واتصال هذه المسائل بنظرية المعرفة واضحة . أما فصول القسم الثاني الستة وهي : فلسفة أبي الهذيل العلاف ، نظرية المعرفة عند الكندي ، نظرية الخير عند ابن سينا ، المدينة العادلة في نظر ابن سينا ، الغزالي وزعماء الفلاسفة ، حدود العقل عند الغزالي ــ فَصِلَةُ الفصلين الثاني والسادس منها بنظرية المعرفة واضحة أيضا ، وقد يمكن ببعض الجهد الامساك بمثل هذه الصلة بالنسبة للفصول الباقية . فمثلا ، في نظرية الخير عند ابن سينا

يسكن القول : ان العقل الفعال هو الذي يفيض الصور على المادة وهـو الذي يفيض المعقولات على النفس الانسانية ، والصور والمعقولات متفقة نوحدة المصدر ، ولما كانت هذه الصور لا أجمل ولا أكمل ولا أكثر خيرية منها ، كانت معرفتها ، والمعرفة هي كمال الانسان وخيره من حيث هو كائن عاقل ، هي الخير الخالص المطلوب لذاته .

و « الدراسات » (المقالات المجموعة فيها كتبت بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٥٥) لم تخرج إلا قليلا عن حدود « مشائية المشرق » ونقدها من قبل الغزالي (من هذا القليل مقال « فلسفة العلاف » ، ومافي شخص العلاف من غرابة في الخلق والذكاء والافكار يدعو فعلا للوقوف عنده ، وهو على كل حال أحد المعالم الرئيسة في مذهب المعتزلة وعلم الكلام بل في الفلسفة العربيـة عامة) . فالدكتور صليبا مثلا في « معاني العقل » و « نظـرية المعرفة عند الكندي » يمر مروراً سريعاً على مفهوم العقل عند علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وعند اخوان الصفا وعند الصوفية ، ولكنه يسير بنا مستأنياً باسطاً القول في الطريق المبتعدة عن أرسطو ومقالته بوجود عقلين: منفعل" وفاعل ، هما بمثابة المادة والصورة ، والفاعل منهما مفارق وهو في جوهره فعل محض وهو أزلي أبدي . الى مقـالة إسكندر الافروديسي بعقول ثلاثة : عقل هيولاني وعقل بالملكة وعقل فاعل ، وهو عنده هو الله. الى مقالة الكندي وقد جعل العقول أربعة : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل ظاهر وعقل أول ، والظاهر عنده هو العقل بالفعل وقد أخرجته النفس فأصبح موجوداً لغيرها بالفعل ، أما الاول فهو العقـل الذي هو بالفعل أبداً وهو مبدأ كل المعقولات وعلتها وهوهو الله . الى مقالة الفارابي بأربعة عقول أيضا : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل مستفاد وعقل فعال ، والمستفاد

هو العقـل بالفعل بعد أن تحصـل له المعقولات كلها أو جلها معقولة بالفعل ، أما العقل الفعال فيصبح عنده لأول مرة العقل العاشر أو عقل فلك التسر المهيمن على عالم الكون والفساد وواهب الصور والمعقولات جميعاء الى مقالة ابن سينا الذي زاد عقلا خامسا فأصبحت : العقـل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال ؛ فخص العقل بالملكة بالمعقولات الاولى وهي المقدمات التي يكون بها التصديق ، والعقل بالفعل بالمعقولات الثانية وهي العلوم المكتسبة • فإذا بدأ بنا طريقَ العودة الى مفهوم أرسطو أو ما يقرب منه عند ابن رشد ، طوى الطريق بسرعة فلم يتوقف عند ابن باجّة الذي رجع ، على ما يبدو ، الى القول بعقلين : العقل الهيولاني والعقل الفعال « الذي هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده »[٣٥] •

وكذلك كان دأبه في الفصول الاخرى • ففي « الطريقة الرمزية » وقف طويلا عند قصة سلامان وأبسال لابن سينا وقصة حي بن يقظان لابن الطفيل يعرضهما ويؤول رموزهما ، بينما لم تنل العوالم الرمزية للصوفية والفرَق الباطنية إلا التفاتة سـريعة جاءت بمناسبة تحليل « عينية ابن سينا »[٣٦] • ولم يكن حظ نظرية التأويل « الرشدية » أوفر • وفصل « معاني الحدس والفكر » يكاد يكون وقفاً على آراء ابن سينا الواردة في كتابه « الاشارات والتنبيهات » •

يبدو لي أن جميل صليبا بدأ درس الفلسفة العربية بابن سينا ، في أواسط العقد الثاني ، ثم رجع الى أسلافه : الفارابي خاصة والكندي •• كما مضى الى ما لقيته هذه الفلسفة من نقد ورفض عند الغزالي ، ومن قبول في وجهها الإشراقي عند ابن الطفيل • ولبث طويلاً في هذه الدائرة:

يتعمق بالدراسة ويتوسع حتى كاد يحيط بفلسفتي الفارابي وابن سينا ، ولم يبرحها إلا لماماً : مرة مثلا الى ابن خلدون وأخرى الى أبي الهذيل .. ذلك حتى العقد السابع حين بدأ يوسع دائرة اهتمامه ، فشملت ابن رشد، متابعةً من جهة لآثار « تهافت » الغزالي في المغرب حيث ردَّ ابن رشد بـ « تهافت التهافت » ، بعد أن دمَّر الفلسفة في المشرق كما كان يزعم المستشرقون ، ولتبين الفروق بين فلسفتي ابن سينا وابن رشد[٣٧] ، فكانت الدراسة التي أدرجها في « تاريخ الفلسفة العربية »[٣٨] ، والمقال « بين ابن سينا وابن رشد » الذي نشره في مجلة المجمع[٣٩] . ومدَّ دراسته للغزالي فتجاوزت الغزالي ناقد الفلسفة الى غزالي علم الكلام والغزالي المتصوف ، كما في دراسته له في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٠] ، ومقاله « الغزالي وعلم الكلام » المنشور في مجلة المجمع[٤١] . وكذلك وسع دراسته لابن خلدون في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٢] .

ولم يخالف الدكتور صليبا عن سنة الاولين (الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة العرب والفلاسفة الأوربيين في العصر الوسيط) والآخرين (المستشرقين ومن نهج نهجهم من الباحثين العرب والمسلمين) في فهمهم للفلسفة العربية وتخطيطهم لحدودها : وهي أنها هذه الفلسفة الموروثة عن يونان ، وبخاصة عن أفلاطون وأرسطو ، وقد امتزجت بها أفكار من العقائد الشرقية وأفكار من الدين الاسلامي[٤٣] . ولم يتضح الا منذ عهد غير بعيد ، حوالي منتصف هذا القرن ، عند المستشرقين وبعض الباحثين من المسلمين ، اتجاه جديد يفهم الفلسفة العربية فهما جديدا ، يمد حدودها وتاريخها الى أبعد بكثير من الحدود والتواريخ السابقة . إذ « حيثما استقر المقام «بالتحقيق» الفلسفي في الاسلام ، كان التفكير عندها منصباً

على أمر أساسي هو النبوة أو الوحي النبوي ، وعلى المسائل والمواقف التفسيرية التي يتضمنها هذا الامر الاساسي ؛ وعندها تأخذ الفلسفة شكل فلسفة نبوية أو حكمة لدنّية •• وفي الاسلام خصوصاً ، يظل تاريخ الفلسفة وتاريخ الروحانية غير قابلين للانفصال »[٤٤] •

وقد وصل هذا الاتجاه الجديد الى الدكتور صليبا في المرحلة الاخيرة من حياته ، فتنبه الى « أن هنالك الى جانب الفلاسفة الذين نسجوا على منوال اليونان فلاسفة آخرين غيرهم نقدوا الفلسفة اليونانية وجاوزوا الحد الذي وقفت عنده ، وليس أدل على ذلك من اشراقية السهروردي وصوفية الغزالي وواقعية ابن خلدون ، فإن في آرائهم وآراء بعض الفرق الاسلامية ابتكارات كثيرة •»[٤٥] اننا نقع في مقدمة « الدراسات » على ما يشبه الاشارة الى أنه قام بدراسات في هذه الميادين الجديدة[٤٦] ؛ فهل عنى بها ما كتبه عن صوفية الغزالي وفلسفة ابن خلدون التاريخية والاجتماعية ؟ انني لم أعثر له على دراسة ، مثلاً ، لحكمة الإشراق عند السهروردي ، فهل هناك دراسات من هذا النوع مازالت مخطوطة ؟

الرسالة الجامعة :

قلت سابقا إن أحد مجالات نشاط الدكتور صليبا المجمعي كان تحقيق مخطوطات من التراث • فقد حقق الرسالة الجامعة ، ونشرها المجمع : الجزء الأول سنة ١٩٤٨ والجزء الثاني سنة ١٩٥١ • واعتمد في التحقيق على أربع مخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية والخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية وفي طهران وفي دار الكتب الوطنية في باريس • واستأنس بمخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، واطلع على مخطوطة في مكتبة أحد الأمراء في سلمية ، وهي التي نشرت فيما بعد بعنوان

« جامعة الجامعة » • ووصف المخطوطات الاربع ، ما عدا الباريسية منها فقد اعتمد على وصف الدكتور عادل العــوا وكذلك على نسخته التي انتسخها عنها •

وكانت طريقته في التحقيق أن يقرأ النص في مخطوطة ويقابله بما في المخطوطات الاخرى ثم يختار الاصح والاصــدق ، ويشير الى الروايات المختلفة ، حين توجد ، في ذيل الصفحات •

وحين اصطدم بكتابات على المخطوطات تنسب الرسالة الى الحكيم المجريطي : فعلى الصفحة الاولى من مخطوطة الظاهرية تعليق « لأحــد الفضلاء » يؤكد هذه النسبة ، وعنوان المخطوطة التيمورية يقول «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطي رحمة الله عليه » ، أما مخطوطة طهران فمخرومة من أولها ، ومخطوطة باريس ليس عليها ما يشير الى مؤلفها ، ولكن البارون دوسلان في الفهرست الذي نظمه للمخطوطات العربية في دار الكتب الوطنية بباريس ينسبها للمجريطي•

وتجاوزت المسألة كتابات على مخطوطات ، فحاجي خليفة (١٠١٧ــ ١٠٦٧) يقول في « كشف الظنون » : إن هناك كتاباً اسمه رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي أولها الحمد لله الذي خلق فسوى وأنه نسخة مغايرة على نمط اخوان الصفا(٤٦) ، وهذا الوصف ينطبق على الرسالة الجــامعة •

والمحبي (ــ ١١١١) في « خلاصة الاثر »(٤٧) يروي عن محمد بن عبد العزيز بن حسن جان الشهير بالبهائي مفتي الديار الرومية (١٠١٠ ــ ١٠٦٤) : أنه سئل عن كتاب إخوان الصفا وحكم قراءتها فكتب : أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطي وما تحققت من هو وما أخباره •• وينقل عن ابن

حجر المكي (٩٠٩ ـ ٩٧٤) من فتاويه أنه سئل عن صاحب رسائل اخوان الصفا وما ترجمته وما حال كتابه فأجاب بقوله : ... الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي .. وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وممن شدّد عليه ابن تيمية ولكنه يفرط في كلامه فلا تغتر بجميع ما يقول . وعلى ذلك تكون المسألة قد تجاوزت الرسالة الجامعة الى رسائل اخوان الصفا وأصبحت جميعاً من تأليف المجريطي .

أقول : حين وجد الدكتور صليبا نفسه تجاه هذه الاقوال وجد أن عليه أن يقوم بمحاولة في تحقيق نسبة هذه الرسالة . وهذا ما فعله في المقدمة :

بدأ فترجم للحكيم المجريطي مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الاندلسي أبي القاسم المولود في مجريط والمتوفى فيها سنة ٣٩٨ ـ معتمداً على القاضي صاعد (ـ ٤٦٣)[٤٨] وابن بشكوال (٤٩٤ ـ ٥٧٨)[٤٩] والقفطي (ـ ٦٤٦)[٥٠] وابن أبي أصيبعة (ـ٦٦٨)[٥١] وابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨)[٥٢] والمقري (٩٨٦ ـ ١٠٤١)[٥٣] . فذكر شهاداتهم له بعلو الكعب في الرياضيات والفلك والمعاملات . وأن له كتابين[٥٤] : « رتبة الحكيم » في الكيمياء و « غاية الحكيم » في السحر والطلسمات ، ليخلص الى هذا النص من « رتبة الحكيم » : « وقد قدمنا من التآليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعاباً لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا البتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم .. ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم . لما دأبوا على مطالعتها .. علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم .. » . فتساءل : هل هذه الرسائل المشار إليها هي الرسالة الجامعة ؟

بدأ فأسقط قيمة الكتابات الموجودة على المخطوطات لأنها مقحمة على النصوص وليست بخطها • ثم لاحظ أن المؤرخين حتى القرن الحادي عشر ، والذين وصلت إلينا كتاباتهم ، لم ينسبوا له مثل هذه الرسالة ، وأن الاسلوب في هذه الرسالة يختلف تمام الاختلاف عن الاسلوب في « رتبة الحكيم » و « غاية الحكيم » ، فهو في هذين معقد مستغلق بينما هو في تلك يوشك أن يكون أدبيا ، ويشبه الاسلوب في رسائل إخوان الصفا ؛ ذلك الى أن أبواب الرسالة هي أبواب الرسائل نفسها وإن اختلفت شيئاً الفصول •

ثم إن الرسالة والرسائل في مواضع كثيرة منها يحيل كل طرف منها الى الآخـــر •

فقد جاء في الرسالة الجامعة مثـــلا : « •• ولذلك شرطنا في كتبنا وقدمنا في رسائلنا أنه لا يحل لأحد من أهل الاديان ، أي دين كان ، أن يتهجم على هذه الرسالة وأن ينظر فيها ويطلع عليها إلا بعدما يرتاض بقراءة ما بين يديها من الرسائل المقدمة عليها لتتهذب نفسه •• فإن قراءته للرسائل المتقدمة تكون معينة له على القراءة في هذه الرسالة »(٥٥) • وجاء فيها « فهكذا يكون لإخوان الصفاء كتاب يعرف بهم ولغة فيما بينهم لايشاركهم فيها سواهم »(٥٦) • كما جاء في رسائل إخوان الصفا مثلاً : « •• وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها ، المشتملة على حقائقها بأسرها •• والرسالة الجامعة مـــن رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد »(٥٧) • وجاء فيها : « وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الإلهية وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل ، وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة »(٥٨) •

وهكذا ينتهي به التحقيق الى القول : « إما أن يكون المجريطي مؤلف الرسالة الجامعة هذه ومؤلف رسائل اخوان الصفا معا ، وهذا مشكوك فيه للاسباب التي قدمناها . وإما أن يكون مؤلف رسالة في هذا الموضوع ولكنها غير هذه على كل حال . والغالب على الظن أن المجريطي لم يؤلف قط رسائل اخوان الصفا ولا الرسالة الجامعة وانما نحله إياها الوراقون .. » . الى هذا الحكم ينتهي الدكتور جميل صليبا ، وهو واضح لمن له أقل إلمام بأسلوب العلماء المتحفظ الحذر : إنه يثبت أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة واحد ، وينفي أن يكون الحكيم المجريطي ويقف ، إذ لم يشأ ، أو لم يجد المقدمة تحتمل ، أن يزج بنفسه في المشكلة الشائكة ، مشكلة من هو مؤلف أو من هم مؤلفو رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة .

فمن عجب أن يأتي من بعد ذلك من يقول : « أما رسالة الجامعة التي حققها الدكتور صليبا ونسبها للمجريطي ظلماً وعدواناً ... ولا أدري كيف تجرأ الدكتور صليبا على نسبة هذه الرسالة الى المجريطي وهو يعلم تمام العلم بأنه لم يكتبها ولم يؤلفها ، وكل ما هنالك أنه نقلها معه من المشرق الى المغرب .. »(٥٩) .

إن الباحث عن أوليات جماعة إخوان الصفا ورسائلهم يخبط طويلاً دون أن يبلغ غاية يرضاها . انها ، الجماعة والرسائل ، ولدت في ظلام التخفي ، أو الستر كما يقول الاسماعيلية ، ولم تبدأ بالظهور إلا بعد تغلب البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ . ونحن مدينون لأبي حيان التوحيدي (ــ ٤١٤) في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » بأول نص يتحدث عن اخوان الصفا والرسائل . إذ يروي(٦٠) أن الوزير أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان

وزير صمصام الدولة البويهي سأله عن زيد بن رفاعة ، فوصفه بالذكاء الغالب والاطلاع الواسع والتصرف في كل فن . فسأله الوزير : « فعلى هذا ما مذهبه ؟ » فأجابه :

« لا ينسب لشيء ولا يعـــرف برهط .. وقد أقام بالبصرة زماناً طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعـــوفي وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم . وكانت هـــذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته . وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال .

« وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة : علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرستاً ، وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس .. وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة .. قد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن نتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ... » .

وحين سأله الوزير : أفما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟ قال : .. انه هيج يوماً فاندفع فقال : « الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الاصحاء ،

والانبياء يطبون للمرضى .. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها ... غاية مدبر المريض أن ينتقل به الى الصحة .. وغاية مدبر الصحيح أن يحفظ الصحة ، واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرّغه لها .. وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى .. وقد صار مستعداً للحياة الإلهية ... فإن كسب من يبرأ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ، لأن احداهما تقليدية والاخرى برهانية .. وهذه روحانية وهذه جسية..»

ويبدو من هذا النص أن أبا حيان قد عرف القوم وآراءهم بالعشرة والمناظرة والقراءة ؛ وأن رسائلهم قد وجدت طريقها الى حلقات المثقفين والخاصة في ذلك الزمان .

وعن أبي حيان ، على الاغلب ، أخذ مؤرخو الحكمة والحكماء : فالبيهقي (ـ ٥٦٥) يذكر أسماء الجماعة مع قليل من التحريف ويضيف «ألفاظ هذا الكتاب (الرسائل) للمقدسي»[٦١] . والقفطي ينقل كلام أبي حيان على غره[٦٢] . وحاجي خليفة يذكر الاسماء نفسها مع بعض التغيير . ويمضي هذا الخط الاول في نسبة الرسائل حتى مستشرقي العصر الحديث والكتاب العرب والمسلمين فيه : ينقلون ماذكر التوحيدي ، سواء أوافقوه أم خالفوه .

ولكن حاجي خليفة يفرد فقرة خاصة ثانية لرسائل يدعوها رسائل اخوان الصفا ، ويقول إنها تختلف عن الاولى وإن كانت على شاكلتها (وهي الرسالة الجامعة ـ كما ذكرنا من قبل) وينسبها للمجريطي . ومن قبله نسب ابن حجر المكي في فتاويه والبهائي مفتي الديار الرومية ـ كما نقل عنهما صاحب خلاصة الاثر ـ الرسائل كلها للمجريطي . فلا بد أن

يكون قد وقع الى كل منهم نسخة أو أكثر من الرسالة أو الرسائل منسوبة للحكيم الاندلسي ، أو نقلوا عمن وقع له مثل ذلك . يذكر بروكلمان(٦٣) أن في مكتبة الاسكوريال مخطوطة بعنوان « مختصر رسائل اخوان الصفا لمسلمة بن أحمد المجريطي » . وسواء أكانت هذه المخطوطة مختصراً حقاً للرسائل أو كانت الرسالة الجامعة ذاتها ، وسواء أختصر مسلمة الرسائل أم لم يختصرها . فغير مستبعد أن يقع مثل هذا الوهم : فمسلمة هو الحكيم وإليه انتهت الحكمة في الاندلس ، وهو — أو تلميذه الكرماني على قول صاعد — الذي حمل معه الرسائل من المشرق ، فإذا وقعت هذه الرسائل أو مختصرها ، إن وجد ، أو الرسالة الجامعة لطلاب الحكمة في الاندلس من بعده ، وهي خلو من اسم المؤلف ، فقد يظن بعضهم ، أو يوقن ، أنها من تأليف حكيمهم . وهكذا تردّ الاندلس الى المشرق رسائله وقد وسمتها بأنها صنعة أندلسية . وقد تولى الدكتور جميل صليبا ، كما عرضنا من قبل ، تزييف هذا الخط .

وهناك أيضاً خط ثالث . فالنصوص التي كانت متداولة حتى أوائل الربع الثاني من هذا القرن ، وأكثرها نصوص سنية ، كانت تحيط إخوان الصفا باتهامات قوية في صحة الدين ، وذلك بين في نصوص التوحيدي ، أو بالصلة الوثيقة بالعقائد السرية الباطنية ، فابن تيمية(٦٤) مثلا يخلط بين اخوان الصفا وبين مختلف المذاهب الباطنية ، والبهائي المفتي يقول(٦٥) : « ... وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الاسماعيلية » . وكان يلوح في هذه النصوص دعوى إما مرفوضة أو مشكوك بها شكاً شديداً . فالقفطي يقول : « .. ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها ، وكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا هي من كلام بعض الأيمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في

اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة .. » وابن حجر المكي أجاب في فتاويه حين سئل عن صاحب رسائل إخوان الصفا[٦٦] : « نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل .. » . والنصوص القليلة غير السنية أقرت هذه الصلة . قال غلام أحمد القادياني[٦٧] (١٢٥٢ ــ ١٣٢٦) : « ولما خشي الإمام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. » .

ولكن منذ حوالي خمسين سنة أخذت تبرز الى النور نصوص كثيرة من الادبيات الاسماعيلية ، إما من قبل الباحثين من مستشرقين وشرقيين وإما من جهة الاسماعيليين أنفسهم . وفي هذه النصوص تأكيد لتلك الدعوى وتحديد ، على اختلاف ، للإمام الذي اليه يرجع تأليف الرسائل والرسالة الجامعة أو الإشراف على تأليفها .

جاء في رسالة « الأصول والأحكام » للداعي أبي المعالي حاتم بن عمران بن زهرة (٤٤٩ ــ ٤٩٨) : « فلما انتقل الإمام محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي ، وهو أول من ستر نفسه عن الاضداد من أهل عصره المخالفين ... وكنيت الدعاة بأسمائهم تتنية عليهم .. وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الإمام .. هو عبد الله ابن ميمون .. وزعم البعض أنه عبد الله بن سعيد بن الحسين أو عبد الله ابن مبارك أو عبد الله بن حمدان . وإن هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنان وخمسون رسالة »[٦٨] .

وفي كتاب « عيون الاخبار وفنون الآثار » (السبع الرابع) للداعي

المطلق ادريس عماد الدين القرشي (ــ ٨٧٢) : « وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضى بن جعفر الصادق (ع) ظن أن أمر الله قد انقطع .. وأنه قد قطع ذرية الإمامة .. سعى في تبديل شريعة محمد ﷺ وعلى آله وتغييرها ، وأن يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين .. فحين شاع ذلك منه وظهر عنه ، وخشي الإمام عليه السلام أن يميل الناس الى مازخرف فألف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وجمع فيها من العلوم والحكم والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. ثم إن الإمام (ع) أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد ، لتقوم بها على المخالفين البراهين والشواهد ، فحين وقع الناس عليها ، رفعت الى المأمون بن هارون ، فعلم أنه لم يصنع شيئاً ، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لايكـون ... »[٦٩] ، والإمام المقصود هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، المعروف بأحمد الوفي.

وهناك نصوص اسماعيلية أخرى ، وفي النصوص جميعاً اضطراب وبينها اختلاف .

وبعد ، ما الرأي ؟

يلاحظ الدكتور عبـد الرحمن بدوي[٧٠] أن هنـاك اختلافا بين الاسـماعيلية واخوان الصفا في مسألة وجـود الموجودات عـن الله : فالإسماعيلية ، وشيخ فلاسفتهم أحمد حميد الدين الكرماني (توفي بعد سنة ٤١١) ، يرون أن وجود الموجودات عن الله لايتم بالفيض بل بالإبداع، بينما يأخذ اخوان الصفا بنظرية الفيض الافلاطونية الحديثة . ذلك الى فوارق مذهبية أخرى كثيرة . ويلاحظ أن اخوان الصفا كثيرا مايسخرون من المسبعة ، فيقولون مثلا : « وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الاشياء

السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة ، فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها ، وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات »• وينتهي الى أنه يمكن « أن نقرر بكل يقين أن اخوان الصفا ليسوا من الاسماعيلية في شيء ، بل لكل منهما مذهب مستقل مباين لمذهب الآخر » •

ولكن ملاحظات الدكتور بدوي غير كافية لنزع صفة الاسماعيلة عن إخوان الصفا • فالمذهب الاسماعيلي قد عانى منذ نشأته من اختلافات وصلت الى أصل العقيدة ، وخضع في تاريخه للكثير من التطورات • ولم يكن ذلك خافيا على الدكتور بدوي[٧١] حين تحدث عن نشأة الاسماعيلية وعن الخلاف حول الإمام ، من هو بعد جعفر الصادق ، أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل ؟ وحول الأئمة : هل تتجلى فيهم الألوهية أم لا ؟ وحين تحدث عن اسماعيلية منتصف القرن الثاني واسماعيلية منتصف القرن الثالث الخ••فاذا سلمنا للاسماعيليين بأن الرسائل ترجع الى عهد الإمام المستور أحمد الوفي (ــ٢٢٩) وأنها ألفت رداً على سياسة المأمون المذهبية والعملية، تكون قد ألّفت في أوائل القرن الثالث،وذلك بينما ترجع مؤلفات كبار مفكري الاسماعيلية الى القرن الرابع بل الى زمن متقدم في القرن الرابع• وفي أثناء ذلك اختلف الوضع بالنسبة للاسماعيلية : فقد خرجت من الستر الى الظهور ، وأصبحت قوة في المجتمع الاسلامي ، وعقيدة لدولة ، فخضعت بالتالي للضرورات التي تفرضها الدولة ، ودخلت في صراع فكري وسياسي قاس مع المذاهب الفلسفية ، وبخاصة مع المذاهب الاسلامية ، وعقيدة الخلق من العدم ، مثلا ، تقع في الاساس من الاسلام •

اذا كانت حجج الدكتور بدوي غير كافية ، فهل نقبل دعوى الاسماعيليين نسبة الرسائل الى الإمام أحمد ، ونرى في الجماعة التي تحدث

عنها التوحيدي جماعة اسماعيلية متخفية تولت ، أو كلفت بإشاعة الرسائل وبث ما فيها من عقائد بين العامة ، على أن لا نعني بهــذه الكلمة المعنى المتداول بل الذين أوتوا القدرة على معرفة الحقيقة الروحية وراء ظاهر الشريعة ؟ اننا في الواقع نحس نبض الاسماعيلية في الرسائل على الرغم من الحذر الشديد الذي تتخذه ، ولكننا نشتم أيضاً من النصوص الاسماعيلية التي ترجع الرسائل الى الإمام التقي روح الدعاية العقائدية والسياسية ؛ فلا المأمون التاريخي الذي نعرفه حاول أن ينقض الرسالة المحمدية ويحمل الناس على فلسفة يونان ، ولا مذهب الاعتزال الذي تبناه يحمل من الفلسفة أكثر مما تحمل الرسائل ذاتها . فهل نقول : إن الرسائل من عمل جماعة من المفكرين الاحرار تشبعوا بالفلسفة ، وبخاصة الفلسفة العرفانية التي كانت تملأ الجو الفكري في زمانهم ، فلما عثر عليها الاسماعيليون وجدوا فيها ضالتهم : أنها خير موطىء لعقائدهم وأفضــل ما يمكن استعماله في تهيئــة أذهان أولئك المثقفين القلقين الحائرين لقبولها ، فاستولوا عليها وأحاطوها بأسطورة الميلاد تلك ؟

يرى إيفانوف لحل هذه الصعوبة التاريخية ، ويوافقه على رأيه هنري كوربان[٧٣] ،أنه وجدت منذ عهد الإمام نواة لهذه الرسائل ما لبثت أن توسعت مع الزمن حتى أصبحت رسائل الاخوان .

وبعد هذا العرض ، غــير المستكمل على كل حال ، لايسعني إلا التوقف بانتظار اكتشاف نصوص أخرى تميل بكفة الميزان وتفيد بعض الاطمئنـــان .

كتاب الحيدة :

وحقق الدكتور صليبا «كتاب الحيدة» لعبد العزيز الكناني(ــ٢٤٠)، ونشره المجمع سنة ١٩٦٤ . وهذا الكتاب محضر لمناظرة جرت بحضرة الخليفة المأمون (١٧٠ ــ ٢١٨ ، خلافته : ١٩٨ ــ ٢١٨) بين مؤلفه وبين بشر المريسي (ــ ٢١٨) حول مسألة خلق القرآن . وعنوان الكتاب « الحيدة » مصدر لفعل حاد بمعنى مال وزاغ ، ويطلق في أصول المناظرة على فعل المسئول اذا هو حاد وزاغ في جوابه عن موضوع سؤال السائل الى موضوع آخر تفاديا للاحراج والتورط . وكتاب الحيدة هذا مكون من قسمين : الاول يتصل بالمناظرة وما سبقها ورافقها من ملابسات ، والثاني اعتذار للمأمون عما فرط من المؤلف إذ أملى وريقات عما جرى في المناظرة على بعض حملة المحابر فاستثار غضب المأمون . ولذلك جاء عنوانه في كشف الظنون[٧٣] « الحيدة والاعتذار » .

واتبع الدكتور صليبا في التحقيق الطريقة نفسها التي اتبعها في تحقيق الرسالة الجامعة . واعتمد على أربع مخطوطات وعلى طبعة مصرية قديمة سقيمة . ثلاث من المخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية ، والرابعة في مكتبة توبنجن في ألمانيا .

وقدم للكتاب بمقدمة ضافية . بدأها بالتعريف بالمؤلف ، بعد أن رجع الى مصادر كثيرة تزيد على العشرة ابتداء من فهرست النديم وانتهاء بأعلام الزركلي . وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي . أخذ الحديث عن عدد من الشيوخ منهم سفيان بن عيينة (١٠٧ــ ١٩٨)ولكنه كان قليل الحديث.ولزم الشافعي (١٥٠ــ٢٤٠) وصحبه في سفره الى اليمن حتى عرف به وبان أثره عليه في كتاب الحيدة في حديثه عن الخصوص

والعسوم والبيان . ولما أتته الى مكة أنباء المحنة بالقول بخلق القرآن في بغداد شد الرحال اليها مصطحبا ولده ، وفي مسجدها الجامع أعلن على الملأ إنكاره لخلق القرآن ، فحمل الى عمرو بن مسعدة الذي أوصله الى مجلس المأمون . ورتبت مناظرة بينه وبين بشر المريسي فقطعه ، على قوله . ذكر بالدمامة حتى لقب بالغول . ولكنه كان ذرب اللسان سليطه ، كما يبدو في الحيدة . وكان جريئاً ، ولولا جرأته ما ركب الصعاب وغرر بنفسه ، ولكن يبدو لي أنه في جرأته يمتزج التدين بطلب الاشتهار . في احـــدى مخطوطات الظاهرية نص أقحم على الكتاب مروي بالسند نفسه الذي روي به الكتاب يقول : « جاء عبد العزيز الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في الحبس فقال : ان هذا الامر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته فاذكرني ، فبعث إليه أبو عبد الله : أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك فيكون قتلك على يدي ، ولأن أقتل أنا أحب إلي ، فانصرف بسلام » . ويرى الدكتور في هذا الخبر دليلا على جرأة عبد العزيز ، ولكنه ، ان صح ، قد لايكون أكثر من تعزية أو مجاملة ، اذ ماذا يمكن أن يكون جواب الإمام الورع إلا ما كان ؟ ثم بأي شيء يذكره وقد استقل بمناظرة سارت بذكرها الركبان في مجلس الخليفة نفسه حول المسألة التي يمتحن بها الإمام نفسها ؟

ويحشره صاحب الفهرست (ـــ ٣٨٠) بين الزهاد والمتصوفة مـــن طبقة الحارث ويجعل منه متكلماً مقدماً[٧٤] ، ولم يذكره ، فيما عدا النديم والاسنوي ، أحد ممن ترجم له (ووقعت لي ترجمته) بالكلام ، فلا بد أنهما غرتهما « المناظرة » . وجاء في الفهرست أيضا أن له كتبا ، لم يسمها ، في الكلام والزهد ، وكذلك لم يذكـــر له مترجموه غير كتاب « الحيـــدة

والاعتذار » كتاباً ؛ ويذكر هو في « حيدته » أن له كتابين هما : رسالة في فضل بني هاشم وكتاب السنن والاحكام .

حكم الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨) في « ميزان الاعتدال » أنه « لم يصح إسناد كتاب الحيدة اليه فانه وضع عليه »[٧٥] . ووافقه السبكي (٧٢٧– ٧٧١) في «طبقاته» على هذا الحكم لأن في الكتاب «أموراً مستشنعة»[٧٦] . فوجد الدكتور صليبا أن عليه أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب الى مؤلفه . فلاحظ : أولا ، أن هناك إجماعاً على أن المناظرة قد وقعت . وثانيا ، أن الذين ترجموا لعبد العزيز السابقين منهم على الذهبي والسبكي واللاحقين لم يشككوا بنسبة الكتاب اليه . وثالثا ، أن حجة « الامور المستشنعة » ليست حجة يسكن اعتمادها في التاريخ ، وهي نسبية تختلف من عصر تاريخي الى آخر . ثم لاحظ رابعاً وجود فقرة في آخر كتاب الحيدة هذا نصها : « فسُرَّ المسلمون .. وجعل الناس يجيئون إلي أفواجاً .. فقالوا : لابد أن تملي علينا ماجرى .. فتهيبت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ، فلما ألحوا علي قلت لهم : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لايكون عليَّ حجة في ذكره فرضوا بذلك ، فأمليت عليهم أوراقاً يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني..ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما قد يلحقني بعضه ، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الاوراق .. في كتاب مفرد بعد هذا .. »[٧٧] – فقدر أن هذه الفقرة تسمح له أن يفترض : أن أصل كتاب الحيدة هذه الوريقات العشر ، التي لقيت القبول من الناس ، فتداولتها أيدي النساخ والقراء سراً زمن المحنة ؛ ثم لما انكشفت في عهد المتوكل وانعكس الاتجاه اتخذت وسيلة للدعاوة : فالقادر بالله (٣٣٦ – ٤٢٢ وخلافته ٣٧١ – ٤٢٢) نظم

سنة ٤٢٠ ثلاثة مجالس جمع فيها الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء والوعاظ والزهاد ، في كل مجلس منها كان يقرأ كتاب من الخليفة يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة والطعن على المعتزلة ، وفي المجلسين الثاني والثالث حوى كتاب الخليفة الطعن على من يقول بخلق القرآن، وتفسيقه وحكاية ما جرى بين عبد العزيز وبشر المريسي فيه — فالمتوقع أن تخضع أوراق الكناني : وهي تمر خلال العهود المتقلبة وتحت عيون ذوي الأهواء وبين أيدي النساخ المتفاوتين في الثقافة للكثير من التحريف وأن يدس فيها الكثير من الاضافات بقصد التفصيل أو التوضيح أو التأييد بالشواهد الخ .. فتتضخم حتى تصبح كتاباً .

ولكن هذه الفقرة قد تسمح بافتراض آخر : من الواضح أنها لم تكن من سطر في الاوراق العشر ، وأنها لم تكتب زمن المحنة ، أي ان عبد العزيز رجع ، بعد أن زال ما تخوفه على نفسه ، الى أوراقه ليشرح ما كان أوجز ، ويعد بذكر مالحقه بسببها في كتاب مفرد . ذلك إلا اذا كانت الفقرة ذاتها من أضافه النقلة ، وعندها لابد أن نواجه هذا السؤال : و « الاعتذار »؟ هل هم النقلة أيضاً الذين وضعوه ؟ ان ما يبدو معقولا أن يكون عبد العزيز قد نام على مجد المناظرة والاوراق العشر طول عهد المحنة ، فلما جاء الفرج أعاد النظر في أوراقه ففصل ما كان أجمل وأوضح ماأبهم وأبدى ما كتم ، ثم سجل ما كان جرى في جلسة الاعتذار .. ثم جمع الكل في كتاب فكان «الحيدة والاعتذار» . ويبقى بعد كل حساب : الى أي مدى كانت ذاكرته صادقة وتعبيره مشكوماً ؟

ثم مضى الدكتور صليبا الى مسألة خلق القرآن فقال : لقد سبق بشراً الى هذه المقالة جهم بن صفوان ومعظم المعتزلة ، وترجع عند هؤلاء

الى مسألة نفي الصفات عن الله ، التي ترجع بدورها الى التوحيد الاصل الاول من أصولهم الخمسة[٧٩] • ثم يعرض باختصار لبعض حجج المعتزلة ولموقف أحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١) وعبد الله المأمون •

وخطورة هذه المسألة لم تأت من مقام القرآن في عقيدة المسلمين وحياتهم فقط ، ولكن من أنها أصبحت أيضا عنوانا لعقيدة جعلها المأمون عقيدة للدولة وأراد أن يفرضها على الرعية مبتدئاً بالقضاة والمحدثين والشهود •

ولم يكن المعتزلة الاوائل الذين قالوا بهذه المقالة « نفي الصفات الإلهية » ، والمقالة الاخرى « خلق العباد أعمالهم » التي ترجع الى الاصل الثاني من أصولهم : العدل ، بل كان لهم أسلاف هم : معبد الجهني (قتل سنة ٨٠) وغيلان الدمشقي (قتل في خلافة هشام ٧١ــ١٢٥ وخلافته ١٠٥ ــ ١٢٥) ، في مسألة القدر ــ والجعد بن درهم (ذبحه أمير العراق خالد القسري سنة ١٢٤) وجهم بن صفوان (قتل ١٢٨) في مسألة الصفات•

بل يمضي المؤرخون المسلمون الى أبعد من الجعد وجهم فيرجعون بمسألة خلق القرآن الى اليهود • فقد نقل ابن كثير (٧٠١ ــ ٧٧٤) عن ابن عساكر (٤٩٩ ــ ٥٧١) وغيره أن[٨٠] « الجعد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم •• وأخذها لبيد عن يهودي باليمن • وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان •• »•

والمتكلمون قديماً والمستشرقون حديثا يرجعون بالمسألتين كلتيهما ، قبولا في احداهما ورداً في الاخرى ، الى النصارى ، والى يوحنا الدمشقي على الخصوص • فيوحنا كان معاصراً لأولئك الاربعة ، وجمعته مع ثلاثة

منهم دمشق ، وهو مؤلف كتاب « الإيمان الصحيح » ، وفيه عالج مسألة القدر وقال بحرية الانسان ، ورسالة « نقاش بين مسيحي ومسلم » . وفي هذه الرسالة نجد[٨١] : « اذا قال لك العربي : ما تقول في المسيح ؟ فقل له انه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم : بم سمي المسيح في القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول : كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فإن أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله اذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح ، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين » .

مثل هذه المجادلة التي توقعها وحضر لها يوحنا الدمشقي كانت تقع بالتأكيد وتتكرر . ونجد انعكاساتها في أقوال المعتزلة والجاحظ (١٥٠ ــ ٢٥٥) خاصةً في « رسالة النصارى »[٨٢] حين أشار الى الكائدين للاسلام الذين يرتضون القول بنفي خلق القرآن ويرحبون بمقالة الفقهاء والمحدثين .. والمأمون في كتابه الثاني الى إسحق بن ابراهيم في بغداد من معسكره على حدود الروم حول المحنة بالقرآن يقول : « وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله .. »[٨٣]

ولم يكن الصراع مع النصرانية الوحيد الذي كان على المعتزلة أن يخوضوه ، ماداموا قد ندبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام ، بل كان عليهم أن يصارعوا كذلك المجوسية والمانية وكل العقائد العرفانية والفلسفات اليونانية . ويبدو أن الخليفة المأمون ، وعلاقته بالاعتزال وكبار المعتزلة مثل النظام وثمامة بن أشرس وابن أبي دؤاد كانت علاقة قوية ، اعتقد أنه بعقيدة المعتزلة وبرجالاتهم يستطيع أن يدفع عن الاسلام الغوائل ويحافظ

على حقيقته ويوحد الامة بها . فبدأ بتقديم المعتزلة ووضع قوة الدولة تحت تصرفهم ، وأعلن[٨٤] سنة ٢١٢ مقالة « خلق القرآن » عنواناً لعقيدة الدولة ، وبدأ محنة الفقهاء والمحدثين .. وفي أخريات أيامه بلغ اندفاعه حد الطغيان ، وهو المشهور بحلمه وتسامحه ، ثم وصّى بها إذ حضره الموت أخاه وخليفته المعتصم ، (١٨٠ — ٢٢٧ وخلافته ٢١٨ — ٢٢٧) . وقد أخطأ المأمون وأخطأ المعتزلة في فهم حقيقة الاسلام .

إن مشكلة التنزيه والتشبيه من المشكلات الاساسية في الاسلام . ففي القرآن آيات تبلغ في التنزيه الغاية « ليس كمثله شيء »[٨٥] ، وآيات متشابهات تلقي في الروع التشبيه « الرحمن على العرش استوى »[٨٦] ، وبين هذه وتلك أسماء الله وصفاته . وكان لابد من مجموع هذه الآيات لتصح العبادة ان من حيث الامكان وان من حيث الاكتمال والامتلاء بالخشية والمحبة . فمنتهى التنزيه يقطع ما بين العبد وربه ، ويرمي به في هوة مظلمة ، إذ تمتنع عليه أية معرفة ، فلا يستطيع أن يسميه بله أن يدعوه ويناجيه . ونهاية التشبيه الحلول والتجسيد ، فيصبح الإله شيئاً من أشياء الطبيعة ، فلا يستطيع الانسان أن يعبده حق العبادة مهما بلغ من جماله أو جلاله،إذ لاعبادة روحانية إلا حين يتجاوز المعبود العابد تجاوزاً لايتصور معه أن يبلغه مهما اتسعت أوهامه ، وإلا كانت العبادة مادية تحت تصرف منافع الانسان . فالعبادة الحقة انما تقوم على هذا الجدل المستمر بين التنزيه والتشبيه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن »[٨٧] . وهذا معنى عبادة الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه »[٨٨] . ولكن الانسان كان « أكثر شيء جدلا »[٨٩] ، فهو بعقله لا بحقيقته الكلية يدفع الامور الى نهاياتها . وهكذا وجد في الاسلام من دفع التنزيه الى نهاياته وهم المعطلة،

ومن دفع التشبيه الى نهاياته وهم المشبهة والمجسمة • والمعتزلة ممن غالى في التنزيه فنفوا الصفات عن الله أياً ماكان التعبير الذي اتخذوه : عالم لا بعلم وقادر لا بقدرة أو عالم لذاته وقادر لذاته أو عالم بعلم وعلمه هو هو وقادر بقدرة وقدرته هي هو الخ •• فعطلوا صفاته وبالتالي عطلوه ، ولم يخطىء أهل السنة حين دعوهم المعطلة • وكانوا منطقيين مع أنفسهم حين نفوا عنه خلق أكساب العباد،وقالوا ان الانسان خالق أعماله ، فنفوا القدر • ولكنهم أخطؤوا حقيقة الاسلام الجدلية ، فكان لابد أن ينتهوا الى المصير التاريخي الذي انتهوا اليه •

واتهى الدكتور صليبا الى تلخيص كتاب الحيدة • « والحيدة » كما هو مفترض تسجيل للمناظرة بين الكناني والمريسي • وقد جرى التعريف بالاول فلا بد من التعريف بالثاني :

هو[٩٠] بشر بن غياث المريسي (ــ ١١٨) ، فارسي بغدادي ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف (١١٣ ــ ١٨٢) صاحب أبي حنيفة (٨٠ــ ١٥٠) ، ثم مال الى الكلام • واتصـــل بالشافعي حين قدم الى بغـــداد ، ونصحه الشافعي بترك علم الكلام ، فكان جوابه : لنا نهمة فيه • وهو من المرجئة[٩١] بل رأس فرقة من المرجئة • والمرجئة فرق : فمنهم من قالوا بقول المعتزلة بالصفات وبالتالي بالقرآن ومنهم الفرقة المريسية ، ومنهم من قالوا بمقالة المجبرة الذين يرون أن الله يخلق أكساب العباد والمريسية منهم ؛ حتى أصبح بشر رأس الفرقة مهجور الصفاتية والمعتزلة ، كما يقول صاحـــب « الفرق بين الفرق »[٩٢] •

وكتاب الحيدة ، اذا اطرحت منه المقدمات والتعليقات والمشاغبات والتكرار والشواهد الكثيرةبدون ضرورة والاسراف في مدح الخليفة وما

يظن أنه أفحم عليه ، قد تزيد عليه ورقات عبد العزيز العشر الاولى .
فالمناظرة تنقسم الى قسمين : الاول حين اتفق على أن يكون القرآن والسنة الاصل الذي يرجع اليه في حال الاختلاف في الفروع ، وهو أكثر من تسعة أعشار المناظرة ، والثاني حين أصبح هذا الاصل النظر والقياس .

والقسم الاول يرجع الى حجتين على خلق القرآن ونقضهما : « شيئية القرآن » و « جعل القرآن » .

الحجة الاولى : القرآن بنص التنزيل شيء ، وبنصه أيضا « الله خالق كل شيء »[٩٣] ، فالقرآن مخلوق من مخلوقات الله .

الرد : القرآن شيء ، هذا صحيح ، ولكن شيء هنا لاتدل على أكثر من اثبات الوجود ونفي العدم لاعلى أنه اسم له وأنه كالاشياء . وقد أجرى الله على كلامه ما أجراه على نفسه اذ دل على نفسه أنه أكبر الاشياء بالمعنى الاول ، قال : « قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم »[٩٤]، ولكنه نفى عن نفسه المعنى الثاني « ليس كمثله شيء » . وكذلك بالنسبة الى كلامه قال : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء،قل من أنزل الكتاب الذي جاءبه موسى نوراً وهدى للناس؟»[٩٥]. فالتوراة كلام الله شيء ولكن بالمعنى الاول ، والدليل الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »[٩٦] ، فقول الله هنا ليس كالاشياء وغير الاشياء وخارج الاشياء وتكون الاشياء به . أما بالنسبة للآية « خالق كل شيء » ، فالله يقول : « ويحذركم الله نفسه »[٩٧] ، ولكنه يقول أيضا: « كل نفس ذائقة الموت »[٩٨] ، فهل ينطبق هذا الحكم على نفس رب العالمين ؟ بالطبع لا ، وكذلك الخلق بالنسبة لكلام الله فإنه لا يشمله . فالخبر في القرآن قد يكون مخرج لفظه عاماً ومعناه خاص ، ويتبين

الخصوص فيه إما بالاستثناء المباشر ، أو الاستثناء غير المباشر بخبر خاص يتقدمه . فالآية « كل نفس ذائقة الموت » قد خصصتها الآية « وتوكلت على الحي الذي لا يموت »[٩٩] ومثلها الآية « خالق كل شيء » خصصتها الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقــول له كن فيكون » التي أخرجت قول الله من الاشيــاء .

الحجة الثانية: القرآن مخلوق بنص الآية « إنا جعلناه قرآناً عربياً »[١٠٠]. ومعنى جعلناه خلقناه .

الرد : جعل تأتي في القرآن بمعنيين : خلق ، كما هو معناها في الآية « الحمد لله الذي خلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور »[١٠١]؛ وصيَّر ، كما في الآية « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك »[١٠٢] . وجعل بمعنى خلق تكون في القول المفصل ، وهو مايستغنى به دون حاجة الى توصيل الكلمة بغيرها من الكلام . فالآية « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة »[١٠٣] من القول المفصل لأنها مستغنية بذاتها . أما جعل بمعنى صيَّر فتكون في القول الموصّل ، والقول الموصل هو ما لايفهم المقصود منه اذا لم توصل الكلمة بغيرها من الكلام . فإبراهيم وإسماعيل حين سألا ربهما « ربنا واجعلنا[١٠٤] .. » لو سكتا عند اجعلنا لم يكــن لدعائهما معنى ، فالله قد خلقهما وانتهى الامر ، ولكن حين أضافا « مسلمين لك » اتضح المعنى وكان « صيرنا مسلمين لك » . والآية « إنا جعلناه قــرآناً عربيا » من القول الموصل ، ومعناها « صيرناه قرآناً عربياً » .

والقسم الثاني من المناظرة القائم على أصل النظر والقياس يحتوي على ثلاث حجج متهافتة كلها ، وترجع اثنتان منها الى القرآن . ولكن عبد العزيز يجب أن يفوز فعلى بشر أن يعجز عن تفنيدها !

حجة : اذا كان القرآن مخلوقاً ، فالله خلقه إما في نفسه أو في غيره أو قائماً بذاته . ويمتنع القول الاول لان الله لايكـون مكانا للحوادث ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء . ويمتنع الثاني لما يترتب عليه من تساوي كلام الله مع كل كلام آخر خلقه الله في غيره من الشعر وقول الزور والكفر والفحش . والثالث يمتنع عقلا لان الكلام لا يقوم بنفسه ولا يكون إلا من متكلم .

حجة : كان الله ولا شيء معه ، ثم أحدث الاشياء بقدرته ، فإذا لم تكن قدرته متميزة من فعله ، والله ما زال قادراً ، فالله ما زال فاعلا ومحدثاً للاشياء ، فالاشياء اذن ما زالت مع الله ، وفي هذا نقض للقول الاول . أما اذا كانت القدرة غير الفعل ، فان القادر ما زال سيفعل ، وفعله بقوله كن . فأول خلق خلقه الله كان بقول قاله وارادة أرادها وقدرة قدرها ، وذلك كله متقدم قبل الخلق ، فليس هو من الخلق في شيء .

حجة : ان الله في القرآن أخبر عن خلق الانسان في ثمانية عشر موضعاً، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ، فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ثم جمع بين الانسان والقرآن في موضع واحد ، فأثبت الخلق على الانسان ولم يثبتـه على القرآن ، قال : « الرحمـن علم القرآن خلـق الانسان »[١٠٥] ، فهل فرط الله في الكتاب حين لم يخبرنا عن خلق القرآن، وهو القائل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »[١٠٦] ؟

وأخيرا قد يكون هناك ما يسوّغ ذكر بعض الملاحظات حول كتاب الحيـدة :

(١) ان المؤرخين يحددون فيما يتصل بمسألة خلق القرآن سنتين : سنة ٢١٢ وفيها أعلن المأمون المقالة ، وسنة ٢١٨ وفيها بلغت المحنة درجة

التنكيل . وتسكت عما جرى في الفاصلة الزمنية بين التاريخين . ويأتي كتاب الحيدة فيملأ بعض الثغرة ويكشف بعض الكشف . فقد قدم بعض الصور عن الارهاب الفكري والمادي المخيم على بغداد . قال عبد العزيز : « وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء والمحدثون والمذكرون والدعاؤون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما ... وكل من أظهر مخالفتهم (جماعة القائلين بخلق القرآن) وذم مذهبهم أو اتهم بذلك أحضر . فإن وافقهم ودخل في كفرهم .. ترك . وإلا قتلوه سراً وحملوه من بلد الى بلد ، فكم من قتيل لم يعلم به وكم من مضروب قد ظهر أمره ... »(١٠٧) . هذا النص وأمثاله كثير قد يسمح بالقول : ان ممارسة فرض العقيدة بدأ منذ سنة ٢١٢ ، وأخذ شكلين : شكلا رسميا باستبعاد المخالفين من القضاة والشهود .. عن أعمال الدولة ، ومنع المدرسين والوعاظ من التدريس والوعظ في المساجد ؛ وشكلا آخر يبلغ فيه الارهاب درجة التنكيل والاغتيال يتولاه أمثال بشر المريسي ومحمد بن الجهم والطبقة الدنيا من المعتزلة .

(٢) ان المأمون ، على ما يظهر ، لم يأخذ الكناني مأخذ الجد بل عده انساناً مهووساً لا أكثر ، ولكنه أراد أن يكفه عن العامة ، فهو من جهة يعبث به عبثاً واضحاً ويغري به المريسي وابن الجهم وغيرهما — وتكفي للبيان الصورة التالية : « .. فوثب بشر إلي .. كالاسد الى فريسته ، فجاء فانحط علي فوضع فخذه اليسرى على فخذي اليمناء فكاد أن يحطمها ، واعتمد علي بقوته كلها ، فقلت له : مهلا ، فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لم يأمرك بقتلي وظلمي وانما أمرك بمناظرتي وانصافي . فصاح به المأمون : تنح عنه وكرر ذلك عليه مراراً .. »(١٠٨) — ومن جهة أخرى يربت على نفسه كي يتطامن ويستكين .

(٣) بل لم يأخذ المناظرة والمتناظرين مأخذ الجد ، بل كانت بالنسبة اليه والى حاشيته ، نوعاً من لهو الخلفاء والكبراء المترفّع وعبثهم . وكثير من حركاته الصغيرة التي كان الكناني يلتقطها بدقة وان لم يفهم معانيها ؛ وما سمح به من شغب بحضرته وصياح وضجيج .. تكشف عن الدور الذي أراده لهذه المناظرة . وإلا فكيف يفهم تسليمه بتفنيد الكناني لحجتي « شيئية القرآن » و «جعل القرآن» ؛ وقد أعادهما برسائله المشهورة[١٠٩] في محنة العلماء الأثريين ، بل لقد أصبحتا من الحجج التقليدية عند المعتزلة، وبهما واجه ابن أبي دؤاد أحمد بن حنبل بحضرة المعتصم[١١٠] .

(٤) يبدو المريسي في المناظرة قاصر الحجة قليل المهارة في الجدل قد ترك المبادرة لخصمه حتى في ميدان النظر والقياس المفترض أنه ميدانه ؛ وما هكذا تصوره كتب التاريخ والتراجم ، بل تعطيه دوراً كبيراً في التلبيس على المأمون وتضليله[١١١] ؛ وبرأيي أنه أعطاه أكبر من حجمه كما أعطاه عبد العزيز أصغر من حجمه . وقد سجل المريسي أيضا المناظرة أو شيئاً عنها في آخر كتاب له دعاه « كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القرآن رداً على أهل الكفر والضلال »[١١٢] . ولو أنه بقي لرأينا المناظرة من زاوية أخرى وصورة الكناني بعيني المريسي .

(٥) يتهيأ للانسان في مواضع كثيرة من كتاب الحيدة ، على الرغم من وحدة الاسلوب ، أن هناك فقرات وجملاً وشواهد قد أدخلت على النص الاصلي ، وأحياناً يكون موضوع بتمامه قد أقحم اقحاما . وفي مثال واحد كفاية : بينا عبد العزيز يبلغ في تفنيد حجة « شيئية القرآن » النهاية أو يكاد،اذا به يطرح مسألة جديدة عن علم الله[١١٣] فيفصل القول تفصيلا، ثم يعود مرة أخرى الى موضوعه الاول ، فيتحدث حديثا مطولا عن

الخصوص والعمـــوم[١١٤] . ذلك دون مناسبة واضحة بين طرفي الكلام ووسطه . هناك بالتأكيد صلة قوية بين علم الله وكلام الله وخلق القرآن لأنها جميعا ترجع الى المسألة الكبرى « صفات الله » ، ولكن الكناني لم يشعر أي اشعار بهذه الصلة ، والمريسي بدوره لم يعترض على طرح المسألة، وكان قبلها قد رفض رفضاً باتاً أن يخرج عن « خلق القرآن » الى « كلام الله » . فلن يُطرح اذن في غير مطرح الظن بأن عبد العزيز حين أعاد النظر في نصه الاول ،وكان قد اطلع على معلومات وتذكر معلومات وفطن الى أدلة ، رأى أنه يمكن أن يفيد منها اذا هو أضافها الى النص . وهكذا زج بمسألة العلم وربما بموضوع الخصوص والعموم الذي كان قد سمعه من الشافعي ..

(٦) وفي النهاية ، إن كتاب الحيدة ، برأيي ، ذو قيمة محدودة من حيث هو نص كلامي ، ولكنه قيم من حيث هو نص أدبي . ان التجهيزات المسرحية والاخراج وربما التمثيل كانت جميعاً جيدة ، ولكن الحوار كان ضعيفاً . فالمقدمات والحواشي والتفصيلات واللقطات الجزئية والخواتيم ..تكشف كشفاً حسناً منظراً من مناظر عبث الخلفاء الذين هم من نمط المأمون في سعة التفكير وقوة الخلق . كما تكشف عن بعض من أساليب الارهاب في صورته الملطفة . ثم انها تقدم لنا ملامح لبعض الشخصيات التي اشتركت في هذه المناظر ، كالخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة وحاجب المأمون ومحمد بن الجهم ، وتكاد تحـــدد ، اذا جمعناها الـــى روايات الإخباريين ، السمات الاساسية لشخصيتي الكناني والمريسي .

والغريب أن هذين الشخصين يتشابهان في ملامح كثيرة في الخلق والخلق : فكلاهما كان على قسط من الدمامة : الكناني غول ، والمريسي

«شيخ قصير دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود»[١١٥]. وكلاهما أوتي حظاً من روح الاستفزاز والعدوان ومن التحرق للظهور ولو بأساليب خارجة عن المألوف . وكلاهما من النموذج الذي يمكن أن تستلكه امتلاكاً تاماً فكرة أو اتجاه حتى تصبح هاجسه الوحيد وتقود كل تفكيره وسلوكه : فالكناني تملكه هاجس « مخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم .. »[١١٦] فقاده من مكة الى بغداد وزج به في مواجهة قوى الطغيان متعرضاً للاذى والسخرية ... والمريسي دفعته نهسته الى علم الكلام الى المخاطر . وقد تنبأ له أستاذه أبو يوسف « كأني بك قد شغلت على الناس خشبة الجسر »[١١٧] . والغريب أنهما كليهما كانت تربطهما بمحمد بن ادريس الشافعي رابطة وثيقة . ولكن أحدهما يبدو طيب السريرة طاهر النية،والآخر خبيث الطوية كثير الأذى . ولكن ، من يدري ربما كان يختلف السلوك لو اختلفت الادوار وتبادلا المكان من السلطان !

المعجم الفلسفي :

وأخيراً ، نصل الى المجال الثالث من مجالات نشاط الدكتور جميل صليبا المجمعي ، والى قمة عمله ، وقد توج به حياته الفكرية ، وهو المعجم الفلسفي ، الذي أصدر مجلده الاول سنة ١٩٧١ والثاني سنة ١٩٧٣ . ويقع فيما يقرب من ١٥٠٠ صفحة ، ويحتوي على ١١٦٠ مصطلحاً فلسفياً عربياً بحذاء كل مصطلح منها مقابله باللغات الفرنسية والانجليزية واللاتينية. وقد شرح كل مصطلح مبيناً أصله اللغوي ومعانيه في المنطق والاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وماوراء الطبيعة والدين وعلم الكلام واللاهوت .. حين توجد مثل هذه المعاني . وكان حريصا على إيراد

النصوص الفلسفية التي تبين وجوه استعمال المصطلح . كل ذلك بأوجز الكلام وأوضحه .

وهذا المعجم هو محصول حياة جادة في دراسة الفلسفة وتدريسها وتحقيق نصوصها وترجمتها والتأليف فيها مع عناية خاصة بالمصطلح . وقد بدأ بمعاناة الفلسفة العربية والتعبير عنها باللغة الفرنسية وترجمة نصوص منها اليها منذ كان يحضر رسالة الدكتوراه . ويبقى العثور على المصطلح الفرنسي المقابل للمصطلح العربي في فلسفة ابن سينا على مشقته سهلاً ، لأن فلسفة الشيخ الرئيس ترجع بصورة عامة الى الفلسفة اليونانية ، وهذه قد أشبعت درساً وثبت مصطلحها في اللغات الاوربية . ولم يكن كذلك تدريس العلوم الفلسفية الحديثة في الربع الثاني من هذا القرن ، مع الحرص الشديد ــ المعروف عن الدكتور صليبا ــ على سلامةاللغة ووضوح التعبير والبعد جهد الامكان عن تهجين الكلام ، ومع افتقاد الاســلاف المحدثين الذين روّضوا اللغة العربية وحضروها لتلقي مثل هذه العلوم . وحين ألّف كتابه في علم النفس ألحق به فهرساً احتوى على ما يقرب من ٤٠٠ مصطلح عربي مع مقابله الفرنسي . وما زال تقلبه في الاعمال يغذي فيه هذا الميل الى وضع المصطلح وتثبيته : انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) ، والمصطلح شغل المجمع الشاغل ، وأصبح عميــداً لكلية التــربية ، فعاد لتدريــس علم النفس والتربيــة ، وألقى محاضرات باللغــة العربية عن فلاســفة غربيين ، ومحــاضرات باللغــة الفرنسية عن الفلسفة العربية ، وانتخــب ممثلاً لليونيسكو في اللجنــة الدولية لترجمة الروائع الانســانية ، وترجم « مقــالة الطريقــة » لديكارت ، وشارك في ترجمة كتاب « إعداد المربي » ، وسمي عضواً في لجنة المديرين للموسوعة الميسرة الخ .. وفي مجلة المجمع كانت تظهر ، على مدى تلك

السنين ، نتائج اهتمامه وعمله في هذا الميدان : ففي الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين سنة ١٩٥٣ ظهر مقال له حول « تعريب الاصطلاحات العلمية » ، ثم أخذت سلسلة « الاصطلاحات الفلسفية » تتتابعُ على امتداد ستة وثلاثين جزءاً ، ابتداء من الجزء الاول من المجلد الواحد والثلاثين سنة ١٩٥٦ حتى الجزء الثاني من المجلد السادس والاربعين سنة ١٩٧١ .

وقد قدم لمعجمه بمقدمة بسط فيها رأيه في وضع المصطلح وتثبيته ، وخلاصتها :

ان اللغة العربية لغة واسعة في اشتقاقاتها كثيرة المرونة غنية بألفاظها المتباينة والمتفقة والمترادفة . ومن هنا أُتيَ الكتّاب وبخاصة أرباب السّجع والبديع ، فكثيراً ما يستعملون الالفاظَ المترادفةَ والمتواطئة بعضها في مواضع بعض ، مع أن الواجب على الكاتب اذا وقع على ألفاظ مختلفة متقاربة المعاني أن يبحث عن أسباب اختلافها ، ثم يستعملها كلاً في موضعه ، مادام من حق المعنى ، كما يقول الجاحظ «أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلا ولا مفضولا ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً »(١١٨) .

والامر أصبح مشكلة جدية في زمننا هذا . فالنقلة الذين ينقلون العلوم وغيرها من اللغات الغربية الى اللغة العربية كثيرا ما يستعملون الالفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، واللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة ، بل ان الكاتب الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي ارتآها فيخالف نفسه ، ذلك الى مخالفته سواه . فإلامَ تنتهي هذه الفوضى في المصطلح ؟ لاشك الى خفاء المعاني واهتزاز حدودها واختلاطها بعضها

ببعض ، وما يتلو ذلك من ضلال القارىء ويأسه مما يقرأ أو تزينه بالكلمات الكبيرة الفارغة وترددها دون تثبت من مدلولاتها •

« فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الالفاظ ، ولا بدَّ لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية ، حتى لاتتبدل الحقائق بتبدل الالفاظ التي أفرغت بها » • وهذا العمل انما يقوم به المختصون كل في علمه ومجال اختصاصه ؛ « لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع الاصطلاحات ؛ وانما هي بمثابة عضو رئيس في جسم العلم ؛ ينقح ما يكشفه العلماء ويمحصه وينظمه ويثبته » • « والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد » • لقد طلب الدكتور صليبا كثيراً ، نحن أقل طموحاً منه ، نحن نكتفي بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية : تجتمع بانتظام ؛ وتضع خطة مشتركة ، وتوزع على المجامع الاعمال ؛ ثم تنظر في النتائج فتقر ما تقره وتعممه • وبذلك توفر الجهود وتوجه التوجيه الصحيح وتتوحد لا المصطلحات وحدها بل اللغة أيضا ، وعندها نتكلم جميعاً لغة عربية واحدة في هذا الوطن العربي •

ويقترح الدكتور صليبا على سبيل الاشارة لا الاحاطة ، أربع قواعد يجب اتباعها في وضع المصطلح العلمي :

الاولى : « البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته ، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد » •

الثانية : « البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ؛ فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الجديد » •

الثالثة : « البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي » .

الرابعة : « اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية » .

ولم يدخر الدكتور صليبا جهدا في عمله . فقد رجع في اللغة العربية الى معاجم اللغة وبخاصة قاموس الفيروزابادي ، والى معاجم الاصطلاح وبخاصة تعريفات الجرجاني وكليات أبي البقاء وكشاف التهانوي ، والى كتب الفلسفة وبخاصة مؤلفات ابن سينا والنجاة والإشارات منها خاصة. ورجع الى معاجم الاصطلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية وبخاصة معجم لالاند الذي يقول انه اقتبس منه معظم تعريفاته ؛ فإذا كان أي عمل مهما يبلغ من الإتقان لايمكن أن يكون نهاية المطاف ، لكنه يمكن أن يكون محطة رئيسة في طريق التطور الذي لاينتهي ؛ فمعجم الدكتور صليبا بالتأكيد أول محطة كبرى في عصرنا على طريق تثبيت المصطلح الفلسفي.

ولبيان طريقته في العمل لنأخذ مثالا مصطلح « إبداع » . واخترت هذه اللفظة لأنها مشتركة بين علوم وميادين فكرية كثيرة ، مثل : علم النفس وعلم الجمال وفلسفة الفن وما وراء الطبيعة والدين واللاهوت والنقد الفني والادبي والصناعة الخ .. ولأن لها قرابة بألفاظ كثيرة مثل : خلق اختراع ، فيض الخ ..

جاء في المعجم الفلسفي[١١٩] :

(١) الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق .

والابداع في الفلسفة له معان :

(ب) أولا ــ تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا ، كالإبداع الفني والإبداع العلمي ، ومنه التخيل المبدع في علم النفس •

(ج) ثانياً ــ إيجاد الشيء من لاشيء ، كإبداع الباري فهو ليس تركيباً ولا تأنيفاً وانما هو اخراج من العدم الى الوجود • وميزوا بينه وبين الخلق، بأن الخلق هو إيجاد شيء من شيء •

(د) ثالثا ــ ايجاد شيء غيرمسبوق بالعدم،ويقابل الصنع وهوإيجادشيء مسبوق بالعدم • قال ابن سينا في الإشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط ، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان • وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » • والغرض ، كما يشرح الطوسي ، أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان لم يكن مسبوقاً بعدم • فالإبداع هو اذن أن يكون من الشيء وجود لغيره من دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان ، كالعقل الاول في فلسفة ابن سينا فهــو يصدر عن واجب الوجود من دون أن يكون صــدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان • والإبداع بهذا المعنى يقابل التكوين والإحداث ، لأن التكوين مسبوق بالمادة والإحداث مسبوق بالزمان ، وهما مترتبان على الإبداع ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين ، والزمان لا يمكن أن يحصــل بالإحــداث •

(هـ) رابعا ــ الإبداع الدائم وهو،عند الفلاسفة الأصوليين (السكولائيين) والديكارتيين ، الذي يبقي به الله العالم ، وهو عين الفعل الذي يخرجه به من العدم الى الوجود • فالله اذن مبدع ومبق ، لأنه اذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة، وهذا أيضاً يقابل التأليف، لأن التأليف يبقى وإن أمسك المؤلف عن تأليفه •

(و) والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لايحتاجون الى القول بالابداع •

والملاحظ أن لفظة واحدة في اللغات الغربية هي Création تقابل اللفظتين العربيتين الإبداع والخلق • وبالرجوع الى المعجم الفلسفي نجد أن لفظة خلق[١٢٠] لاتخرج عن معاني الإبداع المذكورة في الفقرات (ب ، ج ، هـ) : ولكن هناك لفظة أخرى هي الاختراع وتقابل Invention

وفي المعجم الفلسفي[١٢١] :

(ز) الاختراع هو الانشاء والابتداع ، كإنشاء الافكار انشاءً جديداً أو تنظيم وسائل العمل تنظيماً جديداً يؤدي الى تحقيق غاية معينة• فالاختراع بهذا المعنى مقابل الاكتشاف ، لأن الاكتشاف هو الاطلاع على الاشياء الموجودة سابقا ، على حين أن الاختراع هو إيجاد أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كاختراع القصة أو الآلة أو المركبات الكيماوية الجديدة الخ ••

بعد هذا العرض يمكن التعليق بما يأتي :

(١) بالنسبة للمعنى اللغوي (الفقرة ا) ، اذا رجعنا الى القاموس واللسان والتاج نجد هذا المعنى للفظة إبداع هو المعنى المركزي لها • ففي اللسان مثلا[١٢٢] : بدع الشيء وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا ، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدع ، وأبدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال الخ••

(٢) بالنسبة لهذه اللفظة في علم النفس وعلم الجمال والنقد الفني والادبي •• (فقرة ب) ، نجد ، بالرجوع الى معجم علم النفس[١٢٣] وموسوعة علم النفس[١٢٤] وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي[١٢٥]،

تحت مادة : تخيل ، تفكير ابداعي ، خيال ابداعي ، شرحاً لايخرج عما جاء في المعجم الفلسفي لولا أنه أقل دقة وأكثر ألفاظاً .

(٣) واذا بحثنا تحت مادة ابداع في التعريفات[١٢٦] نجد المعاني الموجودة في (الفقرتين ج ، د) بالتمام ، وفي الكليات[١٢٧] نجد المعاني نفسها ومحاولة حسنة للتمييز بين الإبداع والاختراع والخلق والصنع والفطر والبرء والانشاء والإحداث والتكوين والجعل الخ .. وفي الكشاف[١٢٨] نجد المعنى الذي في (الفقرة د) .

(٤) وفي معجم لالاند نجد تحت مادة[١٢٩] Création المعاني الموجودة في (الفقرات ب ، ج ، هـ) ؛ وتحت مادة[١٣٠] Invention المعنى الموجود في (الفقرة ز) .

(٥) قال فلاسفة الاسماعيلية[١٣١] بالإبداع بمعنى يتفق مع المعنى السينوي من جهة أنه وجود عن شيء غير مسبوق بالعدم ، ويختلف عنه من جهة أنه لايتم بالفيض . فقد قالوا بالتنزيه المطلق لله ، فلم ينفوا عنه التشبيه فقط بل نفوا عنه أيضا التسمية والحد والصفات والزمان والمكان، حتى الوجود الذي يدعونه أيضاً . وقالوا بالعقل ووجوده عن الله بالإبداع . وهو المبدع الاول والإبداع وهو السابق وهو القلم . ووصفوه بكل صفات الإله عند أرسطو وابن سينا ؛ أي أنهم وضعوا فوقه إلهاً لا يوصف بوصف وليس هو علة الوجود ، انه هوية غامضة . والإبداع ، الذي به وجد العقل وهو هو ، ليس الفيض : « .. وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا .. فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فيه فتكون ذاته من شيئين .. » « فلما بطل أن يكون ما وجد عن

المتعالي فيضاً لم يبق إلا أن يكون ابداعاً . فهو الإبداع الذي وجوده لا من شيء والموجود الاول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الاول الذي إن طلبت احاطة بكيفية وجوده لن تنال بكونها محجوبة عن العقول بوقوعها تحتها ، وتعاليها ، أي الكيفية ، في وجودها عليها ..» .

(٦) وابن عربي[١٣٢] يقول بما يتفق مع مقالة الاسماعيلية من جهة ويختلف عنها من جهة أخرى . فهو يبلغ في التنزيه درجة ليس عليها من مزيد . فالمتعال في مرتبة الأحدية فوق الصفات وفوق المعرفة ، أما في مرتبة الواحدية فهناك تعينات أساسية أو صفات . والخلق يتمثل لابن عربي فيضاً للوجود على الاسماء والصفات ، واخراجها من حالة العدم أو حالة « الكنز المخفي » الى حالة الوجود العيني . وعلى ذلك لا يصح على وحدة الوجود المتعالية عند ابن عربي ما يمكن أن يصح على وحدة الوجود الفلسفية كما هي عند اسبينوزا من عدم الحاجة إلى القول بالخلق أو الإبداع (الفقرة و) .

ويشبّه ابن عربي الخلق بصدور الاصوات عن فم الانسان ، فكما تكون الكلمات قبل النطق مختلطة ثم تصبح بنفَس الانسان متميزة ملفوظة ؛ كذلك يخرج « نفس الرحمن » بكرمه ورحمته الامكانيات الاصلية للوجود الى حيز الوجود . وكما يمر نفَس الانسان بدوري التقلص والتمدد يمر الكون بهاتين الحالتين. انه يفنى في كل لحظة ليخلق من جديد في اللحظة التالية دون انفصال زمني . فهو يعود الى الذات الإلهية في لحظة التقلص ويعود الى الظهور في لحظة التمدد . فالكون اذن تجلٍّ للذات الإلهية في كل لحظة دون أن تتكرر ، أو كما يقول المتصوفة « لا تكرار في التجلي » . فالقول اذن بالإبداع المستمر ليس مقصوراً على

الاصوليين والديكارتيين (الفقرة هـ) ، ولكنه بمعنى آخر وخاص قول ابن عربي ، وكذلك نجده بمعنى خاص آخر عند الأشاعرة •

وبعد : أيها السادة ، لقد كنت دائماً أقول لنفسي ولبعض أصدقائي، ومنهم من هو الآن في هذه القاعة : ان لحسن الادارة شأناً كبيراً في الانتاج حتى •• في ميدان الفكر • فمن الناس من هو جعبة علم ، ولكنه أخرق لا يعرف كيف يتحرك بين متراكم معلوماته فلا يعرف كيف يفيد من علمه؛ فيبقى علمه دفين صدره إلا على قليل ممن له اتصال به وعنده الصبر والخبرة في استخراج الكنوز ؛ ثم يموت ويدفن علمه معه • ومن الناس من لايفرط بشيء من علمه ، يعرف كيف ينظم معلوماته ويصنفها ويدخرها ليفيد منها في الوقت المناسب في بحوثه ودراساته ، لا يهدر شيئاً ممّا حصّل بل يضعه في موضعه ويخرجه للناس ؛ حتى اذا غادر هذه الحياة ، كان لكل من يريد نصيب من ميراثه ، يمد يده حين يشاء فيأخذ فيغتني ويظل التراث سليماً لاينضب ولا ينقص • وكنت أضرب الامثال على هذين النوعين من الناس ممن أعرف من رجال البحث العلمي والفكر ، وكان جميل صليبا واحداً من الامثال على النوع الثاني •

وقد انتبه الدكتور قسطنطين زريق الى هذه الصفة في الدكتور جميل صليبا ، ونوه بها في تأبينه له • قال : « ظل جميل صليبا طالباً للعلم ليل نهار •• ظل منكباً على التحصيل ، وعلى التزود بنتاج الفكر •• ظل يجمع وزنات المعرفة ، مضيفا الجديد منها الى القديم •• على أنه لم يدفن هذه الوزنات في الارض ولم يقفل عليها في زوايا عقله ونفسه ، بل أخرجها للملأ ووظّفها واستثمرها ، فازدادت بالعطاء وغزرت بالانفاق »(١٣٣) •

وفي الختام ، أشكر السادة الذين تكرموا بالحضور ، ومعذرة ان

كنت أطلت وما وفيت . وأشكر الاساتذة الزملاء الذين أفاضوا علي من حسن ظنهم كرما منهم وفضلا ، حتى أولئك الذين حملوني العبء وما (أنا بالعبء .. مستقل)[١٣٤] . وأخص بالشكر السيد الرئيس الدكتور حسني سبح ، فلولا عطفه وتشجيعه ما تثبت قلبي وأقدمت . أما الدكتور شاكر الفحام ، فلا تستغربوا ، أيها السادة ، ما خلعه علي من حلة موشاة لا أعرف كيف أضعها على كتفي ، انها الصداقة التي ترجع الى ما يزيد على ثلاثة عقود ونصف العقد ، انها الصداقة المعتقة ، وللمعتقات كما قد تعلمون على النفوس سلطان أي سلطان .

والسلام عليكم ورحمة الله .

المراجـــع :

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، ص ٣١٣ ٠

(٢) الطبري ، دار المعارف بمصر ، ج ٩ ، ص ١٦٨ ٠

(٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٣ ٠

(٤) الطبري ، ج ٩ ، صص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ٠

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ج٤ ، ص ٣٢ ٠

(٦) جـاء في الطبـري « ثم استوبأ البلد ، وذلك أن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقيل ، والريح يهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامـة الليل ، وهي كثيرة البراغيث ، وغلت فيها الاسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ٠٠ » ، ج ٩ ، ص ٢١٠ ٠

(٧) « فكان بين خروجه من العراق ورجوعه اليه ثلاثة أشهر وسبعة أيام». المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢ ٠

(٨) نظم البحتري ثلاث قصائد ذكر فيها هـذه الحادثة التاريخيـة ، الاولى مطلعها :

أبـرّ على الانـواء نائلـك الغمـر وبنت بفخـر ما يشاكله فخـر

ومنهـــا :

هنيئا لأهل الشـام أنـك سـائر إليهم مسير القطر يتبعه القطـر

ديوان البحتري ، دار المعارف بمصر ، صص ٩٩١ـ٩٩٤ ٠

والثـانية مطلعها :

مخلـف في الـذي وعــد سـيلٌ وصـلا فلم يجـد

ومنهـــا :

حبـــذا العيـــش في دمشــــــق اذا ليلهـــا بـــرد

والثالثة مطلعها :

العيش في ليل داريـا اذا بـردا والراح نمـزجها بالماء من بـردى

ومنهـــا :

أما دمشق فقد أبـدت محاسنها وقـد وفى لك مطـريها بما وعدا

الديوان ، م ٢ صص ٧٠٧ ـ ٧١٠ ٠

كما رثاه بقصيدته المشهورة :

محل على القاطول أخلـق داثـره وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

ومنهـــا :

تخفـى له مغتـاله تحـت غـرة وأولى لمـن يغتاله لو يجاهـره

الديوان ، م٢ ، صص ١٠٤٥ ــ ١٠٤٩ ٠

(٩) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، التـرجمة العربية (فارس وبعلبكي) ، ط ٥ ، صص ٥٩٨ ــ ٥٩٩ ٠

يقول بروكلمان : « وقد تلقى المتآمرون الذين دعوا أنفسهم جمعية الاتحاد والترقي مساعدة مالية من الدونمة وهم يهود سالونيك الداخلون في الاسلام والذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية في تلك المدينة » ٠

(١٠) كارل شولتز ، اللغة العربية في أفغانستان ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، م ٣٠ ، ج ٣ ، ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٦٩ ــ وقددلنـي على هذا المرجع الاستاذ أحمد راتب النفاخ ٠

(١١) كثيرا ما ذكر ذلك ، وأمام كثيرين منهم الاستاذ النفاخ ، عمر الحكيم رحمه الله نقلا عن أبيه الذي أشرف ــ كما كان يقول ــ على البناء الذي سمي فيما بعد القشلة الحميدية ثم أصبح الجامعة السورية ، والذي ــ كما يقول ــ كان أحد التحضيرات لنقل العاصمة الى دمشق (أذكر ذلك بتحفظ) ٠

(١٢) أبو بكر محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق النواوي ، مصر ، ص ١٧٥ ٠

(١٣) أبو نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ٧ ، ص ٣٦٨ ٠

(١٤) المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ ٠

(١٥) المنقذ من الضلال ، تحقيق صليبا وعياد ، صص ١٠٣ــ١٠٤ ٠

(١٦) الفتوحات المكية ، م ٤ ، ص ٥٠٠ ٠

(١٧) سورة البقرة ، الآيتان ١٣٤ و ١٤١ ٠

(١٨) والبيت :

جزاكم ذو الجـلال بني دمشق وعـــز الشـرق أوله دمشـــق

من قصيدته التي قالها في الثورة السورية ، ومطلعها:

سـلام مـن صـبا بـردى أرق ودمـــع لا يكفكف يا دمشـــق

الشوقيات ، ج ٢ ، صص ٨٨ ــ ٩١ ٠

(١٩) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦١٤ ٠

(٢٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ط مصر ، ص ٣٨ ٠

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٤٠ ٠

(٢٢) تاريخ المجمع ، ص ٣ ـ نقلا عن الحصري ، يوم ميسلون ، ص٢٣٠

(٢٣) تاريخ المجمع العلمي العربي ، ص‌ص ٢ـ٧ ·

(٢٤) من قصيدة للمتنبي في مدح عضد الدولة ، مطلعها :

أوْهِ بديل مــن قولتــي واهــا   لمــن نأت والبــديل ذكــــراها

ومنهـــا :

أبا شــجاع بفــارس عضــد الد   دولــة فنّــا خســـرو شهنشــاها
أسامياً لــم تــزده معــــرفة   وانمـــا لـــذة ذكــــرناها

ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٩ ·

(٢٥) وقائع الحفل التأبيني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيد الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا ، ص ٥٩ ·

(٢٦) عنوان الرسالة بالفرنسية ـ

étude sur la métaphysique d' Avicenne

ويذكرها في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع بعنوان فلسفة الشيخ الرئيس » · ويذكرها مصطفى عبد الرازق بعنوان « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ · ويعطيهـا الدكتور ابراهيم مدكور هذا العنوان « دراسة في ميتافيزيقا ابن سينا » ، وقائع الحفل التأبيني ص ٢٢ ·

(٢٧) عنوان الرسالة بالفرنسية

La théorie sociologique de la connaissance

ويذكرها في ترجمته الذاتية بعنوان « نظرية المعرفة على مذهب المدرســة الاجتماعية الفرنسية » · وهذا العنوان أدل على مضمون الرسالة ·

(٢٨) وقائع الحفل التأبيني ، ص ٢٩ ·

(٢٩« من قصيدته التي مطلعها :

غير مجد في ملتــي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شادي

شروح سقط الزند ، القسم الثالث ، القصيدة الثالثة والاربعون ، ص‌ص ٩٧١ ـ ١٠٠٥ ·

(٣٠) لم أستطع الحصول على رسالة الدكتوراه هذه · ولكنني وقعت في كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرازق على اشارة لهذه الرسالة ، وهذه هي : « وقد رأيت للدكتور جميل صليبا ·· كتابا عنوانه « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ·· ناضل فيه نضالا قويا عن الفلسفة العربية · ومن أمثلة نضاله فيما نحن بصدده (الخلاف في التسمية) قوله : « ان الذين يجحدون وجود فلسفة عربية يثبتون وجود فلسفة اسلامية ، بيد أن الاسلام ، برغم كل ما نفذ اليه من العناصر الاجنبية ، ظل أثـرا مـن آثار

العبقرية العربية . أما أن أكثر الفلاسفة من أصل غير عربي فلا نكران له.. نحن نتكلم عن فلسفة عربية كما نتكلم عن دين عربي . » تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ .

وبالمناسبة لقد جاريت في هذه الدراسة الدكتور صليبا في التسمية حتى لايحصل تخالف في التعبير ، على الرغم من تفضيلي التسمية الاخرى .

(٣١) صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، صص ١٠ و ١١ .

(٣٢) الدراسات الفلسفية ، المقدمة ، صص (د ، هـ) .

(٣٣) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (هـ) .

(٣٤) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (ج) .

(٣٥) حنا الفاخوري وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج ٢ ، صص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

(٣٦) مطلع عينية ابن سينا :
هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
وهي موجودة بكاملها في : صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٧٥ .

(٣٧) واستجابة للمناهج اللبنانية ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٩

(٣٨) المرجع نفسه ، صص ٤٤٣ـ٥١٩ .

(٣٩) مجلة المجمع ، م ٥٠ ، ج ١ ، صص ٢٣ ـ ٤٥ ، سنة ١٩٧٥ .

(٤٠) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٣٣٣ ـ ٤٠٩ .

(٤١) مجلة المجمع ، م ٤٥ ، ج٤ ، صص ٧٤٨ ـ ٧٧٢ ، سنة ١٩٧٠ .

(٤٢) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٥٤٣ ـ ٦٤٤ .

(٤٣) يقول صليبا : « لاشك أن الفلسفة العربية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية ، وأن الفلاسفة العرب قد نسجوا على منوال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، وأخذوا عنهم معظم آرائهم ونظرياتهم .. الا أن التيارات الفكرية المتعددة التي جمعوا بينها في ثقافتهم جعلت فلسفتهم مشابهة لفلسفة اليونان في أصولها ومبادئها ، مباينة لها في مقاصدها وغاياتها » . ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٣ .

وهذا رأي ينصف ما يدعى بالفلسفة العربية أو الاسلامية ولكنه لا يخرج بها عن الحدود التي رسمت لها .

(٤٤) هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية) ، ص ٣٢ .

(٤٥) تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٥

(٤٦) كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٩٠٢

(٤٧) خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص‌ص ٦ــ٨ ·

(٤٨) طبقات الامم ، تحقيق لويس شيخو ، سنة ١٩١٢ ، ص ٦٩

(٤٩) الصلة ، ص ٥٦٤

(٥٠) تاريخ الحكماء ، ص ٣٢٦

(٥١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٣٩

(٥٢) مقدمة ابن خلدون ، ط· المكتبة التجارية ، الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ·

(٥٣) نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج ٣ ، ص ١٧٦

(٥٤) يذكر بروكلمان (تاريخ الادب العربي ، الترجمة العربية ــ ج ٤ ، ص‌ص ٣٢٣ و ٣٢٤) أن دوزي برهن على أن كتاب « التعليم برتبة الحكيم » أو « كنز الفضائل » منحول للمجريطي ، وكذلك قال هوليمار ، لانه نص صراحة في خطبة الكتاب أنه صنف فيما بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤٧ (أي بعد الفتنة التي أطاحت بالحكم الاموي في الاندلـس سنة ٣٩٩) · وبرهن دوزي أيضـا على أن كتاب « غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم » منحول له · ووافقه على رأيه هذا هنري كوربان (تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٠١) ،ويرى أنه أحد مؤلفين كبيرين من التـراث الهرمسي العربي : أولهما كتاب « سـر الخليقة » ، الذي ألفه في عهد المأمون رجل مسلم ونسبه لأبولونيوس الطواني، والثاني كتابنا هذا « غاية الحكيم » ، ويحتوي على معلومات قيمة عن الطقوس الفلكية عندالصابئـة ، وعلى تعليم مفصل لمبدأ « الطبيعة التامة » المنسـوبة لسقراط · ولكن جميل صليبا (الرسالة الجامعة ، ج ١ ، ص ٤) ينقل عن كتـاب غـاية الحكـيم (غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم ، طبعة ريتر، ١٩٢٧ ، ص ١) : « وكان تأليفي لهذا الكتاب مبدأ ثلاثة وأربعين وثلثمائة عند فراغي من تنقيح كتاب رتبة الحكيم ، وأتممته في آخر عام ثمانية وأربعـين وثلثمائة » · فأي التاريخين أصح ؟ وهل خضع هذان الكتابان أيضا لما يشبه الاحداث التي خضعت لها الرسالة الجامعة ؟

(٥٥) الرسالة الجامعة ، تحقيق صليبا ج ١ ، ص‌ص ١٥٢ و ١٥٣ ــ طبعة بيروت ، ص ٨٤ ·

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢٧ ــ طبعة بيروت ، ص ٢٣٩ ·

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، ط· بيروت ، ج ١ ، ص‌ص ٤٢ و ٤٣

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ·

(٥٩) مصطفى غالب ، اخوان الصفا ، ص ٣١ ·

(٦٠) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، صص ٣ـ١٧

(٦١) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، صص ٣٥ و ٣٦ ٠

(٦٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، صص ٨٢ ـ ٨٨

(٦٣) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٥٨

(٦٤) اقرأ فتوى ابن تيمية في : عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ج ٢ ، صص ٤٤٩ ـ ٤٥٧ ٠

(٦٥) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج٤ ، ص ٦ ٠

(٦٦) المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٨

(٦٧) مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، ص ٣٥ ـ نقلا عن رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا ، تأليف : عبد المحيي الحويزي العربي ، بومباي ١٩٢٩ ٠

الخلاف في أئمة عهد الستر (ما بين محمد بن اسماعيل ومحمد المهدي أول الخلفاء الفاطميين) كبير بين الاسماعيليين أنفسهم ، وما هو موجود في الوثائق الاسماعيلية السورية : عبد الله بن محمد بن اسماعيل (المعروف بأحمدالوفي)ـ أحمد بن عبدالله (المعروف بمحمدالتقي)ـ الحسين بن أحمد(المعروف بعبد الله الرضي) ـ مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، الجداول الملحقة بالكتاب ٠

(٦٨) جامعة الجامعة ، صص ١٦ و ١٧ ٠

(٦٩) عيون الاخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع ، صص ٣٦٧ ـ ٣٩٤

(٧٠) مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٣٤ـ٣٦

(٧١) المرجع نفسه ، ص ٨٧ ـ ٩١

(٧٢) كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢١٣

(٧٣) كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٥٥

(٧٤) الفهرست ، ط٠ طهران ، ص ٢٣٦

(٧٥) كتاب الحيدة ، ص ٤٩ ـ نقلا عن : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ص ١٠٦٩ ٠

(٧٦) المرجع نفسه ، صص ٥٠ و ٥١ ـ نقلا عن طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٦٥

(٧٧) المرجع نفسه صص ١٣٥ و ١٣٦

(٧٨) المرجع نفسه ، صص ٥٣ و ٥٤ ـ نقلا عن ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ، ص ٤١

(٧٩) لا أدري ما الذي دعا الدكتور صليبا الي دغم الاصل الثالث من أصول مذهب المعتزلة الخمسة : المنزلة بين المنزلتين ، بالاصل الرابع :الوعد والوعيد ، والاستبدال به المعرفة بالعقل ٠ فالاصول الخمسة هي أصول المذهب في وجهيه الإيماني والعملي للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة ٠ أما العقل ، بالمعنى المعتزلي أي من حيث هو عقل انساني بحت ، فهو الاساس الذي تقوم عليه الاصول الخمسة ، وبدونه لا يبقى أي معنى لها ٠

(٨٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٥٠

(٨١) تراث الاسلام ، ط٠ مصر ، ج١ ، هامش ص ٢٤٧

(٨٢) كتاب الحيدة ، المقدمة ، ص ٢٥

(٨٣) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(٨٤) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٦١٩ ـ البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٦٧

(٨٥) سورة الشورى ، الآية ١١

(٨٦) طه ، ٥ ٠

(٨٧) الحـديد ، ٣

(٨٨) البخاري ، كتاب الإيمان ، ٣٧ ـ مسلم كتاب الايمان ٥٧ الخ٠٠

(٨٩) الكيف ، ٥٤

(٩٠) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص‌ص ٥٦ ـ ٦٧

(٩١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ط٠ مصر ، ص‌ص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ ـ الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج١ ، ص‌ص ٢٢٣ ـ ٢٣٢ ٠

(٩٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٥

(٩٣) الانعام ، ١٠٢

(٩٤) الانعام ، ١٩

(٩٥) الانعام ، ٩١

(٩٦) النحل ، ٤٠

(٩٧) آل عمران ، ٢٨و٣٠

(٩٨) الانبياء ، ٣٥

(٩٩) الفرقان ، ٥٨

(١٠٠) الزخرف ، ٣

(١٠١) الانعام ، ١

(١٠٢) الاسراء ١٧ و ٢٩

(١٠٣) النحل ، ٧٨

(١٠٤) البقرة ، ١٢٨

(١٠٥) الرحمن ، ١ و ٢ و ٣

(١٠٦) الانعام ، ٣٨

(١٠٧) كتاب الحيدة ، ص‌ص ٤ و ٥ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ١٨

(١٠٩) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(١١٠) ابن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص‌ص ٣١٩ـ٣٢٨

(١١١) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٢٨١

(١١٢) كتاب الحيدة ، ص ٢٠٦

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٥١ـ٦٩

(١١٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ـ٧٩

(١١٥) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦١

(١١٦) كتاب الحيدة ، ص ٤

(١١٧) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦٦

(١١٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٣

(١١٩) المعجم الفلسفي ، م ١ ص‌ص ٣١ و ٣٢
نتبيّن قيمة معجم صليبا اذا قورن ما ورد فيه حول هذا المصطلح (ابداع) والمصطلحات التي تربطها به قرابة ، بما في المعجم الفلسفي ل (وهبة ، كرم ، شلاله) ، ص ١ ص ٦ ، ص ٩١

(١٢٠) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٥٤١

(١٢١) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٤٦ و ٤٧

(١٢٢) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٦

(١٢٣) فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٥٦

(١٢٤) أسعد رزوق وعبد الله عبد الدايم ، موسوعة علم النفس ، ص٨٢

(١٢٥) عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل ص ص ١٧٩ و ١٨٠ .

(١٢٦) التعريفات ، الطبعة القديمة ، ص ٣

(١٢٧) الكليات ، طبعة وزارة الثقافة ، قسم ١ ، ص‌ص ٢١ و ٢٢

(١٢٨) كشاف اصطلاحات الفنون ، الطبعة الجديدة ، ج١ ، ص ١٩٣.

(١٢٩) معجم لالاند الفرنسي ، ص‌ص ١٩٤ و ١٩٥

(١٣٠) المرجع نفسه ، ص ٥٤٤

(١٣١) أحمد حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، ص‌ص ١٢٧ـ٢٠٥ ـ عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، ص‌ص ٢١٩ ـ ٢٤٧ هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص‌ص ١٤٠ـ١٤٥

(١٣٢) ابن عربي ، فصوص الحكم ، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي ، المقدمة ص‌ص ٢٤ـ٣٥ ـ سيد حسين نصر ، ثلاثة حكمــاء مسلمين ، ص ص. ١٣٨ ـ ١٤٨

(١٣٣) وقائع الحفل التأبيني ، ص ١٤

(١٣٤) على الحكاية من البيت :

خلـف العــبء علي وولى   أنا بالعبء لــه مستقل

وهو البيت الثاني من القصيدة التي رثى بهــا ابن أخت تأبط شرأ خاله هذا . ويقال هي لخلف الاحمر . والمطلع :

ان بالشعب الذي دون سلع   لقتيــلا دمــه ما يطـــل

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ، ج ٢ ، ص‌ص ١٦٠ ـ ١٦٤ .

مجمعي افتقدناه :

الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري

فقد مجمع اللغة العربية عضواً عزيزاً كان له في نفوس اخوانه التقدير الرفيع ، وكان له من خلال الاخلاص في العمل والدأب فيه منزلة ، ضمه المجمع اليه منذ سنة ١٩٧١ ؛ فظل طيلة هذه السنوات يعمل في صمت ويعاشر في خلق ، ويجهد في اخلاص ويقدم للمجمع خدماته وعونه •

وقد نعاه المجمع ووزارة التعليم العالي ونقابة أطباء الاسنان وجامعة دمشق ، لانه كان على صلة موصولة بكل هذه المؤسسات الثقافية ، قدم لها ما استطاع خلال حياته الحافلة •

ولد الفقيد في البترون « لبنان » سنة ١٩٠٢ ، وتوفي والده وهو في السابعة « ١٩٠٩ » ، وكانت دراسته الابتدائية في مسقط رأسه في مدرسة المرسلين الامريكان باللغات الثلاث ، العربية والانجليزية والفرنسية •

وفي سنة ١٩١٣ درس في « جبيل » في مدرسة أمريكية خاصة ، وتابع دراسته الثانوية في طرابلس الشام ١٩١٤ في مدرسة المرسلين أيضا ، ونال منها شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩١٨ •

ثم انتسب الى الكلية السورية الانجيلية في بيروت سنة ١٩١٩ «صار اسمها منذ ١٩٢١ الجامعة الامريكية » فدرس جراحة طب الاسنان ، ونال شهادة دكتور في جراحة الاسنان ، بدرجة الشرف ، سنة ١٩٢٣ •

وآثر العمل بعد ذلك في دمشق ، فانتسب سنة ١٩٢٤ الى شعبة طب الاسنان بالمعهد الطبي العربي في الجامعة السورية « الآن : كلية طب الاسنان في جامعة دمشق » مساعد مخبر ومحاضراً ، وتدرج في مراحل التدريس فكان مدرساً سنة ١٩٢٨ فأستاذاً مساعداً سنة ١٩٤٥ ، فأستاذاً ذا كرسي سنة ١٩٤٧ ، وكان اكتسب الجنسية السورية بحكم اقامته ، في تشرين الاول سنة ١٩٣٠ •

وأحيل على التقاعد بسبب بلوغه السن القانونية سنة ١٩٦٢ ، ودعي الى العراق أستاذاً في كلية الطب في جامعتها بين سنتي ١٩٦٢—١٩٦٤ ، فدرس مادتي ترميم الاسنان ومداواة الاسنان ، باللغة الانجليزية •

وحين عاد من العراق حرصت جامعة دمشق على الاستفادة من خبراته العلمية والعملية والتدريسية فجددت تعيينه أستاذاً فيها ، ثم أحيل على التقاعد نهائياً سنة ١٩٧٦ •

ولم يقتصر عمله الثقافي على التدريس ، وانما جمع بين التدريس والتأليف ، فخلّف مخطوطتين : احداهما : أمراض الاسنان ، والاخرى تشخيص أمراض الفم والاسنان •

واتصرف بحكم ما كان من عنايته باللغة العربية واتقانه الانجليزية واجادته الفرنسية ، الى الاهتمام بالمصطلحات الطبية ، وتوّج جهوده التأليفية في معجمه المعروف : معجم مصطلحات تعويض الاسنان ، باللغات الثلاث ، اقترن فيه كل مصطلح بشرح واف ، وطبعته نقابة أطباء الاسنان •

وتولى خلال ذلك بعض الاعمال المهنية والادارية ، فعُيّن طبيباً للمستشفيات العسكرية « ١٩٢٥ ــ ١٩٤٥ » ، واختاره زملاؤه أطباء

الاسنان ، تقديراً لعلمه وخلقه ، نقيباً لنقابة أطبـاء الاسنان « ١٩٥٨ و ١٩٥٩ » •

وكانت فضائله العلمية والاخلاقية هي التي تقدمت به الى عضوية مجمع اللغة العربية بدمشق ، فقد جاء في كتاب الترشيح الذي قدمه الزميل المرحوم الدكتور صلاح الكواكبي وثنى عليه الاستاذ الدكتور حسني سبح « •• لما يمتاز به من كفاية علمية واتقان للغة الانجليزية واجادة للفرنسية، الى قوته في لغته الام : العربية الحبيبة ، بالاضافة الى ما يتحلى به مـن طيب الأحدوثة ودماثة الاخلاق ، فهو حقيق بأن ينضم الى صرحنا العلمي عضواً عاملا مخلصاً وفياً » •

وقد اتخذ المجمع قراره بقبول هذا الترشيح في جلسته التي عقدها يوم ١٩/١١/٧٠ ، وصدر مرسوم تعيينه عضواً عاملا برقم ٣٩٣ وتاريخ ١٦/٢/١٩٧١ •

واستقبله المجمع في الحفل العلني التقليدي فتكلم الرئيس الاستاذ الدكتور حسني سبح مفتتحاً الحفل بكلمة قال فيها : « •• اختاره زملاؤه ليكون يداً معهم وعوناً لهم على تحقيق غاياتنا المقدسة في خدمة اللغة العربية الشريفة » •

وقدمه المرحوم الاستاذ الدكتور صلاح الدين الكواكبي فتحدث عن عهده بالزميل الجديد وأشاد بفضائله « •• وهو ذو نظر وقّاد في الانتقاد ، وتواضع لا غرور ولا صلف ، وعفة لسان لا همزة ولا لمزة ، وحبٌ جمٌ واخلاص لا موارية فيه لمن يصادقه ويصافيه » •

ثم تكلم الاستاذ الفقيد فتحدث موجزاً عن صفحات من نشأته الاولى

وعن عمله خلال أربعين عاما في جامعة دمشق « التي فتحت لي صدرها الرحب وبسطت لي كفيها السمحتيْن » ، ثم مضى يفيض في الكلام عن سلفه الاستاذ الدكتور مرشد خاطر وعن مكانته في الجامعة والمجمع ، وعن خدماته في المؤسسات العلمية والتعليمية وعن ريادته في التأليف الطبي والمعاجم الطبية ، وعن مقالاته في المجلة الطبية العربية ومجلة المعهد الطبي العربي وغيرهما ، وأنهى خطابه بقوله : « وأسأل الله أن يأخذ بيدي ويسدد خطاي مع زملائي أعضاء المجمع وأن يمنحني القوة لأكمل طريقي وأبلغ غايتي ، جاعلا شعار العمل والخدمة نصب عينيّ والله الهادي الى سبيل الرشـاد » .

وبين السنة التي انضم فيها الدكتور الخوري الى زملائه في المجمع وبين سنة وفاته ظلّ على صلة متصلة بالمجمع وعمل دائباً في لجانه ، وكان عضواً في لجنة لمصطلحات وفي لجنة المجلة منذ عام ١٩٧٧ . وأسهم في لجنتي الكيمياء ومعجم النبات اللتين نظرتا في معاجم هاتين المادتين لمرحلة التعليم الثانوي كما كان عضواً في لجنة الاحتفال بذكرى ميلاد الاستاذ محمد كرد علي .

وعهد اليه المجمع بتمثيله في أوجه من أوجه النشاط الثقافي ، ومن ذلك الاحتفال بذكرى ابن زهر في أسبوع العلم الثالث عشر .

وكان يحرص على أن يشارك في جلسات المجمع ببعض البحوث والكلمات ، فقد ألقى في جلسة ٦/٤/٧٢ كلمة عن حنين بن اسحق الطبيب والمترجم ، وفي جلسة ٥/٤/٧٣ كلمة بعنوان : الافصاح عن لفظتي الجراحة والجراح .. هذا الى كلمات أخرى نشرت في مجلة المجمع .

واتخذ في السنوات الاخيرة طريقه الى تحقيق التراث الطبي ، فعمل جاهداً على تحقيق كتاب : التيسير لابن زهر .

وتميَّز عمله كله بالدؤوب والمتابعة فقد أشرف طويلا على مجلة نقابة طب الاسنان وغذاها بالكثير من بحوثه ، وكتب في مجلة النعمة ، وحاضر في النقـابة .

لقـد كانت وفاته خسارة للعربية والعلم ، نسـأل الله أن يثيبه وأن يتغمده برحمته ، وأن يعوِّض مجمعنا خيراً .

ش. ف

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ شعر بكر بن النطاح	د. حاتم الضامن	بغداد	١٩٧٥
ـ عاهلت الشعراء في الجاهلية والاسلام	عدنان البلداوي	بغداد	١٩٧٧
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام (علم الحيوان)	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	بغداد	١٩٧٦
(معجم مصطلحات الفيزياء)		بغداد	١٩٧٧
ـ ابن حزم الكبير	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٨٠
ـ بشار بن برد وفاتحة العصر العباسي	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٩
ـ البهائية سراب	عبد الله النوري	بيروت	١٩٧٤
ـ حقيقة الماسونية	محمد علي الزعبي	بيروت	١٩٧٤
ـ دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه	د. محمد مصطفى الاعظمي	بيروت	١٩٦٨
ـ دفاعاً عن العلم ، دفاعاً عن الوطن	د. عمر فروخ	بيروت	١٩٧٧
ـ رجال وأقوال	محمد السلاح	بيروت	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة	محمد أسد شهاب	بيروت	١٩٧٠
ـ العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة	أبو بكر محمود جومي	بيروت	١٩٧٢
ـ العقيدة الواسطية	ابن تيمية ، تحقيق : مصطفى العالم	بيروت	
ـ فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر	نعيم الحمصي	بيروت	١٩٨٠
ـ المؤرخ العلامة جبيل بيهم	حسان حلاق	بيروت	١٩٨٠
ـ الماسونية	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت	١٩٧٨
ـ محمد بن عبد الوهاب	أحمد عبد الغفور عطار	بيروت	١٩٧٢
ـ المرأة في القديم والحديث ج ٣	عمر رضا كحالة	بيروت	١٩٧٩
ـ المجاهدون في الحق : تذكارات من مالك الى السنهوري	د. صبحي محمصاني	بيروت	١٩٧٩
ـ المغامرة الاسرائيلية في أفريقيا	كامل الشريف	بيروت	١٩٧٤
ـ المقدسات الاسلامية في فلسطين والمطامع اليهودية الخطيرة	الهيئة العربية العليا لفلسطين	بيروت	١٩٦٨

اسـم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ نظرات في سورة الحجرات	محمد الصواف	بـيروت	١٩٧٤
ـ هذا الشعر الحديث	د. عمر فروخ	بـيروت	١٩٧٨
ـ أغاني الحياة	أبو القاسم الشابي	تونـس	
ـ خلاصة تاريخ تونس	حسن حسني عبد الوهاب	تونـس	١٩٧٦
ـ تنمية اللغة العربية في العصر الحديث	وزارة الشؤون الثقافية	تونـس	١٩٧٨
ـ جمالية الرسم الاسلامي	ألكسندر بابا دوبولو	تونـس	١٩٧٩
ـ ديوان صالح السويسي القيرواني	نجوى الكافي	تونـس	١٩٧٧
ـ رسائل من السجن	أحمد الطالب الابراهيمي	تونـس	١٩٧٣
ـ الرصيد اللغوي الوظيفي	اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي	تونـس	١٩٧٦
ـ صراع المذاهب والعقيدة في القرآن	عبد الكريم غلاب	تونـس	١٩٧٩
ـ اللغة العربية المعاصرة ج١	زكي عبد الملك. سامي هنا	تونـس	١٩٧٣
ـ مباحث في علم الكلام والفلسفة	د. علي الشابي	تونـس	١٩٧٣
ـ المرأة من خلال الآيات القرآنية	عصمة الدين كركرجرم	تونـس	١٩٧٩
ـ الخمر بين الطب والفقه	د. محمد علي البار	جـدة	
ـ مأساة كشمير المسلمة	د. احسان حقي	جـدة	١٩٧٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ منهج الصحوة الاسلامية (بنوك بلا فوائد)	د. أحمد النجار	
ـ النشر في الجزائر منذ الاستقلال	عدد من الباحثين	الجزائر ١٩٨٠
ـ الفهرس المشروح للمخطوطات العربية المخزونة في مكتبة سالارجنك		
(ج١) الفلسفة والمنطق والكلام	د. محمد نظام الدين	حيدر آباد ١٩٥٧
(ج٢) القرآن وأجزاؤه	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٦٢
(ج٣) علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة	محمد أشرف	حيدر آباد ١٩٧٨
ـ أبحاث المؤتمر السنوي الثاني والثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم	د. أحمد يوسف الحسن ـ مصطفى موالدي ـ سمير قمند	حلب ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠
ـ الامام سفيان الثوري	محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني	حلب ١٩٧٢
ـ الاذاعة الريفية، البنية البرامجية	ترجمة وفاء الغاوي، مراجعة سامي جانو	دمشق ١٩٧٩
ـ الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية	زكريا الانصاري، تحقيق د. نسيب نشاوي	دمشق ١٩٨٠
ـ دمشق يا بسمة الحزن	إلفة الادلبي	دمشق ١٩٨٠

اسـم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي تضمنتها فتاوى الجمعية العمومية للقسم الاستشاري في عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق	١٩٧٨ / ١٩٧٩
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الادارية العليا في عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٦	مجلس الدولة	دمشق	١٩٧٩ / ١٩٨٠
ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها محكمة القضاء الاداري عام ١٩٧٦ ، ١٩٧٧	مجلس الدولة	دمشق	١٩٧٩
ـ الشعر السياسي في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق	١٩٧٧
ـ الغزل في عصر بني أمية	د. إحسان النص	دمشق	١٩٧٦
ـ المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	دمشق	١٩٧٧
ـ هتلر والعرب المسلمون	محمد سعيد العربي	دمشق	١٩٨٠
ـ هل محمد عبقري مصلح أم نبي مرسل	محمد شيخاني	دمشق	١٩٧٢
ـ قائمة بمصطلحات التاريخ ، الجغرافيـة ، الفلـك ، الرياضيات ، الصحة ، الفلسفة ، في التعليم العام فرنسي ـ عربي جزء ١ ـ ٦	مكتب تنسيق التعريب	الرباط	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ معاجم : الجيولوجيا ، الحيوان ، الرياضيات ، الفيزياء أو الطبيعة ، الكيمياء ، النبات انكليزي ـ فرنسي ـ عربي	مكتب تنسيق التعريب	الرباط ١٩٧١
ـ أسباب اختلاف الفقهاء	د٠ عبد الله بن عبد المحسن التركي	الرياض ١٩٧٧
ـ الجامع الفريد (كتب ورسائل)	محمد بن عبد الوهاب ، ابن تيمية، ابن قيم الجوزية	الرياض ١٩٧٧
ـ المال في الاسلام	د٠ محمود بابللي	الرياض ١٩٧٦
ـ هداية الناسك إلى أهم المناسك	عبد الله بن محمد بن حميد	الرياض ١٩٧٦
ـ تاريخ التربية والتعليم في الاردن ١٩٢١ ـ ١٩٧٠	قسم التوثيق التربوي	عمان ١٩٨٠
ـ التقرير الاحصائي السنوي التربوي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩	وزارة التربية والتعليم	عمان ١٩٨٠
ـ الحركة الشعرية في الضفة الغربية	وزارة الثقافة والشباب	عمان ١٩٨٠
ـ أقوال المذاهب المختارة في الحج والعمرة والزيارة	ابراهيم الشورى	القاهرة ١٩٧٣
ـ تيسير تعليم اللغة العربية	اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	القاهرة ١٩٧٧

اسـم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ــ الخبر في الفقه الاسلامي	د. فكري أحمد عكاز	القاهرة ١٩٧٧
ــ معلمة الاسلام	أنور الجندي	القاهرة ١٩٧٧
ــ مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية ــ نظرة تاريخية وصفيــة	د. خوستيل	مدريد ١٩٧٨
ــ ترانيم العودة	فوزان الحجيلي ، ناجي عبد القادر	المدينة المنورة
ــ جرح الإباء (شعر)	أحمد فرح عقيلان	المدينة المنورة
ــ الحفل الثقافي المسرحي	نادي المدينة المنورة الادبي	المدينة المنورة
ــ شرح العقيدة الواسطية	محمد خليل هراس	المدينة المنورة
ــ شعراء من أرض عبقر	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ــ الشعر الحديث في الحجاز	عبد الرحيم أبو بكر	المدينة المنورة ١٩٧٩م
ــ على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ــ على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ــ غناء الجرح	محمد العيد الخطراوي	المدينة المنورة
ــ الفيصليات	عبد الرحيم ربيع	المدينة المنورة
ــ في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد	المدينة المنورة
ــ الجمهورية الاسلامية الموريتانية	محمد فال بن البناني	مكة المكرمة ١٣٩١هـ
ــ القول المبين في رد بدع المبتدعين	عبد الله الخليفي	مكة المكرمة
ــ فلسطين أمانة في أعناق المسلمين	مؤتمر العالم الاسلامي	مكة المكرمة
ــ الشهيد أحمدو بلثو	رابطة العالم الاسلامي	مكة المكرمة ١٣٩٣هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله	عبد العزيز بن باز	مكة المكرمة ١٩٧٣
ـ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم	مسعود الندوي	مكة المكرمة ١٩٧٧
ـ القاديانية دراسات وتحليل	إحسان إلهي ظهير	لاهور ١٩٧٥
ـ بولنـدا : بلد وشـعب		وارسو ١٩٧٨

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والخمسين

الصفحة	المقالات	
٤٣١	روح الشـــاعر	الاستاذ شفيق جبري
٤٣٦	نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٥) . .	الدكتور حسني سبح
٤٥٢	حـروف الجـر	الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي
٥١٩	فوائد من معجم شيوخ الطبراني	الاستاذ مطاع الطرابيشي

التعـريف والنقـد

٥٦٠	مجلتـان تاريخيتـان	الدكتور شاكر الفحام
٥٧٤	عـرف البشـام	الدكتور محمد عبداللطيف فرفور

آراء وانبـاء

٥٧٩ حفل استقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عـدي :

٥٨٠ كلمة الرئيس الدكتور حسني سبح

٥٨٢ خطاب الدكتور شاكر الفحام

٦٠٧ خطاب الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

٦٧٧ مجمعي افتقدناه : الاستاذ الدكتور ميشيل حنا الخوري

٦٨٢ الكتب المهداة خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٠

الجزء الرابع
المجلد الخامس والخمسون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ذو القعدة ١٤٠٠ هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٠ م

-٤٦-

الدكتور حسني سبح

13222 Tenace — ١٣٢٢٢ عَنيد ، مَتِين

13223 Tenacité — ١٣٢٢٣ عِناد ، مَتَانَة

وأرجح لاصق وثابت في اللفظة الاولى ولصوقة وثبات في الثانية[1]، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بين مصطلحات الكيمياء والصيدلة ترجمة (tenacity) باستعصاء ، وجاء في الشرح : هي مقدار قوة الشدّ اللازمة لكسر جسمٍ ما ، وتقاس بمقدار القوّة بالنسبة لوحدة المساحات كالدرين على السنتيمتر المربّع أو الأرطال على البوصة .

13230 tendon d'Achille — ١٣٢٣٠ دَابرة ، وَتَر اشيلوس

وافضل العُرقوب ، الدَّابرة ، وَتَر أخيل

(١) لفظتا tenacious و tenacity في معجم درلند الطبي

١٣٢٣٣ مَشْدُود ، مَمْشُور ومُتَوتِّر — 13233 Tendu, ue

١٣٢٣٦ شَرِيطِيَّة مُسَلَّحَة — 13236 ténia armé

١٣٢٣٧ شَرِيطِيَّة عَزْلاء — 13237 ténia inerme

وأقر مجمع اللغة العربيــة في القاهرة ترجمــة اللفظة الأولى وتعريبهــا بالشَّرِيطِيَّة الوَحِيدَة (تِينْيا سُولِيُم) والثانية بالشَّرِيطِيَّة الجَرْداء (تَينْيا سَاجِينَاتَا) والشائع تَسميتها بالدودة الوحيدة .

١٣٢٤١ وَتْد (أسنان) — 13241 Tenon (dent.)

وأفضل مُرْتَكَز[1] لأن ما يقصــد بهــا ســاقٌ مَعْدِنِيَّة تغرز في قناة شبه مهيَّأة لها لتثبيت بديل سِنِّي[2] والوَتْد لا تَعْني ذلك[3] .

١٣٢٤٣ الْتِهابُ الوَتَر والغَمْد[4] — 13243 Ténosynovite

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الْتِهاب مُزلق الوَتَر ــ الْتِهاب غَمْد الوَتَر . وأفضل التهابَ زَلِيل الوَتَر[5] أو غَمْدِه ، كما جاء في معجم درلند

(١) لفظة (pivot) في معجم مصطلحات تعويض الاسنان للدكتور ميشيل الخوري

(٢) لفظة (tenon) في معجم (Dictionnaire de Médecine Flammarion)

(٣) في لسان العرب : الوتد بالكسر والوتد والود ما رُزّ في الحائط او في الارض من الخشب والجمع أوتاد ، الى ان قال : وأوتاد الفم أسنانه على التشبيه

(٤) ثمة خطأ مطبعي اذ وردت اللفظة (tenotosynovite)

(٥) الصفحة ٤٣٦ من هذا المجلد

الطبي[١] .

١٣٢٤٥ مُوَتِّر — 13245 Tenseur

والصحيح مُمَدِّدَة ، شادَّة ، مُوَتِّرَة ، لأن اللفظة خاصة بالعضلة[٢]

١٣٢٤٦ ضَغْط ، تَوَتُّر — 13246 Tension

وأفضل تَوَتُّر ، شَدّ ، جهد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣] مخصصاً ضغط ترجمة لِ (pression) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٠٩١٣)

13249 tension électrique, voltage

١٣٢٤٩ تَوَتُّر كهْربَاوي ، فَلْطِيَّة

13250 tension électrique (d'une solution)
tension de dissolution

١٣٢٥٠ تَوَتُّر التَحْليل الكَهْرَباوي
(في محلول) توتر التحلل

وأفضل ، التَّوتُّر الكَهْربائي وُلْطِيَّة في اللفظة الأولى ، وتَوتُّر الانحلال الكهربائي (في المحلول) تَوَتُّر الانْحلال في الثانية

---

(١) لفظة (tenosynovitis) في معجم (Dorland's Illustrated Medieal Dictionary)

(٢) لفظة (tensor) في معجم درلند الطبي

(٣) tension , strain , tensenness

13252 tension maxima, pression systolique

١٣٢٥٢ أقصى التّوتّر ، ضَغْط انْقِباضي

13253 tension minima, pression diastolique

١٣٢٥٣ أدنى التّوتّر ضَغْط اسْتِرْخائي

وأرجح : التّوتّر الأقصى ، الضَغْط الانْقِباضي في اللفظة الأولى والتّوتّر الأدنى والضَغْط الاسْتِرْخائي في الثانية

13254 tension moyenne ١٣٢٥٤ تَوَتّر وَسَطي ، أوسط التّوتّر

وأفضل : التَوتّر الوَسَطي أو المُتَوسّط

13258 tension des forces morales et physiques

١٣٢٥٨ تَوَتّر القِوى العَقليّة والبَدَنيّة

وأفضل الاجْهاد النَفْساني أو فَرْط الاجْهاد أو التّوتّر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

13259 tension veineuse ١٣٢٥٩ تَوتّر وَريدي

والضغط الوريدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)

13260 Tensionnel, elle ١٣٢٦٠ تَوَتّري

نِسْبَة الى ضَغْط الدم والتّوتّر الشِرْياني ، كما

---

(١) (overstraining)

(٢) (venous pressure)

جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

١٣٢٦٦. وَرَمٌ عَجيب — 13266 Tératome, tumeur tératoïde

وأفضل : وَرَمٌ مَسْخي ، وَرَمٌ مَسْخاني ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (teratoma of ovary) بِوَرَم مَسْخي بالمبيض (تراتومة المبيض) وجاء في الشرح : وَرَم فيه خَليط من أنسجة الأعضاء المختلفة .

13269 térébenthine de Venise

١٣٢٦٩. تَرْبَنْتين البُنْدُقيّة

وأفضل تَرْبَنْتين فينيسيا أو مَدينَة البُنْدُقيَّة، وتَرْبَنْتين أرزي أو لارِكْس[2] كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3]

١٣٢٧٠. ثَاقِب ، ناقِب — 13270 Térébrant, ante

وأفضل واخِز (للألم) وسبق للجنة ترجمت (perforant) بثاقب (اللفظة ١٠٠٣٧)

---

(١) (pertaining to the blood pressure, to the arterial tension)

(٢) جاء في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي في شرح méleze (larex) : الثانية معربة والاسم العلمي من lar بمعنى السمين لكثرة الراتينج فيها وسمتها الارزية لقربها من شجر الارز ، ولم ارها في احراج الشام ولم يذكرها بوست ، جنس اشجار حرجية وتزيينية من الفصيلة الصنوبرية .

(٣) (Venise turpentine, larch turpentine)

13271 Terme

١٣٢٧١ حَدّ ، أجَل ، مُصْطَلَح

يبدو أنه ثمة غلط مطبعي ، فقد جاءت هذه اللفظة في
في المعجم الأصلي : (terme (à)) وتكون ترجمتها ،
في حينه في أوانه ، أو في موعده كما جاء في النص
الانكليزي من المعجم الأصلي(١)

13272 terme de la grossesse — ١٣٢٧٢ حَدّ الحَمْل

وأفضل أوان الحَبَل أو الحَمْل

13272 terme technique (1) — ١٣٢٧٢ مُصْطَلَح عِلْمي

(١) وأفضل مصطلح تِقْني أو فَنّي تاركاً علمي
ترجمة لـ (scientifique)

13274 Terminal, ale — ١٣٢٧٤ انْتِهائي

ونِهائي أيضاً

13276 Terne — ١٣٢٧٦ كَمِد ، أدْخَن

وأرجح كَمِد ، باهِت ، بَليد

13278 Terre à infusoires, terre de diatomées

١٣٢٧٨ تُرْبة النَّقَاعيَّات ، تُرْبة الأشْنات المُتَحَجِّرة
وفي المعجم الأصلي اضافة بعد (terre fossile)
(terre à infusoires) وعليه ، تصبح ترجمة هذه

---

(١) (timely, in due time, at term)

المصطلحات تُربَة النُّقاعيّات ، تُرْبَة الحَفْريّات او المُسْتَحاثات[1] وتُربَةُ المَشْطُورات ، كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الشهابي

١٣٢٧٩ طَفال ، تُرابُ القَصّارين — 13279 terre à foulon

وأرجح بَيْلون[2] تُرابٌ مُنَظِّف

١٣٢٨٤ تُرابي ، أرْضي — 13284 Terreux, euse

وبِلَوْنٍ تُرابي ، ولَوْنٍ أصفر قاتم كما جاء في

---

(١) في معجم الالفاظ الزراعية : (fossile) الفرنسية من (fossilis) اللاتينية ومعناها مايستخرج من الارض لذلك ترجمت حديثاً بكلمة حَفَر والجمع أحفار وجمع الجمع أحافير . وقال مجمع مصر حفرية ج حفريات ، وقال بعضهم متحاثة ومستحاثة وكليهما بمعنى ما يستخرج من الشيء المحفور .

وفي المرجع نفسه (diatomées, diatomacées)مشطورات ، وجاء في الشرح : من اليونانية بهذا المعنى، فصيلة من الاشنة السمراء (الطحلب الاسمر في مصر) فيها اجناس كثيرة وهي نباتات مجهرية وحيدات الخلية يعشن في المياه الحلوة والمالحة .

(٢) ويقابل اللفظة الفرنسية اللفظة الانكليزية (fuller's earth) وجاءت ترجمتها في معجم شرف الطبي : طفل ، بيلون ، وفي قاموس سعادة الانكليزي العربي (القاهرة ١٩١٠) « بيلون » (كذا بين هلالين) ـ تراب لتنظيف الجوخ من الزُيوت (الجيولوجيا) ، طبقة من الطبقات المعروفة بالاوليط (كذا) السفلي . وقد وردت اللفظة في معجم دوزي وعرفها بانها نوع من الغضار يستعمل صابونا في الاستحمام . ويبدو أنها معروفة بين الناس أيضا ويطلقونها على نوع من التراب عطري الرائحة يدلك به النساء شعرهن في الاستحمام . وما تعنيه اللفظة تراب يعرف بـ (montmarillonite) كما جاء في معجم (A. Mannuela) وتركيبه كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين (silicate hydraté naturel d'aluminium) وهو احد انواع الغضار (argile) وهو جوهر صابوني بلون وردي شاحب يوجد في مقاطعة فيينا (Vienne) بفرنسا .

في لسان العرب : الطَّفال والطُّفال : الطين اليابس .

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

13289 test-objet

١٣٢٨٩ مادَّةُ الاخْتِبار ، مُخْتَصَرُ الاِخْتِبار
مادة الاختبار أو ما يختبر به

13293 testicule se trouvant dans le canal inguinal

١٣٢٩٢ خِصْيَة في القَنَاة الإربِيَّة
وأفضل خِصْيَةٌ مُحْتَجَزَةٌ في قَنَــاة الأُربيَّة
بالضم[٢] أو القَنَاة الأُربوِيَّة • وأقر مجمع اللغة
العربيــة في القاهرة : انْحجاز الخِصْيَة ، وجــاء في
التعـريف : عَدَمُ نُزُولِ الخِصْيَة الى الصَّفَن
فتبقى في التَجْويف الحَوْضي أو القَنَاة الأربيَّة

١٣٢٩٣ خِصْيَة حسَّاسَة — 13293 testicule irritable
وأفضل خِصْيَة مُؤْلِمة[٣] أو مَضِيضَة ، مخصصاً
حسَّاس وحسَّاسة ترجمة لـ (sensible)

١٣٢٩٧ تَكَزُّزِي الشَّكْل — 13297 tétaniforme
والصحيح كُزازي الشكل ، كما جاء في معجم درلند
الطبي[٤]

---

(١) earth-coloured, sallow, earthy

(٢) في لسان العرب : الأربية أصل الفخذ

(٣) في لفظة (testis) وقد جاء في تعريف (Cooper's irritable tests)
الخصية المصابة بالعصاب أو الألم العصبي (neuralgia) .

(٤) لفظتا (tetaniform) و (tetanoid) في معجم درلند (Dorland's Illustrated Medical Dictonary)

13298 Tétanique

كُزَازِي ١٣٢٩٨

ومَكْزُوز أيضاً

13300 Tétanos, contraction. tétanique physiologique, contraction musculaire permanente

كُزَاز ، تَقَلُّص ٌ كُزَازِيٌ غَرِيزي ١٣٣٠٠

تَقَلُّص ٌ عَضَلِيٌ دائِم

13301 tétanos (maladie infectieuse)

كُزَاز (دَاءٌ خَمَجِي) ١٣٣٠١

لقد جاء رسم اللفظتين بالفرنسية واحداً بينما فرّق الرسم بالانكليزية بأن اللفظة الأولى جاء رسمها بحرف O (tetanos) والثانية بحرف U (tetanus) في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي

وعليه ، أرى تخصيص كزازة وكزاز[1] للفظة الاولى وكُزاز او داء الكُزاز للثانية • وعلى ذلك تصبح ترجمة الاولى : كَزازة ، كَزاز ، تَقَلُّص كزازي أو كَزاز فزيولوجي تَقَلُّص عَضلي دائِم أو مُستمر ، وكُزاز (مرض انتاني) للثانية

13305 tête (petite d'une articulation)

رُؤَيس (مَفْصِل) ١٣٣٠٥

(١) في لسان العرب : الكزازة والكزاز اليبس والانقباض

وأرجح مُشَيْشَة

١٣٣١٠ رَأس رِئة البَحْر (مَدُوزَة) 13310 Tête de Méduse

والصحيح رَأس مَدُوسَة (Méduse) وهو عَلَم أسطوري اغْرِيقي يمثّل برأس تحيط به الثعابين[1] (ومنظره هذا شبه به الدوران الجانبي في البطن والبادي في فرط التوتر البابي(hypertension portale)

13311 tête osseuse revêtue de cartilage

١٣٣١١ رَأس عَظْمي يغطيه غضروف

وأرجح مُشاشة[2] ذات غضروف أو يسترها غضروف

13312 tête en hypertension

١٣٣١٢ رأس متبسّط ، رأس مُدَلّى

وأفضل رَأس مُفْرِط الانبساط ؛ أو بفَرْط الانبساط

13317 Tétrachlorure de carbone, tétrachlorométhane

١٣٣١٧ رابع كلور الفَحْم ، مَتانْ مُربّع الكلور

وأفضل رَابع كلور الكَرْبون[1] في اللفظة الاولى

---

(١) لفظة (Méduse) في معجم كييه (Quillet) الموسوعي (Dictionnaire encyclopédique) ولفظة (tête de Méduse) في معجم مانويلا (A. Manuila Dictionnaire Française de et Médecine Biologie)

(٢) الصفحة ٥٦٣ من المجلد الاربعين من هذه المجلة

13319 Tétravalent ١٣٣١٩ رُباعِيُّ القِيمَة ، رُباعِيُّ المُعادَل
وأفضل رُباعِيُّ التكافؤ

13320 Tétrol ١٣٣٢٠ مُرَبَّع الغَوْل
وأفضل تترول تعريباً

13321 Thé contre la toux ١٣٣٢١ شايٌ مُضادٌ للسُّعال
وأفضل شايٌ صَدْري قياساً على ما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

13322 Thécal, le ١٣٣٢٢ غِمْدي
وأرجح قِرابي أو غِلافي تاركاً (غِمْد) ترجمة لِ (gaine)

13325 Thèque (= enveloppe)

١٣٣٢٥ صُندوق (= غِلاف)
وأفضل غِلاف أو قِراب

13326 Thérapeute ١٣٣٢٦ خَبِيرٌ بالمُداواة
طَبِيبٌ مُداوٍ وَطبيبٌ رُوحاني(٣)

13326 (1) thérapeutique (art de guérir)

١٣٣٢٦ عِلْم المُداواة (فَنُّ الشِّفاء)

(١) الصفحة ٦٣٢ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة
(٢) (cough powder, breast tea)
(٣) لفظة (thérapeutic) في معجم كيه الموسوعي Quillot Dictionnaire Encyclopédique

(١) عِلْم المُداواة (فن الاستشفاء)

13327 thérapeutique d'assaut, cure d'attaque, traitement d'assaut

١٣٣٢٧ مُداواةٌ اقْتِحام ، مُعالَجَة اقْتِحام
وأفضل مُدَاواة ساطِيَة[١] عِلاجٌ قاهِر[٢]
مُعالجَة هُجُومية

13332 Thermalisme

١٣٣٣٢ ما يَتَعلَّق بالحَمَّات
وأفضل مَصْلَحة الحَمَّات[٣]

13333 Thermes

١٣٣٣٣ حَمَّاماتٌ الحَمَّات
وأفضل مؤسَّسات الحَمَّات أو المِياه الطبِّية الحارَّة

13334 Thermique

١٣٣٣٤ حَروري
وحَمِّي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤]

13336 Thermo-cautère, Paquelin

١٣٣٣٦ مِيْسَمٌ ناري ، مِيسَم باكلَيْن
وأرجح مِيسَم بَكْلِن أو الكاوِياء[٥] (عِوَضاً عن المِكواة الأداة المَعْروفة) والمِكْواة أو

(١) في لسان العرب : السطو القهر بالبطش وسطا عليه وبه سطوا وسطوة صال
(٢) في لسان العرب : القهر الغلبة والأخذ من فوق
(٣) وما تعنيه اللفظة : مجموع الشؤون والوسائل الادارية والاجتماعية والطبية الخاصة للافادة من الخصائص العلاجية للمياه المعدنية (معجم فلاماريون المذكور آنفا)
(٤) (thermic, thermal)
(٥) في لسان العرب : الكاوياء ميسم يكوى به

الكاويــاء الغلـْوانيـَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

13340 Thermolyse

١٣٣٤٠ تَحَلـُّلٌ بالحَرارَة
وتَسَرُّب حَرارَة البَدَن وانتشارها (٢) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

13341 Thermomètre enregistreur

١٣٣٤١ مِقْياس حرارة مُسَجِّل.
مُسَجِّل الحرارة الذاتي والتلقائي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

13344 Thèse, thèse inaugurale

١٣٣٤٤ أُطْروحَة ، أطروحَة افتِتاحِيَّة.
وأفضل فَرَضِيَّة بادِئَة في اللفظة الثانية

13345 Thiémie (Lœper), teneur du sang en soufre

١٣٣٤٥ تَكَبْرُتُ الدم (لوبير) نِسْبَةُ كِبْريت الدم
وأفضل كِبْريتِيَّة الدَّم (لوبر) ، مُحْتَوى الدَّم من الكِبْريت ، وكثافَة كِبْريتِ الدَّم، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥)

---

(١) (thermocautery, galvanocautery)
(٢) معجم فلاماريون (Dictionnaire de Médecine Flammarion)
(٣) (thermolysis, decomposition by heat)
(٤) (self-enregistrating thermometer)
(٥) (thiemia, sulfur concentration in the blood)

13346 Thioacide ١٣٣٤٦ حَمْض كِبْرِيتي

وأرجح تِيُو أسِيد أو كِبْرِيت" حَمْضي، فقد سبق للجنـــة أن ترجمت (acide sulfureux) بحَمْض الكِبرِيتي (اللفظة ٣٢٢) خشية الالتبــاس بَين اللفظتين

13349 thoracenthèse, thoracocenthèse ١٣٣٤٩ بَزْل الصَّدر

وبَزْل الجَنْبة أو جَوْف الجَنْبة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

13351 Thoracoplastie ١٣٣٥١ تَصْنيع الصَّدر

وأفضل رَأْب الصَّدر

13354 thorax en bateau ١٣٣٥٤ صَدْرٌ مَرْكَبِي أو فُلْكي

13355 thorax en brèche

١٣٣٥٥ صَدْرٌ زَوْرَقي ، صَدْرٌ جُؤجُؤي

وأرجح صَدْرٌ زَوْرَقي في اللفظة الاولى وصَدْرٌ جُؤجُؤي في الثانية

13356 thorax en entonnoir

١٣٣٥٦ صَدْرٌ قِمْعي

وصدر الاسكاف كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

(١) (pleuracentesis, pleurocentesis)
(٢) (funnel chest cobbler's chest)

13357 thorax en tonneau, thorax globuleux

١٣٣٥٧ صَدْرٌ كُرَوِي

وأفضل صدر بَرميلي أو على هَيْئَةِ البَرميل[١]

وصدر مُكَوَّر

13359 thrombo-angeite oblitérante, maladie de Buerger

١٣٣٥٩ الْتِهابُ العُرُوق الدَّقَّاق الخُثْرِيّ السَّادُّ ، داءُ بِرْجَه

والصحيح في اللفظة الأخيرة داء بِرْكَر ، كما يلفظ بلسان أهل بلاده

13360 thrombo-artérite

١٣٣٦٠ الْتِهابُ الشَّرايين الخُثْرِي

وأرجح الْتِهابُ الشَّرايين الجُلْطِي أو التَّجَلُّطِي[٢]

13370 thrombose embolique

١٣٣٧٠ خُثَرٌ صِمامي

وأفضل تجلط صِمامِي أو جُلْطَة صِمامِيَّة[٣]

13371 thrombose marasmique

١٣٣٧١ خُثَرٌ تَقَحُّلي

وأفضل تجلط قَحْلي أو تَقَحُّلي[٤]

وكذلك تَجَلُّط في الألفاظ التالية

(١) (barrel-shaped thorax, barrel chest)

(٢) الصفحة ٥٧ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٣) الصفحة ٥٧ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

(٤) الصفحة ٦٦١ من المجلد الخامس والثلاثين والصفحة ٢٥٢ من المجلد السادس والاربعين من هذه المجلة

13380 Thymique (ce qui concerne le thymus)

١٣٣٨٠ تـوتي (ذو علاقة بالتّوتَة) أي (الغدة السَعْترِيَّة)
وأقر مجمع اللغــة العربيــة في القاهــرة في ترجمــة
(thymectomy) استئصال التّوثة : وجاء في الشرح :
وهي غدة في مقدم الصدر ، وسبق لي أن رَجّحْت
تعريب اللفظة[1] (بتيموس) ولم أجـد معنى للتوثة
ويبدو أنها معربة عن لفظها بالانكليزية .

13381 thymique

١٣٣٨١ نَفْسي ، فِكْري (علم النّفْس)
وأفضل نفسي ، أما الفكر فلا يدخل في هذا النطاق

13381 (1) Thymopathie, 1) affection du thymus, 2) psychopathie, trouble de l'affectivité

١٣٣٨١ (١) أدواء التّوثَة ١) آفــة التّوثَة ٢) آفــة نَفْسِيَّة ، اِضْطِراب العاطِفَة

أقول اعْتِلال التّيموس ١) عِلّة التّيموس ٢) اعْتِلال
نَفْسي ، خَلَل او اضْطِراب عاطِفي

13381 (2) thymopsyché, sphère sentimentale

١٣٣٨١ (٢) نَفْسِي ، كُرَة عاطِفِيَّة
وأفضــل نَفْسِي ، نِطــاقُ الشُّعُور أو دائِرة
الشُّعُور أو الوِجْدان

للبحث صلة

(١) الصفحة ٥٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

استدراك النقصان

في مقالة أسماء أعضاء الانسان

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

– ٦ –

وصل ما انقطع :

كان المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي نشر مجموعة من المقالات في مجلة المجمع بعنوان « استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان » .

نشر المقال الأول في الجزء الثالث من المجلد السادس والأربعين .

والمقال الثاني في الجزء الرابع من المجلد السادس والأربعين .

والمقال الثالث في الجزء الأول من المجلد السابع والأربعين .

والمقال الرابع في الجزء الأول من المجلد الثامن والأربعين .

والمقال الخامس في الجزء الرابع من المجلد الثامن والأربعين الصادر في رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق تشرين الأول ١٩٧٣ .

ثم توقف نشر المقالات بسبب وفاته . وها نحن نتابع نشر بقية هذه المقالات بهذا المقال السادس منها .

١٣) عَصَابِيّ

ف	Névropathique
ز	Nevropathic

١٤) عـُصابية

ف Névropathie , névropathie

ز Nevropathy

١٥) عصبي ، ذو علاقة بالأعصاب

ف Nerveux

ز Nervous

١٦) عصبي المنشأ

ف Neurogène

ز Neurogen , neurogenous

١٧) عَصَبِيَّة

ف Névrosité

ز Nevrosity ; nevrousness

١٨) عُصَيْبات ، عُيَيْرات

ف Nervures

ز Nervimes

١٩) غِمْد عصبي

ف Nevrilème

ز Neurilemma ; nerve sheath

٢٠) قَطْع العصب

ف Neurotomie ; nevrotomie

ز Neurotomy

٢١) قوس عصبية

ف ، ز Neural

٢٢) لُحمة عصبية

ف Névroglie

ز Neuroglia

٢٣) ليفة عصبية

ف Fibre nerveuse

ز Nerve fiber

٢٤) مبحث الأعصاب

ف Neurologie , névrologie

ز Neurology

٢٥) متعلق بالألم العصبي

ف Névralgique

ز Neuralgic

٢٦) مقويات عصبية

ف Nervimes ; neurotiques

ز Nervims ; nerve tonics

٢٧) منحاز للأعصاب

ف Neurotrope

ز Neurotropic

٢٨) نَكْس عصبي

ف Neuro - récidive

ز Neurorecidive ; neurorelapse

٢٩) نهك عصبي (خَوَر)

ف Épuisement nerveux (Neurasthénie)

ز Nervous exhaustion (neurasthenia)

٣٠) وحدات عصبية شَبَكية

ف Neurones rétiniens

ز Neurons of retina

٣١) وحدة عصبية

ف ، ز Neurone

٣٢) ورم عصبي

ف Névrome

ز Neuroma

الباب الثالث

الأمراض ، الأدواء ، الآفات

١ ـ ما كان على وزن (فَعَل)

١ ـ أرق

ف Agrypnie ; insomnie

ز Sleeplessness ; insommia

٢ ـ ألم ، وجع

ف Algie

ز Algesia

٣ ـ بزخ

ف Lordose

ز Lordosis ; hollow ; saddle back

٤ ــ بخــر

ف Alliose

ز Halitosis

٥ ــ بكم ، خرس

ف Mutisme ; mutité

ز Mutism ; dumbness

٦ ــ ثفن

ف Cor ; tylosis gompheux

ز Corn ; tylosis

٧ ــ جرب

ف Gale ; psore ; scabie

ز Itch ; psora ; scabies

٨ ــ جهر ، خفش

ف Cecité diurne ; nyctalopie

ز Nyctalopia ; day blindness

٩ ــ جفف (العين)

ف Xérophtalmie

ز Xerophtalmia

١٠ ــ جلح (صلَع)

ف Calvitie

ز Baldness

١١ ـ جله (صَلَع)

أصلع

ف Chauve

ز Bald

١٢ ـ جنف (زَوَر)

ف Scoliose

ز Scoliosis

١٣ ـ حبط

ف Météorisme ; tympanisme

ز Meteorism ; tympanism

١٤ ـ حثر

ف Blépharite

ز Blepharitis

١٥ ـ حدب

ف Syphose

ز Syphosis ; Kyphosis

١٦ ـ حرض

ف Cachexie

ز Cachexia ; Cachexy

١٧ ـ حسر

ف Myopie

ز Myopia ; near shortsightedness

١٨ ـــ حصر (عمى نطقي)

ف Alexie (cécité verbale)

ز Alexia (word blindness)

١٩ ـــ حفر

ف Scorbut

ز Scurvy

٢٠ ـــ حقب

ف Albugo de l'ongle

ز White spot of the nail

٢١ ـــ حـــول

ف Strabisme ; louchement

ز Strabismus ; squint

٢٢ ـــ خـــدر

ف Narcose ; anesthesis

ز Narcosis ; anesthesia

٢٣ ـــ خرع

ف Rachitisme

ز Rachitis ; rickets

٢٤ ـــ خرف

ف Radotage

ز Foolish talk

٢٥ ــ خزب

ف oedème

ز (O) edema

٢٦ ــ خزر

ف Strabisme divergent (externe)

ز Divergent strabismus ; exotropic divergent squint

٢٧ ــ خشم

ف Anosmie

ز Anosmia

٢٨ ــ خضر

ف Chlorose

ز Chlorosis

٢٩ ــ خــور

ف Neurasthénie

ز Neurasthenia

٣١ ــ خوص

ف Enophtalmie

ز Enophtalmos ; enophtalmus

٣٢ ــ دنف

ف Marasme ; tabescence

ز Marasmus

٣٣ ــ ذأب

ف ، ز Lupus

٣٤ ــ رَعَس (ارتعاش سنوريّ)

ف Frémissement cataire

ز Cat's purr ; purring thrill , purring tremor

٣٥ ــ رقص

ف Chorée

ز Chorea

٣٦ ــ رمــــد

ف Conjonctivite ; ophtalmie

ز Conjonctivitis ; ophtalmia

٣٧ ــ رمص ، غمص

ف Chassie

ز Gum of the eye

٣٨ ــ روح (انحراف الى الأنسي)

ف Varus (tourné en dedans)

ز Bow - begged

٣٩ ــ سفل ، جحن

ف Athrepsie

ز Athrepsia ; athrepsy

٤٠ ــ سمق

ف Hypertrophie staturale

ز Statural hypertrophy , or hyphertrophasia

٤١ ـــ سهر

ف insomnie

ز insomnia

٤٢ ـــ شبق

ف Érotisme

ز Erotism ; eroticism

٤٣ ـــ شلل

ف Paralysie

ز Paralysis ; paralys ; lamness

٤٤ ـــ صحل

ف ، ز Dissonnance

٤٥ ـــ صلع (جلح ، جله)

ف Calvitie ; chauve

ز Baldness ; bald

٤٦ ـــ صمل

ف Rigidité

ز Rigidity

٤٧ ـــ صمم

ف Surdité

ز Surdity ; deafness

٤٨ ـــ ضبع

ف œstrus ; rut

ز Estrus ; rutting

٤٩ ــ ضخم

ف Hypertrophie

ز Hypertrophy

٥٠ ــ ضجر ، قلق

ف Inquiétude

ز Restlessness

٥١ ــ ضزر

ف Trismus ; mal des mâchoires

ز Trismus ; masticatory spasm ; lockjaw

٥٢ ــ طحــل

ف Splénomégalie

ز Splenomegalia

٥٣ ــ طفس

ف Gâtisme

ز Gatism ; dotage ; senil decay

٥٤ ــ طمث

ف Ménorragie

ز Menorragia ; flooding ; profuse menstruation

٥٥ ــ عبل

ف Acromégalie

ز Acromegalia ; acromegaly

٥٦ ـــ عرج

ف Claudication ; boiterie

ز Claudication ; limp (ing)

٥٧ ـــ علم ، فلح

ف Bec - de - lièvre

ز Harelip

٥٨ ـــ عمى ، كَمَه

ف Cécité

ز Blindness

[قلت : الأكمه من يولد أعمى] وهو باللغتين

ف Aveugle

ز Purblind

[وأما الأعور] فهو باللغتين :

ف Borgne

ز One - eyed

٥٩ ـــ غطش

ف Héméralopie ; hespéranopie ; omblyopie

ز Hemeralopia ; night or moonblindness

٦٠ ـــ فحج (انحراف إلى الوحشي)

ف Valgus (devié en dehors)

ز Knock - kneed

٦١ ــ فطس

ف Nez camus

ز Pug nose ; snub nose

٦٢ ــ فند (عَتَه باسر)

ف Schizophrénie

ز Schizophrenia

٦٣ ــ فيــل

ف ، ز Éléphantiasis

٦٤ ــ قزم

ف Nanisme

ز Nanism ; dwarfiohness ; dwarfism

٦٥ ــ قفص

ف Pyrosis ; brûlure épigastrique

ز Pyrosis ; hearthburn ; brash

٦٦ ــ قعس (انحناء إلى الوراء)

ف Courbure en arrière

ز Recurvation ; bending backwards

٦٧ ــ قلح

ف Tartre dentaire

ز Dental tartar ; dental calculus .

٦٨ ــ قمه ، قهم

ف Inappétance ; anorexie

ز Inappetance ; anorexia ;
lack , want or loss of appetite

٦٩ ــ كلب (خوف من الماء)

ف Maladie de chien ; râge ; hydrophobie

ز Canine of istemper ; lyssa ; hydrophobia ; rabies

٧٠ ــ كلف ، برش

ف ، ز Chloasma

١٧ ــ مرض

ف Maladie ; mal

ز Malady ; disease ; illness

٧٢ ــ نمش

ف Éphélides ; tâche de rausseur ; pétéchie

ز Frechles ; petechia

٧٣ ــ نهم

ف Intempérance

ز Immoderateness ; intemperance

٧٤ ــ وحم

ف Envie des femmes gravides
pica ; pícacisme

ز Pica ; morbid ; appetite in pregnancy ;
perversion of appetite

٧٥ ــ ورم

ف Tumeur

ز Tumor ; swelling ; growth

٧٦ ــ هرض ، حصف

ف Sudamina ; miliaire

ز Sudamina ; miliaria

٢ ـ ما كان على وزن (فُعال)

١ ــ أُباب

ف Nostalgie

ز Nostalgia ; nostalgy

٢ ــ أُطام

ف Dysurie

ز Dysuria ; difficulties on micturation

٣ ــ أُكال

ف Démangeaison ; prurit

ز Itch ; itching ; pruritus

٤ ــ أُلاس

ف Hallucinose

ز Hallucinosis

٥ ــ بُطان

ف Cœliakie

ز Céliac disease

٦ ــ بوال

ف Polyurie

ز Polyuria

٧ ــ ثــداء

ف Mastite ; mammite

ز Mastitis ; mammitis

٨ ــ جبــال

ف Mal des montagnes

ز Mountain disease

٩ ــ جــذام

ف Lèpre ; larderie

ز Lepra ; leprosy

١٠ ــ جفاف

ف Xérose

ز Xerosis

١١ ــ جنــاب

ف Pleurodynie

ز Pleurodynia ; pleuralia

١٢ ــ جبــاج

ف Tympanite (distension de l'abdomen)

ز Tympanitis (distension of the abdomen)

١٣ ــ حباط (تطبّل البطن)

ف Météorisme ; tympanisme ; tympanie

ز Meteorism ; tympanism ; drum belly

١٤ ــ حثــار

ف Trachome

ز Trachoma

١٥ ــ حكاك

ف Prurigo

ز Prurigo ; pruriginous eruption

١٦ ــ حــلاق

ف Mal de gorge

ز Sore throat

١٧ ــ حماق

ف Varicelle

ز Chickenpox ; varicella

١٨ ــ خراج

ف Abcès

ز Abcess

١٩ ــ خصاءٌ (كَيَيْسيٌّ)

ف Maladie kystique de testicule

ز Cysts of the testicle

٢٠ ــ خفات

ف Mort subite

ز Sudden death

٢١ ــ خمــاص

ف Mal plantaire

ز Ulcer of the foot

٢٢ ــ خنــاق

ف Angine

ز Angina ; quinsy

٢٣ ــ دراق

ف Thyroïdite

ز Thyroïditis

٢٤ ــ دغام

ف Pharyngite

ز Pharyngitis

٢٥ ــ دماع

ف Épiphora ; larmoiement

ز Epiphora ; Dacryorrhea

٢٦ ــ دماغ

ف Céphalalgie ; céphalée

ز Cephalalgia ; cephalea ; headache

٢٧ ــ دوار

ف Vertige

ز Vertigo ; giddiness

٢٨ ــ ذباج

ف Croup

ز Tru (pseudomembranous) croup

٢٩ ــ ذبال

ف Empyème

ز Empyema (of the chest)

٣٠ ــ رحـــام

ف Métrite

ز Metritis

٣١ ــ رعـــاف

ف Épistaxis (saignement du nez)

ز Epistaxis ; nosebleed ; bleeding from the nose

٣٢ ــ رعـــام

ف Farcin ; morve

ز Farcy ; equinia

٣٣ ــ رمال

ف Lithiase

ز Lithiasis ; calculous disease

٣٤ ـ زحار

ف Dysentérie

ز Dysentery

٣٥ ـ زراق

ف Glaucome

ز Glaucoma

٣٦ ـ زرام

ف Anurie

ز Anuria ; anuresis

٣٧ ـ زكام

ف Coryza ; rhume

ز Acute coryza ; nasal catarrh

٣٨ ـ سبات

ف Léthargie

ز Lethargy

٣٩ ـ سحاف

ف Phtisie

ز Phtisis ; pulmonary tuberculosis

٤٠ ـ سداد

ف Infarctus

ز Infarct

٤١ ــ سعار

ف Boulimie

ز Bulimy ; hyperorexia

٤٢ ــ سعال

ف Toux

ز Cough

٤٣ ــ سلاق

ف Muguet (stomatite crémeuse)

ز Mycotic stomatitis

ــ للبحث صلة ــ محمد صلاح الدين الكواكبي

الجَرّاحُ بن عَبدِ اللهِ الحَكَميّ
« فاتح بَلَنجَر[1] »
وفاتح شطر إرمينية ثانية

الاستاذ محمود شيث خطاب

نســـبه وأيامه الأولـى

هو الجرّاح بن عبـد الله الحَكَمي نسبة الى الحَكَم بن سـعد العَشيرة[2] من مَذْحِج[3] ، وكان الحَكَم أكبر أبناء سعد العشيرة وبه يُكنّى[4] ، ومَذحِج من القبائل اليمنية : من كهلان بن سبأ[5] .

والجرّاح يُكنّى : أبا عقبة ، دمشقي الاصل والمولد[6] .

ولا ذكر في المصادر المعتمدة التي بين أيدينا لأيامه الاولى : مولده، نشأته ، تعليمه ، فقد أغفلت تلك المصادر حياته الخاصة ،واقتصر ا لمؤرخون على ذكر حياته العامة في تولي المناصب الادارية والقيادية وجهاده .

ويبدو أنه لم يشغل نفسه بالعلوم السائدة في عصره كعلوم القـرآن

---

(1) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الابـواب ، انظر التفاصيل في معجـم البلدان (٢/٢٧٨) .

(2) الانساب المتفقة (٤٤) .

(3) لب الالباب في تحرير الانساب (٨٢) .

(4) جمهرة أنساب العرب (٤٠٧) .

(5) جمهرة انساب العرب (٤٠٧) .

(6) الاعلام (٢/١٠٦) نقلا من : سير النبلاء ــ خ ــ المجلد الرابع ، وانظر القاموس الاسلامي (١/٥٨٨).

خريطة أرمينية

بحر الخزر

أذربيجان

والحديث واللغة والتاريخ ، فسكتت عنه كتب الطبقات التي تُعنى بالمحدثين والعلماء والمؤرخين ، بل شغل نفسه بالاعمال الادارية والياً ، والاعمال العسكرية جندياً وقائداً ومجاهداً ، فاهتمَّ المؤرخون بأعماله العامة في الدولة الاسلامية ، ولم يهتم به غيرهم ، لانه لم يكن له أثر يُذكر في المجالات الفكرية الشائعة في أيامه .

جهـــاده

١ الفـاتح :

ا ــ في سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) ولّى يزيدُ بن عبد الملك الجرّاحَ بن عبد الله الحَكَمي إرمينية[١] . وسبب التولية ، أن المسلمين في سنة ثلاث ومئة الهجرية (٧٢١ م) دخلوا بلاد الخَزَر (القفقاس) من إرمينية وعليهم ثُبَيْت النَّهْراني[٢] ، فاجتمعت الخزر في جمع كثير ، وأعانهم الترك من مختلف أنواعهم ، فلقوا المسلمين في مكان يُعرَف بـ (مرْج الحجارة) . ونشب القتال بين الجانبين بشدة وعنف ، فقُتِل من المسلمين بشرٌ كثير[٣] ، واستولى الخزر على معسكرهم وغنموا جميع مافيه[٤] ، وذلك في شهر رمضان في عزّ موسم الشتاء من سنة ثلاث ومئة الهجرية[٥] .

وهكذا اجتمعت على المسلمين حشود الخزر الضخمة وبرد الشتاء في عنفوانه ، فأدّى ذلك الى هزيمتهم .

---

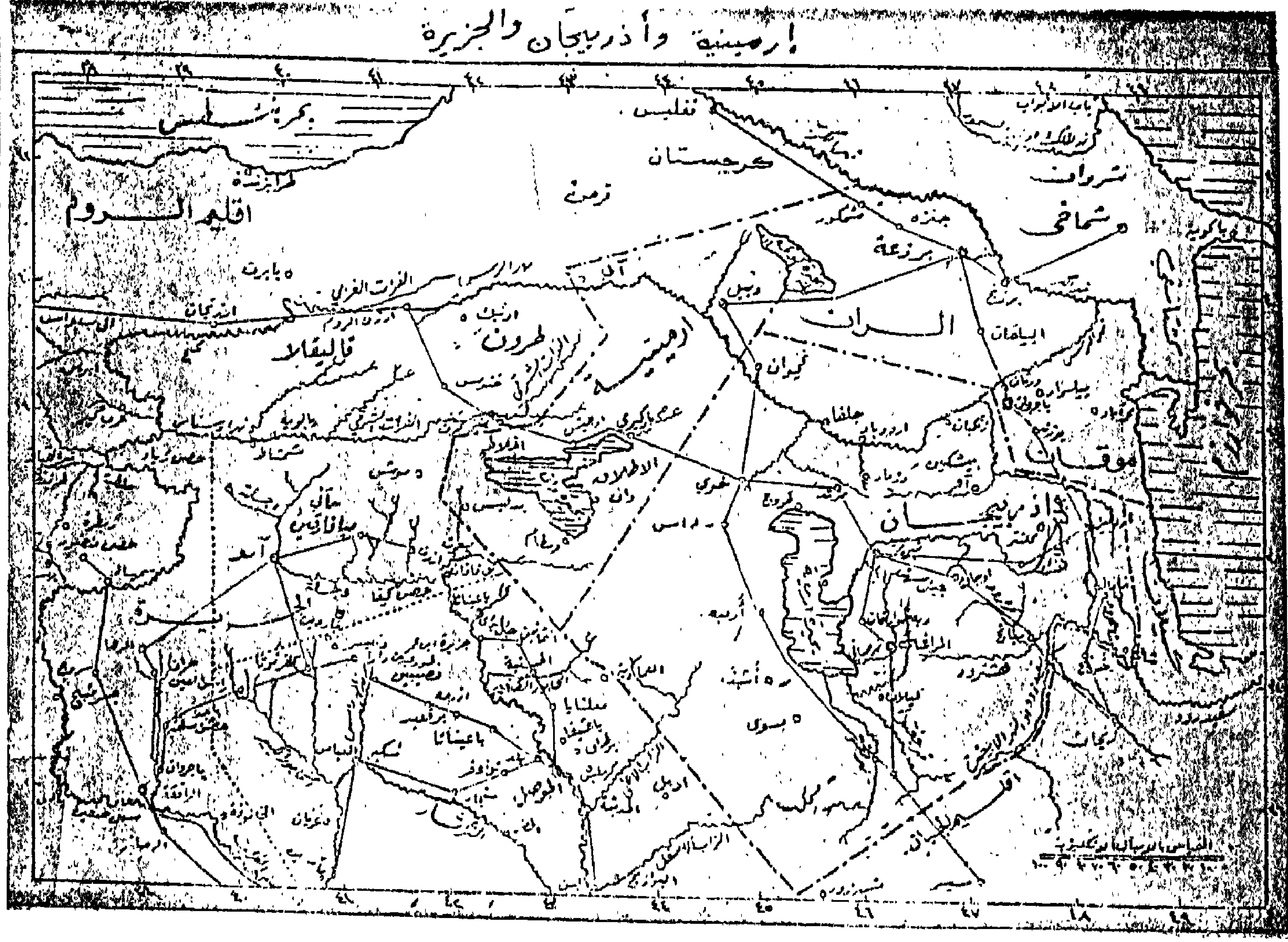
(١) ابن الاثير (٥/١١١) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٧) والعبر في خبر من غبر (١/١٢٦) تاريخ الموصل(١٧) . وانظر فتوح البلدان للبلاذري (٢٨٩) والبداية والنهاية (٩ / ٢٣٠) .

(٢) في تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦): أن قائد المسلمين كان مَعْلق بن صفار البهراني.

(٣) في تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦) : فاصيب من المسلمين جميعا .

(٤) ابن الاثير (٥/١١٠) .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٦) .


إرمينية وأذربيجان والجزيرة
بحر بنطس
اقليم الروم
تفليس
جرجستان
شروان
شماخي
برزعة
الران
ارمينية
قاليقلا
آذربيجان
موقان
آمد
الموصل
اقليم الجبال

وأقبل المنهزمون الى الشام ، وقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثُبَيْت ، فوبَّخهم يزيد على الهزيمة ، فقال ثُبَيْت : « يا أمير المؤمنين! ماجبنتُ ولا نكبتُ عن لقاء العدو ، ولقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل ؛ ولقد طاعنتُ حتى انقصف رمحي ، وضاربتُ حتى انقطع سيفي، غير أن الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد »[1] .

ولما تمَّت الهزيمة على المسلمين طمع الخزر في البلاد ، فجمعوا وحشدوا ، فاستعمل يزيدُ الجرّاحَ ، وأمده بجيش كثيف ، وأمره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء ، وقصدهم في عقر دارهم . وتسامع الخزر وحلفاؤهم بقدوم المسلمين ، فلجأوا الى مدينة (باب الابواب) . ووصل الجرّاح الى مدينة (بَرْذَعَة)[2]فأقام بها حتى استراح هو ومن معه . وتوجه نحو الخزر ، فعبر نهر (الكُرّ)[3] ، فسمع أن بعض مَن كان معه في جيشه من أهل الجبال (جبال القفقاس) قد كاتب ملك الخزر يخبره بمسير الجرّاح اليه ، فأمر مناديه فنادى بالناس : « إن الامير مقيمٌ ههنا عدّة أيام ، فاستكثروا من الميرة » ، فكتب ذلك الرجل الى ملك الخزر يخبره أن الجرّاح مقيم،ويشير عليه بترك الحركة لئلا يطمع المسلمون فيه[4] !

ولمّا كان الليل أمر الجرّاح بالرحيل ، فسار مُجِداً حتى انتهى الى مدينة (باب الابواب) ، فلم ير الخزر ، ويبدو أنهم انسحبوا بسرعة من

---

(١) ابن الاثير (٥/١١١) .

(٢) برذعة : مدينة من مدن ارمينية الاولى ، وانظر ماجاء عنها من تفاصيل في كتاب: معجم البلدان (٢/١١٩ – ١٢٢).

(٣) نهر الكرّ : ينبع من كورة جرزان (جورجيا) من جبال (جلدير) ويمر بمدينة تفليس ، ويبلغ طوله نحو (٩٤٠ كم) ، وانظر ماجاء عن هذا النهر في : معجم البلدان (٧/٢٣٧–٢٣٨) .

(٤) ابن الاثير (٥/١١١).

المدينة الى منطقة حشودهم ، فدخل المسلمون المدينة ، وبثّ الجرّاح سراياه على ما يجاور المدينة ، فغنموا وعادوا في الغد .

وسار الخزر وحلفاؤهم الى المسلمين بقيادة ابن ملكهم (ابن خاقان)، فالتقوا عند نهر (الرّان)[1] ، فنشب القتال الشديد بين الجانبين ، وحرّض الجرّاح أصحابه ، فظفر المسلمون بالخَزَر وهزموهم ، فطاردهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، فقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون جميع مامعهم[2]، وفتح حصن (الحُصَيْن) سلماً ونقل أهله عنه .

وسار الجرّاح بالمسلمين الى مدينة (يَرْغوا)[3] ، فأقام عليها ستة أيام وهو مجدٌ في قتال أهلها ، فطلبوا الامان ، فأمنهم ونقلهم منها .

وسار الجرّاح الى (بَلَنْجَر) ، وهو حصن مشهور من حصونهم، وكان أهل الحصن قد جمعوا ثلاثمائة عجلة ، شدّوا بعضها الى بعض وجعلوها حول حصنهم ليحتموا بها ، وتمنع المسلمين من الوصول الى الحصن ، وكانت تلك العجل أشدّ شيء على المسلمين في قتالهم[4].

وخرج رجل من المسلمين ، فقال : « مَن يَشري الله نفسه ؟ » ، فأجابته جماعة ما بلغت عِدّتهم ثلاثين رجلا ، فكسروا جفون سيوفهم ، وشدوا على العجل ، وأجلوا الرجال عنها ، وأخذوا عجلة منها .

وجدّ الخزر بقتالهم ، ورموا من النشّاب ما كان يحجب الشمس،

---

(١) نهر الران ، هو نهر (ارّان) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢١٣-٢١٤) ، ومنطقة ارّان من ارمينية الاولى.

(٢) ابن الاثير (٥/١١٢) ، وانظر العبر (١/١٢٦) .

(٣) يرغوا ، لم اجد لهذه المدينة ذكرا في معجم البلدان ، ووردت في تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٧) : يزغوا .

(٤) ابن الاثير (٥/١١٢)

فلم يتراجع مغاوير المسلمين حتى وصلوا الى العَجَل ، وتعلقوا ببعضها وقطعوا الحبل الذي يمسكها ، وجذبوها ، فانحدرت وتبعها سائر العجل ، لأن بعضها كان مشدوداً الى بعض ، وانحدر الجميع الى المسلمين[١] .

والتحم القتال واشتد ، وعظم الامر على الجميع ، حتى بلغت القلوب الحناجر ، فانهزم الخزر وحلفاؤهم ، واستولى المسلمون على الحصن عنوة ، وأصابوا جميع ما فيه غنائم للمسلمين،فأصاب الفارس ثلاثمائة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً ، وكانت تلك المعركة في ربيع الاول[٢] من سنة أربع ومئة الهجرية[٣] .

وسار الجرّاح عن (بَلَنْجَر) بعد أن أسر أولاد صاحب (بلنجر) وأهله ، فبعث الجراح اليه وأحضره ، وردّ أمواله وأهله وحصنه وجعله عيناً للمسلمين يخبرهم بما يفعله الخزر وحلفاؤهم .

ونزل المسلمون على حصن (الوبندر)[٤] ، وبه نحو أربعين ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجرّاح على مالٍ يؤدونه[٥] .

وسار الجرّاح الى (وَرْثان)[٦]،فأدركه الشتاء،فأقام المسلمون فيها.

وكتب الجرّاح الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله عليه ، وأن أهل تلك البلاد تجمّعوا وأخذوا الطرق على المسلمين ، ويسأله المدد.

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٧) .
(٢) كان فتح بلنجر يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول ، انظر خليفة بن خياط (١/٣٣٧)
(٣) ابن الاثير (٥/١١٢) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٧).
(٤) وبندر : لا ذكر له في معجم البلدان .
(٥) ابن الاثير (٥/١١٢).
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٨) ، وفي ابن الاثير (٥/١١٣) : أنه عاد الى رستاق (ملئي) .

وعد يزيدُ الجرّاحَ أن يرسل له المدد من المقاتلين ، فأدركه الأجل قبل أن يرسل ما وعد به من المدد الى الجرّاح ، فأرسل هشام بن عبد الملك الى الجرّاح ، فأقرّه على عمله ، ووعده بإرسال المدد[1] .

ب ــ وفي سنة خمس ومئة الهجرية (٧٢٣ م) زحف الترك نحو إرمينية ، وزحف الجرّاح لصدّ زحف الترك ، فالتقى الجانبان بموضع يقال له : (الزَمّ)[2] بين نهري : (الكُرّ) و (الرَّسّ) في إرمينية ، في شهر رمضان من هذه السنة ، وقد استمر القتال أياما ، فانهزم الترك[3] .

والظاهر أنّ المدد الذي وعد الخليفة هشام بارساله الى إرمينية قد وصل الى الجرّاح في الوقت المناسب،فاستأنف المسلمون استعادة ماانتقض من إرمينية ، فغزا الجرّاحُ (اللان)[4] وهي بلاد واسعة غنيّة ، فاستعاد فتحها وفتح مدائن وحصوناً وراء (بَلَنْجَر) ، وأصاب غنائم كثيرة[5] .

ج ــ وفي سنة ست ومئة الهجرية (٧٢٤ م) غزا الجرّاح بلاد (اللان) فصالح أهلها وأدّوا الجزية[6] بعد أن أوغل في بلاد الخزر ، وهو أول من قفل من باب اللان في إرمينية[7] .

---

(١) ابن الاثير (٥/١١٣).

(٢) الزم : بليدة على طريق جيحون من ترمذ وآمل ، انظر معجم البلدان (٤/٤٠٥) وليس هي المقصودة لبعدها عن ساحة القتال ، بل هي موضع بين نهري (الكُرّ) و (الرَّسّ) ارمينية .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٩) .

(٤) اللان : بلاد واسعة في طرف ارمينية قرب مدينة (باب الابواب) وأهلها مجاورون للخزر، انظر معجم البلدان (٧/٣١٦).

(٥) ابن الاثير (٥/١٢٥) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٣٣٩) والبداية والنهاية (٩/٢٣١).

(٦) ابن الاثير (٥/١٣٤) .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط (٢/٣٤٩) .

د ــ وفي سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥ م) عزل هشامُ بن عبد الملك الجرّاحَ عن إرمينية وأذربيجان وولاّها مَسْلمة بن عبد الملك[١] .

ولم يذكر المؤرخون سبباً لعزل الجرّاح عن إرمينية وأذربيجان ، لأن الجرّاح لم يقصّر في عمله قائداً وادارياً ، كما أن نزاهته كانت فوق الشبهات ؛ ويبدو أن هشام بن عبد الملك أراد أن يستفيد من كفاية أخيه القيادية في منطقة اشتدّ فيها القتال وكثرت الخسائر ، فعزل الجرّاح واستعمل أخاه .

٢ ــ الشهيد :

ا ــ في سنة احدى عشرة ومئة الهجرية (٧٢٩ م) استعمل هشام بن عبد الملك الجرّاح على إرمينية وأذربيجان ثانية ، وعزل أخاه مَسلَمة بن عبد الملك[٢] .

ودخل الجرّاح بلاد الخَزَر من ناحية (تَفْليس) ، واستعاد فتح مدينة من مدن الخَزَر هي مدينة (البيضاء)[٣] ثم انصرف سالما[٤] .
وجمعت الخزر جموعاً كثيرة بقيادة ابن خاقان ، فدخلوا إرمينية ، ثم سار ابن خاقان ، فحاصَر (أرْدَبيل)[٥] .

ب ــ وفي سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٥ م) ، زحف الجرّاح

(١) ابن الاثير (١٣٧/٥) .
(٢) ابن الاثير (١٥٨/٥) وتاريخ الاسلام (٣٠٢/٤) والنجوم الزاهرة (٢٧٠/١) وابن خلدون (٢٩٩/٣) وتاريخ الموصل (٣٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٣/٢).
(٣) البيضاء : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٣٥) .
(٤) ابن الاثير (١٥٨/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (٣٥٤/٢) .
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (٣٥٤/٢ ــ ٣٥٥) .

من (بَرْذَعة)[١] . وكان الخزر والترك قد حشدوا جموعهم من ناحية (اللان) . وعسكر الجرّاح ومَن معه بمرج (أردبيل) ، وقاتل جموعَ الخزر والترك أشدّ قتال رآه الناس . فصبر الفريقان صبراً جميلاً[٢] .

وتكاثر الخزر والترك على المسلمين ، فاستشهد الجرّاح لثمانٍ بقين من رمضان سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية ، وغلبت الخزر على (أذربيجان) وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا المدينة (المَوْصل) ، وعظم الخطب على المسلمين[٣] وتكبّدوا خسائر فادحة بالارواح والاموال .

الإنســـان

١ ــ لما بلغ هشاماً خبر الجرّاح،دعا سعيداً الحَرَشيّ[٤] فقال له: « بلغني أن الجرّاح قد انحاز عن المشركين !! » . فقال الحَرَشيّ : « كلا يا أمير المؤمنين ! الجرّاح أعرف بالله من أن ينهزم ، ولكنه قُتِلَ ! » ، ولا عجب ، اذ كان الجرّاح خيّراً فاضلاً من عمّال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[٥] .

٢ ــ وبرز الجرّاح لأول مرة سنة سبع وثمانين الهجرية ، إذ كان على (البصــرة) خليفة للحجاج بن يوســف الثقفي الذي كان على العراق والمشرق كلّه[٦] .

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (٢/٣٥٥) .
(٢) ابن الاثير (٥/١٥٩) وتاريخ خليفة بن خياط (٢/٣٥٦) .
(٣) ابن الاثير (٥/١٥٩)
(٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي.
(٥) ابن الاثير (٥/١٥٩)
(٦) الطبري (٦/٤٣٣) وابن الاثير (٤/٥٣٠).

ولايمكن أن يولّى الجرّاح مدينة البصرة ، التي كانت والكوفة في حينه أعظم مدن العراق وأوسعها وأهمها ، وكانت القاعدة الرئيسة هي الكوفة لفتوح المشرق الاسلامي ، إلا اذا كان موضع ثقة الحجّاج بخاصة والدولة بعامة ، وذا كفاية ادارية عالية .

وفي سنة تسعين الهجرية ، أصبح الجرّاح عامل البصرة للحجّاج بن يوسف الثقفي[1] ، وهكذا تقدم في سلك المناصب الادارية ، فكان قبل سنة (وكيلا) ، فأصبح بعد سنة (أصيلاً) .

واستمرّ الجراح في منصبه عاملاً على البصرة حتى سنة أربع وتسعين الهجرية[2] .

٣ ــ وفي سنة ثمان وتسعين الهجرية تولّى يزيد بن المهلّب بن أبي صُفْرة خُراسان لسليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلمّا سار يزيد الى خُراسان استخلف على مدينة (واسِط) ــ وكانت يومئذ عاصمة العراق ــ الجرّاح[3] ، وهذا دليل على كفايته المتميزة في الادارة وثقة يزيد بن المهلّب به بعد الحجّاج بن يوسف الثقفي .

وفي سنة تسع وتسعين الهجرية أصبح الجرّاح عاملا على خُراسان لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[4] ، وليس من السهل الحصول على ثقة عمر بن عبد العزيز ، إلا اذا كان مستحقاً لهذه الثقة ديناً وكفاية .

---

(١) الطبري (٦/٤٤٧) وابن الاثير (٤/٥٤٨)
(٢) الطبري (٦/٤٩١) .
(٣) الطبري (٦/٥٣٦) وابن الاثير (٥/٢٥) .
(٤) الطبري (٦/٥٥٤) وابن الاثير (٥/٤٤).

وأقرّ عمر بن عبد العزيز الجرّاح على خراسان سنة مئة الهجرية[١] أيضاً في أيام القبض على يزيد بن المهلّب وحبسه [٢]، وهي أيام عصيبة بالنسبة للدولة، لأن يزيد بن المهلّب من رجالات العرب وقادتهم البارزين، ولأنه من قبيلة الأزد التي تدافع عنه حتى الموت، ولأن له شعبية طاغية في مختلف القبائل العربية الاخرى وغير العربية أيضاً وبخاصة في خراسان بالذات.

ولكن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، عاد وعزل الجرّاح في هذه السنة عن خراسان وولاها عبد الرحمن بن نُعَيْم القُشَيْري[٣]، وكان عزل الجرّاح في شهر رمضان من هذه السنة، فكانت ولايته بخراسان سنة وخمسة أشهر: قدمها سنة تسع وتسعين الهجرية، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مئة الهجرية[٤].

وكان سبب عزل الجرّاح، أن يزيد بن المهلّب لما عُزل عن خراسان، أرسل عامل العراق عاملاً على (جُرجان)[٥]، فأخذه جَهْمُ بن زَحْر الجُعْفي[٦]، وكان على جُرجان عاملاً ليزيد بن المهلّب، وحبسه وقيّده وحبس رهطاً قدموا معه. وخرج جَهْم الى الجرّاح بخراسان، فأطلق أهل جُرجان عاملَهم، فقال الجرّاح لجَهْم: «لولا أنك ابن عمّي لم أسوّغك هذا»، فقال جَهْم: «ولولا أنك ابن عمّي لم آتِك».

(١) الطبري (٦/٥٢٧).
(٢) انظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٥٦-٥٥٨).
(٣) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الازدي، انظر تفاصيل نسبه في: جمهرة أنساب العرب (٣٧٨).
(٤) الطبري (٦/٥٥٨) وانظر ابن الاثير (٥/٥٠).
(٥) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي من خراسان، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٧٥ - ٧٩).
(٦) جهم بن زحر بن قيس: قاتل قتيبة بن مسلم الباهلي، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة أنساب العرب (٤٠٩).

وكان جَهْم سِلْفَ الجرّاح من قبل ابنتي الحُصَين بن الحارث، وأما كونه ابن عمه ؛ فلأن الحكم جدّ الجرّاح والجُعْفي جدّ جَهْم هما ابنا سعد العَشيرة[١] .

وقال الجرّاح لجهم : « خالفتَ إمامك ، فاغزُ لعلّك تظفر فيصلح أمرك عنده » ؛ فوجّهه الى (الخُتّل)[٢] ، فغنم منهم ورجع .

وأوفد الجرّاح وفداً الى عمر بن عبد العزيز مؤلّفاً من رجلين من العرب ورجل من الموالي ، فتكلّم العربيان والمولى ساكت ، فقال عمر : « ما أنت من الوفد ؟؟ » قال : « بلى ! » ، فقال : «فما يمنعك من الكلام؟»
«ماأنت من الوفد ؟؟» قال: «بلى!» ، فقال : « فما يمنعك من الكلام ؟ »
ومثلهم قد أسلموا من الذمّة يؤخذون بالخَراج ؛ فأميرنا عصبيٌّ جافٍ ، يقوم على منبرنا فيقول : أتيتكم حَفِيّاً[٣] وأنا اليوم عصبي ، والله لرجل من قومي أحب إلي من مئة من غيرهم[٤] . وهو بَعْدُ سيف من سيوف الحجّاج ، قد عمل بالظلم والعدوان » . قال عمر : « اذن بمثلك يوفد » .

وكتب عمر بن العزيز الى الجرّاح : « انظر من صلّى قِبلك الى القِبلة فضع عنه الجزية » ، فسارع الناس الى الاسلام . فقيل للجرّاح: إن الناس قد سارعوا الى الاسلام نفوراً من الجزية ، فامتحنهم بالختان،

---

(١) انظر التفاصيل في جمهرة انساب العرب (٤٠٨-٤٠٩) .

(٢) (الختّل) : كورة واسعة كثيرة المدن فيما وراء النهر (نهر جيحون) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٠١) .

(٣) الحفيّ : اللطيف الرقيق ، وفي التنزيل التنزيل العزيز (انه كان بي حفيّا) .

(٤) يريد : رجل من العرب أحب اليه من مئة غير العرب.

فكتب الجرّاح بذلك الى عمر ، فأجابه عمر : « إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتنا » .

وقال عمر : « ايتوني رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان » ، فقيل له : « عليك بأبي مِجْلَز ، فكتب الى الجرّاح : أن « أقبِل واحمِل أبا مِجْلَز وخلّف على حرب خُراسان عبد الرحمن بن نُعَيْم العامِريّ » .

وخطب الجرّاح قبل رحيله فقال : « يا أهل خُراسان ! جئتكم في ثيابي هذه التي عليّ ، وعلى فرسي ، لم أُصِب من مالكم إلا حلية سيفي » ، ولم يكن عنده إلاّ فرس وبغلة !

وسار عن خُراسانَ ، فلمّا قدِم على عمر قال : « متى خرجتَ ؟ » قال « في شهر رمضان » ، قال : « صدقَ من وصفك بالجفاء ! هلاّ أقمتَ حتى تفطر ثم تخرج ! » .

وكان الجرّاح قد كتب الى عمر : « إني قدمت خُراسان ، فوجدت قوماً قد أبطرتْهم الفِتنةُ ، فأحبّ الامور عليهم أن يعودوا ليمنعوا حقّ الله عليهم ، فليس يكفّهم إلا السيف والسّوط ، فكرهتُ الإقدامَ على ذلك إلا بإذنك » ، فكتب اليه عمر : « يا ابن أم الجرّاح ! أنت أحرص على الفتنة منهم ! لا تضربنّ مؤمناً ولا مُعاهِداً سوطاً إلا في الحق ، واحذر القصاص ، فإنّك صائر الى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتقرأ كتاباً : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)[1] ... » .

وقال عمر لأبي مِجْلَز : « أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ! » ، قال : « يكافىء الأكفاء ، ويعادي الاعداء ، وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويُقدِم

(١) الآية الكريمة من سورة الكهف (١٨ : ٤٩) .

إن وجَدَ من يساعده » ، قال : « فعبد الرحمن بن نُعَيم ؟ » ، قال : « يحبّ العافية والتأنّي ، وهو أحبّ إليّ » ، فولاّه الحرب والصلاة وولّى عبد الرحمن القُشَيْري الخراجَ ، وكتب الى أهل خراسان : « إنّي استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبدالرحمن بن عبدالله[1] على خَراجكم » ، وكتب إليهما يأمرهما بالمعروف والإحسان[2] .

ومن الواضح أن الجرّاح كان لاغبار على تديّنه ونزاهته واستقامته، ولكنّ اجتهاده في تطبيق الاسلام يختلف عن اجتهاد عمر بن عبد العزيز، فالاول يرى أن الناس قد غيّروا مابأنفسهم فلا يستقيمون الا بالشدّة والعقاب ، والثاني يرى تطبيق تعاليم الاسلام نصاً وروحاً ، فلا يعاقب المرء إلا بذنب ثبت عليه ، فاختلافهما في أسلوب تطبيق المبادىء لافي المبادىء.

إن عزل الجرّاح كان لاختلافه في الاجتهاد عن الخليفة الصالح الورع ، ولم يكن عن تقصير أو انحراف أو ريبة.

٥ — وتولّى الجرّاح إرمينية وأذربيجان مرتين : الاولى من سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) الى سنة سبع ومئة الهجرية (٧٢٥ م) ، والثانية من سنة احدى عشرة ومئة الهجرية الى أن استشهد على أرض إرمينية سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) ، فسقط مضرّجاً بدمائه ولم يسقط من يده السيف .

وهكذا قضى الجرّاح زهرة حياته ادارياً وقائداً في خدمة الدولة

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : احد بني الاعور بن قشير، انظر الطبري (٦/٥٦١)

(٢) ابن الاثير (٥/٥٠–٥٢) ، وانظر التفاصيل في الطبري (٦/٥٥٨–٥٦٢) وانظر فتوح البلدان (٦٠٠) .

الاسلامية ، وأعطى من نفسه للمصلحة العامة كل شيء ، ولم يأخذ لنفسه منهـا شيئا .

٦ ــ وكانت له في إرمينية آثار ادارية لها صلة بالقضايا العسكرية ، منها كتابه في الصلح لأهل تفليس ، وهذا نصّه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الجرّاح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق (مَنْجَلِيس)[1] من كورة (جُرْزان)[2] ، أنه أتوني بكتاب أمان لهم من حبيب بن مَسْلَمة[3] على الإقرار بصَغار الجزية، وأنه صالحهم على أرضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها (أوارى) و (سابينا) من رستاق منجليس،وعن طعام وديدوتا من رستاق (مُخُويط) من كورة جرزان ، على أن يؤدوا عن هذه الأرحاء والكروم في كلّ سنة مئة درهم بلا ثانية ، فأنفذت لهم أمانهم وصلحهم وأمرت ألاّ يزاد عليهم ، فمن قرىء عليه كتابي ، فلا يتعدّ فيهم ذلك ان شاء الله » .

٧ ــ ولما نزل الجرّاح مدينة (بَرْذعة) أيام ولايته على إرمينية، رُفع إليه اختلاف مكاييلها وموازينها ، فأقامها على العدل والوفاء ، واتّخذ مكيالاً يُدعى الجَرّاحيّ ، فأهلها يتعاملون به[4] .

وهذه اللمحة من اهتمامه في القضايا الادارية ، التي أوردها المؤرخون

---

(١) منجليس : الرستاق الذي عاصمته مدينة تفليس .

(٢) جرزان : اسم جامع لناحية بإرمينية ، قصبتها تفليس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٨٣ـ٨٤) .

(٣) حبيب بن سلمة الفهري : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي.

(٤) فتوح البلدان (٢٨٩) .

مثالاً على اهتماماته الادارية الاخرى ، تدلّ على مبلغ حرصه على شؤون رعيته وسهره على مصالحها .

٨ ـ ومما يدلّ على شهامة الجرّاح ومروءته ، أن مَسْلَمة بن عبد الملك حَلَفَ أن يبيع ذرّية آل المهلب بعد انتصاره عليهم ومقتل يزيد بن المهلب واخوته وأولاده[1] ، فقال الجرّاح : « فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك » ، فاشتراهم بمئة ألف ، فلم يأخذ مسلمة منه الثمن ، وخلّى الجرّاح سبيلهم جميعاً[2] .

وعهدنا بأكثر الناس ، مع المنتصر على المهزوم ، ومع أصحاب السلطان على الذين زال سلطانهم ، ومع القوي على الضعيف ، ومع الغني على الفقير، ومع الحي على الميت ، إلاّ أصحاب المروءات الرفيعة ، وما أقلهم في كل زمان ومكان ، فهؤلاء يكونون مع (الحق) لا مع المصلحة الشخصية .

ولم يكن بمقدور كل أحد أن يُقدِم على شراء ذريّة قائد تخلّى عنه الحظ وأصبح في عِداد الاموات ، وهذا دليل على قوّة شخصية الجرّاح ومبلغ ثقة مَسلمة به ، بالاضافة الى جوده وكرمه ومروءته .

فلا عجب أن يرثيه الشعراء ، ويرثيه الخليفة هشام بن عبد الملك[3] ، ويجزع لموته المسلمون .

وكان له عقب بوادي (إشّ)[4] .

---

(١) انظر تفاصيل فتنة يزيد بن المهلب في الطبري (٥٧٨/٦ ـ ٦٠٤) وابن الاثير (٥٧/٥ ـ ٨٩) .

(٢) الطبري (٦٠٢/٦) وابن الاثير (٨٦/٥) .

(٣) انظر ابن الاثير (١٦٨/٥) .

(٤) إش : من قرى خوارزم ، انظر معجم البلدان (٢٥٧/١) ، وانظر جمهرة أنساب العرب (٤٠٨) عن عقبه وتفاصيل نسبه .

القــــــائد

في سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) ، كانت الحرب دائرة بين ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث في العراق وبين الحجّاج بن يوسف الثقفي عامل الدولة على العراقين[1] ، واستمرت الحرب بين الجانبين مئة يوم وثلاثة أيام . وكانت أشد كتائب ابن الاشعث قتالاً واستبسالاً هي كتيبة القرّاء المؤلفة من علماء المسلمين وقادة فكرهم : يحمل عليهم رجال الحجّاج فلا يبرحون ، وكانوا قد عرفوا بثباتهم البطولي . وخرجت كتيبة القرّاء ذات يوم من أيام القتال كما كانوا يخرجون ، وعبّأ الحجّاج صفوفه ، وعبّأ ابن الأشعث أصحابه ، وعبّأ الحجّاج لكتيبة القرّاء ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجرّاح ، فأقبلوا نحوهم فحملوا على القرّاء حملات: كل كتيبة تحمل حملة ، فلم يبرحوا وصبروا[2].

وكانت ثورة ابن الاشعث تهدّد مصير الدولة بأفدح الاخطار ، وكان القرّاء صلب رجال ابن الاشعث وعمودهم الفقري ، لثقة الناس بهم ، ولأنهم كانوا يستقتلون في الحرب ويطلبون الشهادة أو النصر ويضربون أروع الامثال في الثبات لأصحاب ابن الاشعث وكان القضاء على مقاومة كتيبة القرّاء قضاءً مبرماً على ثورة ابن الاشعث ، فتولية الحَجاج للجراح على كتائب مقاومة كتيبة القرّاء ومصاولتها ، دليل على أن الحجّاج يثق بكفاية الجرّاح القيادية وشجاعته وإقدامه وأنه مسعر حرب حقا .

وفي هذه الثورة في أيام الحرب ، خرج عبد الله بن رزام الحارثي ، فطلب المبارزة ، فخرج اليه رجل من عسكر الحجّاج ، فقتله . وفعل ذلك

(١) انظر التفاصيل في ابن الاثير (٤/٤٦١-٤٨٠) .
(٢) الطبري (٦/٣٥٠) وابن الاثير (٤/٤٧٢) .

ثلاثة أيام ، يقتل كل من يبارزه من رجال الحجّاج ، وفي اليوم الرابع خرج ، فقال أصحاب الحجّاج : جاء لا جاء الله به ! وطلب الحارثي المبارزة، فقال الحجّاج للجرّاح : (اخرج إليه) . وخرج الجرّاح،فقال له الحارثيّ وكان له صديقا : « ويحك ياجرّاح ! ما أخرجك ! » ، فقال : « ابتليت بك » . قال : « هل لك في خير ؟ » ، قال الجرّاح : « ما هو ؟ »، قال : « أنهزم لك وترجع الى الحجّاج وقد أحسنتَ عنده وحمدك ، وأما أنا فأحتمل مقالة الناس في انهزامي حبّاً لسلامتك ، فإني لا أُحبُّ قتل مثلك من قومي » ، فقال الجرّاح : « افعلْ » .

وحمل الجرّاح على الحارثي ، فاستطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجرّاح بجدٍّ يريد قتله ، فصاح للحارثي غلامه ، وكان ناحية معه ماء ليشربه ، وقال له : « ياسيّدي ! إنّ الرجل يريد قتلك » ، فعطف عليه الحارثي وضربه بعمود على رأسه فصرعه ، وقال له : « ياجرّاح ! بئس ماجزيتني ! أردتُ بك العافية وأردت قتلي ! انطلق ، فقد تركتك للقرابة والعشيرة (١) .

ومهما تكن نتيجة المبارزة ، فإن مجرد اختيار الحجّاج للجرّاح ليتولى مبارزة بطل من الابطال انتصر على أقرانه ثلاثة أيام متوالية ، يدلّ على أن الجرّاح كان بين جيش الحجّاج بطلاً متميّزاً لامعا ، خاصة وأن انتصار مبارز على قرينه ، يؤثّر في معنويات أصحاب المنتصر فيرفعها عاليا ، ويؤثّر في معنويات أعداء أصحابه فيرديها الى الحضيض ، والنصر دائماً لذوي المعنويات العالية ، والهزيمة دائماً لذوي المعنويات المنهارة .

---

(١) ابن الاثير (٤/٤٨٠) .

كما أن إيثار الحارثي للجرّاح بالنصر ، واستئثاره بالهزيمة طوعاً،في مثل تلك الظروف الحرجة،يدل على مكانة الجرّاح السامية ليس بين أصحابه فحسب ، بل بين أعدائه أيضا ، ولايكون هذا التنازل الطوعي إلا لشخصية قوية نافذة تملأ الأعين قدراً وجلالا .

وكان الجرّاح يوصَم بالجفاء ، أي انه صاحب ضبط شديد ، يسيطر على رجاله سيطرة قوية ، ومزيّة الضبط المتين احدى مزايا القائد الجيّد.

وكان يتميّز بالحرص الشديد في محاولة الحصول على المعلومات المفصّلة عن عدوّه ، وقد استطاع أن يكتشف أن بعض من كان معه في جيشه من أهل جبال القفقاس قد كاتب ملك الخزر يخبره أنّ المسلمين قد ساروا اليه ، فتظاهر الجرّاح بالبقاء في (بَرْذَعَة) ، فكتب ذلك العَين الى ملك الخزر يخبره أن المسلمين مقيمون ، وحينذاك بادر الجرّاح بالمسير ، فرحل مسرعاً الى هدفه[1] .

والقائد الحريص على اقتناص المعلومات التفصيلية عن عدوه ، قائد يعمل في النور لا في الظلام ، لأن عملياته تكون على هدى وبصيرة ، فيتحرك وعيناه مفتوحتان ، مما ييسّر له احراز النصر .

وقد أدّى تظاهر الجرّاح بالبقاء في (بَرْذَعَة) وقتاً طويلا ، ثم رحيله السريع عنها الى هدفه ، مباغتة للعدو في الزمان ، لأن الجرّاح وصل الى هدفه في وقت لايتوقعه ذلك العدو ، والمباغتة كما هو معروف أهم مبادىء الحرب على الاطلاق.

وحين فتح الجرّاح مدينة (بَلَنْجَر) أسر أولاد صاحبها وغنم أمواله

(١) ابن الاثير (٥/١١١) .

وسيطر على حصنه ، ولكنه استدعى اليه صاحب (بلنجر) وردّ أمواله وأهله وحصنه اليه وجعله عيناً للمسلمين يخبرهم بما يفعله الخزر وحلفاؤهم[1] .

وهذا دليل آخر على حرص الجرّاح الشديد في محاولاته للحصول على المعلومات المفصّلة الدقيقة عن عدوه .

وكان الجرّاح من أولئك القادة الذين يصرون على إحراز النصر مهما طالت المدة واشتدّت وطأة القتال وكثرت الخسائر ، ولعلّ معركة (بلنجر) خير دليل على هذا الاصرار .

فقد كان نشّاب العدو يحجب الشمس ، وكان حصن المدينة منيعاً، والتحم القتال بشدة حتى بلغت القلوب الحناجر ، دون أن يتخلّى الجرّاح عن فتح (بَلَنْجر)[2] .

ومزيّة الحرص الشديد على إحراز النصر بأي ثمن : من مزايا القائد المتميّز .

ولم يُنكَب جيش يقوده الجرّاح في غير ميدان القتال سواء كان ذلك في مسير الاقتراب أو في المعسكرات ، مما يدل على أنه كان يتّخذ التدابير الامنية كافة لحماية جيشه بالمقدمة والميمنة والميسرة والمؤخرة، بالاضافة الى أنه كان يتحرك وهو مفتوح العينين في النور، لأنّه يحصل على المعلومات المفصّلة الدقيقة عن العدو ، ويحول بين العدو وبين الحصول على المعلومات المفصّلة عن قواته .

---

(١) ابن الاثير (١١٢/٥) .
(٢) ابن الاثير (١١٢/٥) .

وكما كان يهيّىء التدابير الامنية كافة لقواته التي يقودها،كان يهيّىء التدابير الامنية كافة لنفسه ، وقد رئيَ قد ظاهرَ بين درعين ، فقيل له في ذلك ، فقال : « لستُ أقي بَدَني وإنما أقي صبري »[1] ، يريد : انه يقي معنوياته بهذين الدرعين.

ومن المعلوم أن الذي يتخذ التدابير الامنية لنفسه وقواته ، يرفع معنوياته ومعنوياتهم مادياً ومعنوياً ، والأمن مبدأ من أهم مبادىء الحرب .

لقد كان قائداً من قادة عمر بن عبد العزيز رضي‌الله‌عنه الذي كتب إليه مرة : « إنه بلغني أن رسول الله ﷺ ، كان اذا بعث جيشاً أو سَريّة قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، تقاتلون مَنْ كفر بالله : لا تَغَلّوا[2] ، ولا تَغْدِروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً) ، فاذا بعثتَ جيشاً أو سريّة ، فمُرْهم بذلك[3]» . وكان أعرفُ بالله من أن ينهزم[4]، كما وصفه أحد قادة الفتح الاسلامي[5] للخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان .

وأخيراً ضحّى الجرّاح بروحه من أجل عقيدته ، ولم يضحِّ بعقيدته من أجل روحه ، فضرّج بدمه الطاهر ثرى إرمينية ، كما ضرّج ثراها قبله وفي أيامه ومن بعده عدد كثير من قادة الفتح الاسلامي وجنوده.

لقد كان قائدا يثق به رؤساؤه ورجاله ، شجاعاً مقداما ، ذا شخصية قويّة نافذة ، يتحلّى بالضبط المتين ، ويؤدي واجبه كاملاً ويفضّله على

(١) العقد الفريد(١٧٨/١) . وعيون الاخبار (١٧٨/١) .
(٢) غلّ فلان غلولا : خان في المغنم وغيره .
(٣) العقد الفريد (١٢٨/١) .
(٤) ابن الاثير (١٥٩/٥) .
(٥) هو : سعيد بن عمرو الحَرَشي ، اقرأ سيرته في : قادة فتح المشرق الاسلامي.

العلاقات الشخصية كالقربى والصداقة ، يأمر بالجهاد ويحث عليه ويحرّض رجاله على القتال ، حريصاً على الحصول على المعلومات الدقيقة عن عدوّه ، يبذل قصارى جهده لإحراز النصر ، يطبّق مبدأ المباغتة ، ومبدأ الامن في عملياته العسكرية .

وكان فوق ذلك قائداً عقائدياً ، يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، يطلب الشهادة ويحرص على الموت حرص غيره على الحياة .

لقد كان الجرّاح قائداً متميّزاً .

الجــــرّاح في التاريخ

يذكر التاريخ للجرّاح ، أنه وطّـد أركان الامن في (خُراسان) والعراق وإرمينية . ويذكر أنه استعاد فتح شطر خراسان وشطر إرمينية وفتح فتحاً جديداً .

ويذكر له ، أنه نشر العربية لغة والاسلام ديناً في أرجاء شاسعة تمتد من خراسان الى ماوراء نهر جيحون الى إرمينية .

ويذكر له أنه كان ادارياً حازماً وقائداً متميّزاً .

ويذكر أنه كان مجاهداً صادقاً ، يسعى الى الشهادة قبل أن تسعى الشهادة إليه .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الإداري الحازم ، الشهيد البطل ، الجرّاح بن عبد الله الحَكَمي .

بغداد : محمود شيت خطاب

مِنْ مُعْجَمِ عَثَرَاتِ الأُدَبَاء ★

الاستاذ محمد العدناني

الجمهورية العربية المصرية

جاء في المصباح المنير للفيومي : فإن كان في النسبة لفظ عام وخاص[1] فالوجه تقديم العام على الخاص ، فيقال : القرَشِي الهاشمي، لأنه لو قدّم الخاص لأفاد معنى العام ، فلا يبقى له في الكلام فائدة إلا التوكيد ، وفي تقديمه يكون للتأسيس ، وهو أولى من التأكيد ، وتقديم القبيلة على البلد أكثر مناسبة ، فيقال القرشي المكي ، لأن النسبة الى الاب صفة ذاتية ، وليست كذلك النّسبة الى البلد ، فكانَ الذاتي أوْلى •

وهذا يجعلني أُخَطّئُ لغوياً تسميةَ القطر الشقيق بجمهورية مصر العربية ، بدلا من الجمهورية العربية المصرية ، لأن (العربي) عام ،

(★) هذه نموذجات أخرى من « معجم عثرات الادباء » ، انشرها في مجلتنا الرائدة ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، شاكرا للجنة المجلة تعليقاتها النفيسة على النموذجات السابقة (انظر العدد الثاني من المجلد الثالث والخمسين)، والتي سوف تظهر في المعجم بعد طبعه، وراجيا أعلام الضاد تزويدي بملحوظاتهم على صفحات مجلة مجمعنا الخالد ، أو ارسالها الي بالبريد ، وعنواني: بيروت ، شارع الجامعة العربية ، بناية الاسكندراني رقم ٣ •

(١) لسنا في تعبير جمهورية مصر العربية الذي يقترح الاستاذ تغييره ، أمام نسبتين ، بل أمام نسبة واحدة هي «العربية» ، اما « مصر » فترد غير منسوبة ، هذا الى ان العلماء لا يتفقون على تقديم العام ، بل قد يقدمون الخاص للحظ بلاغي • « لجنة المجلة »

و (المصري) خاص ، وتقديم العام على الخاص أوْلى ، كما يقول الفيومي، هذا عدا مايتطلبه التشابه اللفظي في الجمهوريات العربيات الثلاث ، التي كانت قد أقامت بينها اتّحاداً ، وهي : الجمهورية العربية السورية . والجمهورية العربية الليبية ، والجمهورية العربية المصرية ، للتشابه اللفظي في الاسماء الثلاثة بيانيّاً .

وعدا هذا ، يخيّل إلي – حين يقولون : جمهورية مصر العربية – أن هنالك جمهورية مصريّة أخرى غير عربية – لاسمح الله.

لذا أقترح على مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يعمل على تصحيح هذا الخطأ اللغوي ، اذا رأى أنني مصيب في تخطئتي هذه التسمية .

جَلَسَ وَحْدَهُ ، جَلَسَ على وَحْدِهِ

ويقولون : جلس أحمدُ لوحدِهِ . والصواب جلس وحدَهُ :

١ – إمّا لأنه مفعول مطلَق للفعل : وَحَدَ الرجلُ يَحِدُ وَحْداً.

٢ – وإمّا لأنه حال.

٣ – أو لأنه منصوب على نَزْعِ الخافض .

وذكر الجلال السيوطي في همع الهوامع : « هو لازم الإفراد والتنكير ، لأنه مصدر ، وقد يُثنّى شذوذاً ، أو يُجَرّ بعلى ، فقد سُمِع: جلسا على وَحْدَيْهِما ، وقلنا ذلك وَحْدَيْنا ، واقتضيتُ كلَّ درهم على وَحْدِهِ ، وجلس على وَحْدِهِ . وقد يُجَرّ بإضافةٍ ، والمضاف هو كلمة : نسيجٍ ، أو قَريعٍ (سَيِّد أو رئيس) ، أو جُحَيْش ، أو عُيَيْر (إذا أُريدَ قلّة نظيره في الشر ، وهما مصغّر عَيْر بمعنى : حمار ، وجحش وهو ولده) . مع إلحاق علامات التثنية والجمع بهذه الكلمات

على الأصح ، يقال : هو نسيج وَحْدِهِ ، وقَرِيعُ وحدِهِ ، اذا قُصِد قِلّةُ نظيره في الخير ، وأصله في الثوب ، لأنه اذا كان رفيعا لم يُنْسَجْ على منواله غيرُه .. » .

وقيلَ لايتصل بكلمة نسيج وأخواتها العلاماتُ الدالة على التثنية والجمع ، فيُقال : هما نسيج وحدِهما ، وهُنَّ نسيج وَحْدِهنَّ ، وهم نسيج وَحْدِهم ، وهكذا .

وخلاصة ما قاله ابن مالك هو أن المضاف إليه بَعْدَ (وَحْد)، و(دَوَالَيْ)، و (سَعْدَيْ) وأشباهِها ، لايكونُ اسماً ظاهراً ، وإنّما يجب أن يكون ضميراً .

والبصريّون ينصبون (وَحْدَه) على الحال ، لا على المصدر على تقدير : منفرِداً . وينصبه يونسُ على الظّرف بإسقاط (على) .

وجعل ابنُ الأعرابي (وَحْدَهُ) اسماً مُتَمَكّناً ، فقال : جلس وحده ، وعلى وحْدِهِ ، وجلسا وحديهما ، وعلى وحديْهِما .

وحكى أبوزيد : « قُلْنا هذا الامر وحْدِينا ، وقالتاه وَحْدَيْهِما » .

الاضــداد

في اللغة العربية مئات الكلمات التي تحمل معنيين مختلفَيْن ، وضعها العرب القدامى ، ليدُلّوا على رحابة آفاق الضّاد ، وعلى أن مذاهبَ الكلام لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب .

وقد اهتم العرب كثيراً بتأليف الكتب في الاضداد ، فمنهم محمّد ابنُ المستنير المعروف بقُطْرُب ، والأصمعي ، والعالِمُ البصريُّ عبد الله التَّوَّزيُّ ، وابنُ السِّكِّيت ، وأبو حاتم السِّجستاني ، وابن

الأنبـاري ، وأبو الطيّب اللغَـوي ، وابن الدهّان ، والصّاغاني .
وأشهرهم ابن الانباري.

ومِمّا قاله قطرب في الاضداد : « إنّما أوقعت العربُ المعنيين على اللفظة الواحدة ؛ ليدلّوا على اتّساعهم في كلامهم » .

وقال آخرون : « اذا وقع الحرف (الكلمة) على معنيين متضادَّين. فالاصل لمعنىً واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتّساع . فمن ذلك الصَّريمُ ؛ يقال للّيل صريمٌ وللنهار صريم ، لأن الليل ينصرمُ من النهار، والنهار ينصرم من الليل ؛ فأصل المعنيين من باب واحد ؛ وهو القطعُ ».

« وكذلك السُّدْفَةُ : الظُّلْمَةُ . والسُّدْفَة : الضَّوْء ؛ سُمّيا بذلك لأن أصل السُّدْفَة السَّتْر ؛ فكأن النّهار اذا أقبل ستر ضوْءُهُ ظلمةَ الليلِ ، وكأن الليل اذا أقبل سترت ظلمتُهُ ضوءَ النهار. والجَلَلُ : اليسير ، والجَلَلُ : العظيمُ ؛ لأن اليسير قد يكون عظيماً عندما هو أيْسَرُ منهُ ؛ والعظيمَ قد يكون صغيراً عندما هو أعظم منه».

« والبعض يكون بمعنى البعض والكلّ ، لأن الشيء كلّهُ قد يكون بعضاً لغيره .والظنُّ يكون بمعنى الشك والعلم ، لأن المشكوك فيه قد يُعلَمُ » .

وفي الجزء الاول من المُزهِر للسُّيوطي من صفحة ٣٨٧ الى ٤٠٢ فصل كامل ممتاز عن الاضداد ، فليرجع إليه من شاء .

وأنا أرى ألاّ نستعمل من الكلمات ، ذوات المعنَيَين المتضادَّيْن، إلا مايحمل منها المعنى المألوف لدينا ، وأن ننصرف عن استعمال تلك الكلمات ، التي نجهل معانيها المضادة ، الى غيرها . فنحن لسنا في حاجة

الى ارهاق ذاكراتنا بنقش مئات الكلمات ذوات المعاني المتضادّة فيها. وليست غايتنا في كتاباتنا وأقوالنا أن نستعمل كلماتٍ يجهل معظمُ الناس معانيها الثانية المضادّة لمعانيها الاولى التي نعرفها ، فوقتُنا غيرُ متّسع كوقتِ أجدادنا.

وعلينا أن نكتفي بالمعنى الأكثر شيوعاً ، على أن لانخطّىء مَنْ يلجأ الى استعمال المعنى الاضعف ، أو المجهول اذا وُجِدت في الجملة قرينة تدلّ عليه ، كقولنا : شجاني نبأُ انتصارنا على الاعداء . فهنامعنى شجاني : أفرحني ، بينما المشهور هو استعمال هذا الفعل (شجاني) بمعنى أحزَنَني . وكقولنا للملِك : يامولاي ! (أي ياسيدي !) ، وقولنا : أمر الملِك مولاه أن يفعل كذا (أي عبدَه) .

وجاء في مقدمة « الأضداد » لابن الانباري ، وفي « المُزْهِر » للسيوطي في باب « معرفة الاضداد » : « اذا كان اللبْسُ في متضادّيْن زائلا عن جميع السامعين ، لم يُنْكَر وقوعُ الكلمة على معنيَيْن مختلفَين » .

وهنالك من أنكر وجود ألفاظ في اللغة العربية تدل على معنىً وضده ، كابن دُرُسْتَوَيْهِ الذي ألّف كتاباً اسمُه : إبطالُ الأضداد .

وقال ابن دُرَيد في الجمهرة : « الشَّعْبُ : الاجتماع والافتراق، وليس هذا من الاضداد ، وانما هي لغة لقومٍ » . فأفاد بهذا أن شرطَ الأضداد أن يكون استعمالُ اللفظ في المعنَيَيْن في لغة واحدة.

وأحسنُ تفسير لوجود الأضداد في العربية ما جاء في الصفحة ١١ من أضداد ابن الأنباري : « اذا وقع الحرفُ على معنيَيْن متضادّيْن،

فمحال أن يكون العربيُّ أوقعَهُ عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكنَّ أحد المعنيين لِحَيٍّ من العرب،والمعنى الآخر لِحَيٍّ غيره. ثمَّ سمع بعضهم لغةَ بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء.

قال الاصمعيُّ : دخل رجل على ملِكٍ من ملوك حِمْيَر ، وكان الملك جالساً في موضع مُشْرف ، فارتقى اليه ، فقال له الملِك : ثِبْ ، يريد: اجلس . فطفرَ وسقط واندقّت عنقه . فقال الملِك : من دَخَل ظَفارِ حَمَّرَ ؛ أي تكلّمَ بلسان حِمْيَر .

وقال أبو عبيدة : «مُهرَةٌ شوهاء» قبيحة وجميلة . وقال أبو حاتم السِّجستاني : لا أظنّهم قالوا للجميلة : شَوهاءُ إلا مخافة أن تصيبها عين . كما قالوا للغُراب أعورُ لحِدَّةِ بصره.

وسُمِّيَت أمُّ الخليفة المعتزّ « قبيحة » دفعاً للعَيْنِ ، لأنّها كانت رائعة الجمال .

الجَوْسَق ، الكِشْكُ ، الكُشْكُ

ويخطِّئون من يُطلق على المكان الصغير يُصْنَع من الخشب ونحوه، ويُتَّخذ في حمّامات الشواطىء ، كما يتّخذ مأوى للجندي ، وكذلك يتّخذ محلاًّ في مختلف الطرق لبيع الصحف والسلع الصغيرة ، اسمَ الكِشْكِ ، لأن متنَ اللغة قال في حاشية مادّة (جوسق) ، إن الكشك هو من أقوال العامّة .

جاء في المجلدالثالث عشر من مجموعةالمصطلحات العلمية والفنية،التي أقرتها لجنةُ ألفاظ الحضارة ، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع في جلسته الثالثة ، بتاريخ ١٧ شباط ١٩٧١ ، في المادة رقم

٦٧ ؛ أن المؤتمر أطلق على ذلك المكان الصغير اسمَ الجوسَق أو الكشك (لم تضبط حركة الكاف الأولى) .

وكان الشيخ عبد القادر المغربي قد قال في « عثَرات اللسان » إن الكُشكَ هو من أصل تركي ، وقد عثر هنا ، لأنه من أصل فارسي هو كوشْك ، كما جاء في اللسان ؛ والتاج ، والمدّ ، ومعجم فرهنك جامع فارسي ــ إنكليسي : تأليف ف. ستانغس ؛ أو هو معرّب كوسك كما قال محيط المحيط وأقرب الموارد ، أو معرّب كوشَك كما قال المتنُ .

وروى المتنُ في مقدمته ، أن أحمد تيمور وضع للقصر الصغير : في المادة رقم ٥ ، اسماً جديداً ، هو الكِشْكُ .

وورد الكُشْكُ (بضم الكاف الاولى) في عثَرات اللّسان والوسيط . وورد بكسرها (الكِشْك) في محيط المحيط ؛ وأحمد تيمور، والمتن . وقال محيط المحيط انّه شِبْهُ رِواقٍ بارز عن مساواة بقيّة البيت .

وليس الجَوْسَق ، الذي هو معرّب الكشك بحديث العهد في الضاد ، إذ عُرِف فيها منذ أكثر من ألف سنة ، وقد ذكره الصّحاح ، والمحكمُ ، وابن برّي ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتّاج ؛ والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقربُ الموارد ، والمتنُ وعثراتُ اللسان ، والوسيط . ويُجْمَعُ الجَوْسَقُ على جَواسِقٍ وجواسيق .

أمّا معناه فقالوا انه البيتُ أو البيت الصّغير ، والقصرُ أو القصر الصّغير ، والحِصْنُ . وقال ابنُ برّي : شاهِدُ الجَوسَق الحِصن قولُ النعمان من بني عديّ :

لعلَّ أميرَ المؤمنين يسوءُه تنادُمُنا في الجَوسقِ المتهدِّم

وما علينا إلا أن نستعمل كلتا الكلمتين : الجَوْسَق والكُشك، والكِشك ، ما دامت جُلُّ المعجمات أجازت استعمال أولاهما ، وما دام بعض المعجمات ومجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أجازوا استعمال ثانيتهما .

الجَـــولان

الهَضْبَةُ ذات الحصون المنيعة المُشرفة على جزء من فلسطين الغالية المحتلة ، والتي انتصر في معركتها العربُ على جيوش اسرائيل وسلاحها الامريكي المرعب في معركة رمضان سنة ١٣٩٣ هـ (تشرين الاول ١٩٧٣) يطلقون عليها اسم الجُولان ، اعتماداً على قول « متن اللغة » . والحقيقة هي أن اسمها هو : الجَوْلان ، كما جاء في الكامل للمبرِّد ، والصحاح، ومعجم مقاييس اللغة ، ومعجم البلدان ، والمختار ، واللسان ، والقاموس، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد .

وروى الحسن العسكريُّ في « التصحيف والتحريف » قولَ النابغة الذبيانيّ :

فآبَ مُصلُّوه بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلانِ حَزْمٌ ونائلُ

وجاء في اللسان : « الجَوْلان جبل بالشام ، وفي التهذيب قريةٌ بالشام ، وقال ابن سيدَه : الجَوْلانُ جبل بالشام . قال ويقالُ للجبل: حارثُ الجَوْلان ، قال النابغة الذُّبياني :

بكى حارثُ الجَولانِ من فَقْدِ ربِّه وحَورانُ منه خائفٌ متضائلُ

وحارثٌ قُلَّةٌ من قِلاله ، والجَوْلان أرض . وقيل حارثٌ

وحورانُ جَبَلانِ » • وجاء في قصيدة لي قلتُها في تلك المعركة المظفرة:

وتَـدكُّ في جَوْلاننا نـيرانُها شُمَّ الحصون ، وتنثُرُ الأشلاء

أمّا الجَوْلانُ فقد ذكر القاموسُ وأقربُ الموارد أنه التّراب •
وقيل إن التراب يُسمى الجَيْلان أيضا : اللّسان ، والقاموس ، والتاج ، والمدّ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن •

ويُطلقون على التراب والحصى ، تَجول بهما الريح على وجه الارض اسم (الجَوْلان) أيضا : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد، ومحيط المحيط ، والمتن ، والوسيط •

وانفرد المتن بقوله إن الجِيلان من الحصى هو: ماأجالته الريح•

فَقَصَ ، فَقَسَ ، فَقَشَ

ويقولون : فقَسَ الطائرُ بيضته ، أي : كسرها ليُخْرِجَ الفرخَ ، والصّوابُ : (ا) فقصَ الطائرُ بيضتَهُ ، ففي حديث الحديبية: «وفَقَصَ البيضةَ» • وممّن ذكر (فَقَصَ) أيضا : اللّيْثُ بن سعد واللّحياني ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، والنهاية ، والعُباب ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد، والمتن ، والوسيط •

(ب) وفَقَسَها : الصّحاحُ ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، وعبد القادر المغربي ، والوسيط •

(ج) وفَقَشَها : ابن دريد ، والصّاغاني ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط•

ويقول المتنُ إنّ الفعل (فَـقَـشَ) لغةٌ ، بينما تقول المصادر الاخرى إن معناه هو : كَسَرَ البيضةَ باليد .

ويقول اللسان ، والتاج ، وأقرب الموارد ، والمتن إن الفعل (فقص) هو أعلى الافعال الثلاثة.

وبعضُ هؤلاء كالصحاح ، يقولون إن معنى (فقس البيضةَ)هو أفسدها . والصواب : أخرجَ مافيها ، أو أفسدها كما يقول التاجُ

ولمّا كان تشـديد الفعلِ لإفادة المبالغة (فقّسَ مثلا) ، سماعياً لا قياسياً ، ولما أجمعت المعاجم على عدم ذكرِ هذا الفعل ، ولمّا كانت هنالك حالات لإفادة المبالغة ، أو إفادة التكثير ، كالدجاجة التي تحتضن ثلاثين أو أربعين بيضة ، ثم تَفَقِّصُها لإخراج الفراخ منها ، فإن هـذا يحملني على أن أقترح على مجمع اللغة العربية بدمشق وأشقّائه الثلاثة ، الموافقة على استعمال الافعال الثلاثة مضعّفـة (فَقَّصَ ، وفَقَّسَ ، وفَقَّشَ) ، عندما يتطلّب المعنى ذلك ، وإن كان الفعلُ الاخـير يعني كَسَرَ البيضةَ باليد .

أمّا فعله فهو : فَقَصَ يفقِصُ فقْصاً ، وفَقَسَ يفقِسُ فقْساً، وفَقَشَ يفْقِشُ فَقْشاً .

فِلَسْطِينُ ، فَلَسْطِينُ : فِلَسْطُون ، فَلَسْطُون ،
فِلَسْطِيٌّ ، فِلَسْطِينيٌّ

واختلفوا في حركات قلب البلاد العربية(فلسطين)،فقالوا: فِلَسطين. التّهذيبُ ، والصّحاحُ ، وابن الاثير في النهاية ، واللسان ، والقاموس، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد .

وقد ذكر الصّحاح (فِلَسطِينَ) في ترجمة (طين) ؛ فانتقده ابن بَرّي وقال : حقّها أن تذكَرَ في فصل الفاء من باب الطّاء ؛ لقولهم (فِلَسْطُونَ) .

وقالوا : فَلَسْطِينُ وفَلَسطونُ (معجمُ البلدان) .

وقالوا : فَلَسْطِينُ ، فِلَسطُونَ : التّهذيب ، واللّسان . والقاموس ، والتّاج ، ومحيط المحيط ، وأقربَ الموارد.

وقالوا : فَلَسطون : القاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب المـوارد :

وقالَ الازهريُّ في التّهذيب إن نونَ (فلسطينَ) زائدة ، وقال غيره انّها كلمة روميّة .

والعرب في إعرابها على مذهبين ، فمنهم من يجعلها بمنزلة الجمع . ويعربها بالحروف ، فيرفعها بالواو (هذه فلسطون) ، وينصبها ويجرّها بالياء (استعَدْنا فِلَسطينَ ، عدنا الى فِلَسطين) . ومنهم من يجعلها بمنزلة ما لا يَتَصرّف ، فتلزمها الياءُ (فلسطينُ حبيبةُ العربِ ، زرنا فلسطينَ ، ما أجمل فلسطينَ !) .

والنسبة الى فِلَسطينَ فِلَسْطِيٌّ (أبو منصور الازهري، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، ومتن اللغة) قال الأعشى :« تَخَالُهُ فِلَسْطِيّاً اذا ذُقْتَ طَعْمَهُ » .

وقال ابنُ هَرْمةَ القرَشيُّ :

كأسٌ فِلَسْطِيّةٌ مُعَتّقَةٌ شجّتْ بماءٍ من مُزنة السُّبلِ

وزادَ محيط المحيط وأقربُ الموارد نسبةً ثانية،هي فِلَسطيني":[1]
وأنا أرجو أن توافق مجامعنا على استعمالها ، لأن العالم العربي كله ، بملايينه التي ناهزت المئة والخمسين ، لا يعرفون إلاّ النسبة الثانية (فِلَسْطينيّ) وهي نسبة قياسية ، لا نستطيع تخطئة من يستعملها •

بيروت : محمد العدناني

---

(١) جاءت النسبة « فلسطيني » في كتاب التيسير في المداواة والتدبير لابي مروان عبدالملك ابن زهر الاشبيلي (٤٦٤ ـ ٥٥٧ هـ) • قال ابن زهر (الورقة ٩/و من نسخة باريس لكتاب التيسير) : « واطعمه لب الخيار او لب البطيخ الفلسطيني وهو الدلاع ، وأطعمه بقليّة الخس وبقلية الرِّجلة، يدل ذلك على أنهم في الاندلس كانوا في القرن السادس ينسبون الى فلسطين بقولهم « فلسطيني » •
« لجنة المجلة »

العَرَبيّة الدّارجة في القُطر الجَزائري ★

الدكتور ابراهيم السامرائي

لعل من أعظم المنجزات أو قل الامور المعجزات عملية التعريب في الجمهورية الجـزائرية ، وذلك لان العربية بعثت جديدة غضة تقف من الفرنسية موقف المقاوم العنيد . لقد مكـن الحكم الاستعماري الذي

(*) كان العنوان الذي وضعه الاستاذ السامرائي لمقاله هو : « العربية في القطر الجزائري » .

ثم آثرت لجنة المجلة أن تضيف اليه هذا الوصف : « العربية الدارجة » ذلك لان الكاتب الفاضل انما يسوق أمثلته كلها من هـذه العربية اليومية المستعملة عند جمهرة الناس ، على الالسـنة أو على أقـلام بعـض الذين يمارسون الصحافة .

وهذه الامثلة ونظائرها مما تشترك فيه أكثر الاقطار العربية الاخرى ، كما يشير الي ذلك المقال في مواضع عدة ، ولذلك لا يمكن أن تكون سمة خاصة بالعربية في الجزائر .

ومع ذلك فقد أقرت اللجنة نشر المقال لانه لون من ألوان التنبه الـى ما يغزو العربية في هذا القطر أو ذاك من طغيان اللهجات وتسربها الى الفصحى ، أو من لوثة الترجمات ، أو من تسرب الالفاظ والتعابير الاجنبية ... ولانـه يطرح موضوع المجازات الحديثة ويدفع الى التساؤل عما نرفض أو نقبل منها . ومن المؤكد أن الاستاذ السامرائي ، بما هو معروف عنه من غيرته على العربية وحبه للجزائر ، انما يسجل هذه الظواهر والاستخدامات اللغـوية تمهيدا لدراستها والعمل على تنقية العربية مما هو خاطيء منها .

أما القسم الاخير من المقال الذي يتضمن أمثلة مما احتفظت به العامية في الجزائر من الفصيح فهو أوسع من أن تكون هذه الامثلة تعريفا به ، ولا بد فيه من جمع مستوعب يتجاوز المدن الساحلية الى الداخل والى البوادي .

« لجنة المجلة »

كتب له أن يعمر أكثر من قرن وربع من السنين المظلمة العجاف ، للفرنسية فجعلها لغة البلاد عملا وتعليماً وسائر وجوه الإعراب •

لقد انتهى ذلك العصر واضطلع أهـل البلد بمصيرهم ووجدوا أن الواجب الاول هو أن تعود الهوية العربية فكان التعريب وعادت اللغة • ومن المعلوم أن اللغة تتأثر بالبيئة ، ومن هنا تظهر اللهجات ، وذلك باتصاف كل لغة بطرائق خاصة من المشكلات الصوتية الى أخرى صرفية ثم تتجاوز ذلك الى طرائق في الاستعمال • وعلى هذا كان لدينا لهجات عربية بل قل لغات اذا ما أخذنا بما يفرضه علم اللغة الحديث•

ومن الضروري أن أشير الى أن العربية في الجزائر ومثلها الى حد ما في تونس والمغرب قد اكتسبت صفات خاصة تميزها عن العربية في سائر أقطار المشرق • على أن العربية في هذه الاقاليم المغربية تختلف من قطـر الى قطر • وهي في كل منها ذات لون خاص وان كان شيء من عموميـة يجمع بينها • قد تقول ان في الفصيحة العربية شيئاً من الجزائر ، ولعلي أستعمل مصطلح الجزائريين فأقول : إن فيها شيئاً من « الجزأرة » •

إن « الجزأرة » هذه من مولدات الاخوان الجزائريين فهم يستعملونها في صحفهم وكتاباتهم فيقولون :

(١) ـــ جزأرة الإطارات كما قرأت ذلك في صحيفة الشعب الجزائرية في الخامس من أبريل ١٩٧٩ ، وكأنهم يقابلون بهذه « الجزأرة » ما يولده الفرنسيون مـن أسماء البلاد وأسماء الاعيـان فيقولون Arabiser و Algeriser وغيرهما أي صيَّر الشيء وجعله عربياً أو جزائرياً • ومثل هذا يقول التونسيون « تونسة الإطارات » •

وحديث « الإطارات » حديث ممتع غريب ، فهو من باب نقل المجاز من لغة الى أخرى . ان كلمة «الإطار» تقابل في الفرنسية « Le Cadre » والإطار عند الفرنسيين من الكلمات التي تستعمل على حقيقتها كما تستعمل مجازاً ، فهي على الحقيقة « الإطار » المعروف الذي تحاط به الصور والجداول ونحوها ، وهو الشكل المربع أو المستطيل المصنوع من الخشب أو غيره كما هو معروف . وهي على المجاز مجموع الافراد فنيين وغير فنيين ، ممن يعملون في مشروع أو معمل أو ادارة حكومية أو غيرها.

غير أن «الإطار» في العربية لاينصرف إلا الى معناه الحقيقي المستخدم للصور والجداول ونحوها . وهذا يعني أن صرفه الى هذا المجاز الجديد تأثر بالفرنسية ليس غير .

ومن شيوع استعمال « الإطارات » في أقاليم الشمال الافريقي تأثر بها المشارقة فصرنا نقرؤها قليلا في صحفنا المشرقية . وكأن المشارقة قد واجهوا الكلمة في اللغات الاوربية فلم يفزعوا الى « الإطارات » بل راحوا يعربون الكلمة الاعجمية فجمعوها على « كوادر » كما في كتابات طائفة من اللبنانيين .

ومن العجيب أن المغاربة عامة يميلون الى الجمع الصحيح المؤنث أكثر من ميلهم الى الجمع المكسّر فيقولون « إطارات » ولا يقولون « أُطُر » ويقولون « دينارات » ولا يقولون « دنانير » وان تجاوز المراد القلة العددية المعروفة ، وسنرى ذلك.

(٢) ــ واقرأ في الصحيفة نفسها :

وعلى هذه القاعدة نجد شركاتنا الوطنية « الفالسة » عن قناعة منها

ومن مسؤوليها ومصالح محاسباتها « تحشم » من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس لأنها .....

أقول : من غير شك إن أهل الصحف لا يميّزون بين « الفالسة » و « المفلسة » . ولم يعرفوا أن الفصيح المستعمل هو الرباعي « أفلس » وان الهمزة في هـذا الرباعي تفيد السلب نظـير « وعد » و « أوعد » و « عتب » و « أعتب » ومثل هذا كثير في العربية . وعلى هذا لا يصح أن نقول «فالسة» لعدم توفر المعنى وهو السلب أي عدم وجود«الفلوس» ومن غير شك ان الثلاثي لم يستعمل بهذا المعنى والصواب هو الرباعي « أفلس » .

ثم جاء في هذا الكلام المنقول من الصحيفة : نجد شركاتنا الوطنية الفالسة .... « تحشم » من أن تعلن ...

أقول : ان الفعل « حشم » من الكلم العامي الدارج . وكأن صاحب المقالة في الصحيفة أراد : ان الشركات ... تخجل من أن تعلن للشعب عن هذا الافلاس .

(٣) ـ ونستمر في النقل عن الصحيفة فنجد الكاتب يمضي فيقول: إن الشركات وجدت باباً جديداً يغطي هذا الافلاس ...

أقول : ان قول الكاتب : « يغطي هذا الافلاس » من الاساليـب المترجمة التي شـاعت في لغة الصحف ولغة أهل البحـوث الاقتصادية والاجتماعية في كثير من البلاد العربية . وكلمة « يغطي » هذه ترجمة لكلمة Couvrir الفرنسية في تعبير الجزائريين وغيرهم من المغاربة . وقد تكون ترجمة لكلمة Cover الانكليزية في لغة المشارقة.

(٤) ــ وجاء في جريدة الشعب المؤرخة في ٧ ابريل ١٩٧٩ في رد رئيس المجلس الشعبي لبلدية قصر البخاري على رسالة مواطن قوله :

إني لم ألبِّ كل طلبات سكان البلدية في العمل خاصة ذوي الاولوية من مجاهدين و « مسبّلين » وغيرهم .

أقول : إن كلمة « مُسبّلين » من المصطلح الجزائري الذي يتصل بأيام الثورة . وهي تعني جماعة خاصة ليست من المجاهدين حملة السلاح وانما تهتم بجمع المعلومات عن العدو ومعرفة وجوده والالمام بما يقوم به من أعمال وخطط ، وتسليم جميع هذه الفوائد الى العناصر الوطنية المسؤولة عن الثورة . ومن غير شك ان الكلمة ولّدت من كلمة«سبيل» لإفادة هذا المعنى الخاص .

ويحضرني في هذا الصدد ما أعرفه عن هذه الكلمة في العربية العراقية الدارجة ذلك أن طائفة كانت تحمل الماء في أوعية لتوزعه على أبناء السبيل العطاشى فكان كل أجرهم من هذا العمل أن يأتي أحد المحسنين ويهبهم مبلغاً ضئيلا من المال كفاء ما يقومون به من عمل في توزيع الماء . وفي هذه الحال ينادي حامل الماء على من « يسبّل » له أي المحسن الذي يهبه الاجر ليقوم بالعمل . كان هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة أما الآن فلم يبق شيء من هذا الرسم القديم .

(٥) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وأكّد المحافظ الوطني للحزب في تدخّله على ضرورة العمل ».

أقول : من غير شك إن تعدية الفعل « أكّد » بحرف الجر « على » من التأثر باللغة الاجنبية . وليس هذا التجاوز خاصاً بالجزائر ، فهو شيء

جارٍ في ترسل كثير ممن يكتبون في الصحف اليومية في أقاليم مختلفة •

وجاء أيضاً في المنقول عن الصحيفة نفسها: « أكّد ••• في تدخّله•»

أقول : إن كلمة « التدخل » تفيد معنى الخطاب أو الخطبة • أي ان المحافظ « أكّد في خطبته أو خطابه » • وهذا من غير شك مأخوذ من Intervention • ان الكلمة الفرنسية المشار إليها تعني « التدخل » أو «الدخول» بالمعنى الحقيقي،وهي من الفعل Intervenir أي دخل وتدخّل• غير أن الكلمة الفرنسية تعني أيضاً « الخطاب » الذي يتوجه به أحد المتكلمين في اجتماع من الاجتماعات ، فكأنه يدخل بخطابه أو يتدخل به بين جماعة المتحدثين في ذلك الاجتماع •

وهذا من باب نقل المجاز الاجنبي الى العربية التي لم تألف هذا المجاز ، ولم يرد في الاستعمال على هذا النحو •

(٦) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« وسيتميّز هذا الملتقى بتقديم عدة عروض تتمحور حول التحرير والاسلام » •

أقول : لقد صاغ بل ولّد الكاتب الجزائري الفعل « تمحور » من الاسم « مِحور » أي ان العروض تدور حول حرب التحرير والاسلام•

ومن غير شك ان ما دفع الكاتب الجزائري الى هذا التوليد هو عامل الترجمة أي ان الكلمة الاجنبية قد عرفها ووجدت في معجمه فكيف يكون المقابل لها في العربية فكان الفعل « تمحور » المقابل لـ « Axer » الفرنسي•ومن الملاحظ أن الفعل الفرنسي يتعدى بـ Sur التي ترجم بـ«على»•

وهكذا كانت الاصول الاجنبية مادة كبيرة لاستعمالات عربية معاصرة.

(٧) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« أشرفت التحضيرات الجارية بولاية الاصنام لتجديد هياكل « التسيير » بالوحدات الفلاحية .... ».

أقول : إن القارىء العربي في المشرق ليقرأ طائفة من الاستعمالات العربية في الجزائر فلا يهتدي اليها إلا بعد السؤال . إن «التسيير» المثبَت في العبارة المنقولة من الصحيفة يشير الى نوع مما يسمى بـ « التنفيذ الذاتي المباشر » وذلك أن الدولة قد تنفذ عن طريق سلطاتها التابعة لها مشروعاً خاصاً دون أن تجعله على ذمة شركة من الشركات . وعلى هذا يكون « التسيير » من الكلم الفني الجزائري.

ويتضح هذا في قولهم : « ومن بين الاجراءات التي اتُّخِذت في صالح القطاع الاشتراكي (المَزارع المسيَّرة ذاتياً) انطلاق حملة التطهير التي تمحورت أساساً على النقاط .... ».

(٨) ـ ونقرأ في الصحيفة نفسها :

« وقد جرت المعارك في شرق كمبالا « أين » يوجد الطريق المؤدي الى جينجا » .

أقول : لا بد أن نقف على استعمال « أين » هذه فنشير الى أنه استعمال خاطىء وذلك لأن « أين » من أسماء الاستفهام ومن الالفاظ التي لها الصدارة في الكلام ، في حين أنها جاءت في كلام الصحيفة ظرفاً كان ينبغي أن يكون في مكانها « حيث » لإفادة المكان . وقد جاءت في حشو الجملة ، وهي استفهام ليس غير ، حقها أن تكون صدراً.

ومن غير شك ان سبب هذه التجاوزات هو أن الكاتب الجزائري وجد الظرف « Où » في الفرنسية يكون ظرفاً بمعنى حيث في حشو الجملة ويكون اسم استفهام تصدر به جملة الاستفهام فخلط بين الاثنين وجعل المقابل لهما « أين » في العربية فكان ما كان .

(٩) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« لذا فإن « الإمضاء » على معاهدة السلام .... » .

وفيها : « وذلك شاهد على سوء نيّة «الممضين» على هذا الحلف» .

أقول : إن « الإمضاء » و « الممضين » في الصحيفة الجزائرية بمعنى ما يستعمل في الصحف المشرقية « التوقيع » و « الموقّعين » .

نعم إن هذا وذاك من الاستعمالات الحديثة وذلك لان العربية القديمة لاتعرف « الإمضاء » ولا « التوقيع » بهذا المعنى . غير أني سجّلت هذه الملاحظة لأشير الى أنها استعمال جزائري .

(١٠) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« ان القرارات المتخذة « من طرف » منظمة الامم المتحدة لم يراعَ فيها ... » .

أقول : إن استعمال الجزائريين خاصة والمغاربة عامة لعبارة « من طرف » ماكان ليكون إلا مقابلا بل ترجمة للاستعمال الفرنسي « de la part » .

(١١) ــ وجاء في الصحيفة نفسها :

« استدعاء العسكريين المتربصين في أمريكا » .

أقول : لا نعرف « تربّص » و « المتربّص » بمعنى التدريب والتعلم

والمتدرّب والمتعلّم إلا في الصحافة الجزائرية التي لا بـد أن تكون قد أخذتها من الاستعمال التونسي أو المغربي • ومن غير شك إن « التربّص » قد جعله التوانسة مقابلا للكلمة الفرنسية « Stage » ، والمتربّص من يؤدي هذا التدريب والامتحان • أما نحن المشارقة فنعبر عن هذا بأن « العامل » أو « الفني » يقضي « دورة تدريبية » •

(١٢) ـ وجاء في الصحيفة نفسها :

« قررت وزارة الدفاع الامريكية استدعاء ١٨٠٠ إطار بحري وإطارات أخرى »•

أقول : رأيت أن أعود الى لفظ « الإطار » الذي أسلفت الكلام عليه وذلك لان هذا الاستعمال الاخير أفرد كلمة « إطار » ـ ولم ترد جمعاً على النحو الاول ـ لتعني Les Cadres وهذا يعني أن « الإطار » مفرداً يعني أحد العناصر الفنية التي يُحتاجُ إليها في الدائرة والمصنع أو في أي مكان آخر •

(١٣) ـ وجاء في الصحيفة نفسها : « ازدياد »•

بمزيد من الفرح والسرور ينهي فلان بن فلان الى علمكم عن «ازدياد» الطفل الوسيم « ياسين ببيت السيد والسيدة العيدي حسين •••»•

أقول : ولا تعرف العربية أن« الازدياد » يعني الولادة أو المولد أو الميلاد • ان الخبر في الصحيفة ينبيء أن فلاناً رُزِق ولداً ، أو وُلدت زوجة فلان ولداً أسمته « ياسين » ، فأين « الازدياد » من الولادة ؟![1]

العلاقة بين هـذا وذاك أن كلمة « Naitre » أو Naissance التي تعني ولادة ، قد تفيد الزيادة والنماء في شيء من استعمالاتها • غير

(١) يحسن ان نتذكر هنا الآية الكريمة : « وما تغيض الارحام وما تزداد » • «لجنة المجلة»

أز هذا لايسوغ أن تكون « الولادة » « ازدياداً » . إن هـذا من عبث الترجمة الرديئة .

(١٤) ـ وتقرأ كل يوم في الصحف الجزائرية أخباراً عن مصالح الإسكان وأنها معنية بتهيئة « سكنات » ملائمة لذوي الدخل المحدود .

أقول : ان « السكنات » تعني « المساكن » وان الجزائريين يستعملون الجمع المؤنث السالم من غير حساب لما يدل عليه من أدنى العدد . وهكذا نجد دينارات ، والبناءات المدرسية وسكنات وغير هذا كثير . وقد تسمع الناس يتحدثون بعاميتهم الدارجة فيجمعون الكلمة الفرنسية جمع مؤنث فيقولون « بلاسات » ويريدون بها جمع Place أي مكان أو محل أو بقعـة .

(١٥) ـ وتدخل في مخزن كبير من المخازن الكبرى في مدينة الجزائر فتقرأ في لوح معلّق :

« زوروا أشعتنا » .

أقول : لا تفهم أيها القارىء أول مرة ما المقصود بالعبارة المكتوبة في اللوح . ما المراد بـ « الأشعة » ؟ وكيف تزار هذه « الأشعة » ؟

وبعد النظر تجد أن الترجمة الفاسدة لكلمة « Rayon » الفرنسية قد أدّت الى هذه الرطانة .

ان الكلمة الفرنسية تعني « الشعاع » شعاع الشمس أو الكواكب الاخرى ، كما تعني أيضاً جزءاً أو جهة من مخـزن صُفّت فيه مناضد للبضاعة ، وكل مجموعة من هذه المناضد خاصة بصنف معين منها ، ويطلق على كل مجموعة من هذه : « Rayon »

هـذا هو مجمل الامر ، ولكن المترجم أخطأه الصواب فأخذ كلمة شعاع مقابلا هذه الكلمة الفرنسية وأطلقه على مجموعة المناضد الحاملة للبضاعة في مخزنه الجزائري ، فكانت النتيجة هذا العبث الجديد.

تعريب المحيط

لقد أشرت الى أن الجزائريين قد حققوا معجزة كبيرة في عملية التعريب، فلم يقتصروا على التعليم وعلى الكتاب المدرسي وغيره وانما تجاوزوا ذلك الى المحيط العام . ان تعريب المحيط يعني انك لا تجد لوحاً أو لافتة في الجزائر كلها بغير العربية ، وبالعربية وحدها ، وهذا شيء كبير.

وانك لتجد أشياء جميلة كأن تقرأ لوحاً مكتوباً عليه « حمّام ــ مِرَشّ » أي أن الكلمة الاخيرة تقابل « Douche » الفرنسية . وانّك تقرأ لوحاً معلقاً على دكان للحلاقة كلمة « مزيّن » . وهذه الكلمة التي هجرها المشارقة أنسب من الحلاّق والحلاقة .

ولقد قضى تعريب المحيط على أنماط كثيرة من التعابير الاعجمية التي استبدل بها الكلم العربي الفصيح .

نعم قد تكون بعض العبارات العربية التي تنشر في المحيط غير ملائمة وذلك بسبب الترجمة الحرفية ، كأن تقرأ في مخزن ما : « آخر صرخة ». يريدون بها آخر صنف من البضاعة الجديدة وهي ترجمة لـ Dernier Cri

ومن السارّ أنك تقرأ عبارة «الأروقة الجزائرية» لتقابل Les galeries والمراد بها المخازن الكبرى للبضائع المختلفة .

نماذج أخرى

اذا كنّا نقف في لغة الجزائريين على الجديد الذي يبتعد عن الفصيح

القديم[1] فلا بدّ لنا أن نستدرك فنقول إن العامية الجزائرية قد احتفظت بسواد فصيحة لانعرفها نحن المشارقة ولا نجدها إلا في بطون المعجمات.

ومن ذلك : نَوء : ويعني المطر .

عقَبة : مرتفَـع .

سُوَيقة : تصغير سوق . ومن المعلوم أن هذا جار على الفصيح المشهور من أن تصغير المؤنث غير المختوم بتاء التأنيث تردّ له تاؤه في مصغَّره مثل أُذُن وأُذَينة وعَين وعُيَيْنة وكذا سوق وسويقة.

دُوَيْرة : الدار الصغيرة .

عِجار : العجار ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تَجلببُ فوقه بجلبابها . ومثله المِعجَر .

الثنيّة : الطريق المعطوف أو عطفة الطريق.

جِروات : جمع جرو وهو ضرب من القَرَع . جاء في كتب اللغة:

الجِروُ والجِروة الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثّاء والرمان والخيار والباذنجان .

جايحة : مايصيب الزرع من آفات أو وباء . والجائحة في فصيح

(١) يقول الجزائريون: «قارورات الغاز» للاسطوانات المعبأة بالغاز المستخدم وقودا. ومن المعلوم أن «القارورة» واحدة القوارير من الزجاج، والعرب تسمي المرأة القارورة وتكني عنها بها . وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى : « قواريرا قوارير من فضة » معناه أواني زجاج في بياض الفضة وصفاء القوارير . قال ابن سيده : وهذا حسن .

غير أن الجزائريين استعاروا القارورة لأسطوانة الغاز ، وهو جديد قائم على التصور الخاطىء . ثم انهم جمعوها جمعا مؤنثا سالما كما هو المألوف عندهم ولم يفطنوا للجمع في الآية الكريمة .

العربية الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة.والجائحة آفة تجتاح الثمر أيضاً وهذا هو الاستعمال الجزائري .

جايح : هو السفيه عندهم ، لعلها على التشبيه بالجائحة أي النازلة والآفـة .

فايح : هو السفيه أيضاً وقد تكون من باب الاتباع : جايح فايح.

عتاد : العتاد العدّة والجمع أعتدة وعُتُد . قال الليث : والعتـاد الشيء الذي تعدّه لأمر ما وتهيّئه له . وأعتدَ الشيءَ أعدّه . قال تعالى : « وأعْتَدَتْ لهنّ مُتَّكَأً » .

ومن المفيد أن أشير الى أن « العتاد » في لغة المشارقة المعاصرة اقتصر على السلاح دون غيره في حين أن الكلمة احتفظت بمعناها الاصيل في القطر الجزائري .

عَوْد : العَوْد عند الجزائريين هو الحصان في حين أن معناه في كتب اللغة الجمل المُسِنّ وفيه بقيّة .

هيّا : بمعنى تعال . ينادي الجزائري مثلا ولده الصغير فيقول : هيّا.

خاتمة :

هذه فوائد يسيرة تهيّأت لي خلال اقامة قصيرة في القطر الجزائري رأيت من المفيد أن أشير اليها للفائدة التاريخية في فهم واقع لغتنا المعاصرة .

بغداد ــ كلية الآداب ابراهيم السامرائي

الهند في الأدب العربي الحديث *

إي. كي. أحمد كتي

إن الصلات بين الهند والعرب تعود الى أزمنة موغلة في القدم . ولقد كانت صلات تجارية ودبلوماسية بين الشعبين منذ قديم الزمان ، بل قبل زمن التاريخ ؛ ثم جاء الاسلام فتطورت هذه الصلات وأصبحت علاقات روحية ودينية وثقافية واجتماعية وسياسية.وأما في العصر الحديث فازدادت العلاقات العربية الهندية قوة وعمقاً وتنوّعاً ، وتقوم الآن بين البلاد العربية والهند مؤاخاة وتواد وروابط وثيقة وتعاون وتظاهر في شتى المجالات .

إن الهند وحضارتها وثقافتها كانت موضع الاعجاب والتقدير عند العرب منذ زمن قديم . وكثير من الرحالين العرب المشاهير زاروا بلاد الهند وساحوا فيها وشاهدوا فيها ما شاهدوا ، ثم دوّنوا كل ما رأوا وما سمعوا في كتبهم،فكتبوا عن مناخ الهند وطبائع أهلها وعاداتهم وتقاليدهم

(*) هذه مقالة قراها الكاتب في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٨ في الندوة عن « عن الاتجاهات الحديثة في الادب العربي الحديث.».

(Seminar on modern Trends in Arabic literature)

انعقدت في كلية مانباد ، مانباد ، كيرالا ، جنوب الهند من ٢٤ الى ٢٩ ديسمبر ١٩٧٨ ،تحت رعاية يونيفرستي گرانتس كميشن University Gryants Commission of India

ودياناتهم وعباداتهم ، كما وصفوا لنا أشجار الهند وثمارها وأنهارها . ومن هذه المؤلفات العربية التي مازلنا نقرؤها حتى أيامنا هذه كتب البيروني والمسعودي وابن بطوطة .

ولكن كل هذا قصة قديمة . فماذا يقول الادب العربي الحديث عن الهند ؟ هذا ما يهمنا في هذه المقالة .

على الرغم من مزيد الاتصالات التي تقوم بين الهند والاقطار العربية لا نرى في الادب العربي الحديث مواد كثيرة تتعلق بالهند وشؤونها. وهذا يبدو غريباً ، ولكنه الحقيقة . واذا قارنّا بين ما تشتمل عليه الكتب العربية القديمة التي أشرنا اليها آنفاً من المعلومات عن الهند، وبين مايتضمن الادب العربي الحديث من الامور المتعلقة بالهند ، رأينا أن الاخير قليل جداً بالنسبة الى الاول .

وكان متوقّعاً أن توجد دراسات محققة شاملة عن الهند والمواضيع المتصلة بها ، في الادب العربي الحديث . ولكن هذا لم يحدث .

انما أريد أن الادب العربي الحديث لا يشتمل على مواد وافرة عن الهند كما ينبغي أن يكون . ولا أريد أنه خال كل الخلو من الذكر للهند والاشارات إليها . لأن هناك في الادب العربي الحديث ذكراً للهند وإشارات اليها ومحاولات لدراسة ثقافتها وآدابها وفنونها وأحوالها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها من الامور المتصلة بالهند مما لايمكن أن يُهمَل . وانّي أحاولُ في هذه المقالة نظرة وجيزة الى ما يقول الادب العربي الحديث عن الهند . فلنبدأ بالعلاقات بين الهند والعرب ، تمهيداً لبحثنا في نواحي الموضوع الاخرى.

العلاقات العربية الهندية

إن العلاقات العربية الهندية موضوع هام ، ليس بالنسبة لأهل الهند والعرب فقط ، بل لجميع بلاد العالم • لأن هذه العلاقات هي أكثر إيغالا في القدم من أية علاقة بين الاقطار في تاريخ العالم • وان هذه العلاقات لعبت دوراً هامّاً في تكوين تاريخ البشر وأثّرت في مجراه تأثيراً فعّالاً• ولكن هذا الموضوع ، مع أهميته الدولية لم ينل اهتماما يستحقه عند المؤلفين باللغة العربية في البلاد الهندية ولا في البلاد العربية • وقد وُضعت بعض المؤلفات في هذا الموضوع مثل « أثر ألاسلام في الثقافة الهندية»
(Influence of Islam on India Culture)
للدكتور تاراشاند بالانكليزية و « العلاقات العربية الهندية » (عرب - و - هندكي تعلّقات) للسيد سليمان الندوي بالأوردية • ولم يكن مثل هذه الدراسات موجوداً في اللغة العربية،الى أن ظهر فيها كتاب الدكتور سيّد مقبول أحمد « العلاقات العربية الهندية » ، كتبه أصلا باللغة الانكليزية ثم نقله الدكتور نقولا زيادة الى العربية(*)• وهذا الكتاب يشتمل على دراسة شاملة عن الصلات بين الهند والبلاد العربية منذ أقدم الازمنة الى أواخر القرن الماضي ، ويتناول جميع نواحي هذه الصّلات والآثار الحميدة التي خلّفتها في الشعبين الهندي والعربي • ولكنه ، كما يعترف المؤلف نفسه،لم يتناول القرن ونصف القرن الماضيين « لأن المعلومات والمادة التي بين أيدينا كثيرة ومتنوعة الى حد أنها تحتاج الى دراسة خاصة »[1] •

(*) الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ •

(١) « العلاقات العربية الهندية » للسيد مقبول احمد ، ترجمة نقولا زيادة ، ص ٢٢٤ •

وهذا يعني أن الادب العربي الحديث لا يزال يعوزه دراسة عن العلاقات العربية الهندية في الزمن الحالي . فلننتظرها حتى تظهر .

وجدير بالذكر هنا محاولة محمودة للدكتور جميل أحمد من جامعة كراتشي بباكستان وهي مقالته « الصلات اللسانية بين الهند والعرب » نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق(١) . ويتناول فيها الكاتب دراسة موجزة عن التبادل والتعاون بين الهند والبلاد العربية في مجال الثقافة العربية والاسلامية أثناء العصور المتعاقبة ، فيبحث عن تأثر كل واحد من الجانبين الهندي والعربي بالآخر ، وفتح العرب وآثاره في الثقافة العربية والاسلامية ، في الهند ، والعلماء الواردين بأرض السند ، والعلماء من أهل السند ، ومكانة اللغة العربية في العصر الغزنوي وما يليه من العصور في الهند . ولكنه في دراسته لا يتجاوز القاضي عبد المقتدر الكندي التمانيسري ثم الدهلوي (توفي ١٩٧١/١٣٨٨) . وبذلك ، فإن هذه المقالة قاصرة بالنسبة للثقافة العربية والاسلامية في الهند في العصر الحديث .

ثقافة الهند ــ شعرها وآدابها وعلومها وفنونها

فلنلتفت الآن الى الثقافة الهندية كما تنعكس في الأدب العربي الحديث .

إن ثقافة الهند ــ علومها وفنونها وآدابها وغيرها من مكونات الحضارة الهندية العتيقة ــ كانت دائما موضع الاعجاب والتقدير عند

(١) الجزء الرابع ، المجلد الخمسون ، شوال سنة ١٣٩٥ هـ ، تشرين الاول سنة ١٩٧٥ م ، ص ٧٧٧ــ٨٠٥ .

كتّاب العربية منذ زمن قديم ، وكتبوا عنها كثيراً كما أشرنا اليه من قبل.

وأما في الادب العربي الحديث ، فإن أول كاتب اعتنى بهذا الموضوع بعض الاعتناء هو جرجي زيدان . وهو وإن لم يُجْرِ دراسات مستقلةعن الثقافة الهندية ، فإن تصانيفه مثل « تاريخ آداب اللغة العربية »«وتاريخ التمدن الاسلامي » تضمَّن بعض الاشياء التي تتّصل بهذا الموضوع . مثلا : حين يتكلم عن الادب العربي في العصر العباسي الاول يذكر الكتب الهندية القديمة في علم الطب وعلم النجوم وعلم الحساب وعلم الموسيقى التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية[١] . ويقول إن نحو ثلاثين كتاباً من اللغة السنسكريتية أكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب نُقلت الى العربية في هذا العهد[٢] . ونستطيع أن ندرك مدى تأثر العرب بالعلوم الهندية والآداب الهندية ممّا يقول جرجي زيدان بهذا الصّدد : « ويظهر ممّا كتبه المسلمون بعد العصر العباسي في الادب أو الطب أو الصيدلة أو السِّيَر أنهم اعتمدوا في جملة مصادرهم على كتب هندية الاصل »[٣] .

والدكتور أحمد أمين ، وهو كاتب عربي عصري آخر ، تناول في كتبه الثقافة الهندية القديمة وتأثيرها العميق عند العرب ببعض التفصيل . وقد وضع فصلا مستقلا للثقافة الهنديّة والآداب الهنديّة وتأثيرها

---

(١) انظر ص ٣٣٦ و ٣٣٧ من « تاريخ آداب اللغة العربية » تاليف جرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

(٢) الكتاب نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٣) « تاريخ التمدن الاسلامي » تاليف جرجي زيدان ، مطبعة الهلال ، سنة ١٩٣١ ، الجزء الثالث ، ص ١٩٨ .

عند العرب في الجزء الاول من كتابه « ضحى الاسلام »[1] ، ويبحث في هذا الفصل عن الفلسفة الدينية ، والتعاليم الرياضية ، والقصص والحكم الادبية ، والشعائر والتقاليد الاجتماعية وغيرها من عناصر الثقافة الهندية بحثا مفصلا ، ويبيّن كيف أثّرت هذه في آداب العرب وثقافاتهم وذابت في المملكة الاسلامية حتى صارت عنصراً هاماً من عناصر تراث العرب العقلي •

طاغور وإقبال :

وعلى الرغم من الصلات الزائدة النامية بين الهند والبلاد العربية في العصر الحديث ومن الحب والاحترام اللذين يكنّهما العرب للهند ، فمن الغريب أن معرفة العرب بثقافة الهند وآدابها وفنونها الحديثة قليلة وتافهة جداً • ولكن رابيندرنات طاغور والدكتور محمد إقبال استثناء لهذا ، لأن العرب لايعرفون عن أيٍّ من رجال الهند البارزين في حقول الفن والأدب والشعر كما يعرفون عن هذين الشاعرين الكبيرين•

ويبدو أن رابيندرنات طاغور حصل على حظوة خاصة ممتازة عند العرب قبل أن يعرفوا شيئاً عن الدكتور محمد إقبال وشعره • فبذلك نرى الاستاذ الكبير أبا الحسن علي الحسني الندوي يشكو بهذه الكلمات حين يتكلّم عن دوافع تأليف كتابه « روائع إقبال » : « ••• وكان يغيظنا أن طاغور أشهر في الاقطار العربية من اقبال ، واعجاب اخواننا العرب والادباء في مصر وسورية بشعره أكثر ، وكنّا نعدّ ذلك تقصيراً منّا

(١) انظر « ضحى الاسلام » تاليف أحمد امين ، الطبعة العاشرة ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ص ٣٣٩ وما يليها •

في التعريف بشعر إقبال ...»[١] . والكتّاب المحدثون من العرب مثل الدكتور طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ معجبون بطاغور إعجاباً شديداً .

وفي رأي طه حسين ، أن شعر طاغور يتفوق على شعر شعراء العرب المحدثين الكبار مثل شوقي وحافظ ابراهيم والبارودي أو مطران لأنّ « شعر طاغور شعر انساني ، وان شعر شعرائنا شعر أشخاص وظروف . ولطاغور فلسفة كما للمعري وللمتنبي فلسفة . فأين فلسفة شوقي أو حافظ أو البارودي أو مطران ... »[٢]. وحَسْبُ أهل الهند مفخرة أن الاديب العربي الكبير طه حسين يُفضّل شاعرهم المحبوب على كبار الشعراء في لغته وأمته ووطنه .

وحتى كاتب اسلامي معاصر شديد التحمّس للاسلام مثل محمد قطب لم ينجُ من التأثر بهذا الشاعر الهندي الكبير . وفي كتابه « منهج الفن الاسلامي »[٣] يقول إن طاغور وان كان هندوكيّاً راسخ القدم في الهندوكيّة يلتقي في شعره مع منهج الاسلام الفنّي في بعض نقاطه مثل مودّته وحبه نحو الوجود الكبير والحياة والاحياء وحبه الجميل للانسانية، ودعوته الدائمة للسماحة والخير بين الناس ، وانفلاته من ثقلة الضرورة ، وانطلاقه الى عالم الطلاقة والنور . ثم يستشهد الكاتب على هذا ببعض قصائد لطاغور منقولة الى العربية .

---

(١) « روائع إقبال » للسيد ابو الحسن علي الحسني الندوي ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م — ص ٨

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الثاني عشر — علم الادب ٢ — القسم الاول . دار الكتاب اللبناني — بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٤ ، ص ٤٦٤ .

(٣) « منهج الفن الاسلامي » لمحمد قطب ، دار الشروق ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

وقد نقلت الى العربية رائعة طاغور « كيتانجلي » . والى جانب هذا كثير من كتاباته ، نثراً وشعراً ، ترجمت الى اللغة العربية ، منها « بين الحب والعبادة» وهو ترجمة عربية لمسرحية غنائية لطاغور «شترا وارجنا» عرّبها مهدي وكامل العبد الله[1] ، و « طاغور : مسرح وشعر » ، ترجمة يوحنا قمير[2] ، و « مختارات من طاغور » وهو ترجمة لحياة الشاعر وتعريف بأدبه[3] .

والشاعر الهندي الآخر الذي أقبل عليه العرب في العصر الحديث إقبال الود والحفاوة ، كما أشرنا اليه من قبل ، هو الدكتور محمد إقبال . ولا عجب ، فإن شعره الاسلامي الذي يمتاز « بالطموح والحب والايمان » كما يصفه السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي[4] قد سيطر على مشاعر العرب والمسلمين وأحاسيسهم . والكتّاب العرب ، خصوصاً المسلمين منهم ، معجبون بشعره وفلسفته اعجاباً شديداً ؛ ويوردون أبيات شعره ومقاطيعه في كلامهم وكتاباتهم استشهاداً أو توضيحاً أو تدبيجاً لما يقولون أو يكتبون . ومحمد قطب،الكاتب الاسلامي المعاصر الذي أشرنا اليه آنفاً يثني في كتابه « منهج الفن الاسلامي » ثناء خالصاً جزيلا على إقبال ويحلل مزايا شعره وفلسفته في أسلوب بديع رائع .

وقد قامت ، حديثاً ، محاولات عديدة لتعريف اقبال وشعره وفلسفته للعرب . ومن أحسن هذه الدراسات عن إقبال « روائع إقبال » للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي . ولم ينقل الاستاذ الندوي في هذا

(١) نشرة دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

(٢) نشرة دار الشروق ، بيروت ، ١٩٦٧ .

(٣) وقام الاستاذ بديع حقي بترجمات رائعة لروائع طاغور ـ « لجنة المجلة » .

(٤) « روائع إقبال » للسيد ابو الحسن علي الحسني الندوي ، ص ٦ .

الكتاب بعض أشعار إقبال فقط ، بل تناول فيه دراسة شاملة عن حياة إقبال وثقافته وشاعريته ، ومنتجاته الادبية ، والعوامل التي كونت شخصيته ونظرته الى الحضارة الغربية وتصوره عن « الانسان الكامل » .

وقد نقل الاستاذ الندوي في كتبه الاخرى مثل « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و « الطريق الى المدينة » أيضاً بعض أشعار إقبال .

ومن العرب الذين حاولوا أن يُعَرِّفوا إقبال لمواطنيهم الاستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام . وقد نقل الى العربية كثيرا من شعر إقبال ؛ وظهرت له عدة دواوين في هذه السلسلة . منها « رسالة المشرق »، و « ضرب الكليم » و « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » و «جاويد نامه »[1] . ولا شك أن عمل الدكتور عبد الوهاب عزام هذا مأثرة أدبية جليلة تستحق كل تقدير وثناء وشكر . ومع هذا نلاحظ هنا أن عمله في ترجمته لشعر إقبال الى العربية ليس خاليا من الضعف . وقد انتُقِد عليه أنّ ترجمته لا تعطي صورة كاملة واضحة لفكر إقبال ورسالته ولا تؤثّر في نفس القارىء كما يفعل شعر اقبال الاصلي . وسبب هذا الضعف والتعقيد في الترجمة يرجع ، في الاكثر ، الى أن عبد الوهاب عزام ترجم الشعر بالشعر ، وذلك الذي أفقد شعر إقبال قوته وانسجامه وأفقد الترجمة بهاءها وتأثيرها .

وإن عدة قصص وروايات هندية عصرية قد اتخذت سبيلها الى

(١) صدر عن اقبال كذلك في سورية كتاب باسم ذكرى محمد اقبال ضم الكلمات التي قيلت في حفل اقيم في ١١ حزيران ١٩٦٤ كتب مقدمته الدكتور الزميل عبد الكريم اليافي عضو مجمع اللغة العربية وبعد كلمات الدكتور اسعد النص وزير الثقافة آنذاك ، والدكتور جورج طعمه ، والاستاذة سمر العطار والشاعر عبد الرحيم الحصني ، وفي سنة تالية كتب الدكتور اليافي مقالة في مجلة مجمع اللغة العربية (مج ٥٤ ج ٣) بعنوان محمد اقبال فيلسوف الذات وشاعر الفن . هذا وللدكتور احسان حقي كتابات كثيرة عن اقبال « لجنة المجلة »

اللغة العربية عن طريق الترجمة . ومنها « شمّين » (CHMMEEN) الـرواية المليالمية المشـهورة لتكـزي شيـو شنـكر بـلاي (Thakazhi Shivashankara Pilla) عرّبها محيي الدين الآلوائي .

دور الصحافة :

وعلينا ألاّ تنسى السعي المشكور الذي تقوم به الصحافة العربية في تعريف الثقافة الهندية للعرب وترويجها بينهم . وقصب السبق في هذا المجال لـ « صوت الشرق » ، وهي مجلة شهرية ثقافية مصورة تصدر من القاهرة ، وقد دخلت في السابعة والعشرين من عمرها . ومن أهدافها تقديم ألوان الادب الهندي والفن الهندي والسينما الهندية والثقافة الهندية الى قراء العربية . وجنباً الى جنب ، تنشر الآداب والفنون والثقافة العربية . وهكذا ، تهدف الى توثيق الروابط والصداقة بـين الشعبين الهـندي والعربي . وقد نتج عن هذا العمل المتصل الدؤوب اعداد مجموعة من القصص الهندية صدرت لأول مرة في كتـب مستقلة باللغة العربية عن « صوت الشرق » .

والمنشورة الاخرى التي تقوم بمجهودات محمودة في هذا المجال هي « ثقافة الهنـد » ، مجلة عربية تصـدر عن « مجلس الهند للروابط الثقافيـة » Indian Council for Cultural Ralation بنيـودلهي . وغرض هذه المجلة أن تعرّف العرب بمختلف جوانـب الثقافة الهندية كالفنـون والآداب والفولكلور الهنـدي والديانات الهنـدية والفلسفة الهندية والتصوف الهندي عن طريق تعريب المقالات القيّمة الاصـيلة للعلماء الثقات في هذه الحقول .

سياسة الهند

ان الاحوال السياسية في الهند كانت دائما موضع الاهتمام والاعتناء عند العرب • لأن الهند والبلاد العربية جميعاً كانت تمر بنفس الادوار التاريخيـة حول منتصف القرن الحالي • وقضايا الشعبين ومطالبهما ومطامحهما كلها كانت متشابهة متجانسة في هذه الفترة من تاريخهما • فمن البديهي أن كل واحد من الشعبين أظهر اهتماماً بالغاً بما يحدث عند الآخر من الحوادث والتطورات •

وكان العرب ينظرون الى حركة الاستقلال الهندية بنظر الاعجاب والتقدير منذ أول عهدها • وكان العالم النابغ والمصلح الاسلامي الكبير السيد جمال الدين الافغاني (توفي ١٨٩٧ م) قد زار الهند ، وقال لأهل الهند هذه الكلمات المشهورة وهو راحل منها : « وعزّة الحق وسر العدل، لو أن ملايينكم مُسِخَت ذُباباً لأخرجت الانجليز بطنينها من الهند • ولو انقلبت سلاحف وخاضت البحر الى الجزر البريطانية لجذبتها الى القاع ! »[1] •

مهاتما غاندي والعرب :

والزعيم الهندي الذي نال حظاً أوفر من تعظيم العرب وحبهم هو مهاتما غاندي • ومن أسباب حفاوته عند العرب تأييده المتصل لقضايا العرب كقضية فلسطين • وكان غاندي يكن الكثير من الاحترام لسعد زغلول باشا الزعيم الوطني المصري الكبير•

ولم يخلص الادب العربي الحديث من التأثر بعظمة غاندي وشخصيته الفذة ، فمثلا المرحوم أحمد شوقي أمير الشعراء قد أعجب بغاندي

(١) تاريخ الادب العربي لأحمد حسن الزيات ، الطبعة السادسة والعشرون ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٤٠ •

اعجاباً شديداً[١] . وعبَّر الشاعر عن تقديره له في قصيدة له عنوانها « غاندي »[٢] ، نظمها تحية لغاندي حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ في طريقه الى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن لمفاوضة الحكومة البريطانية،مطلعها:

بني مصر ، ارفعوا الغار   وحيّوا بطل الهند
وأدّوا واجباً واقضوا   حقوق العلم الفرد

لايرى الشاعر غاندي كأحد من الزعماء السياسيين الذين تعرفهم، بل يرفعه الى درجات سامية فيضعه في زمرة الانبياء والمرسلين ، فيقول:

على إفريز راجبوتا   نا[٣] تمثال من المجد
نبيٌ مثل كونفوشيو   س ، أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل   من المنتظَر المهدي
شبيه الرسل بالذود   عن الحق ، وفي الزهد

فيقول الشاعر إن تلك القوة الروحية التي جُبِل عليها غاندي لا تُعطى إلا لذي حظ عظيم ، وإنما تأتي الى الانسان « بتوفيق من الله » و « تيسير من الشعب » ، فلا تُحصَّل بالاسباب المادية والقوة العسكرية ولا بالمال ولا بالكدح والكد .

ولكن هبة المولى   تعالى الله للعبد

وفي آخر القصيدة ينصح الشاعر غاندي ليكون على حذر ويقظة من مكر الانجليز في مفاوضاته معهم في مؤتمر المائدة المستديرة ،

(١) انظر تفاصيل هذا في مقالة هذا الكاتب بعنوان «احمدشوقي وحركة الاستقلال الهندي» . نشرتها « ثقافة الهند » ، مجلس الهند للروابط الثقافية ، نيودلهي ، المجلد ٣٦ ، العدد ١-٢ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٧-٤٦ .

(٢) الشوقيات ، المكتبة التجارية الكبرى ، الجزء الرابع ص ٨٣-٨٥ .

(٣) «راجبوتانا» اسم الباخرة التي أقلت غاندي من الهند الى لندن .

التي يذهب ليحضرها ، ويطلب منه أن يلاقي الانجليز ملاقاة « الند للند » ويحبط مكايدهم :

ولاقِ العبقـــــريين لقـــاء النـــدّ للنـــدّ
وقـــل هاتـــوا أفاعيـــكم أتـــى الحـــاوي من الهند

وقد ألّف عن غاندي عدة كتب في اللغة العربية • منها : « غاندي قديس السياسة » لفؤاد محمد شبل[1] • وهذا الكتاب ، على صغر حجمه ، دراسة شاملة لجميع جوانب حياة غاندي وشخصيته وفلسفته وأفكاره • وقد مهد الكاتب كتابه بهذه الكلمات المأثورة عن غاندي :

« لا تُفادُ القوة من القدرة البدنية لكنها تنبع من الارادة ، الارادة التي لا تُقهر والتي يجب ألاّ تخشى سوى الله • إن الطاغية يتدثّر بالقوة ويتقلّد مظاهر المادة إلا أنه يتجرد من الطاقة الروحية ، انه ليستحيل قهر الروح واخضاعها لإرادة أي مخلوق » •

وقد نُقل كتاب غاندي في ترجمته الذاتية My Experiment with Truth الى العربية بعنوان « في سبيل الحق أو قصة حياتي » عـرّبه الاستاذ محمد سامي عاشور •

جواهر لال نهرو أيضا حصل على حفاوة عظيمة عند العرب • وكثير من الكتّاب العرب كطه حسين معجبون به إعجاباً شديداً[2] • وقد وُضعت عدة كتب عربية عن حياة نهرو وأعماله ، منها كتاب نُشر حديثا: « نهرو ـــ شخصيته من كتاباته » •

(١) . نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ •

(٢) « العلاقات العربية الهندية » للدكتور مقبول احمد ، تعريب نقولا زيادة ، ص٢٢٨ •

وأما أندرا غاندي رئيسة وزراء الهند ، فيبدو أنها ، ولو كانت تنزل منزلة عالية في أعين العرب مثل أبيها ، قد أنزلت بعض الشيء من ذلك المحل الرفيع لمّا فرضت « حالة الطوارىء » على الهند ، فانتقدها جزء من الصحافة العربية انتقاداً مرّاً لإعلانها لحالة الطوارىء في الهند وتصرفاتها المريبة في أثناء تلك الفترة ، ومن هذه الصحف « مجلة رابطة العالم الاسلامي » وأسبوعيتها « أخبار العالم الاسلامي » •

مولانا محمد علي :

والزعيم الهندي الآخر الذي نزل من نفوس العرب منزلة الحب والحفاوة والتقدير هو مولانا محمد علي ، وذكره أيضا أحمد شوقي في شعره[١]• ولمّا مات البطل الهندي المسلم في سنة ١٩٣١ ، رثاه بقصيدة[٢] أنشدها في حفلة تأبين كبيرة أقيمت له في القاهرة ، مطلعها :

بيت على أرض الهدى وسمائه   الحق حائطه وأس بنائه

ويشير الشاعر الى أن الفقيد دفن في بيت المقدس وفقاً لوصيته قبل موته ، فيخاطب القدس ويطلب منها أن تضم هذا الزعيم الكبير الى حضنها وتكرم مثواه لانه هو « سيف الهند » ، و « سيف الله » وبطل كبير قام بحقوق الشرق والاسلام ومصالحهما :

ياقدس،هيِّىءْ من رياضك ربوة   لنزيل تربك ، واحتفل بلقائه
هو من سيوف الله جل جلاله   أو من سيوف الهند عند قضائه

---

(١) انظر تفاصيل هذا في مقالة هذا الكاتب بعنوان «أحمد شوقي وحركة الاستقلال الهندي» في مجلة « ثقافة الهند » المشار اليها من قبل •

(٢) الشوقيات ، الجزء الثالث ، ص ١٢ ، ١٣ •

فتَــحَ النبــيُّ له منــاخ براقه ومعــارج التّشريف مــن إسرائه
بطــل حقوق الشــرق من أحماله وقضيَّــة الاســلام مــن أعبائه

ويرى الشاعر أن محمد علي ليس غريباً في القدس ، بل هــو من أبنائه بسبب خدماته الجليلة للاسلام والمسلمين :

نم في جــوار الله ما بِكَ غربة في ظــل بيت أنــت من أبنــائه

وهذا التشريف العظيم ، أي دفنه في بيت المقدس ، استحقه الفقيد كل استحقاق لأنه ، كما يقول الشاعر ، كرّس حياته لنصرة القضايا العربية والاسلامية والجهاد في سبيلهما :

قد عشــت تنصره وتمنــح أهله عونا ، فكيــف تكون من غربائه ؟

المسلمون في الهند والثقافة الاسلامية والعربية فيها

لاتزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوي في دينه غني بعلمه وبرجاله وتراثه الثقافي وهم يكونون أقلية ذات شأن وخطر في الهند تعتز بخدماتها الجليلة لوطنها منذ ألف سنة . ولكن ، من المؤســف أن العرب وجلّهم مسلمون لا يعرفون كثيرا عن اخوانهم في بلاد الهند وتاريخهم وأحوالهم . فلذلك أصبح أدبهم الحديث ناقصاً بالنسبة لهذه الناحية .

ونذكر بهذا الصدد السعي المشكور الذي قام به المرحوم العلامة السيد عبد الحي الحسني مدير ندوة العلماء الاسبق (م ١٣٤١ هـ) وهو أبو الاستاذ الكبير أبي الحسن الندوي . فقد ألّف في تراجم أعيان الهند كتابه المشهور « نزهة الخواطر » في ثمانية مجلدات ضخمة تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفي تاريخ الهند العلمي والتعليمي « عوارف

المعارف » الذي أصدره المجمع العلمي بدمشق باسم « الثقافة الاسلامية في الهند » . ولكتب السيد عبد الحي الحسني فضل عظيم في تعريف تاريخ مسلمي الهند وأحوالهم وتراثهم الثقافي والعلمي لإخواننا العرب.

واتبع خطوات هذا الاب الجليل ابنه الألمعي النابغ الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي . ومن عادته أن ينتهز كل فرصة ، سواء كان خطبة أو كتابة ، كي يشيد بذكر مسلمي الهند وتراثهم الغني في مجالات مختلفة . وكتابه « المسلمون في الهند »[1] دراسة شاملة لتاريخ المسلمين في الهند وأحوالهم الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية .

ومن الجانب العربي ، بذل بعض الادباء والكتاب الكبار جهدهم لتعريف مسلمي الهند وأحوالهم لمواطنيهم ، ومنهم الاستاذ عبد المنعم النمر الذي ألف كتاب « الاسلام في الهند » وهو أول كتاب يصدر في الشرق العربي في هذا الموضوع ويسد عوزاً كبيراً في المكتبة العربية .

ومنهم أيضاً الاستاذ علي الطنطاوي كتب عدة مقالات عن المسلمين في الهند وتاريخهم وأحوالهم ، منها « الفردوس الاسلامي في قارة آسيا » مقالة كتبها في مجلة « المسلمون »[2] على أثر زيارته للهند ، ويستعرض فيها الكاتب تاريخ الهند الاسلامي وملوكها المسلمين خلال العصور. وفي كتاب علي الطنطاوي « رجال من التاريخ » أيضا ذكر لبعض نوابغ المسلمين في الهند .

---

(١) نشرته مكتبة دار الفتح بدمشق.

(٢) العدد الخامس من المجلد الرابع نقلا عن « مختارات من ادب العرب » للاستاذ ابي الحسن علي الحسني الندوي ، الجزء الاول ، ص ١٥٠ ومايليها ٩

والمصلحون الاجتماعيون والدينيون والتعليميون من مسلمي الهند مثل سير سيّد أحمد خان والسيد أمير علي نالوا اعتناءً عند بعض الكتّاب والادباء في الادب العربي الحديث ، مثلاً ؛ يبيّن جرجي زيدان في كتابه « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » خدمات سيّد أحمد خان في النهضة العلمية الاخيرة في بلاد الهند[1] • ويذكره أيضا الدكتور أحمد أمين في كتابه « زُعماء الاصلاح » •

ومن المعروف أن الأمة المسلمة في الهند لها يد بيضاء في الآداب العربية • وقد ألّف أدباؤها وعلماؤها وكتّابها كتباً عربية لا يُحصى عددها تتناول مُختلف نواحي الآداب العربية والاسلامية • ومن بواعث الحزن والاسف أن معرفة العرب بساهمة مسلمي الهند في الادب العربي ضئيلة • وباستثناء ما كتب المرحوم السيّد عبد الحي الحسَني ، والسيد أبو الحسن علي الحسَني الندوي ، والدكتور مقبول أحمد في مؤلفاتهم العربية عن الثقافة العربية والاسلامية في الهند واسهام مسلمي الهند في الآداب العربية ، لم تقم محاولة مذكورة لتعريف هذا الموضوع للعرب ، وأذكر هنا ، بهذه المناسبة ، مقالة قيّمة قد نُشِرَت حديثاً في مجلة مجمع اللغة العربية[2] بدمشق بعنوان« نظرة اجماليةفي حركةالتأليف باللغةالعربية في الهند » للدكتور جميل أحمد من جامعة كراتشي • وهي محاولة طيبة مشكورة لابراز مساهمة مسلمي الهند في التأليف في اللغة العربية خلال العصور على نحو موجز •

---

(١) « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجي زيدان ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الجزء الثاني ، ص ٨٤–٩٣ •

(٢) الجزء الثاني ، المجلد الخمسون ، ربيع الاول ١٣٩٥ هـ ، ابريل ١٩٧٥ م •

ولا تنسى هنا الخدمات الجليلة التي تؤديها بعض المنشورات الدورية العربية التي تصدر من الهند لترويج ثقافة الهند الاسلامية والعربية ، منها « البعث الاسلامي » مجلة شهرية ؛ و « الرائد » نصف شهرية كلاهما يصدر من دار العلوم بندوة العلماء بلكهنو ، و « الداعي » نصف شهرية يصدرعن الجامعة الاسلامية دار العلوم بديوبند ، و «الدعوة» من دلهي٠

وجدير بالذكر أن المسلمين في جنوب الهند لهم مساعٍ مشكورة في مجال النشاطات الدينية والادبية والثقافية والاجتماعية ٠ ولكن ؛ لسوء الحظ ، لا تنال هذه النشاطات في جنوب الهند ، خصوصاً في ولاية كيرالا Kerala ، شهرة تستحقها ٠ وإن معرفة العرب بنشاطات مسلمي الهند تقتصر على شمال الهند ، ولا تتجاوزها الى جنوبها ، وهم لايعرفون شيئاً مذكوراً عن الخدمات الجليلة التي يقوم بها مسلمو كيرالا وسائر جنوب الهند في مختلف مجالات الثقافة الاسلامية والعربية ٠ ومن يستطيع أن يُنكِر المساعي الجليلة الضخمة التي يتولاها مسلمو كيرالا ومنظماتهم المختلفة كجمعية « تعليم المسلمين » (Muslim Educational Society) و « ندوة المجاهدين بكيرالا » ، و « الجماعة الاسلامية الهندية بكيرالا »، واتحادات معلمي اللغة العربية في الحقول الثقافية والادبية والاجتماعية والتعليمية والدينية ؟

ولابد أن ينتهي هذه الاهمال ويُملأ هذا الفراغ ٠ وإني أرجو من كتّاب العربية في الهند والبلادالعربية أنيلتفتوا بأنظارهم الى هذا الجانب المغفلو يسدوا هذا الفراغ بمجهوداتهم الأدبية ٠

إي٠ كي٠ احمد كتي
محاضر في قسم اللغة العربية
جامعة كاليكوت ــ كيرالا ــ الهند

في رثاء الاستاذ شفيق جبري

بكاك المجمع اللغوي حزناً*

الشاعر رياض المعلوف

الى روح الصديق الغالي والشاعر والأديب والبحاثة الكبير المغفور له الاستاذ شفيق جبري رحمات الله عليه •

عزيزٌ أنتَ عنديَ يا شفيق … سميٌّ أخي ، ولي أنتَ الشقيقُ !
صفاتُكَ كلّها أدبٌ ونبلٌ … ووجهكَ دائماً أبداً طليقُ ••
وانكَ شاعرُ الفيحاء حقاً … وشعرك كلهُ لَبِقٌ رشيقُ !
تزاحمت المعاني والقوافي … على شعر هو البحر الدفيقُ ••
جديد الشعر ممتهن غريبٌ … وإن الشعر أعذبه العتيقُ !•
فإن فاخرتَ صار الشعر سيفاً … وإن غازلتَ فالغَزَلُ الرقيقُ
ونثرٌ ••• مثل نثر الورد صبحاً … على خضر الربى •• نثرٌ أنيقُ !•
تجوهرُهُ وتنشره كعطرٍ … فينعش قلبنا النفح العبيقُ
تركتَ الصحب والإخوانَ ، رفقاً … بكل أخٍ يُجلّك يا صديقُ !
لماذا لم تودّعهم أجبني … وكلّهم إليكَ هو المشوقُ
فهذي آفةُ الدنيا مماتٌ … وحلْمٌ بعده •• لا نستفيقُ !•
ومهما المرء كان طويل عمرٍ … سيمضي •• ليس إلّاها الطريقُ
فرحلتنا إذن لا بدّ منها … فريقٌ راح •• يتبعهُ فريقُ •••
طموحاً كنتَ في الدنيا كثيراً … عليكَ القبر كم هذا يضيقُ ؟!
بكاكَ المجمعُ اللغويُّ حزناً … على تلك الشمائلِ يا شفيقُ
فهذي دمعتي في الشعر سالت … عليكَ •• لأنك الرجل الخلوقُ !

زحلة ـ لبنان … رياض المعلوف

---

* كان مجمع اللغة العربية قد نعى عضوه الراحل الاستاذ شفيق جبري في عدد مضى وقد وصلتنا هاتان القصيدتان في رثاء الفقيد •

حديث مع شاعر الشام الأكبر

الشاعر عبد الرحيم الحصني

سل الشعر أي الاوفياء ترحلا ... وأي زمان بالشآم تبدلا
وما خطب أشياخ البيان كأنهم ... أحب من الفيحاء لاقوا وأجملا
وعهدي بهم ـ يا بارك الله لحنهم ... زئيراً بحب الغوطتين مرتلا
أحل روابي قاسيون شموخهم ... محلا بحبات القلوب مدللا
وأين عطاء السيف مما تنولوا ... بألحانهم في زحمة الخطب عزلا

* * *

تمر ببالي الذكريات ولم تزل ... على بعد ذاك العهد بالمجد حفلا
زمان استبد الغاصبون وأظلمت ... منائر عز كن للنصر مشعلا
وقد غامت الانداء في صبوة الضحى ... وشب الدجى ناراً بما الغدر أشعلا
وحول بنود الثأر هبت سواعد ... وايمانها كان السلاح المفضلا
هناك القوافي الغر كانت صواعقاً ... من العزم لم تترك لذي الظلم معقلا

* * *

أعد يا شفيق الامس للبال علنا ... نعود فقد بتنا عن الثأر غفلا
حشود بأبواب الشآم ومثلها ... بلبنان ، والاقدام ما زال مهملا
وماذا يرجي العرب ممن أذلهم ... وهل يأمل الصادي من النار منهلا
علام نمني النفس بالوهم ، والمنى ... سوى الجد لم تبسط لمن جد مأملا
اذا لانت الايام للمرء مرة ... ولم يبق منها للمحامد منزلا

فيابعد ما استبقى ، ويابئس ما اجتنى ويا ويح مااستوفى،ويا ذل مااعتلى
ترام العلى من حيث يستعذب الفدا وهيهات للإحجام أن يصحب العلى

* * *

حنانيك لا تيأس من الشعر انما أرى الشعر أدنى للرشاد وأعدلا
من القول ما ينبو عن البوح سره وحاشاك أن تنسى الخفي وتجهلا
سألتك يوماً في بلودان .. لمحة فلم ألق أوفى منك رأياً وأشملا
وكان حديث ذو شجون سمعته سقته الثمانون الخصاب فأسبلا
فيا ليت قومي يعلمون من الذي تعهد حقداً هدمهم وتكفلا

* * *

ذر الهم وامنحني من العلم نفحة ومن حق مثلي أن يلوذ ويسألا
فماذا وراء الغيب عمن نحبهم أما استوطنوا من ذروة الخلد موئلا
وما حال — خير الدين — لما التقيتما وعهدي به ان شاهد الصحب هللا
وأنور — هلا استنفر الشعر وانبرى يحيي بك الشعر الندي المحجلا
كأني من خلف الغيوب أراهما يمدان ورداً للشفيق ومخملا
على حين رواد البيان كأنهم سوار أحاطوا — بالخليل — تعللا
وما هو عما يسألون براغب ولا هم رأوا عن نبعه الثر معدلا
ومن سدة الابداع ينهض منشدا لقد زنت أفياء وآنست محفلا

* * *

سماحاً فقيد الفكر ماأضيق النوى بياناً ، وما أوهى اللسان المكبلا
أعرني بريقاً من سناك تر الذرى على الكبر تستجد من الشعر هيكلا
فديتك مالي في البيان وللدنى اذا كان لحني من صداك مسلسلا
يتاماك في كل الصدور شوارد تشعثه إباء للقلوب مؤثلا

خذالعهد منقلب عنالعهد ماانثنى ... ولا حاد عن اكـرامه أو تحوَّلا
سأبقىعلى الدربالذيكان ضمَّنا ... ولو كنت وحدي بالمسير موكلا
ونحن بقـايا الامس منذ اعتناقنا ... هوىالشعر لمنعرف عنالخيرمعزلا
حملنا هموم النـاس حباً وهمَّنا ... وفاء لحب الناس ما زال مهمـلا
سقـاة ظمـاء قانعـون وحسبنا ... من العمر أن نعطي الحياة ونعملا
أرادت لنـا الايام ما لا نـريده ... فلا نحن عاتبنا ، ولا الدهر أجملا

* * *

فيا مشرق الامجـاد يا شـام انني ... بسطت شجوني تحتجنحيك مثقلا
ألامُ على حبي وأعـذل راضيا ... وحسبي عـزاً أن ألام وأعـذلا
ويا بردى الاحبـاب لا بتَّ باكياً ... فكم من شـجي من نداك تعلـلا
هنا الشعريُستوحيهناالحبيجتنى ... هنا المجديستسقىهنا النصريجتلى
معاذ الهوى ما دمت بالحب عاقدا ... عليـك رجائي أن أضن وأبخـلا
ويا باني الاجيـال علمـاً نذرته ... لرد عوادي الجهـل عنهم تنفّلا
غدا يسـأل التاريخ ما نلت منهم ... وما خلق التـاريخ إلاّ ليسـألا

* * *

حمص : عبد الرحيم الحصني

التعريف والنقد

في شعر النابغة الذبياني

الاستاذ محمد يحيى زين الدين

أصدرت دار المعارف بمصر مؤخرا ديوان النابغة الذبياني بتحقيق الاستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم . ولاريب أن هذه المطبوعة أتم وأوفى من المطبوعات الاخرى اذ اعتمد المحقق على عدة نسخ خطية ، ثلاث منها بشرح الأعلم الشنتمري[١] ورابعة بشرح أبي بكـر البطليوسي وأخرى بشرح ابن السكيت[٢][٣] إلا أن عمله هذا لم يخل من بعض المآخذ والهنات التي نعرضها فيما يلي :

---

(١) منه عبارات شتى في ديوان النابغة بشرح أبي بكر البطليوسي ـ ضمن خمسة دواوين من اشعار العرب ـ ص ٢٦/٣ ، ١/٤ ، ٢٠/٥، ٢٤ ، ١١/٦ ، ١٣/٨ ، ٢١ ، ٣/٩ ، ٢١ ، ١٦/١٢ ، ٢١ ، ٣/١٣ ، ٢٨ ، ١/١٥ ، ٣ ، ٨، ١٣ ، ١٥/١٧ ، ٣/١٨ ، ٢٤/١٩ ، ١/٢٠، ١٨/٢١ ، ١٤/٢٢ ، ٢٤ ، ٢٩/٢٣ ، ١٠/٢٤، ٢١/٢٥ ، ٢١/٣٦ ، ٢٣/٢٧ ، ٢٩ ، ٣/٢٨، ١٨ ، ٢٤ ، ٦/٣٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ،٢٤، ١/٣١ ، ٦ ، ١٣ ، ٣/٣٢ ، ٢٧ ، ١/٣٣ ، ١٥/٣٤ ، ٢٤ ، ١٣/٣٥ ، ٢٩ ، ٢/٣٧ ، ١٣، ٤/٣٨ ، ١١ ، ٢٧/٣٩ ، ٢٩ ، ٣/٤٠، ١٣ ، ٢٢ ، ١٠/٤٢ ، ٢٥ ، ١/٤٣ ، ٤ ، ١٨/٤٧، ٢٠ ، ٣٦/٤٩ ، ٢٥/٥٠ ، ٨/٥١، ١/٥٢ ، ٣ ، ٢٩/٥٦ ، ١٦/٥٨ ، ٥/٦٠ ، ٢٤، ١٦/٦٢ ، ٢٠ ، ٢٩ ، ١٣/٦٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ١٠/٦٨ ، ١١ ، ١٦ ، ٢٩/٧٠ ، ٢٥/٧١، ٢ / ٧٥ ، ٧ ، ٢٣ / ٧٦ ، ٣٦ ، ١/٧٧ ، ١/٧٨ ، ٣ واللسان (قعا) .

(٢) منه عبارات شتى في المصدر السابق ص ٢٨/٧ ، ٢٢/٤٠ ، ١٠/٤٢ ، ١٧/٥١ ، ٤/٥٤ ، ٢٤ ، ٢٤/٥٥ ، ٢٥/٦٧ ، واللسان (شمت)، (قمح) ، (بعد) ، (فرد) ، (سفسر) ، (ضمر) ، (خلص) ، (قضض)، (رفع) ، (طوع) ، (سجف) ، (صرف)، (أمم) ، (حكم) ، (حمم) ، (ظلم) ،(رثعن) ، (عكا) ، (مشي) ، ومعجم البلدان (أقر) ، (الجمومان) ، (حامر) ، (حدد)،(دوار) ، (عاقل) ، (الكوائل) ، والتكملة (خلص) .

(٣) كان طبع هذا الشرح منذ سنوات بتحقيق د. شكري فيصل ونشرته دار الفكر في بيروت

١ ـ تعليقات على تحقيق الديوان :

● إنه كثيراً مايغفل الاشارة الى رواية الاصول أو يتصرف فيها دون ما اشارة الى مصدر الرواية التي يأخذ بها ، وقد يخطىء في نقل الروايات أو عزوها أو يأتي ببعض الاختلافات في رواية بيت واحد ويذر بعضها الآخر كالذي تراه فيما يلي :

١ ـ ق/١:٦[1] فيما عدا الأعلم « أضحت قفاراً وأضحى أهلُها احتملوا » ، كذا ورواية التبريزي مخالفة لما ذكر المحقق وهي « أضحت ... وأمسى ... » .

٢ ـ ق/١ : ٣٠ ابن السكيت « زَيَّنها » ، كذا وانما هي رواية البطليوسي ، أما رواية ابن السكيت فهي « فَنَّقها » وهي كذلك رواية التبريزي .

٣ ـ ق/١ : ٣٨ ابن السكيت والتبريزي « بين الغيلِ والسَّعَدِ » كذا وهي توافق رواية الاعلم فليس ثمة داع لذكرها في تحقيق رواية الديوان

٤ ـ ق/٢:٩ ابن السكيت « وقد حال هَمٌّ دون ذلك داخِلٌ » ، وتمام الرواية « ... دخول الشَّغاف ... » .

٥ ـ ق/٢:١٣ البطليوسي: ابن السكيت: «تُراسلهم عَصراً وعصراً تُراجعُ» ، كذا وانما رواية البطليوسي «تُطَلِّقه طَوراً وطَوراً تراجع» وهي توافق رواية الأعلم .

٦ ـ ق/٣:١٠ ابن السكيت « أبصرتَ فوقَهم » كذا وتمام الرواية « ... ماغزا .. أبصرت فوقهم .. » .

---

(١) الرقم الاول للقطعة والثاني للبيت .

٧ ــ ق/٣:٢٠ ابن السكيت « تخير من أزمان » كذا وانما الرواية « تُخيِّرنَ من أزمان ... »

٨ ــ ق/٤:٤ ابن السكيت

قاد الجيوشَ من البلقاءِ ما طَعِمت في منزل طعمَ يومٍ غير تأويب

كذا وانما الرواية : قاد الجياد ... طعم نوم ..

٩ ــ ق/٤:٩ ابن السكيت « دعاءُ حيٍّ » وتتمة الرواية « إذ ينبهه .. دعاء حي ... »

١٠ ــ ق/٦:٣ ابن السكيت « بشطَّي نخلةَ » وتمام الرواية « والبائعات بشطي ... »

١١ ــ ق/٦:٤ ابن السكيت

غرّاء أكملُ من يمشي على قَدَمٍ جسماً وأحسنُ من حادثتَه الكلِما

كذا وانما الرواية « حاورته ... »

١٢ ــ ق/٦:١٥ ابن السكيت « من صوت حِرمية » . وتتمة الرواية « ... قالت وقد رحلوا »

١٣ ــ ق/٦:١٨ ابن السكيت « تخاف الرامي اللحِما » كذا وتتمة الرواية « وانشق »

١٤ ــ ق/٦:٢٢ ابن السكيت « مقابلَ الريحِ » وتتمة الرواية « ... وكلكلَهُ »

١٥ ــ ق/٧:١٩ ابن السكيت « وأصحَبهُ فلجا » كذا وتتمة الرواية « ... فلا زال كعبه ... »

١٦ ــ ق/٨:٦ ابن السكيت « اذا ما لقيتهم » كذا وتمام الرواية « ملوك وأقوام اذا ما ... »

١٧ ــ ق/٩:٨ ابن السكيت « تقيّدُ العَيرَ عن شَدٍّ وتكرار » كذا وتتمة الرواية « فموضعُ البيتِ في صَمّاء مظلمةٍ »

١٨ ــ ق/١٠:٤ ابن السكيت « أن تُقذِعوني » وتمام الرواية « ولم ... أن »

١٩ ــ ق ١٠:/٦ ابن السكيت « بساحتِهِ عوانٌ .. » كذا وتتمة الرواية « ينزل ... »

٢٠ ــ ق/١١:١٢ ابن السكيت « أولو بأسٍ »كذا وانما الرواية « يوم الحِفاظ أولو بأس ... »

٢١ ــ ق/١٣:٢ ابن السكيت « لما تزل برحالنا »كذا وانما الرواية « برحالها »

٢٢ ــ ق/١٣:٣٤ « لم يرد في رواية ابن السكيت » . كذا وهو في رواية ابن السكيت ص ٤١ .

٢٣ ــ ق/١٣:٣٥ ابن السكيت «ويكادُ ينزِعُ جلدَهُ من مَلّة..»
كذا ذكره المحقق على أنه رواية أخرى للبيت ٣٥ . وليس هذا البيت في رواية الأعلم وانما هو من زيادات ابن السكيت وموضعه بعد البيت ٣٢

٢٤ ــ ق/٢٢:٢٧ ابن السكيت « ولا تزال ريحانٌ ومسكٌ يشوبُهُ » كذا وانما الرواية « ولا زال »

٢٥ ــ ق/٢٦:١ البطليوسي وابن السكيت « بيرقة ثَعميٍّ فذاتِ

الأجاول » كذا وانما رواية البطليوسي « بروضة ثمّي ... » وهي توافق رواية الأعلم وليس ثمة داع لذكرها في تحقيق رواية الديوان .

● وقد يغفل عن ذكر الرواية في بعض الابيات على مخالفتها لرواية الاصل كالذي نلحظه في الامثلة التالية :

١/٢	أَصَيْلالا	س[1]
١/١١	سرت	ط
١/١٣	بَرِيّـات	س
١/٢١	وما أحاشي	س.ت
١/٢٨	المئةَ الأبكار	س.ت
١/٣٠	والساحبات	ت
١/٣١	تَنْزِعُ	س
١/٣٢	واحكم ... سِراعٍ	س.ت
١/٣٢	احكم بحكم	ط
١/٣٥	زعمت	س
١/٣٨	تمسحها	ت.ط
١/٤٠	على كبدي	ط
١/٤١	نبئت	س
١/٤٤	اذا جاشت غَوارِبُهُ	س.ت
١/٤٤	أواذِيّهُ	س.ت.ط
١/٤٥	حُطامٌ	س.ت

(١) الرقم الاول للقطعة والثاني للبيت . أما (س) فهي رمز الى رواية ابن السكيت ، كما ترمز (ط) الى رواية البطليوسي و (ت) الى رواية التبريزي . اي ان رواية ابن السكيت للبيت الثاني من القطعة الاولى اصيلاً كي وهي تخالف بقية الاصول .

١/٤٨	لقائله	س،ت
١/٤٨	فما عرضت	ت
١/٤٩	ها إن تا .. قد تاه في البلد	س،ت
٢/١٠	والضواجع	ط
٢/٢١	حلفت ولم	ط
٢/٢٧	بقــول	س
٢/٣١	فأنت	س
٣/٦	التي عند حارِب	س
٣/٨	قد غزا... بغسانَ غسّانِ الملوك الأشايبِ	س
٣/٩	بنــي عمــه	س
٣/١٨	تطــير	ط
٣/٢٠	أنهــار	ط
٣/٢٦	يحييهم	س،ط
٤/١٣	أو مُوثَقٍ	ط
٥/١	أوابــدَ	س
٥/٣	أعلمت .. إذ جاريتي .. .. فما خططت	س
٥/٥	آلفٌ	س
٥/٦	محقبــو	س
٥/١٢	يدعو وليدُهُمُ بها	س
٥/١٣	الضجاج	س
٥/١٤	والقومُ غاضِرَةٌ	س
٥/١٦	تحــت	س
٥/١٧	خَرَزُ الجَزِيزِ	س

١٩/٥	جمـعٌ	س،ط
٢١/٥	بنو ذبيـــان	س
٢٨/٥	فنكحـــن	س
١٠/٦	صَهباً ظِماء	س
١١/٦	أمـــــر	س
١٥/٦	من صَوتِ	ط
١٦/٦	إن البـــين	ط
١٩/٦	أسافِلها ... مثل	س
٢/٧	مابربّها ... لم يجدن	س
٣/٧	أفعل الدهر	ط
٩/٧	أحراســا	س
١٤/٧	يُخال	ط
١٧/٧	وقد لقيــت	س
٢١/٧	يبيـــــد	ط
٧/٧	في مثــل	س
١٠/٨	فإنك	س
١٠/٨	لأنك	ط
١١/٨	فلست	س
١٢/٨	غضــباناً	س
٥/٩	حلوا العَضاريط	ط
١٤/٩	قد عيَّرتني	س
٢/١١	وما تُريد	س
١٢/١١	في تجاوُلِنا	ط

١١/١٣	بين الكُمـاة	س
١٢/٣	قعودٍ على	س
١٢/٥	وهم ألحقوا	س
١٢/٧	وما أنا من سهم •• عوف بن سعد	س
١٣/٨	ولقد أصابت قلبـه	س
١٣/١٠	تـزيَّن	ط
١٣/٢٥	عقـدَها	س•ط
١٣/٣٠	أخشَـم	س
١٣/٣٤	يجوز ••• يجوز	س•ط
١٣/٣٤	اذا استقى صَدراً	س
١٤/٣	بالجراجر	س
١٤/٤	نخل القرى	س
١٤/٥	من الطالبات	ط
١٤/٨	هم طرّفوا	س•ط
١٥/٢	جللهم	ط
١٦/٢	نصـرك	س
١٦/٣	عيرتني النسب الكريم ••• ظفر	س
١٦/٤	ضبَّـة	ط
١٨/٢	فإني لا ألومك في	س
١٩/٤	تَقَضَّبُ منهـا	س
١٩/٥	ولو كان	س
٢٠/١	إن يك	س
٢٠/٣	بقولك	ط

٢٠/٤	وإنك	ط
٢٠/٦	فما إن ذاك عن	س
٢١/٣	بحسبك	س
٢١/٦	ثم صــددت	ط
٢٢/٣	وقد مر دونها	س
٢٢/١١	قيس وذهلها .. السواحلُ	س
٢٢/١٢	غالني .. لروعتها	ط
٢٢/١٦	تحثُّ	ط
٢٢/١٧	يجهلون	ط
٢٢/٢٢	منهلٌ	ط
٢٢/٢٥	وآب	س
٢٣/٤	كأن مَفيضهنّ	س
٢٣/٤	سلحت دموعي	ط
٢٣/٦	سأبديه إليــك	س
٢٣/٨	يشــفي	ط
٢٣/٩	وتعين .. ويربوع	ط
٢٣/١٩	وقد زحفوا	ط
٢٣/٢٢	رُفعــن	س
٢٤/٣	أبيــسَ	ط
٢٤/٥	تستضيءُ	س
٢٤/١٩	ويَعمِـد للجليلاتِ العظامِ	س
٢٤/٢٠	في السهام	س
٢٤/٢٢	من حَرام	س

٢٤/٢٦	يقربه لهم	س
٢٥/٥	بذات المرابد	س
٢٥/٩	ويخططن	ط
٢٦/٧	مدت	ط
٢٦/١٣	وآرام	ط
٢٦/١٤	والكواتِل	س
٢٦/٢٠	تَتَكَّع	ط
٢٦/٢١	شواذبَ ... زال	ط
٢٦/٢٣	تنحطُ في أسلابها	ط
٢٦/٢٥	مقرّنة بالأُدمِ والعيسِ كالقطا	س
٢٦/٢٦	كلّ قَمصاء	ط
٢٦/٢٧	إضــاءٌ	ط
٢٦/٢٩	يسْحَّان	س
٢٧/٢	فأمواه الربى	ط
٢٧/٧	كأن كساءهن	ط
٢٧/٨	حالُ أهل الدهر حالي	ط
٢٨/٨	لم تزجروا .. ولم	س
٢٨/٢	لن تزجروا ... لودي	ط
٢٨/٣	وأبنــاء	ط
٢٨/٨	وافــرا	س
٢٩/١	فضَّت	ط
٢٩/٤	جــردٌ	ط
٢٩/٥	عقبــا	ط

٢٩/٧	إلفها يوما وراكبها	س
٢٩/٩	لولا الإمام	ط

أو أنه يخطىء في قراءة النص أو فيما ينقله من الشروح مما أفسد الكلام وأحاله . فقد أثبت شرح البيت الثالث من القطعة ٣٣ ص ١٦٦ : « هند بنت عمرو آكل المرار الكندي » . وانما عبارة ابن السكيت « هند بنت الحارث بن عمرو ... » . ومثله أيضا ماجاء في شرح البيت الرابع من القطعة ذاتها : « يقول آباؤه منسوبون بالفضل والكرم » وتتمة العبارة كما في شرح ابن السكيت : « يقول آباؤه مقدمون منسوبون ... » وثمة بعض الامثلة الاخرى مثل :

ص ١٧٠/١٥ « وهي تَوطَأ وتقطعها الغنمُ بأظلافِها ».والصواب « وتقلَعُها » . ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ١٤١ .

ص ١٧٠/١٩ « ويروى : جمعوا » . وتتمة العبارة : مُشَدّدا . المصدر السابق ١٤٢ .

ص ١٧٠/٢٣ « والرِّبذةُ التي يطلى بها البعير » كذا وتتمة العبارة « والربذة : الخِرقة التي ... » . المصدر السابق ١٤٢ .

ص ١٧٥/١٦ « مَظَنّةُ كلب حيث يظنُّون ، يقال : موضع مظنة كلب : حيث يظنون ... » . كذا والصواب « مظنة كلب حيث يظنون يقال موضع كذا وكذا ... » المصدر السابق ١٧٣ .

ص ١٨٢/١٠ « الدعائم : الاساطين » كذا وتتمة العبارة « الاساطين والأعلام » المصدر السابق ١٨٥ .

ص ١١/٢٠٤ « ويروى نَعَّار » ، أي : واسع » كذا وتتمة العبارة (ثم « اثنى » على الإدغام) . المصدر السابق ٢٣٨ .

ص ١٥/٢١٣ « اذا انصرف عنه بوده » . كذا والذي في الاصل « عنك » . المصدر السابق ٢٤٨ .

ص ٢١/٢١٦ « وإن عنى قرنه » . كذا والصواب « وإنما » المصدر السابق ٢٥٥ .

كما فات المحقق أن يثبت شرح البيت ١٢ من القطعة ٤١ ، وشرح البيتين ٢٢ ، ٢٦ من القطعة ٦٥ وهي على التوالي:

« أي اذا صاحت قالت : قطا قطا ، واذا دعيت قيل لها كذلك ، فما أصدقهن اذ يدعونها وأصدقها اذ تدعوهن » . المصدر السابق ١٧٧ .

« العَلَنداة والعَلاة : الصلبة ، شبهها بسندان الحداد . مناقلة : تضع رجليها مكان يديها.والوعث غير المستوي» . المصدر السابق ٢٣٦ .

« يروى من وحش وَجرة ، وتعشار أرض معروفة » . المصدر السابق ٢٣٦ .

٢ ــ نقد ذيل الديوان : الشعر المنحول

● **تضمن ذيل الديوان طائفة من الشعر المنسوب الى النابغة مما لم يرد في النسخ المعتمدة . غير أن المحقق لم يلتزم في ترتيبها حركة الروي بدقة كما لم يذكر خلاف الرواية في تلك الابيات وما يرجح نسبتها الى النابغة أو ما يقطع بنفيها عنه . كذلك أثبت المحقق في هذا القسم عدداً من**

الابيات التي وردت ضمن بعض قصائد الديوان ومقطعاته كما يتضح في الامثلة التالية :

● كأنّ مُدامةً من بيت رأسٍ يكونُ مزاجَها عسلٌ وماءُ

وليس البيت للنابغة وانما هو لحسان بن ثابت وبعده :

على أنيابها أو طعمُ غضٍّ من التفّاح هصّرهُ اجتناءُ

ديوانه ١٧ ، واللسان (سبأ) ، (رأس) ، (جني) ، ومعجم البلدان (بيت رأس) ، والكامل ٧٣ . والرواية : خبيئة .

● سألتني عن أناسٍ هلكوا أكلَ الدهرُ عليهم وشربْ

والبيت مغير من شعر النابغة الجعدي والرواية : شرب الدهر عليهم وأكل .

ديوان النابغة الجعدي ٩٢ ، واللسان (أكل) ، (طرب) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٨٠٧ ، والمعاني الكبير ١٢٠٨ ، وأمالي المرتضى ١/٩٦ ، والمنازل والديار ٤٦٥ ، والحماسة البصرية ١/٢٧٢ .

● بعاري النّواهق صلت الجبيـ ـن يستنّ كالتيس ذي الحلّبِ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ١٦ ، واللسان (نهق) ، والتكملة (حلب) ، والمعاني الكبير ١١٩ ، ١٥٢ . وهو في اصلاح المنطق ٣٩٩ ، والمخصص ١٣/٢٢٦ ، وتهذيب اللغة ٥/٤٠٣ دون نسبة .

●لعمري لنعم المرءُ من آل ضجعمٍ نزورُ[1] ببصرى أو ببرقةِ هارب

فتىً لم تلدهُ بنتُ أمٍّ قريبةٍ فيَضوى وقد يَضوى سليلُ الاقارب

(١) في الديوان : نزور . والصواب ما اثبت .

والبيتان في معجم البلدان (برقة هارب) ، والثاني منهما في اللسان (ضوا) ، (ردد) وأساس البلاغة (ضوى) دون نسبة.

● من يطلب الدهر تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما من أناس ذوي مجدٍ ومكرمةٍ ... إلا يشدُّ عليهم شدةَ الذيبِ
حتى يبيت على عمد سراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب
إني وجدت سهام الموت معرضةً ... بكلّ حتفٍ من الآجال مكتوبِ

الابيات الاربعة للنابغة الشيباني . وهي في ديوانه ص ٧٤ ضمن قصيدة مطولة مطلعها :

بان الخليط فشطّوا بالرعابيبِ ... وهن يؤوبن بعد الحسن بالطّيب

والرواية : ما .. ، هل .. أولي .. ومأثرة ، يصيب .. خيارهم .. المصائيب .. معدنها .. حتم ..

● ألا إنّما نيرانُ قيسٍ إذا شتوا[1] ... لطارق ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحبِ

والبيت للقطامي ، ديوانه ٥٠ ، وزهر الآداب ٣/٧٢ ، والشعر والشعراء ٢/٧٢٦ ، وبهجة المجالس ١/٥٢٢ . وهو في المخصص ١١/٢٨ دون نسبة .

● فساقانِ فالحُرّانِ فالصّنع فالرجا ... فجنبا حِمىً فالخانقانُ فحُبحبُ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ٥ ، ومعجم ما استعجم ١/٤١٩ ، وهو في اللسان (حرر) دون نسبة .

● . . . . وشفعٌ على آسٍ ونُؤيٌ مُعَثْلَبُ

(١) في الديوان : المصاصيب . والتصحيح من التوضيح والبيان ص ٩٦ .

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان وصدره :

فلم يبق إلاّ آلُ خَيمٍ مُنَصَّبٍ ...

وهو البيت الخامس من القطعة السادسة في ديوان النابغة (ص ٧٤ ــ مطبوعة بيروت) . وهو كذلك في الديوان ص ٢٤١ ، واللسان (خيم) ، والتاج (ألل) ، والشطر الثاني منه في اللسان (نأي) . وانظر أيضا تهذيب اللغة ٣/٣٦١ ، ٧/٦٠٨ ، ١٣/١٣٨ ، ١٥/٥٤٣ .

● أضحت يُنَفِّرُها الولدانُ من سبأ كأنهم تحت دَفَّيها دَحاريجُ

والبيت للنابغة الجعدي . ديوانه ٢١٧ ، وكتاب سيبويه ٢/٢٨ . وهو في اللسان (سبأ) ، والمخصص ١٧/٤٣ دون نسبة .

● واستبقِ وُدَّكَ للصديق ولا تكن قَتَباً يعضُّ بغاربٍ مِلحاحا
واليأسُ ممّا فات يُعقبُ راحةً ولرُبَّ مَطعمةٍ تعود ذُباحا
يَعِدُ ابنَ جفنة وابن هاتك عرشه والحارثين بأن يزيدَ فلاحا
ولقد رأى أنَّ الذي هو غالهم قد غال حمْيرَ قبلها الصبَّاحا
والتُّبَّعين وذا نواسٍ غُدوةً وهلا أذينةَ سالبَ الانواحا

والبيتان الاولان منها في الديوان ص ٢٠٠ ، والاول منهما في الشعر والشعراء ١/١٦١ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٨ ، وحماسة البحتري ٧٢ ، والثاني في ص ١٦٥ ، وفي أساس البلاغة (ذبح) ، وفي جمهرة الامثال ١/١٦ ، ٤٩٢ ، ٢/٢٤٩ ، والشطر الثاني منه في اللسان (ذبح) ، وتهذيب اللغة ٤/٤٧٢ دون نسبة . والبيتان الرابع والخامس في ص ٩٥ من الحماسة أيضا .

● . . . . وماهُريقَ على غَبَرْيكَ الضَّمَدُ

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان بضم الدال ، والصواب كسرها، وصدر البيت :

فلا لعمرُ الذي قد زرتهُ حِججاً . . . .

التكملة (ضمد) . وهو البيت السابع والثلاثون من القطعة الاولى في ديوان النابغة ص ١٩ ـ مطبوعة بيروت ـ والرواية : على الانصاب من جسد ، وكذا في اللسان (هرق) أما رواية الأعلم فهي:

فلا لعمر الذي مَسَّحتُ كعبتَهُ   وماهُريقَ على الانصاب من جسد

الديوان ص ٢٥

● متى تأته تعشو الى ضوءِ نارهِ   تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ موقِدِ

والبيت للحطيئة . وهو في ديوانه ١٦١ ، واللسان (عشا) ، واصلاح المنطق ١٩٨ ، وتهذيب اللغة ٣/٥٦ .

● ياعام لا أعرفك تُنكر سُنَّةً   بعد الذين تتابعوا بالمَرصَدِ
لو عاينتك كماتُنا بطوالةٍ   بالحَزوَرِيَّةِ أو بلابةِ ضَرغَدِ
لثويتَ في قِدٍّ هنالك موثقاً   في القوم أو لثويتَ غير موسَّدِ
ملكٌ يلاعبُ أمَّهُ وقَطينَهُ   رَخوُ المفاصل أيرُهُ كالمِرودِ

الابيات الثلاثة الاولى في معجم البلدان (حرة ضرغد) ، والبيت الرابع في الاغاني ٩/١٥٨ ، والشعر والشعراء ١/١٦٥ ، وفي الاغاني : « ... أن عبد القيس بن خفاف التميمي[1] ، ومرة بن سعد بن قريع السعدي عملا هجاء في النعمان على لسانه و[2]أنشد النعمان منه أبياتا

(١) في ديوان النابغة ص ١٧٠ : البرجمي .
(٢) في الاغاني : أو

يقول فيها : ملك يلاعب ... » . وهو في الاغاني ٢١/١٣١ للمتلمس وكذا في ديوانه ١٤٧ ، وهو في ص ٥٢ ، ٥٧ من ديوان المتلمس منسوبا الى طرفة بن العبد ولكني لم أجده في ديوانه .

● فأضحت بعدما فَصلت بدارٍ شَسَطُونٍ لا تُعادُ ولا تعودُ

والرواية وصلت . والبيت للنابغة الشيباني ضمن قصيدة مطولة مطلعها :

أتصرمُ أم تُواصلكَ النَّجودُ وليس لها وإن وصلتكَ جُودُ

ديوانه ٣٤

● أو أضع البيت في سوداء مظلمة تُقيِّدُ العَيْرَ لايسري بها الساري

كذا أثبته المحقق في ذيل الديوان وهو البيت الثامن من القطعة التاسعة في الديوان ص ٧٦ . وانظر كذلك اللسان (رمح) ، (خرس) ، (وطأ) .

● فلمّا أبى أن يَنقصَ القَودُ لحمه نزعنا المَريدَ والمديدَ لِيَضمُرا

والبيت للنابغة الجعدي ، وهو في ديوانه ٤٧ ، والتكملة (مرد) ، والمعاني الكبير ١٤٣ ، وتهذيب اللغة ١٤/١١٨ ، ٤٣٠ .

● ترى الرّاغبين العاكفين ببابه على كل شيزى أُترعت بالعراعرِ
وهم ضربوا أنف الفَزاريِّ بعدما أتاهم بمعقودٍ من الامر قاهرِ
أتطمعُ في وادي القرى وجنابه وقد منعوا منهُ جميعَ المعاشرِ

كذا أثبتها المحقق على أنها قطعة واحدة . والبيت الاول في نضرة الإغريض ٨٩ ، وهو من أبيات القطعة ٤٠ ص ١٧٥ وبعده :

له بِفِناء البيت دهماءُ جَونةٌ تَلَقَّمُ أوصالَ الجَزورِ العَراعرِ

أما البيتان الآخران فهما من أبيات القطعة ١٤ ص ٩٨ وقبلهما :

وهم قتلوا الطائي بالحِجْر عَنوةً أبا جابرٍ واستنكحوا أمَّ جابر

معجم البلدان (القرى) .

● المرءُ يأملُ أن يعيـ ـشَ وطول عيشٍ قد يضُرُّهْ

تفنى بشاشتُه ويبـ ـقى بعد حُلو العيش مُرُّهْ

وتخونه الايّامُ حـ ـتى لا يرى شيئاً يسرُّهْ

كم شامتٍ بي إنْ هَلَكـ ـتُ وقائلٍ لله دَرُّهْ

والابيات للنابغة الجعدي ، وهي في ديوانه ١٩١ ، والأمالي ٢/٨، وأمالي المرتضى ١/٢٦٦ ، وحماسة البحتري ٩٥ . وهي في الوحشيات ١٥٥ ، وأمالي الزجاجي ١١١ ، وحماسة الظرفاء ٢/٥٥ دون نسبة.والابيات ١ـ٣ في ديوان أبي العتاهية ٢٠٩ . على أنها نسبت الى لبيد بن ربيعة في في بهجة المجالس ٢/٢٣٣ .

● فلو شاءَ ربي كان أيْرُ أبيكُمُ طويلا كأير الحارثِ بن سَدوسِ

والبيت للسرادق السدوسي كما في التكملة (أير) وقبله :

أغاضبةٌ عمرو بن شيبان أن رأت عَديدي الى جُرثومةٍ ودَخيسِ

وهو في اللسان (أير) ، (هنأ) ، (نطق) ، وجمهرة الامثال ٢/٢٥٤ وتهذيب اللغة ١٥/٣٢٩ دون نسبة .

● . . . . تنابلةٌ يحفرون الرساسا

كذا أثبته المحقق عن اللسان (رسس). ولكنه لم ينسب فيه الى النابغة الذبياني وانما نسب الى النابغة الجعدي وهو في ديوانه ٨٢ وصدره :

سبقتُ الى فَرَطٍ ناهلٍ . . . .

● اذا أنا لم أنفعْ خليلي بوده فإنَّ عدوي لا يضُرهمُ بغضي

والبيت للنابغة الشيباني ، وهو في ديوانه ١١٧ ضمن قصيدة مطلعها:

ألا طرقتنا بالقَرينين مَوهِناً وقد حَلَّ فيعيني َمن سنتي غمضي

والرواية : صديقي ... لم ...

● تَعصي الإلهَ وأنت تظهرُ حبَّه هذا لعمرُكَ في المقال بديعُ

لو كنتَ تصدق وُدَّه لأطعتَه انّ المحبَّ لمن يُحب مُطيعُ

والبيتان لمحمود الوراق . وهما في بهجة المجالس ١ / ٣٩٥ ، والتمثيل والمحاضرة ١٢ ، والكامل ٢٢٥ ، والعقد الفريد ٣/١٤٩، وزهر الآداب ١/٨٩ ، وهما في المحاسن والاضداد ١٠٤ لذي الرمة وعنه أثبتهما المحقق في ذيل ديوانه ص ٣٣١ . وهما في المحاسن والمساوىء ٣٥٤ لاسماعيل بن القاسم . وفي بهجة المجالس : « قال محمود الوراق ، وتنسب الى الشافعي » وبعدهما :

في كلِّ يوم يبتديكَ بنعمةٍ منهُ وأنت لشكرِ ذاكَ مُضيعُ

● وعُرِّيتَ من مالٍ وخيرٍ جمعته كما عُرِّيت مما تُمِرّ المغازلُ

وليس البيت للنابغة وانما هو للاعشى وهو في ديوانه ١٨٥ ضمن قصيدة مطلعها :

أقيسَ بن مسعود بنقيس بنخالد وأنت امرؤٌ ترجو شبابكَ وائلُ

وهما أيضا في حماسة ابن الشجري ٢/٩٢٦ ، والبديع ٧٠ ، والرواية ... من وفر ومال ...

● يميح بعود الضَّرو إغريض بغشة جلا ظَلْمَهُ ما دون أن يَتَهَشَّما

والبيت في مجالس ثعلب ٢/٥٦٦ ، وهو في اللسان (ميح) دون نسبة . والرواية : تميح ، فإنه يصف امرأة تستاك بعود الضرو .

● قد خادعوا حَلَماً من حُرَّة خُلُق حتى تبطَّنها الخدّاع ذو الحَلَمِ

كذا أثبته المحقق والصواب : .. جلما عن .. كما في ص ١٨٥ من الديوان .

● ألم برسمِ الطَّللِ الأقدم بجانب السَّكران فالأيهمِ
دارٌ فتاة كنت ألهو بها في سالف الدهر عن الأَخرمِ[1]

البيتان في معجم البلدان (الأيهم) .

● ولست بداخرٍ أبداً طعاماً حذارَ غدٍ لكل غد طعامُ
تمخضت المنونُ له بيومٍ أتى ولكل حاملة تمامُ

والبيتان في الديوان ص ١٠٦ ، ٢٥٠ . وأثبتهما المحقق في ذيل الديوان ص ٢٣٢ مرة أخرى . والاول منهما في سمط اللآلي ١/٩٠ ، والكامل ٩٠ ، وديوان أوس بن حجر ١١٥ ، وديوان حاتم ٣٠٤ . وفي الكامل: « ويروى للنابغة [هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه في كلمة لم يعرفها الاصمعي] ولست بداخر ... » .

والبيت الثاني في اللسان والصحاح (مخض) لعمرو بن حسان وقبله ثلاثة أبيات أخرى . وفي التكملة (مخض) : « هكذا أنشد الابيات أبو محمد السيرافي لعمرو بن حسان ويروى لسهم بن خالد بن عبد الله

(١) في الديوان : الاخدم . والتصويب من معجم البلدان واللسان

الشيباني ، ولخالد بن حق الشيباني أنشدها لهما على الشك أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني في ترجمتهما على التمام وهي...».
والبيت الثاني في الاختيارين ص ١٦٥ للحارث بن مسهر الغساني ضمن أبيات كثيرة ، وهو في تهذيب الالفاظ ٣٤٦ والمجمل ١/٢٣٥ دون نسبة والرواية : أني .

● وأعيارٍ صوادرَ عن حَماتي لبين الكَفرِ والبَرَقِ الدَّواني
ألا زَعَمت بنو عبس بأنّي ألا كَذَبوا كبيرُ السن فاني

والاول منهما في الديوان ص ٢٥١ ، ومعجم البلدان (حماتي) .
أما البيت الثاني فهو للنابغة الجعدي وهو في ديوانه ١٦٢ ، والبديع ٦٠ ، والمعمرين والوصايا ٨١

● كأنك من جمال بني أُقيش يُقعقَعُ خلف رجليه بشَنِّ

وفي الحاشية : « من زيادات ابن السكيت ، وانظر ص سبق ذكره في الديوان برواية ابن السكيت » . كذا وليس البيت من زيادات ابن السكيت وانما هو في رواية الاعلم — ص ١٢٦ من الديوان — وانظر أيضا اللسان (خدر) ، (أقش) ، (وهش)،(قمع) ، (شنن) ، (دنا) ، والمخصص ٣/٨٢ ، وتهذيب اللغة ١/٦٣ ، ٦٤ .

● وصبّحه فلجاً فلا زال كَعبُهُ على كل من عادى من الناس عاليا

والرواية : ظاهراً ، والقافية رائية . وهو البيت التاسع عشر من القطعة السابعة في الديوان ص ٧١ وبعده :

● ورَبَّ عليه الله أحسنَ صُنعهِ وكان له على البريّة ناصرا

وهو في التكملة (صبح) دون نسبة . ولم يتنبه الصغاني الى تحريف القافية . وفي الحاشية : « اللسان : قال النابغة ، والبيت ليس في ديوانه ».

● فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقَه ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
فتى كملت أخلاقه غير أنّه ... جوادٌ فما يبقي من المال باقيا

والبيتان للنابغة الجعدي وهما في ديوانه ١٧٣ــ١٧٤ ، والشعر والشعراء ١/٢٩٣ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٩٦٩ ، والاول منهما في المصون ٢٤ ، والثاني في اللسان (وحح) ، والبديع ٦٢ ، وديوان المعاني ١/٣٦ .

● ص ٨٤ تعدو الذئاب على ... في المؤتلف والمختلف ١٨٧ للزبرقان ابن بدر ضمن أربعة أبيات .

● الابيات ٥ ، ٦ ، ٩ من القطعة ٢٩ ص ١٥٧ في ديوان أوس بن حجر ص ٣٩ .

● البيت ٤ من القطعة ٣٤ ص ١٦٧ في ديوان عبيد بن الابرص ص١٢٥ ضمن أبيات كثيرة .

● القطعة ٥٢ ص ١٨٩ في ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٣١ في ٨ أبيات.

● البيت الاول من القطعة٥٥ ص١٩٢ في اللسان (جعع) لنهيكةالفزاري.

شعر آخر منسوب للنابغة :

ويمكننا أن نضيف الى ما ذكره المحقق في ذيل الديوان من أبيات ما يلي :

ما لبِثَ الفتيان أن عصفا بهم ولكل قفل يسَّرا مفتاحا[١]

* * *

● فيصيدنا العيرَ المدلَّ بشدِّه قبل الونى والأشعبَ النبَّاحا[٢]

* * *

حتى اذا عزَلَ التوائم مُقصرا ذاتَ العِشاء وأخلف الأركاحا[٣]

* * *

● تَسعُ البلادُ اذا أتيتكَ زائراً واذاهجرتُكَ ضاقَ عني مقعدي[٤]

* * *

● وتخالها في البيت اذ فاجأتَها قد كان محجوباً سراجَ المُوقد[٥]

* * *

● واذا رأيتَ رأيتَ أقمر مُشرقاً ومُرَكَّناً ذا زَرنبٍ كالجَلْمد[٦]

* * *

● طالَ الثَّواءُ على رسوم ديار قفر أُسائلُها وما استخباري[٧]
داراً تعفَّت لا أنيسَ بجوِّها إلا بقايا دِمنةٍ وأَواري
قَتَّت عليها فاضمحلَّ طلولها هُوجُ الرياح وديمةُ الامطار
اذ قرَّبوا للبين كل عُذافرٍ رخوِ الأخادعِ مُسنِفٍ خطَّار
دارٌ لميَّة اذ هم لك جيرةٌ هيهات منك منازلُ الأحوارِ

(١) حماسة البحتري ٩٥ ، وهو في اللسان (فتا) دون نسبة ، وموضعه بعد البيت الخامس من القطعة ١٣ في ذيل الديوان ص ٢٨٨ .
(٢) أساس البلاغة (تَبَحَ) .
(٣) اللسان (خلف)
(٤) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ص ٣٤ وموضعه بعد البيت ٢٧ من القطعة الاولى.
(٥) المصدر السابق ص ٣٨ وموضعه بعد البيت ١٢ من القطعة الاولى.
(٦) المصدر السابق ص ٣٩ وموضعه بعد البيت ٣٠ من القطعة الاولى .
(٧) المصدر السابق ص ٦٦ ويليها : نبئت زرعة ... وانظر الديوان ص ٢٥٨ ، ١٦٨، ٥٤ . والبيت الخامس في المنازل والديار ٨٦ ، والسادس في معجم البلدان (وبار) .

فتحمّلوا رُجَلاً كأنّ حمولهم ... دَومٌ ببيشةَ أو نخيلُ وَبارِ
ولقد أُسلي الهمّ حين ينوبني ... بنَجاءِ مُضطلعِ السُّرى مَوّارِ
يستنّ في ثِني الزّمام وينتحي ... فِعلَ الخَليّةِ في الخليج الجاري

* * *

● ما اضطرّك الحِرز من ليلى الى بَرَدٍ ... تختارُه معقلا عن جُشّ أعيارِ (١)

* * *

● كأنّ عذيرهم بجنوبِ سِلّى ... نعامٌ قاقَ في بلدٍ قِفارِ (٢)

* * *

● فإن يك مولانا تجانفَ نَصرُهُ ... وأسلمنا لمُرّةَ المتظاهِرَه (٣)

* * *

● أبغي ربيعةَ إنّي لستُ ناسيَهُ ... إن الحبيب على العِلات مذكورُ (٤)

* * *

● وغُيّبَ فيه يوم راحوا بخيرهم ... أبو حُجُرٍ ذاك المليكُ الحُلاحل (٥)

* * *

● يهبُ الجِلّةَ الجراجر كالبسـ ... ـتان تحنو لدَردَقٍ أطفالِ (٦)

(١) اللسان (جشش) ، (ليل) . وهو في (سلل) دون نسبة . والصواب أنه لبدر ابن حِزّان . ديوان النابغة ص ٧٩ ، ومعجم البلدان (حش أعيار) ، (ليلى) ، (برد) .

(٢) اللسان (قوق) وفيه : « وهذا البيت نسبه ابن بري لشقيق بن جزء بن رباح الباهلي » . وهو كذلك في معجم البلدان (سلى) ضمن أربعة أبيات ، وفي (روضة ساجر) : « قال أعشى باهلة ، وقيل شقيق بن جزء الباهلي » . وهو لشقيق بن جزء في شرح أبيات سيبويه ٣٠٨/١ ، ٣١٠ . والعذير : الحال ، يريد كان حالهم في هربهم منا وفرارهم ، حال نعام يبادر في العدو وهو فزع مذعور . ويروى : غديرهم أي ماتخلف منهم . اللسان ، ومعجم البلدان(سلى) .

(٣) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت ص ٢٠٩ وموضعه بعد البيت ٩ من القطعة ٢٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(٥) المصدر السابق ص ١١٩ وموضعه بعد البيت ٣٦ من القطعة ٢٢ .

(٦) تهذيب الالفاظ ٤٧٨ . والصواب انهما للاعشى . ديوانه ص ٩ واللسان (بضا) .

=

والبغـايا يركضن أكسيـةَ الإضـ ـريجِ والشَّـرعبيَّ ذا الاذيالِ

* * *

● كأنَّ فاهـا اذا توسـن مـن طيبِ رُضابٍ وحسن مبتسَمِ (٧)
رُكّـبَ في السَّام والزبيب أقا حيُّ كثيب ينـدى مـن الرِّهَمِ

* * *

● فلن أذكرَ النعمانَ إلا بصالح فإنَّ لهُ عنـدي يُدِيّا وأنعُما(٨)

* * *

● لليلى بشرقيِّ النجاد مساكنُ قفار تَعَفَّتْها شَمالٌ وداجنُ(٩)
شَمالٌ تجاذبها الجنوبُ بعرضِـها ونزع الصَّبا مور الدَّبور يُحاتنُ
توهمت منها معهدا فعرفتُه لسبعةِ أعوام وذا العامُ ثامـنُ

• • • • • •

أقامت على ريبِ الزمانِ وأزعجت وسُفعٍ على ما بينهنَّ حواضـنُ
يحفّـون بسَّاما غضوبا واتّـه بليلى نوىً عن دار أهلك شاطنُ
يُقسِّم أحناءَ الأمور فهارِبٌ لراعٍ لمن سَنَّ العروجَ وخازنُ
وشاصٍ عن الحربِ العوان ودائن

=
والاول منهما في اللسـان (دردق) ، (جرر) ، وتهذيـب اللغة ٤١١/٩ . وهو في المخصص ٤٣/١٤ دون نسبة . والثاني في تهذيب اللغة ٢١١/٨ ، وهو في المخصص ١٤٤/٣ ، ٣٣/٤ دون نسبة . والشطر الثاني منه في تهذيب اللغة ٣٢٦/٣ .

(٧) اللسان (سوم) . والصواب أنهما للنابغة الجعدي . ديوانه ١٥١ـ١٥٢ وتهذيب الالفاظ ٦٣١ . وهما في المخصص ١٠٤/٥ دون نسبة .

(٨) اللسان (نعم) ، وهو في (زنم) لضمرة بن ضمرة النهشلي وقبله :

تركتَ بني ماءِ السماء وفعلَهم واشبهتَ تيسـا بالحجاز مُزَنَّمـا

كما نسب في (يدي) الى الاعشى وصححه ابن بري لضمرة بن ضمرة . وهو في المخصص ١٨٩/١٦ دون نسبة . والشطر الثاني منه في المخصص ٢٣٧/٢، واللسان (حبق) دون نسبة أيضا.

(٩) الابيات ١ ، ٣ ، ٥ في المنازل والديار ١٩٧ ، والاول منها في ذيل الديوان ٢٣٣ ، ومعجم البلدان (شرع) ، والبيت الثاني في اللسان (حتن) وتهذيب اللغة ٤٤٢/٤ ، والرابع (حضن) وتهذيب اللغة ٢١٠/٤ والسابع في (حنـا) وتهذيب اللغة ٢٥١/٥ ، والسادس في المعاني الكبير ٤٧٥ .

وكل فتـى بما عملـت يـداه   وما أجـرت عوامله رهـيـن[١]

٣ ـ أخطاء في الفهارس وفهرس جديد للاماكن

● ولم تخل الفهارس التي وضعها المحقق من أخطاء غير يسيرة إما بإسقاط الأعلام وإما بإسقاط بعض مواضعها وإما بالخطأ فيها أو في ترتيبها، إذ أنه أثبت الكعبة ووجرة في حرف العين كما أثبت الملح والمطارة والنمارة والنار والنبق في حرف اللام و وعال في حرف اليـاء . كما أنه لم يلتزم الترتيب الهجائي بدقة فجاءت الرميثة قبل الردة وفرتنى بعد الفوارع واليمن قبل يشرب والملح قبل مسحلان .

كما أثبت حجر واليمامة في موضعين مختلفين ... كذلك لم يعتمد في ترتيبها نهجا معينا فوضع ذا أبان في حرف الالف وذا حسى في حـرف الذال . ثم إنه جعل طسم وجديس وحجار من أعلام الاماكن وإزاء هذا الاضطراب البالغ رأيت أن أعيد ترتيب هذا الفهرس مضيفا اليه ما فات المحقق من أسماء وأرقام:

(أبرق الحنان) ١٩٨*	(أرل)* ٦٣
(أبوى)* ١٨٨	أريك* ٣٠ ، (١٤٣) ، ٢١٩[٢]
(أبـير) ١٤٣	(الأشـراج) ٢٠[٣]
الأتـم* ١٣٤	إضـم[٤] ٦١

(١) اللسان (مشي) وموضعه بعدالبيت ٨ من القطعة ٧٥ .

* ما قرن بنجم من اسماء الاماكن فهو مما استشهد فيه ياقوت الحموي بشعر النابغـة الذبياني . أما ماوضع بين قوسين من ارقام او أعلام فهو مما لم يذكره المحقق .

(٢) في الاصل ٢٢٠

(٣) ليس عند ياقوت الحموي

(٤) في الاصل اضـم

أظلــم ١٠٤
أقــر* (٧٥) ؛ ١٨٤ ، ٢٠٢ ، (٢٠٤)
إلال* (٣٦) ؛ ١٠٥١
(الأمرار)* ٥١ ؛ ١٦٨
(أم صبار)* ٧٧
أمواه الدنا* ١٤٩
أندر ١١٦[1]
(الأندري) ١١٦
أورال ٦٣ ، (١٨٠)
(الأيـم) ١٣٤
(الباغوث)[2] ١٥٨
البحرين (٤٣) ، ٩٩ •
(البرابغ)[3] ١٧٤
بــرد ٧٩
(برقاء اللهيم)* ١٦٣
برقة صادر* ٩٨
بزاخة ٩٩[4]
بستان ابن عامر ٦١
بصرى ١٢١ ، ١٣١
البقار* ٥٦ ؛ (٦٥) ، (٢١٥)
(البنانة)* ١٨٤[5]
(بيت رأس) ١٣١
(تدمر)* ٢١
تعشــار ٥٦
تهامة ١٠٠
توضح ٢٢
(التين)٦٣
(ثبرة)* ٣٦
ثهلان (١٥٧) ؛ (٢٠٦)[6]
جاسم ١٢١[7]
(جش أعيار) ٧٩
الجفار (١٢٧) ، ١٨٧
(جف تغلب)[8] ١٦٨
جلــق ٤١
(جماد واف)[9]
الجموم* ٦٧[10]

(١و٢و٣) ليس عند ياقوت الحموي
(٤) في الاصــل بزاحــة
(٥) نسب البيت في هذا الموضع وهما الى النابغة الشيباني .
(٦) في الاصل ٢٠١
(٧) في الاصل جاتــم
(٨و٩) ليس عند ياقوت الحموي
(١٠) في الاصل ١٦٧

(الجناب) ١٤٤
جوش* ٧٧
الجولان* ٥٠ ، ١٢١
(حارب)* ٤١
(حامر)* ٦٩[١]
الحبي ١٠٠ ، (١٤٩)
(الحجاز) ١٩٥
حجر = اليمامة
الحجون ١٠٠ ، ٢٢٣
(حرة داخل) ١٤٨
(حرة راجل)* ١٤٨
(حرة النار)* ٧٦ ، ٧٩
حسمى* ١٣٦
حسى ١١٠
(حليمة)* ٤٥
(حنين) ٦٤
(حوضى) ٦٥
(الحيرة) ٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٨
(خالة)* ١٧٥
(الخبيت)* ١٧٤
الخط ٤٣
(الدثينة)* ٥٩
(الدفينة) ١٦٨
الدماخ* ١٠٤
(دمشق) ٥٠
(الدنا)* ١٤٩
دوار* ٧٥
(ذات الأجاول) ١٤١
(ذات الأساود) ١٣٧
(ذات الجزع) ٢٢٠[٢]
(ذات المراود) ١٣٨
(الذنابة) ١٧٥
ذو أبان ١١١ ، ١١٢
ذو حسى ٣٠
(ذو سدر) ١٨٤
(ذو قار) ٨٠ ، ١٧٥
(ذو المجاز) ٦٤
(ذو المطارة)* ١٤٤
(الذهيوط)* ١٣٣
راكس ٣٢
(الربابة) ١٧٥
(الربائع) ١٧٤

(١) في الاصل حاصر
(٢) ليس عند ياقوت الحموي

الرده ١٧٩ ، (٢١٥)
ردينة* ١٥٠
(رضوى) ١٨٠
الرميثة* ٥٩ ، (٦٠) ، (١٦١)
(روضة نعمي)* ١٣٧ ، ١٤١
(الزنانير) ١٥٨
زوراء* ٣٩ ، ٥٢
السـر ٢١٣
السـعد ٢٥
(سنام) ١٣١
(سـوى) ١٧٥
(الشام) ٢١ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٣ ،
١١٤ ، ١٢١،١٢٢ ، ١٣٠،١٣٤
(الشحر) ٢١٣
(شراف) ٢٠٥
(شرب) ١٧٦ ، ١٧٩
الشرع* ٦١
الشهاق ٢٢١(١)
(صحن) ٢٠٥
الصمان ٢٢١
صيداء* ٤١

ضرغد ٨٧
الضواجع* ٣٢
(عاقل)* ١١٦ ، ١٤٣
(عالج) ١٤٤
عتـائد ٨٧
عراعر ٥٩ ، (١٦٨)
(العراق) ١٣٦
(عرفة) ١٥١
(عريتنات) ١٢٥ ، ٢١٣ ، ٢١٩
(العريمة)* ١٦٨
عظـم ٧٧
(العقيق) ٩٣
(عويرضات) ١٤٩
(عين باغ)* ٢٠٦(٢)
(عين نخل) ٢٢١
غسـان ١٢٢
الغيـل ٢٥
الفـرات ٢٦
فرتني ٣٠
الفوارع ٣٠

(١) في الاصل ٢٢٣

(٢) الاصل فيه اباغ . وقد اسقط النابغة الهمزة من اوله . معجم البلدان (أباغ).

أبو قبيس ٢٥
(قتـاد) ١٧٩
(قراقر)* ١٧٥
(قرح) ٢١٩
(القرى)* ٩٨، ٩٩
(قسا) ١٩٩
(قصائره)* ١٥٣
(القصيبة) ٢١١
(القصيم) ٢١١
(القعاقع) ٨٧
الكعبة ٢٥
(كنيب)* ٥٩، ١٦٨
(الكوائل)* ١٤٣
لباح ٢١٣[1]
(لصاف)* ٣٦
(لقمـان) ١٣١[2]
اللهيم ١٦٤
(ليلى) ٧٩
(المجنة) ٦٤
(مران) ١٧٦
(مسحلان) ٦٩
(مكة) ٢٥، ٦٤
(الملا) ٢٠٥
(الملاح) ٢١٣
الملـح ٥٠
(المناظر) ١٧٥
(منى) ٦٤
النـار ٧٦[3]
نبـق ٢٣
(نجد) ١٠٠، ٢٠١
نخلة = بستان ابن معمر
(النسار) ١٢٧، ١٨٧
النعف ١٠٣[4]
النمارة* ١٥٧
(نيـان) ٦٦
(النـير) ١٥٧
وجرة ١٧
(وعال)* ١٤٩
يثـرب ٨٩
(يعملة) ٢٢١
اليمامة ٧٦، (٨١)، ٨٧، (١٠٠)
١٠١، ١٤٩
اليمن (٤٥)، (٥٣)، ١١٣، (١٩٥)

(١) في الاصل ٢١٤
(٢) ليس عند ياقوت الحموي
(٣) في الاصل ١٢٧
(٤) ليس عند ياقوت الحموي

٤ ـ اخطاء في فهرس القوافي

● ولم يخل فهرس القوافي من أخطاء متنوعة مابين تصحيف وتغيير للرواية وخطأ في الشكل أو اهمال له أو زلل في وزن الشعر وتمييز أبياته كما يتضح من الامثلة التالية :

١ ـ ص ٢٦٥ : أسائلتي سفاها وجهلا • كذا أثبته المحقق مختل الوزن والرواية : سفاهتها •

٢ ـ ص ٢٦٦ : تطاوح أمر عَنجدةَ الليالي • كذا ، والرواية : المنايا•

٣ ـ ص ٢٦٦ : عفا ذو حسى من فرتنجا •• فالقلاع • وليس البيت كما ذكر المحقق وانما هو : فرتنى •• فالتلاع•

٤ ـ ص ٢٦٧ : لاتَرهبيني بقوم وانظري نفرا • كذا ، والرواية: نفـري •

٥ ـ ص ٢٦٧ : بانت سعاد •• انصرما •• إخما • كذا أثبته المحقق وانما هو : انجذما •• إضما •

٦ ـ ص ٢٦٧ : وضناً بالتحية والسلام • كذا وصحته : •• الكلام •

٧ ـ ص ٢٦٧ : وقد قَلَبت عن لون أحمر قاتم •• تكد ترفَّعُ • أثبته المحقق في حرف الميم وهو البيت ٦ من القطعة ٤٥ ص ١٨٢ •

ومن أخطاء المحقق الاخرى :

غضابُ ص ٢٠٧ (من الكامل) • كذا والصواب : من الطويل•
الكواكبِ ص ٤٠ (من البسيط) • كذا والصواب : من الطويل•
المحامدِ ص ١٨٩ (من السريع) • والصواب أنها من الطويل•

صهري ص ٨٠ (من الطويل) . كذا وانما هي من الوافر .

عامرِ ص ١٥٦ كذا والصواب ١٧٥

الأعذارِ ص ١٦٧ (من السريع) كذا وانما هي من الكامل ، والابيات في ص ١٦٨ .

الدوافعُ ص ٣٠ (من البسيط) كذا وانما هي من الطويل .

وعالِ ص ١٧٧ كذا والصواب ١٤٩

فأظلما ص ١٠٤ (من الكامل) كذا وانما هي من الطويل

رهينُ ص ٢٠٥ كذا والصواب ٢١٨

ومما فات المحقق :

ثقيلا ص ٢٠٨ (من الوافر)

أورالا ص ١٨٠ (من البسيط)

أهلي ص ١٧٩ (من الطويل)

الباطلِ ص ١٩٥ (من الكامل)

والنعما ص ١٧١ (من البسيط)

منصرمِ ص ٢٠١ (من البسيط)

سنانِ ص ١٩٨ (من الكامل)

تلك هي جملة الملاحظات التي ارتأيت ذكرها ، وعسى أن يفيد منها المحقق في طبعته الثانية للديوان .

حلب : **محمد يحيى زين الدين**

آراء وأنبـاء

تجديد رئاسة الاستاذ الدكتور حسني سبح لمجمع اللغة العربية

صدر عن السيد رئيس الجمهورية المرسوم التالي ذو الرقم ١٩٥١

رئيس الجمهورية يرسم مايلي :

مادة ١ ـ يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتبارا من ١٨/٧/١٩٨٠

مادة ٣ ـ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٧/١٠/١٤٠٠ هـ
٢٧/٨/١٩٨٠ م

رئيس الجمهورية
حافظ الاسد

وكان مجلس مجمع اللغة العربية قد عقد جلسته الثانية عشرة في الدورة المجمعية ٧٩ـ٨٠ (تاريخ ١٥ شعبان ١٤٠٠ الموافق ٢٨ حزيران ١٩٨٠) إثر انتهاء المدة السابقة للرئيس في ١٧/٧/١٩٨٠ فجدّد بالاجماع وبالاقتراع السري انتخاب الرئيس لأربع سنوات أخرى ، وصدر بذلك المرسوم السابق .

ولجنة المجلة تتمنى للمجمع مزيداً من النشاط والعمل لخدمة اللغة العربية والتراث العربي في ولايته الرابعة هذه .

تعقيب صغير على مبحث

« التضمين »

الاستاذ محمد بهجة الاثري

قرأت في الجزء الاول من المجلد الخامس والخمسين من مجلة (مجمع اللغة اللغة العربية) ، كتب الله لها النمو والدوام ، مبحث (التضمين) النفيس ، للباحث اللغوي المدقق : الاستاذ صلاح الدين الزعبلاوي . وهو واحد من مباحث لغوية بارعة ، شرعت هذه المجلة الزهراء تنشرها له في الآونة الاخيرة . وهي شاهدة لصاحبها بفقهه في العربية ، وبفضله وحسن تأتّيه في إعمال الفكر والرويّة فيما يتناوله من شؤونها باحثاً متقصّياً ، وناقداً متثبتاً . ولئن عرض له وهو في ذروة الحفظ والتثبت شيء من السهو ، أو من سبق القلم ، وهو أمر طبيعي ، إنّ ذلك ليس بالذي يغمز الفضل الذي حواه وتحلّى به ، فما كتبت العصمة لإنسان غيره ، فيطلب تحققها فيه ؛ و « مَنْ له الحسنى فقط ؟ »

لقد قرأت في هذا المبحث الممتع المفيد قول الكاتب الفاضل (« ٩١ـ٩٢ ») « يُقال : صبر عليه ، وصبر عنه . فصبر في الاصل : حبس ... وهو متعدٍّ في الاصل ، تقول : صبرت نفسي ، كقولك : حبست نفسي . ففي التنزيل : « واصبر نفسك على الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي » . قال البيضاوي في تفسير الآية ٨٢ من الكهف : « واصبر نفسك : احبسها وثبّتْها » ... ومادام (صبر) يجري مجرى (حبس) ، فإن تعديته بـ (على) اذا أريد به إمساك النفس على حال ، أو استمساكها إزاء حال دون جبن أو فزع ، ودون ضعف أو خور ؛ وتعديته بـ (عن) اذا بُغي به حبس النفس عما تحب في ثبات ، أو انصرافها دونه في تجلد ، تعديته في هذا

وذاك صحيح . قد أنزل (على) و (عن) بهما الموضع الذي ألفاه في الاصل».

أقول : يؤخذ على هذا الكلام أنه بالقياس الى الآية الكريمة قد شيد على غير أساس قائم ، وبُني على التوهم والغلط . ذلك أن الآية الكريمة قد رُويت فيه هكذا : « واصبر نفسك (على) الذين يدعون ربهم .. » ، وهي قراءة مخالفة للاصل القرآني المتواتر الثابت . ونصها الصحيح هو: « واصبر نفسك (مع) الذين يدعون ربهم .. » ، لا تعرف فيها قراءةأخرى وُضِعَت فيها (على) موضع (مَعَ) . وهي الآية الثامنة والعشرون من سورة الكهف ، وليست الثانية والثمانين كما رقمت في البحث . ومن هنا بطل الاستشهاد بها على التفريق بين (صبر) معدًى بـ (على) ، و (صبر) معدى بـ (عن) ، إذ لاوجود لأيٍّ كان من هذين الحرفين في الآية ، وانما فيها (مَعَ) وهي تفيد (المصاحبة) ، ومعنى الآية معها : « واصبر وثبِّتْ ، يا (محمد) ، نفسَك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، بذكرهم اياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والاعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغير ذلك ، يُريدون بفعلهم ذلك وجهه ، لايُريدون به عرَضاً من أعراض الدنيا » على نحو ما قرر الإمام أبو جعفر الطبري في التفسير[1] .

وقال إمام المئة الثالثة عشرة شيخ مشايخنا أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي في تفسيره : (روح المعاني) : « (واصبر نفسك) ، أي : احبسها وثبِّتْها ، يقال : صبرت زيداً ، أي حبسته . وفي الحديث النهي عن صبر الحيوان ، أي حبسه للرمي ، واستعمال ذلك في الثبات على الامر وتحمله توسُّع ، ومنه الصبر بمعناه المعروف ، ولم يجعل هذا منه لتعدّي

(١) تفسير الطبري ١٥/١٥٤ .

هذا ولزومه (مع الذين) أي : مصاحبة مع الذين (يدعون ربهم بالغداة والعشيّ) أي يعبدونه دائماً • وشاع استعمال مثل هذه العبارةللدوام»[١]•

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية : « أن سلمان رضي الله عنه قال : جاءت المؤلفة قلوبهم الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس ، فقالوا : يا رسول الله ! إنّك لو جلست في صدر المجلس ، ونَحَّيْتَ عنا هؤلاء وأرواحَ جِبابِهم — يعنون سلمانَ وأبا ذرّ وفقراء المسلمين ؛ وكانت عليهم جِبابُ الصوف لم يكن عليهم غيرها — جلسنا إليك ، وحادثناك ، وأخذنا عنك ! فأنزل الله تعالى : « واتْلُ ما أوحِيَ إليك من كتاب ربك ، لامبدّل لكلماته ، ولن تجد من دونه مُلْتَحَدا ، واصبر نفسك (مع) الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه — حتى بلغ : إنّا أعْتَدْنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادقها» يتهددهم بالنار • فقام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى ، فقال : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبِرَ نفسي (مع) رجال أمتي : (معكم) المَحْيا ، و (معكم) الممات[٢] • »

وإني لأصبر نفسي مع الاستاذ الكريم في خدمة لغة كتاب الله العظيم إن شاء الله ، وإليه مني كريم المودة وأطيب التحيات•

بغداد : محمد بهجة الاثري

(١) روح المعاني ١٥/٢٦١ ، ط ٢ •

(٢) القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ١٠/٣٩٠ •

ترجمـــة المتنبي

في تاريخ ابن عساكر

الاستاذ محمد أحمد دهمان

أصدرت وزارة التعليم العالي في الجمهورية العربيـة السورية اثر مهرجان ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادة ابن عساكر مجلداً ضخماً في (٨٤٩) صفحة ؛ يحوي الكثير من العلم والدراسة والتحقيق •

ويرجع الفضل في اخراج هذا المجلد الى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي عرف من يتقن مثل هذه الموضوعات ، فأعطى القوس باريها ، فكان كتاباً يفتخر به ، وقاموساً يرجع إليه •

وكان ممـا وقع نظري عليه مقـالة العـالم المحقق النحرير الأستاذ كوركيس عواد فقد جاء فيها (ص : ٤٤٨) ما يلي :

(ترجمة المتنبي • استخرجها محمود محمد شاكر وحققها ونشرها في كتابه « المتنبي » [مط ، المدني ــ القاهرة ، ١٩٧٦] ص : ٣١٣ ــ ٣٣٨)•

فسررت كثيرا بما أثبته الأستاذ عواد ، وابتهجت أيما ابتهاج وذلك أن ترجمة المتنبي هي من القسم الضائع من تاريخ ابن عساكر ، وقـد كنت نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق [مجلد ٥٥ ج ١] نحو مائتي اسم سقطت من النسخ الموجودة من تاريخ ابن عساكر ومن جملتها ترجمة المتنبي ، فاستبشرت بالعثور على ترجمة المتنبي ، وقلت إن هذا سيهدينا

إلى مجلد مجهول من تاريخ ابن عساكر يحتوي ترجمة المتنبي وغيره من أسماء الأحمدين الساقطة من النسخ المخطوطة الموجودة من هذا التاريخ . ورجعت إلى كتاب « المتنبي » للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر ، فإذا هو جزءان . تجشمت قراءتهما لعلي أعثر على شيءٍ يتعلق بموضوعي، وهو موضوع تاريخ ابن عساكر ، وأخيراً وجدته يقول في صفحة مستقلة (٢ : ٣١١) : « ترجمة المتنبي » لابن عساكر ، وفي ص ٣١٣ من كتابه « المتنبي » ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذه نبذة من أخبار أبي الطيب المتنبي رحمه الله تعالى مما أورده ابن عساكر في ترجمته »

قال الشيخ الإمام الحافظ ثقة الدين[1] أبو القاسم علي بن الحسن بن الحسين الدمشقي ، ابن عساكر ، في حرف الألف .

١ ــ أحمد : هو ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمَد ، أبو الطيب الجُعفي الشاعر المشهور بالمتنبي ، قدم دمشق ومدح بها . روى عنه القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي الفقيه .

٢ ــ وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد [٤ : ١٠٢] : احمد بن الحسن بن عبد الصمد الشاعر المعروف بالمتنبي .

٣ ــ وقال الحسن المتطبب : وظفرت بمختار صغير في أخبار المتنبي ألفه [ياقوتُ] بن عبد الله الرومي الأصل البغداديّ المنشأ ، الحموي

(١) ثقة الدين : لقب ابي القاسم بن عساكر ، ووقع في الكتاب : الثقة الدين ، وهو خطأ مطبعي .

المولى ، رحمه الله تعالى ، فنقلت منه ما يأتي ذكره : وهو أنه ذكر في نسب المتنبي فقال : « وقال قوم : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعفي وقال أبو الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي : الذي أعرفه من نسب أبي الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مُرة بن عبد الجبار الجعفي » .

وحينئذ طلبت من صاحبي الذي كان يقرأ لي أن يقف وقلت له : « إن هذا الكلام ليس كلام ابن عساكر ولا يشبهه » فالأسطر الأولى هي من تاريخ ابن عساكر بلا ريب ، وأما قوله : وقال أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد [٤ : ١٠٢] : (أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الشاعر المعروف بالمتنبي) فليس هذا من كلام ابن عساكر ولا من أسلوبه ، لأن ابن عساكر حينما ينقل عن الخطيب البغدادي يأتي بإسناده إليه فيقول مثلاً : (أخبرنا أبو الحسن بن قبيس حدثنا ، وأبو منصور بن خيرون « أنا » أبو بكر الخطيب)[١] . وهناك مسألة ثانية هي أنه ينقل عن ياقوت الرومي وهو متوفى سنة ٦٢٦ هـ .

فقد جاء في أول صفحة ٣١٦ قال أبو عبد الله ياقوت الرومي الحموي .

وبعد أسطر قال : أبو عبد الله ياقوت الرومي .

وفي ص ٣١٩ قال أبو عبد الله ياقوت الرومي .

وآخر هذه الترجمة (ص : ٣٣٨) : « والحمد لله وحده ، والصلاة على أكمل خلقه محمد وعترته الطاهرين وصحبه أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين » .

وهذه العبارة تشير إلى أن ترجمة المتنبي ــ موضوع بحثنا ــ رسالة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج١٠ ص ٣٥ ، ٣٦ .

مستقلة مجهولة المؤلف ينقل مؤلفها عن عدد من العلماء ، منهم من هو قبل ابن عساكر ومنهم من هو بعده .

وبعد هذا كله فإن ماورد فيها ليس فيه من ترجمة ابن عساكر إلا نحو خمسة أسطر من أولها وإليك بيان ذلك :

١ — ابتدئت هذه الترجمة بالبسملة ، والترجمة لاتبدأ بالبسملة كما في ترجمة المتنبي المنقولة من بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ص٢٤٩ من كتاب « المتنبي » للأستاذ محمود محمد شاكر .

٢ — ختمت بهذه الجملة « والحمد لله وحده والصلاة على أكمل خلقه محمد وعترته الطاهرين وصحبه أجمعين صلاة دائمة إلى يوم الدين » وهذه العبارة في آخرها والبسملة في أولها يشيران إلى أن هذه الترجمة هي رسالة مستقلة لاترجمة ، والتراجم لايوضع في أولها البسملة ولافي آخرها مثل هذه العبارة .

٣ — ذكر في هذه الترجمة أشخاص متأخرون عن ابن عساكر كياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ ، مما يدل على أن مؤلف هذه الرسالة متأخر عن ابن عساكر .

٤ — وان كثرة نقله عن ياقوت الرومي يدل على أن هذه النصوص منقولة من ترجمة ياقوت للمتنبي في معجم الأدباء ، وهي ناقصة من القسم المطبوع ، ووجودها هنا وكثرة نقله عن ياقوت تشير الى أنها ترجمة ياقوت ، وأنها تامة أو شبه تامة .

وأما ابن عساكر فالراجح انه تشاءم من ذكر المتنبي وذكر أعماله وأخباره التي فيها ادعاء للنبوة وتقليد للقرآن الكريم وقيامه بمخرقات يدعي

أنها معجزات • ولم يشأ ابن عساكر أن يخلي كتابه من ترجمة المتنبي ولا أن يقال إنه لم يترجمه ، فترجمه بهذه الاسطر الخمسة التي تقدمت ، ولو كان في ترجمة ابن عساكر زيادة على ما ذكر في أول ترجمته لنقلها كما نقل عن ياقوت •

ولعل أحداً من الباحثين يسأل الأستاذ محمود محمد شاكر عن مصدره الذي نقل عنه هذه الترجمة ، فيعيد تحقيقها ونشرها ، ويذكر مصدرها ؛ فهي قيمة ونادرة جداً ؛ لأنها تحوي النصوص التي ذكرها ياقوت في معجمه وهي ساقطة منه •

دمشق : محمد أحمد دهمان

تعقيب

الدكتور شاكر الفحام

— ١ —

الاستاذ محمد أحمد دهمان من أجلّ علماء دمشق ، بذل من ذات نفسه ما بذل ، وضحّى ماشاء أن يضحّي ، لينير طريق المعرفة ، ويكشف عن تراث العربية الاصيل ، قد نذر نفسه للعمل الجادّ النافع ، دأب عليه في صمت وتواضع عُرف بهما ، وعزف عن البهـرج الزائف ، والمظاهر الخداعة ، فلم يتطلع الى شهرة ، ولم تستهوه المناصب والالقاب . كان في دمشق خدين الشيخ راغب الطباخ في حلب ، آثرا الباقي الخالد من العمل على الفاني الزائل من عرض الدنيا .

كتب الأستاذ دهمان المقالات الطوال[1] ، وكان المبرّز السابق في ميداني التأليف والتحقيق . يذكر له من كتب التراث التي حققها :

— النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري (دمشق ، ١٣٤٥ هـ).

— مختصر منهاج القاصدين ، لابن الجوزي (دمشق ، ١٣٤٧ هـ).

— سنن الدارمي (دمشق ، ١٣٤٩ هـ) .

---

(١) أصدر مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق طائفة من هذه المقالات مثل : قبة المسجف ، الحياة العلمية في الدولة الايوبية ، المقصورة التاجية ، جبل قاسيون ، مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها ، المدرسة الظاهرية ، المدرسة العادلية الكبرى . وكان العنوان الجامع لهذه السلسلة من المقالات : النشرات الصغيرة .

ـ المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الامصار ، مع كتاب النقط ، لأبي عمرو الداني (دمشق ، ١٩٤٠ م) .

ـ مدارس دمشق ، للاربلي (دمشق ، ١٩٤٧م) .

ـ المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية ، لمحمد ابن عيسى بن كنان (دمشق ، ١٩٤٧ م) .

ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، لمحمد بن طولون الصالحي (دمشق ، القسم الاول ١٩٤٩ م ، القسم الثاني ١٩٥٦ م) .

ـ المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر (دمشق ، ١٩٦٣ م).

ـ إعلام الورى ، لمحمد بن طولون الصالحي (دمشق ، ١٩٦٤ م).

ـ إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ـ الجزء الاول (دمشق ، ١٩٧٩ م).

وله مؤلفات جليلة ، ما تزال مخطوطة ، منها : مسجد دمشق ، مدارس دمشق ، الدول الايوبية ، معجم الالفاظ التاريخية .

وعلى تعدد مناحي نشاط الأستاذ دهمان فإنه يقف في طليعة أولئك العلماء العارفين بتاريخ دمشق وخططها ، يتمثل صورتها القديمة ، ويعايش أحداثها وتاريخها ، ويقص عليك من أنباء آثارها وماضيات أيامها حديث المتقن الفطن ، الذي جهد واستقصى ، وأوعب واستوفى .

إنه ، اليوم ، يخطو في عشر التسعين[1] ، وليمدَّ اللهُ في عمره السنين

(١) سألت الاستاذ دهمان عن مولده فاخبرني أنه ولد عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م). وجد ذلك بخط والده .

تلو السنين ، ولكنه السيفُ مضاءً . يروعك بهمته ونشاطه ، وتطالعك في بردتيه عزيمةٌ لاتعرف الكلل ، وصبر لاتخالطه السآمة . يتحدث إليك عن أعماله ومؤلفاته ، وعمّا أنجزه ويزمع انجازه من مشروعات ملكت عليه نفسه ، واستأثرت بجهده واهتمامه ؛ فتنفذ كلماته الى قلبك بصدقها . وتكبر فيه هذه الحماسة ، وهذا التصميم . كل ما أتمنى أن ينفرد لهذا العالم الجليل شاب يقظ نشيط ، على قسط طيب من المعرفة ، يساعده في عمله ، ويأخذ عنه ، ويفيد منه ، ويتخرج به ، لنضمن لأعمال الشيخ أن ترى النور على خير ما يريده لها صاحبها دقة واتقانا .

وبعد ، فقد رأيت أن خير ما أعقب به على كلمة الاستاذ دهمان إثبات ترجمة المتنبي كما جاءت في كتاب ابن منظور الذي اختصر به تاريخ ابن عساكر . وها هي ذي[1] :

— ٢ —

المتنبي

١ ــ أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، أبو الطيّب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي ، من أهل الكوفة . قدم دمشق ، ومدح بها[2] .

٢ ــ قال أبو بكر الخطيب[3] : بلغني أنه ولد بالكوفة سنة ثلاث

(١) تقع ترجمة المتنبي في اقل من اربع صفحات من مخطوطة ابن منظور التي يحتفظ مجمع اللغة العربية بدمشق بصورة لها .

(٢) آثرت ان اضع للاخبار ارقاما متسلسلة ، تنسيقا لها ، وتسهيلا للقارىء .

(٣) هذه الاخبار من رقم (٢) حتى رقم (١١) مستمدة من كتاب : تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ـ ١٠٥ ، وكل ماجاء في الكلام بين حاصرتين [ ] فهو مضاف من تاريخ بغداد ، ولم استقص في ذلك فاستوعب كل زيادات تاريخ بغداد .

وثلاثمائة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الادب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس ؛ وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ فيه الغاية التي فاق أهل عصره[1] ؛ وعلا شعراء وقته • واتصل بالامير أبي الحسن ابن حمدان المعروف بسيف الدولة ، وانقطع اليه ، وأكثر [القول في] مديحه • ثم مضى الى مصر فمدح بها كافوراً الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم [خرج من مصر و] ورد العراق ؛ ودخل بغداد ؛ وجالس بها أهل الادب ؛ وقُرِىء عليه ديوانه •

٣ ــ قال أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضي قال[2]: لما ورد المتنبي بغداد سكن في رَبَض حميد[3] قال : فمضيت الى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئا من شعره ، فلم أصادفه ، فجلستُ أنتظره، وأبطأ عليَّ فانصرفتُ من غير أن ألقاه ، ولم أعد اليه بعد ذلك • وقد كان القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي سمع منه ديوانه ورواه عنه •

٤ ــ قال أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي الزيدي : كان المتنبي وهو صبيٌّ ينزل في جواري بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعيدان السقّاء ، يستقي لنا ولأهل المحلة ، ونشأ هو محبّاً للعلم والادب ، وصحب الاعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدوياً قحاً ، وقد كان تعلم الكتابة والقراءة،

---

(١) هكذا جاءت العبارة في تاريخ بغداد ٤ : ١٠٢ ومخطوطة ابن منظور ، ولعل الكلام يكون اكثر استقامة لو قيل : « حتى بلغ فيه الغاية التي فاق [بها] أهل عصره »•

(٢) كلمة (قال) زائدة لا حاجة اليها •

(٣) الربض : ماحول المدينة ، وقلما تخلو مدينة من ربض • ويجمع ربض على أرباض• وربض حميد ببغداد ، ينسب الى حميد بن قحطبة الطائي أحد النقباء في دولة بني العباس (لسان العرب ــ ربض ، معجم البلدان ــ الربض ، ربض حميد)•

فلزم أهل العلم والادب ، وأكثر ملازمة الوراقين ، وكان علمه من دفاترهم . حدّث ورّاق كان يجلس اليه قال : مارأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قط ، [فقلت له : كيف ؟ فقال:] كان عندي اليوم ، فأحضر رجلٌ كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلا ، فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعتني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه فهذا ان شاء الله يكون بعد شهر ، فقال له ابن عيدان : فإن كنتُ قد حفظتُه في هذه المدة ، فمالي عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : [فأخذت الدفتر من يده] فأقبل يتلوه الى آخره ، ثم استلبه فجعله في كمه وقام ، فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما الى ذلك سبيل ، قد وهبته لي . قال : فمنعناه منه ، وقلنا له : أنت شرطت على نفسك هذا للغلام ، فتركه عليه .

٥ ــ وكان عيدان والد المتنبي يذكر أنه من جُعْفيّ . وكانت جدة المتنبي همدانية ، صحيحة النسب ، لاشكّ فيها ، وكانت صالحة من صلحاء النساء الكوفيات .

٦ ــ قال التنوخي : قال أبي : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين الى الاهواز ، منصرفاً من فارس ، وسألته عن نسبه ، فما اعترف لي به ، وقال: أنا رجل أخبط[1] القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبتُ لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة[2] بينها وبين القبيلة التي انتسبت[3] اليها .

(١) خَبَطَ الليلَ ، من باب ضرب : سار فيه على غير هدى . والخَبْط : كل سير على غير هدى . قال الفرزدق :

سروا يخبطون الليــل ، وهي تلفهم على شعب الاكوار من كل جانب

(٢) الطائلة : العداوة والترة . يقال : فلان يطلب بني فلان بطائلة ، أي بوتر ، كان له فيهم ثارا فهو يطلبه بدم قتيله (لسان العرب ــ طول) .

(٣) في تاريخ بغداد (٤:١٠٣) : أنتسبُ .

وما دمتُ غير منتسب الى أحد فأنا أسلم على جميعهم ، ويخافون لساني .

٧ ــ قال : واجتمعتُ بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن ابن أم شيبان الهاشمي الكوفيّ ، وجرى ذكر المتنبي فقال : كنتُ أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عيــدان ، يستقي على بعير له ، وكان جُعفياً صحيح النسب .

٨ ــ قال : وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادّعى أنّه علويٌّ حسنيٌّ ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدّعي أنه علويّ ، الى أن شهد[1] عليه بالشام بالكــذب في الدعوتين[2] ، وحبس دهــراً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب ، وأُشهِد عليه بالتوبة وأُطلق .

٩ ــ قال أبو علي بن أبي حامد : سمعتُ خَلْقاً بحلب يحكون ، وأبو الطيب [المتنبي] بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السماوة[3] ونواحيها ، الى أن خرج اليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأسره ، وشرّد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه [في السجن] دهراً طويلا ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، فسئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة ، أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ، ورجوعه الى الاسلام ، [وأنه تائب منه ولا يعاود مثله] ، وأطلقه .

١٠ ــ [قال :] وكان قد تلا على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أُنزل

---

(١) في تاريخ بغداد (٤:١٠٤) : أشهد .

(٢) جاء في كتاب المتنبي للاستاذ محمود محمد شاكر (٢:٣٥٦) : في الدعويين .

(٣) بادية السماوة : البادية التي هي بين الكوفة والشام (معجم البلدان ــ السماوة) . قال أبو الطيب المتنبي (شرح العكبري ٢:١٠٨) :

اذا سلك السماوةَ غيرُ هــاد ... فقتــلاهم لعينيــه منــار

ويطلق عليها أيضا : بادية الشام .

عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، منها : « والنجم السيّار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سننك ، واقْفُ اثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامعٌ بك زَيْغَ مَنْ ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » . وهي طويلة .

قال : وكان المتنبي اذا شوغب في مجلس سيف الدولة ، ونحن إذ ذاك بحلب ، نذكر له هذا القرآن وأمثاله [مما كان يحكى عنه] فينكره ويجحده . قال : وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة: لولا أن الآخر جاهل لما رضي أن يدعى بالمتنبي ، لأن (متنبي) معناه كاذب ، ومن رضي أن يدعى بالكذب فهو جاهل. فقال له: أنا لست أرضى أن أُدعى بهذا ، وانما يدعوني به مَنْ يريد الغضّ مني ، ولستُ أقدر على الامتناع .

١١ ــ قال أبو علي بن [أبي] حامد : قال لي أبي ، ونحن بحلب، وقد سمع قوماً يحكون عن [أبي الطيّب] المتنبي هذه السورة [التي قدمنا ذكرها] فقال لولا جهله ، أين قوله : امضِ على سننك ، الى آخر الكلام ، من قوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين * إنّا كفيناك المستهزئين)[1] الى آخر القصة[2] . وهل تتقارب الفصاحة فيهما، أو يشتبه الكلامان ؟

١٢ ــ وعِيدان ، بكسر العين وبالياء المعجمة باثنتين من تحتها : هو

---

(١) سورة الحجر (١٥) / آية : ٩٤ــ٩٥ .

(٢) جاءت لفظة (القصة) في تاريخ بغداد ، ومخطوط ابن منظور . وآثر عليها الدكتور عبد الله الجبوري لفظ (السورة) . انظر كتابه : ابو الطيب المتنبي في آثار الدارسين (بغداد ١٩٧٧) : ١٣ .

هو والد أبي الطيِّب المتنبي ، كان يُعرف بعِيدان السقّاء[1] .

١٣ ــ ولما هرب المتنبي الشاعر من مصر وصار الى الكوفة ، وقام[2] بها ، وصار الى ابن العميد فمدحه ، فقيل إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار ، وقال له : تمضي الى عضد الدولة ، فمضى من عنده اليه فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه على أن يمضي الى الكوفة يحمل عياله، ويجيء معهم اليه ، وسار حتى وصل الى النعمانية[3] ، بإزاء قرية يقال لها (بنورى) ؛ فوجد أثر خيل هناك ، فتنسم خبرها ، فاذا خيل" قد كمنت له فصادفته لأنه قصدها ، وطعن طعنة نكس عن فرسه ، فلما سقط الى الى الارض نزلوا فاحتزوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ماكان معه من المال وغيره، وكان مذهبه أن يحمل مالَه معه أين توجَّه ، وقتل ابنه معه ؛ وغلام من جملة خمسة غلمَة كانوا معه ، وان الغلام المقتول قاتل حتى قُتِل .

١٤ ــ وكان قتل المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

---

(١) ماجاء في ضبط (عيدان) لقب والد المتنبي:

ـ ضبطها بكسر العين ، ابن ماكولا في كتابه الاكمال (٦:٩٩) ، والصغاني في كتابه التكملة (عــود) .

ـ وضبطها بفتح العين ، ابو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان النحوي (ت ٤٥٦ هـ)، وكان عالما بالنسب ، قال : عَيْدان ، جمع عَيدانة ، وهي النخلة الطويلة ، ومن قال : عيــدان، بالكسر ، فقد اخطا . (وانظر في كتاب الاكمال ٦:٩٩ ، الحاشية ، والمنتظم لابن الجوزي ٧:٢٤، والمشتبه للذهبي ٢ : ٤٣٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١١:٢٥٦ ، وتبصير المنتبه للحافظ ابن حجر ٣:٩٠٥ ، والقاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه تاج العروس للزبيدي ــ مادة عود) . وقد صحفت أكثر الكتب المطبوعة لفظ (عيدان) بالياء المعجمة التحتية الى (عبدان) بالباء الموحدة.

(٢) لعلها : وأقام .

(٣) النعمانية ، بضم النون ، كانها منسوبة الى رجل اسمه النعمان : بليدة بين واسط وبغداد ، في نصف الطريق ، على ضفة دجلة ، معدودة من اعمــال الزاب الاعلى وهي قصبة (معجم البلدان ــ النعمانية) .

١٥ ــ وحُدِّثَ أنه لما نزل المنزل الذي رحل منه فقتل ، جاءه قوم خفراء فطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه ، فمنعه الشحّ والكِبْر، وتقدموه ، فكان من أمره ما كان .

ــ ٣ ــ

مقتطفات من معجم البلدان لياقوت الحموي

عرض أستاذنا الكبير محمود محمد شاكر في كتابه القيِّم (المتنبي) لروايتي ضبط كلمة (بنورى) ، تلك القرية التي قُتِل فيها أبو الطيِّب المتنبي شاعر العرب الخالد فقال : « أما ياقوت فذكرها بالراء ، ولم يقل راء مهملة ، فأخشى أن يكون تصحيفاً في معجم البلدان . وفي معجم ياقوت فوائد فراجعها هناك »[1] .

وقد تخيَّرتُ طائفة من هذه الفوائد التي التقطتها في معجم البلدان، رأيت أن ألحقها بترجمة المتنبي التي استخرجتها من كتاب ابن منظور.

١ ــ آلس ، بكسر اللام : اسم نهر في بلاد الروم . وآلس : هو نهر سلوقية ، قريب من البحر ، بينه وبين طَرَسُوس مسيرة يوم ...و غزاه سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ... وقال أبو الطيِّب يمدح سيف الدولة[2] :

يُذري اللقانُ غباراً في مناخرها ... وفي حناجرها من آلسٍ جُرَعُ
كأنَّما تتلقاهم لتسلكهم ... فالطعنُ يفتح في الاجواف ماتسع

(١) المتنبي ، للاستاذ محمود محمد شاكر ٢:٣٥٣ .
(٢) شرح العكبري ٢:٢٢٦ ــ ٢٢٧ .

وهذا من افراطات أبي الطيّب الخارجة الى المحال ، فانه يقول : ان هذه الخيل شربت من ماء آلِس ، ووصلت الى اللقان ، وبينهما مسافة بعيدة ، فدخل غبارُ اللقان في مناخرها قبل أن يصل ماء آلِس فيأجوافها. ويقول في البيت الثاني : ان الطعن يفتح في الفرسان طريقاً بقدر مايسع الخيل فيسلكوه ، فيكون مسيرهم الى مواضع طعناتهم[1] .

٢ ـ لُقَان : بضم اللام ، ثم التخفيف ، وآخره نون : بلد بالروم. وراء خرشنة بيومين . غزاه سيف الدولة ، وذكره المتنبي في قوله:

يذري اللقانُ غباراً في مناخرها   وفي حناجرها من آلِسٍ جُرَعُ

وهذا البيت من اسرافات المتنبي في المبالغة ، لانه يقول : ان هذه الخيل شربت من ماءآلِس،وهو بلد بالروم،فلم يتعدَّ حناجرها حتىأذرى اللقانُ الغبار في مناخرها ، يعني : سارت من آلِس الى اللقان في مدة

---

(١) جاءت الرواية في شرح العكبري (٢:٢٢٧) : فالطعن يفتح في الاجواف ما تسع ، مطابقة لما ورد في معجم البلدان ، وكذلك جاءت الرواية في شرح مشكل أبيات المتنبي : ١٩٨ (تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين) ، ص : ١٧٥ (تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية). ولكن قراءة شروح البيت توجب أن تكون الرواية : ما يسعُ ، بالياء التحتية . وهي الرواية التى جاء بها ابن جني في كتابه : الفسر ، واليك ما رواه وما قاله :

كأنهـــا تتلقـــاهم لتســـلكهم   فالطعن يفتح في الاجواف ما يَسَع

أي كأن خيله تتلقى الروم لتدخل فيهم ، فالطعن يفتح في أجوافهم ما يسع الخيل . يصف سعة الطعن وعظمه . قال قيس بن الخطيم :

ملكت بها كفي فأنهرت فتقهـا   يرى قائم من دونها ما وراءها

وقال الفند الزماني [حماسة ابي تمام بشرح المرزوقي ١:٣٢ـ٣٨] :

وطعـــنٍ كفـــم الـــزق   وهـــى والـــزق مـــلآنُ

انشدنا ابو علي [الفارسي] :

وطعنةٍ كهرير الكلب ناشجة   وضربةٍ مثل خط السن بالقاع

وهذا كثير في الشعر جدا .

هذا مقدارها وبينهما مسافة بعيدة[١].

٣ ـ بَنُورَى[٢] ، بفتح الباء ، ثم الضم ، والواو ساكنة ، وراء ، وألف مقصورة : قرية قرب النعمانية بين بغداد وواسط ، وبها كان مقتل المتنبي في بعض الروايات .

٤ ـ بَيْزَع : قريـة بين دير العاقول وجَبُّل ، بهـا قُتِل أبو الطيِّب المتنبي . نقلته من خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي الشاعر .

٥ ـ تُرْبان ، بضم التاء ثم السكون : .... وتُرْبان[٣] أيضاً في قول أبي الطيِّب المتنبي يخاطب ناقته حيث قال[٤] :

فقلت لها : أين أرضُ العراقِ فقالـت ، ونحـن بتُربانَ : ها
وهبَّتْ بِحِسْمَى هُبوب الدَّبو رِ ، مستقبلاتٍ مَهبَّ الصَّبـا

قال شُراح ديوان المتنبي : هو موضع في العراق[٥] ، غرَّهم قوله

(١) يقول الواحدي : يريد : أنها شربت الماء من آلس . وبلغت اللقان قبل أن بلغت ماشربته من آلس ، فماء هذا النهر في حلوقها ، وقد وصل الى مناخرها تراب هذا الموضع ، وبينهما بعد ومسافة (شرح العكبري ٢:٢٢٦)

(٢) هي (بنورى) عند ياقوت في معجم البلدان ، و (بنوزى) بزاي معجمة بدل الراء المهملة عند المقريزي (المتنبي للاستاذ محمود محمد شاكر ٢:٣٥٣) ، و (بيوزى) بالياء التحتية والزاي المعجمة في معجم ما استعجم للبكري . و (بيوزاء) كجلولاء في تاج العروس للزبيدي.

(٣) للدكتور عبد الله الجبوري كتاب : أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين (بغداد ، ١٩٧٧ م) ، وهو كتاب جامع مفيد ، نقل فيه ماورد في معجم البلدان خاصا بالمتنبي (ص:٦٩٠ ـ ٧١٣) ، ولكنه أهمل الاشارة الى تربان .

(٤) شرح العكبري ١:٣٩ ، وسياق الابيات في القصيدة يدل على أن المتنبي يخاطب إبله لا ناقتـه .

(٥) قال ابن جني في الفسر : « تربان : موضع » . ولكن العكبري ينقل في شرحه لديوان المتنبي (١:٣٩) شيئا أكثر فيقول : « قال ابن جني : قلنا للابل ونحن بهذه الارض المسماة بتربان وهي من أرض العراق ، فقالت : هاهي هذه . وهذا كله مجاز » . وفي عبارة العكبري تحريف جار على مقول القول .

(ها) للاشارة ، وليس كذلك ، فإن شعره يدل على أنه من قبل حِسْمى من جهة مصر ، وانما أراد بقوله : (ها) تقريباً للبعيد ، وهو كما يقول مَنْ بخراسان : أين مصر ؟ أي هي بعيدة ، فكأن ناقته أجابته اني بسرعتي أجعلها بمنزلة مايشار اليه . وفي أخباره أنه رحل من ماء يقال له البقع من ديار أبي بكر فصعد في النقب المعروف بتربان ، وبه ماء يعرف بعرندل. فسار يومه وبعض ليلته . ونزل وأصبح فدخل حِسْمى . وحسمى ، فيما حكاه ابن السكيت ، بين أيلة وتيه بني اسرائيل الذي يلي أيلة . وهذا قبل أرض الشام ، فكيف يقال : انه قريب من العراق ، وبينهما مسيرة شهر وأكثر .

٦ ـ حِسْمى ، بكسر الحاء ثم السكون ، مقصور ... وهو أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان . وأهل تبوك يرون جبل حِسْمى في غربيّهم ، وفي شرقيّهم شَرَوْرى ... وحِسْمى أرضٌ غليظة ، وماؤها كذلك ، لا خير فيها ، تنزلها [قبيلة] جذام . وقال ابن السكيت : حِسْمى لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني اسرائيل الذي يلي أيلة وبين أرض عذرة من ظهر حَرَّة نهيل ، فذلك كله حِسْمى. قال كثير[1] :

سيأتي أمير المؤمنين ودونه جماهيرُ حِسمى قُورُها وحُزونها
تجاوب أصدائي بكل قصيدة من الشعر مهداة لمن لا يهينها

ويقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان : حِسْمى ، فبقيت منه هذه البقية الى اليوم ، فلذلك هو أخبث ماء .

(١) مطلع قصيدة قالها كثير في مديح عبد الملك بن مروان (ديوان كثير : ٢٤١ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ـ بيروت ١٩٧١) .

وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر الى العراق قال : حسمى أرضٌ طيبة[١] تودى لبن النخلة من لبنها[٢] ، وتنبت جميع النبات ، مملوءة جبالاً في كبد السماء ، متناوحة ، مُلْس الجوانب ، اذا أراد الناظر الى قُلة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة . ومنها مالا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده ، ولا يكاد القَتَامُ يفارقها ، ولهذا قال النابغة[٣] :

فأصبح عاقلاً بجبالِ حِسْمى دقاق الترب محتزم القَتَامِ

واختلف الناس في تفسيره ولم يعلموه . ويكون مسيرة ثلاثة أيام في يومين ، يعرفها من رآها من حيث يراها لانها لامثل لها في الدنيا .

٧ ــ سبعين ، بلفظ العدد : قرية بباب حلب ، كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ، وإياها عنى بقوله[٤] :

أسيرُ الى إقطاعه في ثيابه على طِرْفِه من داره بحسامه

٨ ــ صفٌ : ضيعةٌ بالمعرة ، كانت إقطاعاً للمتنبي من سيف الدولة ، ومنها هرب الى دمشق ، ومنها الى مصر .

٩ ــ عُنْثُر ، بالضم ثم السكون وثاء مثلثة مضمومة : ... وهو

---

(١) يقول العكبري (١: ٣٩) في شرح قول المتنبي:

وهبَّت بحسمى هبوب الدبو ر ، مستقبلات مهبَّ الصبا

« وحسمى : موضع فيه ماء من ماء الطوفان . وكان المتنبي يصفه بالطيب ويقول : هو أطيب بلاد الله » .

(٢) لم يتضح لي معناها ، وعرض وستنفلد قراءة أخرى لها : « تؤدى لبن النخلة من لينها» . (معجم البلدان ٥ : ١٥٢ ط. وستنفلد ، ليبزيغ ١٨٧٣) .

(٣) من قصيدة قالها النابغة الذبياني في مديح عمرو بن هند (ديوان النابغة الذبياني : ١٦٥ ، تحقيق الدكتور شكري فيصل) .

(٤) شرح العكبري ٤: ٣ .

وادٍ بين حمص وسلمية بالشام في قول أبي الطيّب[١] :

غطا بالعنثر البيداءَ حتى   تحيّرت المتالي والعشارُ

كذا رواه ابن جني ، وغيره يرويه : بالعِثْير ، وهو الغبار[٢] .

١٠ ـ كفر رِنّس ، بكسر الراء وكسر النون وتشديدها وسين مهملة : قرية قرب الرملة ، لها ذكر في خبر المتنبي مع ابن طغج.

١١ ـ كَلْواذَى[٣] بالفتح ثم السكون والذال معجمة ، آخره ألف تكتب ياء مقصورة . وهو طسُّوج قرب مدينة السلام ... وقد ذكرتها الشعراء ، ولهج كثيراً بذكرها الخلعاء ... وفي كتاب محمد بن الحسن الحاتمي الذي سمّاه : جبهة الادب[٤] ، يبتدىء فيه بالردّ على المتنبي . قال : قلت له ، يعني للمتنبي ، أخبرني عن قولك[٥] :

طلب الامارة في الثغور ونشؤه   ما بين كرخايا الى كلواذا

من أين لك هذه اللغة في كلواذا ، ما أحسبك أخذتها إلا عن الملاحين. قال : وكيف ؟ قلتُ : لأنك أخطأتَ فيها خطأً تعثرتَ فيه ضالاً عن وجه الصواب . قال : ولم ؟ قلت : لأن الصواب كِلواذ ، بكسر الكاف

---

(١) شرح العكبري ٢:١٠٥.

(٢) قال ابن جني في الفسر : « العنثر : ماء هناك . لما وصل اليه واجفلوا بين يديه ، حاز به أموالهم ... أي لما حاز أموالهم وجمعها تخير أصحابه خيرها ، وتركوا ماسوى ذلك ». وجاء في شرح العكبري ٢:١٠٥ « روى الواحدي في تفسيره للديوان : تحيرت ، بالحاء المهملة. وروى أبو الفتح [بن جني] : تخيرت ، يعني تخير أصحابه خير الاصناف التي ذكرنا ...».

(٣) لم يعرض لها الدكتور الجبوري في كتابه : ابو الطيب المتنبي في آثار الدارسين.

(٤) جاء النص في الرسالة الموضحة للحاتمي ، ص : ٥٦ ، واستظهر محقق الكتاب الدكتور محمد يوسف نجم في مقدمته ان هذه الرسالة تدعى أحيانا بالحاتمية ، وأخرى بجبهة الادب.

(٥) شرح العكبري ٢:٨٤ .

واسكان اللام واسقاط الياء • قال : وما الكلواذ ؟ قلت تابوت التوراة ، وبها سميت المدينة • قال: وما الدليل على هذا ؟ قلت: قول الراجز:

كأن أصوات الغبيط الساذي

زَبْرٌ مهاريق على كلواذِ

والكلواذ : تابوت توراة موسى عليه السلام • وحكي في بعض الروايات : انه مدفون في هذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ • قال : فأطرق المتنبي لايحير جوابا • ثم قال : لم يسبق إليَّ علمٌ هذا ، والقول منك مقبول ، والفائدة غير مكفورة[1] •

دمشق — شاكر الفحام

(١) لعل خير ما يعلق به على هذا الاختلاق والتخرص قول الله تعالى : (سبحانك هذا بهتان عظيم) [سورة النور ـ ٢٤ ـ / آية : ١٦] افتراه الحاتمي بين يديه انحطاطا في هواه، وتعصبا على شاعر العربية الاكبر • لقد نص أهل العربية جميعا على ان الكلواذ ، بكسر الكاف والذال حرف اعراب : تابوت التوراة • وان كَلْواذى ، بفتح الكاف وآخرها ألف مقصورة : هي الضيعة المعروفة أسفل بغداد • وهناك كلواذ بفتح الكاف : موضع من أرض همدان ، نص على ذلك اللغويون وياقوت في معجم البلدان • ولم يذكر ذاكر ما لفقه الحاتمي وادعاه :

تخرصا وأحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غَرَبِ

يقول ابن جني في الفسر في تفسير بيت المتنبي :

طلب الامارة في الثغور ونشؤه ما بين كرخايا الى كلواذا

« يصفه بانه ليس ممن يصلح للامارة بالثغور ، لانه من سواد العراق • وكَلْواذى ، هذه الضيعة المعروفة ، بفتح الكاف • فأما الكلواذ ، بكسر الكاف والذال حرف الاعراب ، فتابوت التوراة • قال الراجز :

كأن آثار اللبيج الشاذي

زبر مهاريق على الكِلواذ

يقال لبج البعير : اذا ألقى نفسه من مرض أو شدة أو اعياء » •

والرجز الذي أورده ابن جني وياقوت قد اختلفت الرواية فيه ، انظر التكملة للصاغاني ولسان العرب وتاج العروس (كلذ) •

عـود الى معنـى
« تصويب الخطأ »

الاستاذ صبحي البصـام

قرأت في هذه المجلة الزهراء مقال الاستاذ اللغوي الفاضـل محمد شوقي أمين ، العضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وعنوانه « تحقيق معنى التصويب »(١) ، وقد رد فيه عليَّ مقالي في هذه المجلة(٢) في تخطئتي « المعجم الوسيط » في قوله : « وصوَّب الخطأ صحَّحه » .

أمَّا مقالي ، فكنتُ ذكرتُ فيه أن قول المعجم الوسيط « وصوب الخطأ صحَّحه » خطأ ، لأن تصويبَ الخطأ معناه الحكمُ له بالصواب . ونقلتُ ما قالته معجماتُ اللغة في التصويب ، ولم يكن فيها نص يؤيِّد قول المعجم الوسيط . وأتيت بما كنتُ استطعتُ جمعه من بطون الكتب الادبية القديمة من نصوص ورد فيها التصويب ، فكانت خلواً مما يؤيِّد قول ذلك المعجم . وذكرتُ أن احلال الخطأ محلَّ الصواب كتبديل الزُّبد بالزَّبَد ، وأنه لا يجوز أن يُؤتى بلفظ دخيل ليحلَّ محل لفظ أصيل ، فيهتضم جانبه ، ويغصبَ عليه حقَّه ، ويُلبِّسَ علينا معناه . وقلت في آخر المقال : « فمن وجد نصّاً قديما من شأنه أن يعضِّد عبـارة المعجم الوسيط القائلة : وصوَّب الخطـأ صحَّحه ، فليأتنا به ، اعلاناً للحق ، وإحسانا باللغة ، وتفضُّلا عليَّ وعلى غـيري ممن يعنيه الامر » وقـد

(١) نشر في الجزء الرابع من المجلد الرابع والخمسين .

(٢) نشر في الجزء الاول من المجلد الرابع والخمسين وعنوانه « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » .

استحسن مقالي على نحو أوثر السكوت عنه[٣] .

٢ـ وأما مقال الاستاذ الفاضل محمد شوقي أمين، فأفادنا فيه، أن عبارة المعجم الوسيط صحيحة ، ولكنه لم يأتنا بشاهد من الكتب القديمة ، ولا بنص من معجمات اللغة ، وانما أحالنا على آية من القرآن المجيد ، وعلى الفرّاء وسيبويه والرضيّ وابن الحاجب ، وعلى بعض ما علق في ذهنه من أفعال ، ليبرهن على شيء كنّا قتلناه علماً قبل خمس وثلاثين سنة أو يزيد، وهو أن « فعّل » بمعنى الجعل والتصيير كثير ، نحو أمَّرَه وأتقَنَه وأهّلَه وعَدَّلَه وفسَّقَه ، واستدلّ من ذلك أن « صوَّبَ الخطأ » بمعنى « صيَّره صواباً » صحيحة ، وأن تخطئتي المعجم الوسيط كانت خطأ . وهذا استدلال لا أظنّه يقع من المعنيين باللغة موقعاً ، أو يسد منهم مسدّاً . ولا أظنه مما يرتضيه من أحِلْنا عليهم ، وهم سيبويه والفرّاء والرضيّ وابن الحاجب، لأن ما انتهى إليه أولئك العلماء وغيرهم، من أن « فعّل » بمعنى الجَعْل والتصيير كثير ، ليس معناه أنّه مطّرد . وما انتهوا اليه انما بنوه على السماع ، فلو كان الاستاذ الفاضل أتانا بشاهد قديم على « صوَّبَ الخطأ » بمعنى أصلحه أو صحّحه ، لجعلني عازفاً عن رأيي ، مُقِراً بخطئي ، لأني لست ممن يتدفق في الباطل ، أو يأبى الإنابة . على أنه يجوز أن يُقاس على « فَعَّل » بمعنى الجعل والتصيير ، أو على غيره ، في غير هذا الموضع ، كصوغ كلمة لشيء جديد، كالذي أتانا من بلاد الاعاجم من أشياء جديدة ، في مختلف العلوم

(٣) كان الاستاذ الفاضل اختصر مقالي وجاء في اختصاره أن من قصارى مقالي : « جريان المؤلفين على استعمال كلمة التصحيح أو الاصلاح بكثرة ، وكلمة التصويب بقلة ، وهذا الاستعمال الاخير خطأ في الدلالة على معنى الاصلاح » ، هكذا ، وهو سهو منه ، لاني قلت بعكس ذلك وهو: « على أن استعمال الاصلاح والتصحيح في أواخر الكتب المطبوعة ، كقولهم اصلاح الخطأ المطبعي او تصحيح الخطأ المطبعي امسى قليلا ، لانه مزحوم بقولهم : تصويب الاخطاء المطبعية ».

والصناعات والآداب والفنون . فمثلُ هذا القياس تحتاج اليه لغتنا ، وهو بركة عليها ، وإحسان اليها ، وصون لها من عُجمة الالفاظ . ثم ان الخطأ في معنى « تصويب الخطأ » قد فُرّعت عليه فروع من الخطأ في وزانه؛ فإن كثيرا من الادباء الذين تعوّدوا استعمال « تصويب الخطأ » ، اقتداءً ببعض كبار الادباء،واهتداء بالمعجم الوسيط ، جعلوا يستعملون «تصويب الرأي» و « تصويب الاعتقاد » و « تصويب الكلام » ونحو ذلك بالمعنى نفسه ، أي الاصلاح أو التصحيح ، وهو خطأ فاحش ، وقد يُفضي الى فهم النصوص القديمة التي يرد فيها التصويب على نحو معكوس ،ومنها الثمانية عشر نصاً التي أتيتُ بها في مقالي المذكور . ان لغتنا ــ وقد أصبحت تعاني من حؤول حالها ، والتياث أمرها ، وانبهام مصيرها ــ قد يأتيها يوم ، بعد أن أَلحَمَ وأَشحَمَ الخطأ في « صوّب الخطأ » ، يُستعمل فيه «صدّقه» بمعنى جعله صادقاً،مع أن معناها حكم له بالصدق، و « كذّبه » بمعنى جعله كاذبا ، مع أن معناها حكم عليه بالكذب ، وكلا الفعلين كثر وروده في التنزيل.ولَعَمْري ، لو كانت عبارة المعجم الوسيط التي تنكرها المعجمات القديمة والحديثة لها وجه من التخريج الصحيح ، لوجب محوها على أنها أصل يُفرّعُ عليه فروع فاسدة ، فكيف وهي خطأٌ فاحش ؟ ولست أدري كيف يفسّر مؤلفو المعجم الوسيط قول من يقول: هو جاهل ــ أو سكران ــ يُخطّيء الصواب ويُصوّب الخطأ؟ أعلى رأي معجمهم أم على رأي النصوص القديمة وسائر المعجمات ؟.

٣ــ ورقّ لي الاستاذ الفاضل ، لأني نهكتُ نفسي ، وأضعتُ وقتي في جمعي الثمانية عشر نصاً المذكورة ــ وقد أصبحت في دفتري الآن أربعة وعشرين ــ وكلها جاء فيها التصويب بمعنى الحكم بالصواب ،.وقال وهو يعنيني : « وكيف يسوق للإثبات شواهد لاحقة للاسانيد اللغوية التي هي

مناط الإثبات ؟ » . فأقول : اني بجمعي الشواهد ، ثم نشري اياها ليقرأها أهل العلم ، كنتُ أعرف مَخطى قدمي ، ومَرْمى سهمي ، ذلك أني فعلت ما فعلت لأزيل غبار الشك الذي خلّفه المعجم الوسيط على تلك الاسانيد ، بعد أن شَذَّ عنها بعبارة غير صحيحة . ثم إن هذه الشواهد نقلتنا من قول تلك الاسانيد « صوّبه » و «صوّب رأيه » الى تصويب الاعتقاد ، والكلام ، واللحن ــ الخاص بالموسيقى والغناء ، فزادت الاسانيد ايضاحاً ، وأعانت القارىء أن يستدل أن تصويب ما يصدر عن الانسان ــ ومنه الخطأ ــ معناه الحكمُ له بالصواب . وأنا كما أُقوّي أسانيد قديمة بالشواهد ، أُضعّف أسانيد قديمة غيرها ، أو أُخَطّئها بشواهد أُخَر ، كالذي فعلته في كتابي « الاستدراك على كتاب قل ولا تقل » ، وكالذي عقدت العزم على نشره في مجلة أو كتاب ، ما أسعفت الحال، وتفسّح العمر .

٤ ــ وقال الاستاذ الفاضل وهو يعنيني : « والباحث حين يُنكر التصويب بمعنى الاصلاح والتقويم ، يضع التصحيح مكان التصويب لهذا المعنى ، فهل غاب عنه أن التصحيح نفسه لا يقتصر معناه على الاصلاح ، بل يؤدي أيضاً معنى النسبة الى الصحة والحكم بها ؟ » . هكذا ، وسها عن ذكر « الإصلاح » ، مع أني ما ذكرت في مقالي المذكور الاصلاح والتصحيح معا الا قدّمت الاصلاح[٤] . فأقول : لم يغب عني ذلك ، ولكن قولنا « تصحيح الخطأ » بمعنى اصلاحه ، لا يُوقع في لبس البتّة ، لانه أصل في الاستعمال ، فمن لم يرُقه التصحيح مع ذلك ، فله مندوحة عنه الى « الإصلاح » ، وقديما ألّف ابنُ قتيبة كتابا سمّاه « إصلاح غلط أبي عبيد ... » ولم يُسمه « تصويب غلط أبي عبيد ... » ، وعمل

(٤) ذلك في ص ١٧٢ س ٣ ، ١١ و ص ١٨١ س ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - وص ١٨٤ س٢

أحمد بن محمد الخطّابي كتاباً ترجمه « بإصلاح الغلط » ، ولم يترجمه «بتصويب الغلط» . وصنّف ابن السكّيت كتاباً وسمّه «بإصلاح المنطق» ولم يَسمِه « بتصويب المنطق » . فان كان المرامُ من السؤال التذرّعَ « بالتصحيح » الذي اتّخذ قديما معنى الحكم بالصواب ، ليُؤذَنَ لمعجم صُنع حديثا في شرح « تصويب الخطأ » خطأً ، وليُفرّعَ على هذا الخطأ أمثالهُ من الخطأ . فأشك أن يقبله الأعلامُ من حفّاظ اللغة العربية ، الناظرين لها ؛ المتمنين أن ينوّر الله تعالى راهنها كما نوّر ماضيها .

ه ــ وأفاد الاستاذ الفاضل أن المعجم الوسيط لم يُغفِل معنى صوّب قوله أو فعله وهذا حق لا يُنكَر ، ولم أنبّه عليه ؛ لان مرادي كان في التنبيه على الخطأ ؛ لذلك جعلتُ عنوان مقالي : « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » .

٦ ــ وما أظن الاستاذ الفاضل ، في اصراره على جرّ « صوّب » الى باب الافعال المتضمنة معنى الجعل والتصيير ، كان مبتغاه تغطية سهو وقع فيه مؤلفو المعجم الوسيط ، ففي وافر فضله ، وظاهر عدله ، ما يرفعه عن ذلك . ولكني أظنّ أن مبتغاه كان التعبير عن ميله الى الجمع بين القديم والجديد ، وكأني بالجديد عنده ، الخروج عما يُقال له « الجمـــود » ، والدخول فيما يقال له « إثراء اللغة العربية » بالاساليب والالفاظ الجديدة، وفي كتابته ما يحقق ظنّي هذا :

أ ــ ففي مقاله الذي نحن بصدده (ص ٩٩٠) قال : « وقصـــارى ما أفاض فيه الباحث ما يلي : ا ــ تخطئة المعجم الوسيط ... » الى آخر أمور خمسة عدّدها . وقوله « ما يلي » من الاساليب الجديدة في لغتنا ، وهو قريب من قولهم في الانكليزية The Following ، ويقع أحيانا في

موقعه ، ويقع أحيانا زائداً بعيدا من البلاغة ، كما في قول الاستاذ الفاضل، لأن الكلام يصحّ بحذفه ، فيقال : « وقصارى ما أفاض فيه الباحث : أ ــ تخطئة المعجم الوسيط .. » ولم ترد « مايلي » في الكلام القديم تمهيداً لتعداد أمور[٥] . جاء في التنزيل أن الخضر عليه السلام أوّل لموسى عليه السلام ثلاثة أمور ، ومهّد لها بـ : « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا » (الكهف ٧٨) . ونصحت أمامة ابنة الحارث التغلبيّة ابنتها عند هدائها بعشر خلال (الفاضل في صفة الادب الكامل / ٩) مهّدت لها بقولها « واحفظي عني خلالاً عشرا ، تكون لك ركنا ، وذخرا » ، وأعقب ذلك « أما الاولى والثانية ... » الى آخر الخلال العشر . وكثيراً ما يمهد للامور المراد تعدادها بـ « وهي » ونحوها ، أخص خصوصا الكلام الذي يقوله صاحبه وهو يدونه ، لا يلقيه مشافهة.

ب ــ وقال (ص ٩٩٣) : « لاهتدى الى صواب استخدام التفعيل لمعنى الجعل » ، فاستعمل « استخدام التفعيل » ، ولم يستعمل علماء اللغة « الاستخدام » في هذا الموضع ونحوه ، وانما استعملوا « الاستعمال » . قال سيبويه في الكتاب (١/٢٧٤) : « وحذفوا الفعل من إيّاك لكثرة استعمالهم ايّاه في الكلام » . وقال في حذف الشعراء مالايُحذف (١/٢٦): « يشبّهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفاً » ، وقال (١/٢٦٩) :« ومما ينتصب على إضمار الفعل المستعمل ... » . وقال أبو عثمان المازني في كتابه التصريف(المنصف ٢/٣٤) : « وقال في (يومٍ) كأنّه من (يَمْتُ) وان لم يُستعمل » ، وقال ابن جني في المنصف (٢/٢٢٧) : « ولكنه لما

(٥) قال العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله بخطأ « مايلي » هذه ، لان « ولي » عنده من الافعال التي لا تستغني عن مفعولها (فلسفة النحو والصرف / ١٣٦ و ١٣٧) . وهو قول فيه نظر .

كثر استعمال هذه الحروف ... » ثم قال « لأنّ (كان) كثر استعمالهم إيّاها » .

ج ـ وفي مقال الاستاذ الفاضل[٦] الذي ناقش فيه العلاّمة محمد بهجة الاثري في رأي له ، قال « وفي مقدمتهم المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي » . ولم يرد في كلام الفصحاء « المرحوم » قبل اسم المتوفّى ، وانّما ورد في كلامهم بعد اسم المتوفّى « رحمه الله » أو « رضي الله عنه » ونحوهما . وقالت سودة بنت عمارة بن الاشتر بحضرة معاوية بيتين في الرثاء، فقال لها معاوية : ومن ذاك ؟ قالت (العقد الفريد ٢/١٠٣) : « عليّ بن أبي طالب رحمه الله » . وقالت أروى بنت عبد المطلب لمعاوية (العقد الفريد ٢/ ١٢٠) : « وكان عليّ بن أبي طالب رحمه الله بعد نبيّنا صلى الله عليه وسلم ... » . وقال معاوية لعديّ بن حاتم (تأريخ الطبري ٥/٥) : « أما والله انّك لمنَ المُجلبين على ابن عفّان رضي الله عنه » . وقال حبيبُ ابن مسلمة الفهري لعلي بن أبي طالب (الطبري ٥/٧) : « أما بعدُ ، فإن عثمان بن عفّان رضي الله عنه كان خليفة مهديّا » . وأظن استعمال «المرحوم» قبل اسم المتوفى جاءنا من اللغة الانكليزية ترجمةً لـ « DECEASED » ، قال جورج بيرسي باجر في معجمه :

ENGLISH - ARAB LEXICON المطبوع في ليدن سنة ١٨٨١ م في شرحه Deceased ماهذا ترجمته عن الانكليزية : « الكلام على الميت » ووضع بجانبه بالعربية « المرحوم » .

د ـ وقال الاستاذ الفاضل في المقال المذكور (ص ٣٦٧) : « جرى فيها الاشتقاق على أساس اعتبار الحروف كلها أصلية»،فاستعمل مصدر«اعتبر»

---

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . الجزء الثاني . المجلد الثاني والخمسون .

وعدّاه الى مفعولين ، ومُراده « اعتداد » بالدال ، من « اعتدّ » ومجرده « عَدّ » ، وكلا الفعلين يتعدى الى مفعولين . فمثال «عدّ» قول أبي دؤاد الإيادي (الشعر والشعراء ــ ليدن ١٢٢) :

لا أعدّ الإقتار عدماً ولكن فقدُ من قد رُزئته الإعدام

وقول الاحنف بن قيس (الكامل١/٨٥): لاتزال العرب عرباً مالبست العمائم ، وتقلّدت السيوف ، ولم تَعْدُدْ الحلمَ ذلاًّ ، والتواهب بينها ضعةً » . ومثال « اعتدّ » ، قول الخوارزمي (رسائل الخوارزمي/٥٢): « ثم اعتدّ ذلك كله في جنب الواجب هباءً منثورا ، وقليلا محقورا ». وقول أبي اسحاق الصابي (معجم الادباء ٢/٢٤) :

فإني لأعتدّ المودّة منك لي حساماً به يقضون في الحدثان

وما جاء في « الواضح في مشكلات شعر المتنبي/٧١ » وهو : « أي اذا ضربتَ عدوّاً فصافح سيفُك هامتَه لم تعتَدِدْ ذلك نصراً » . واتفق أن وقع التصحيف على « اعتدّ » في بعض الكتب المخطوطة فاستحالت « اعتبر » ، فلما طُبعت تلك الكتب أيام الافتقار الى التحقيق الدقيق ، طُبعت « اعتبر » بعوارها ، ، كالذي جاء في المستظرف من كل فنٍّ مستظرف (١/١٩٧) لبعضهم وهو :

اقرأ كتابك واعتبرهُ قريبا فكفى بنفسك لي عليك حسيبا

ويجب أن يكون الاصل « واعتَدِدْهُ » ، وأذكر أني وجدت نحو هذا التصحيف في بعض طبعات ألف ليلة وليلة القديمة . فلما رسخ هذا الغلط في النفوس بتعاقب السنين ،أخذ بعض المحققين يرون « اعتبر » ، الذي هو تصحيف « اعتد » ، في المخطوط الذي يحققونه فيظنونه صواباً، كما جاء في كتاب « بغداد مدينة السلام » للهمداني (ص٨٤) وهو :

« واليوم الذي أُسر فيه تعتبره المجوسُ عيــداً » ، والصواب تعتدُّه عيــداً[٧] .

وأختم مقالي قائلاً : إن دفاع الاستاذ الفاضل محمد شوقي أمين عن خطــأ في المعجم الوسيط ، وإضبابَه على صــحته ، واستعمالَه في الكتابة « ما يلي » و « استخدام التفعيل » و « المرحوم فلان » و «اعتبار الحروف أصليةً » ، على نحو ماتقدم ، وهو اللغوي البارع ، الذي لا يُؤتى من غُفول ، ولا يُعلَّم من جهل ، دلالة على أنه يُرخِّص لنفسه في ذلك ترخيصاً ، لميله الى مزج القديم بالجديد ، على الوجه الذي يتَّنته. وذلك يُنبئ عن سلوكه طريقاً يختلف عن طريقي ، وضربِه على قالب يغاير قالبي . لذلك لا أجد بي نهوضا الى مزيد من المُناقشــة ، لتعذر اجتماعنا على رأي فَصول ، أو اقتناعنا بحجَّة تتوجه علي أو عليه . أما قول المعجم الوسيط « وصوَّب الخطأ : صحَّحه » ، فأَدَعُ الحكم فيه لكل قارئ يَزِنه قدر من الانصاف ، وإحاطة بالعلم ، وثقابة في النظر، وتمييز بين لغة الصحافة والكتاب من الأدباء وبين الكتب اللغوية التي تؤصل الأصول وتقعِّد القواعد وتحفظ على الالفاظ معانيها ومبانيها.

لنــدن : صبحي البصــام

(٧) كنت سألت العلامة مصفى جواد رحمه الله سنة ١٩٥٥ م إن كان رأى شاهدا ل « اعتبر » يتعدى الى مفعولين ، فقال لي : متى بدات بالبحث عنه ؟ قلت : منذ عشر سنوات . قال : أنا أبحث عنه منذ خمس وعشرين سنة فلا أجده . ثم ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة نشر له بحثا عنوانه : « مقترحات ضرورية في قواعد اللغة العربية » ، جاء فيه أن « اعتبر » المتعدي الى مفعولين في عصرنا هذا تصحيف « اعتد » . وقال انه وجد « اعتبر » متعديا الى مفعولين في عبارة في كامل المبرد من طبعة الدلجموني وهي « واعتبرْ هذا الكلام بحدّه راسا في بابه » ، وقال انه لا يثق بهذا النص لاحتمال كون « اعتبر » اعتدّ . قلت : أجد أن « اعتبر » هاهنا صحيحة ، وانما جاءالغلط من « بحدّه » لانها تصحيف « تجدْه » ، فيكون الصواب في رواية النص : « واعتبر هذا الكلام تجدْه راسا في بابه » ، اي : انظر في هذا الكلام بتفكر تجده راسا في بابه .

المؤتمـر السنوي الســادس

للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط

وقائع وهوامش

الاستاذ عبد النبي اصطيف

عقدت « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط »[1] مؤتمرها السنوي السادس في جامعة مانشستر ، بين الثامن والحادي عشر من شهر تموز ١٩٧٩ . وقد حضر المؤتمر لفيف من المهتمين بدراسات الشرق الاوسط في المملكة المتحدة وخارجها ، وممثلون عن مختلف الهيئات والمؤسسات الثقافية المعنية بالمنطقة .

والمؤتمر السنوي للجمعية هو مؤتمر عمل مكثف تناقش فيه جملة من القضايا التي تدور حول موضوعات محددة . وهو أبعد ما يكون عن المراسيم والاحتفالات الشعائرية . وحتى عشاء المؤتمر الرسمي ، وحفل الاستقبال الذي يسبقه ، يسودهما طابع مختلف يتسم بالجدية . فغالباً ما تدعو الجمعية باحثاً بارزاً في ميدان دراسات الشرق الاوسط ليكون ضيف الامسية ، ويتحدث فيها عن أعماله ، أو عن أبرزها ، واهتماماته ومشروعاته . وبالتالي فإن المؤتمرين يكونون على موعد مع عصارة تجربته الثقافية والعلمية في الحقل الذي يعمل فيه .

وهذا بالطبع اضافة الى ماتتيحه اللقاءات الجانبية غير الرسمية التي ترافق هذه المؤتمرات من فرصة للتعارف الشخصي بين الباحثين ، ومن مناقشات وتبادل للآراء في جو بعيد عن الرسميات ، وبالتالي عما يمكن أن يجعل المرء يتردد في الادلاء ببعض الملاحظات ، أو في إبداء بعض الآراء التي قد لا يجرؤ على الاثقال بها على الباحثين في جلسات المؤتمر الرسمية.

وقد كانت أبرز موضوعات المؤتمر ثلاثة :

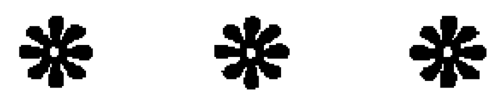
١ ــ الحركات الصوفية .

٢ ــ الببيلوغرافيا الاسلامية .

٣ ــ العمارة الاسلامية .

اضافة الى جملة من الموضوعات الاخرى والندوات التي تناولت قضايا خاصة لا تدخل في اطار هذه الموضوعات ، ولكنها تتصل بدراسات المنطقة من وجوه مختلفة . وسوف تتم الاشارة اليها فيما يتبع من سطور.

وربما كان من المفيد ، قبل الحديث عن وقائع المؤتمر ، اعطاء القارىء فكرة موجزة عن « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط » ، وعن المؤتمرات الخمسة السابقة التي عقدتها قبل الآن . ولعل في ذلك ما يلقي بعض الاضواء على جانب من وضع الدراسات العربية والاسلامية في المملكة المتحدة .



النموذج الامريكي

يستطيع المرء أن يذكر باطمئنان أن « الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط » ، التي وجدت طريقها الى النور عام ١٩٧٣ ، ما هي إلا النظير البريطاني لـ « رابطة دراسات الشرق الاوسط لشمالي أميركا(٣) » التي تأسست عام ١٩٦٦ والتي كانت الغاية من انشائها النهوض بمستويات البحث والتعليم في ميدان الدراسات الشرق أوسطية وتسهيل الاتصال فيما بين الباحثين المعنيين من خلال اللقاءات والمنشورات ، ورعاية الفنون بين الاشخاص والمنظمات المهتمة بدراسة المنطقة .

أما اهتمام الرابطة الرئيسي فانه ينصب على دراسة هذه المنطقة منذ ظهور الاسلام وحتى اليوم من وجهة نظر علم الاجتماع والعلوم والمعارف الانسانية الاخرى . وأما طرق تنفيذ أهداف الرابطة فهي اصدار نشرة(٣) Bulletin دورية تغطي نشاطات الرابطة وفعاليات أعضائها وتتيح منبراً لتبادل الآراء والافكار فيما بينهم بشكل خاص وفيما بين الباحثين الشرق أوسطيين بشكل عام ، واصدار مجلة خاصة بدراسات الشرق الاوسط ــ وقد صدرت هــذه بالفعل وهي « المجلة الدوليــة لدراسات الشــرق الاوسط »(٤)ــ وتنظيم مؤتمر سنوي يشارك فيه من يرغب من الاعضاء وغيرهم ، يقدم فيه المؤتمرون حصيلة تجاربهم في ميادين البحث والتعليم، ويسهمون في التقدم بمستوى الدراسات الاستشراقية حتى تتخلص من عقابيل النظرة الاستشراقية التي سادتها منذ ظهورها في أواخر القرن الثامن عشر ، وبالطبع فإن الحديث بشكل مرض عن هذه الرابطة ونشاطاتهايتطلب بحثاً مستقلا يأمل صاحب هذه السطور أن يقوم بإعداده في المســتقبل القريــب .



التجمعات الاستشراقية السابقة

من الجدير بالذكر أن أقدم التجمعات التي تضم المعنيين بدراسات الشرق في بريطانيا هي دون شك « الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا العظمى وأيرلندا»(٥) والتي أسسها توماس كولبروك Thomas Colebrook عام ١٨٢٣ ، والتي ما زالت على قيد الحياة تسهم بتواضع في تقدم هذه الدراسات عن طــريق نشاطات مختلفة ربما كان أبرزها مجلتها المعروفة « مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا العظمى وأيرلندا(٦) .

وقد رافق التطورات الهائلة التي دخلت ميدان الدراسات الاستشراقية تطورات مماثلة في الميادين التنظيمية لتجمعات المهتمين بها • وكان من أثرها إيجاد ما يسمى بـ « رابطة المستشرقين البريطانيين »(٧) عام ١٩٤٦ ؛ والتي كانت الغاية من انشائها تنسيق نشاطات المستشرقين البريطانيين وتطوير التعاون مع المنظمات الاخرى المعنية بشؤون الشرق في المملكة المتحدة وخارجها وذلك بغاية رفع مستوى معرفة الحضارات الشرقية ؛ وتنظيم مؤتمر دوري لمناقشة أمور ذات أهمية مشتركة للمستشرقين البريطانيين ؛ واصدار نشرة دورية هي : نشرة رابطة المستشرقين البريطانيين(٨) تكون سجلا سنويا للعمل الذي يقومون به في المملكة المتحدة • وقد بدأ اصدار النشرة عام ١٩٤٦ •

وفي عام ١٩٦٧ ظهر الى الوجود «مجلس مكتبة الشرق الاوسط»(٩) الذي كانت الغاية من انشائه تسهيل الخدمات المكتبية فيما بين الجامعات البريطانية التي تضم أقساما أو كليات للدراسات الشرقية •



الجمعية ومؤتمراتها السابقة

أما فكرة تشكيل الجمعية الجديدة فقد جاءت من البروفيسور س• هـ • فيليبس C. H. Philips «مدير مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية» في جامعة لندن (وفيما بعد Sir Cyril) ، في اجتماع لرابطة المستشرقين البريطانيين عقد في بريستول في ربيع عام ١٩٦٩ • إلا أنها تعثرت فيما يبدو أو كانت بحاجة الى بعض الوقت حتى تنضج وتأخذ طريقها الى الوجود، كان أن أنشىء خلاله ما يسمى « المجلس البريطاني الوطني لدراسات الشرق الاوسط »(١٠) •

وفي الخامس والعشرين من أيار عام ١٩٧٣ ، عقد اجتماع في جامعة لندن ضم ممثلين عـن مختلف الجامعات البريطانية التي تعنى بدراسات الشرق الاوسط مع عدد كبير من المهتمين بالمنطقة من غير الجامعيين : من الصحفيين والكتاب والباحثين ورجال الاعلام ، تم فيه تشكيل الجمعية والمصادقة على دستورها[١١] . وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه : عقد مجلس الجمعية اجتماعه الاول في آكسفورد وجرت انتخابات فاز فيها الاستاذ ألبرت حوراني برئاسة الجمعية .

وفي شهر آذار من عام ١٩٧٤ عقد مجلس الجمعية اجتماعه الثاني في كامبريدج وكان من المهمات الملحة أمامه دراسة مسألة عقد مؤتمر سنوي من جهة ، ودراسة امكانية اصدار مجلة أو نشرة دورية تغطي نشـاطات الجمعية . وكان أن اختيرت لانكستر لتكون مضيفة للمؤتمر السنوي الاول الذي عقد فيها في الاول والثاني من شهر تموز[١٢] . وهكذا بدأت مسيرة الجمعية بالمؤتمر السنوي من جانب وبالنشرة نصف السنوية من جانب آخـر .

وتتالت المؤتمرات فيما بعد ، فعقد المؤتمر الثاني في كامبريدج في كلية الملك King's College بين ٣٠ حزيران و ٢ تموز ١٩٧٥[١٣] ، والثالث في درم Durham في كلية كولينغ وود بين الخامس والسابع من شـهر تموز عام ١٩٧٦[١٤] والرابع في آكسفورد بين ٣ و ٦ تموز ١٩٧٧[١٥] ، والخامس في جامعة هل Hull بين ١٠ و ١٣ تموز ١٩٧٨[١٦] ، والسادس في مانشستر بين ٨ و ١١ من شهر تموز من هذا العام (١٩٧٩) .

وانتظم صدور الدورية وتتابعت مجلداتها حتى بلغت ستة . ولا شك أن هذه المسيرة جديرة بدراسة مفصلة آمل أن أنتهي منها فيوقت قريب .

المؤتمر السادس

استغرق المؤتمر السادس أربعة أيام ٠ وقد نوقشت فيه موضوعات مختلفة كان من أبرزها الحركات الصوفية والبيبليوغرافيا الاسلامية والعمارة الاسلامية ، اضافة الى عدد من الموضوعات الاخرى المتفرقة ٠ وفيما يلي عرض موجز لوقائع المؤتمر ، سيكتفى فيه بالتركيز على الموضوعات التي ألقيت فيها أبحاث هامة أكثر من الامور التنظيمية التي سأتركها للدراسة الخاصة التي أعدها عن الجمعية ٠

* اليوم الاول ، الاحد ٨ تموز : وقد خصص لاجتماع مجلس الجمعية ونوقشت فيه جملة من الامور التنظيمية ٠

* اليوم الثاني ، الاثنين ٩ تموز : وقد خصص للموضوع الاول وهو « الحركات الصوفية » التي نوقشت في ثلاث جلسات كانت على الشكل التالي :

الجلسة الاولى :

١ ــ «السنوسية» ــ إمرس بيترز — Emrys Peters

٢ ــ « الشيوخ الصفويون » ــ س٠ مورتون — S. Morton

الجلسة الثانية :

١ ــ «الختمية في السودان» ــ أحمد الشاهي

وتلتها مناقشة موسعة ومطولة ٠

الجلسة الثالثة :

١ ــ «البكداشية في تركيا» ــ جون مورتون — John Morton

وقد رافق محاضرته عرض للصور الملونة بالفانوس السحري٠

وقد كان من المفروض أن يلقى في الجلستين الثانية والثالثة بحثـان آخران هما :

١ ـ «النورثوز في تركيا» ـ سيريف ماردين Serif Mardin

٢ ـ «طرائق شرقي أفريقيا» ـ م. هيسكيت M. Hiskett

إلا أن الباحثَين قد تخلفا فيما يبدو لظروف قاهرة.

وبعد انتهاء جلسات الحركات الصوفية عقد الاجتماع السنوي العام للجمعية ، نوقشـت فيه أمور تنظيمية تتعلق بالميزانية السنوية وموعد انعقاد المؤتمر السابع ومكانه وغير ذلك .

وفي أمسية ذلك اليوم كان عشاء المؤتمر الرسـمي . وكان ضيف الشرف المتحدث فيه البروفيسور ج. د. بيرسن J. D. Pearson أستاذ البيبليوغرافيا في جامعة لندن (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية). وقد تحدث فيه عن بداية اهتمامه بالدراسات الشرقية وعن الاسباب التي حدت به للتوجه نحو الاهتمام بالعمل البيبليوغرافي . ثم تطرق بإيجاز الى مشروعه العظيم Index Islamicus والذي كان قد بدأه عام ١٩٥٢ وما زال يتابعه حتى اليوم ؛ وعن الصعوبات التي يعانيها وعن مشاريعه التي ينوي تنفيذها قبل أن يتقاعد . واذا ما جاز للمرء أن يستبق الحديث عن هذا المشروع فانه يمكن أن يشير الى أن هذا المشروع هو عبارة عن فهرسة شاملة مستقصية لمقالات ما يتجاوز (٥١٠) دورية و (٧٠) مؤتمراً و(١٢٠) مجلدا تضم دراسات جمعت على شرف أحد الباحثين اثر بلوغه سناً معينة وأهديت له . ومن الجدير بالذكر أن هذه الدوريات والمجلدات تصدر بمختلف اللغات الاوربية . وعلى أي حال فإن حديثا أكثر تفصيلا عـن المشروع سيأتي عند التعرض لجلسة البيبلوغرافيا الاسلامية .

* اليوم الثالث ، الثلاثاء ١٠ تموز : وقد خصصت جلستا الصباح فيه لموضوعي البيبليوغرافيا الاسلامية ، والعمارة الاسلامية ، وكرس الجزء الاول من بعد ظهيرته لندوة الخريجين في حين كان الجزء الثاني من نصيب المتحدث الضيف البروفيسور ارغن أوزبدن Ergun Ozbudun الاستاذ في جامعة أنقرة . وقد كان هذا اليوم من أحفل أيام المؤتمر وأكثفها وأغناها مادة . ولذلك فسوف تكون وقفتنا عنده أطول من الايام الاخرى .

جلستا الصباح :

١ً ــ البيبليوغرافيا الاسلامية : وقد ترأس الجلسة دريك هبوود وشارك فيها كل من البروفيسور بيرسن وبول أوخترلوني ، وبيتر سلفليت بحديث استغرق من ٢٠ ــ ٢٥ دقيقة تلته مناقشة شارك فيها المتحدثون أنفسهم والمؤتمرون .

ا ــ ج . د . بيرســن ومشــروعه العظيم Index Islamicus : وقد تحدث فيه عن هذا المشروع الهام والذي امتد عمله فيه على فترة تقارب عقوداً ثلاثة . والمشروع عبارة عن فهرسة للمقالات التي حوتها (٥١٠) دورية تصدر باللغات الاوربية وتعنىبالدراسات العربية والاسلامية ، اضافة الى جملة كبيرة من المنشورات الجماعية(حوالي ١٢٠ Festschriften [١٧] و ٧٠ مجلداً من وقائع المؤتمرات) . والعمل يغطي القرن العشرين ويبدأ بعــام ١٩٠٦ وهو عام صــدور مجلة Revue du mond musulman وقد صدر منه حتى الآن مجلد ضخم وأربعة ملاحق ومجلة فصلية عمرها عامان . وكان صدورها على النحو التالي :

1. Index Islamicus : 1906 - 1955, A Catalogue of Articles

on Islamic Subjects in Periodicals and other Collective Publications.

وقد صدر عام ١٩٥ وهو يغطي الفتـــرة ما بين ١٩٠٦ و ١٩٥٥ أي نصف قرن بالضبط •

2. Index Islamicus first Supplement : 1956 - 1960

وصدر عام ١٩٦٢ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ •

3. Index Islamicus, Second Supplement : 1961 - 1965.

وصدر عام ١٩٦٧ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٦١ و ١٩٦٥ •

4. Index Islamicus, Third Supplement : 1966 - 1970.

وصدر عام ١٩٧٢ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ •

5. Index Islamicus Fourth Supplement : 1971 - 1975.

وصدر عام ١٩٧٧ وهو يغطي الفترة ما بين ١٩٧١ و ١٩٧٥ •

وفي عام ١٩٧٧ بدأ صدور المجلة الفصلية

The Quarterly Index Islamicus

(الفهرس الاسلامي الفصلي: كتب ومقالات وبحوث راهنة عن الدراسات الاسلامية) وهي تضم الى جانب المقالات ثبتا بأهم الكتب الصادرة عن الشرق وقد صدر منها حتى الآن مجلدان اثنان والبروفسور بيرسون يود أن يمضي بها حتى عام ١٩٨٠ وهو العام الذي اختاره ليتقاعد عن العمل• وقد أشار الى رغبته في أن يعهد بمهمته هذه الى أحد المهتمين والى أنه يسعى الى تدريب أحد المفهرسين من أجل ذلك رغبة منه في متابعة اسداء هذه الخدمة الجليلة للباحثين والتي ما فتىء يقدمها بالتعاون مع زوجه منذ عام ١٩٥٢ •

وبعد ذلك أشار البروفيسور بيرسن الى بعض النقد الذي وجه الى

عمله • وقد اعترف ببعضه وتحدث عن امكانية تطوير المشروع بوضع ثبت بالمؤلفين وآخر بالموضوعات وعن إعداد فهرس بالمقالات التي سبقت عام ١٩٠٦ ؛ وما يمكن أن يقدم ذلك من عون للباحثين وما يوفره عليهم من وقت وجهد • وربما كان من الجدير بالذكر أن البروفيسور بيرسن بصدد إعداد فهرس شامل لـ : موسوعة الاسلام ، وذلك من أجل تسهيل الافادة منها ما أمكن •

والحقيقة أن أهمية هذا العمل لاتنبع فقط من الفائدة التي لا تقدر والتي لا يمكن للباحث أن يستغني عنها ؛ وانما لأنه العمل الوحيد في ميدان فهرسة الدوريات المعنية بالشرق • ولا يقدر مقدار الوقت والجهد الذي يمكن أن يوفره فهرس كهذا على الباحثين إلا من عانى مراجعة الدوريات معاناة مباشرة • ومن المؤسف أن نشير هنا الى أنه ليس ثمة من عمل مماثل في اللغة العربية* ؛ وأن هذا قد جعل أكثر البحوث التي تنشر عن الادب العربي الحديث تستند في مجملها الى الكتب • ولا يدري المرء ماذا يمكن أن تكون عليه صورة الادب العربي الحديث لو قدر له أن يدرس بعد مراجعة شاملة لكل ماصدر من الدوريات العربية في القرنين الاخيرين •

والحقيقة أن الاهتمام بميدان الببليوغرافيا ما زال محدوداً في الوطن العربي • ومن المؤسف حقا أن من يقوم به لا يؤخذ مأخذ الجد ، ولا ينظر اليه بعين التقدير والتشجيع ، رغم أن عمل الفهرس أبعد ما يكون عن

---

* علمت من البروفيسور بيرسن والدكتور دريك هبورد ان « مجلس مكتبة الشرق الاوسط » قد اعد فهرسا شاملا لخمسين دورية عربية ، وانه قد انتهى منه منذ عدة سنوات ، وقد اتفق مع هيئة جامعية في بيروت على طبعه واخراجه في ثلاثة مجلدات ضخمة ، ويبدو ان الحوادث المؤسفة التي مر بها القطر اللبناني الشقيق كانت وراء تاخير المشروع لهذه السنوات • والحقيقة ان مشروعا كهذا لايمكن ان يترك ، وتنبغي متابعته من أجل اصداره في اقرب وقت واتاحة الفرصة امام الباحثين لمراجعة هذه الدوريات دون كبير وقت وجهد • ولعل جهة ما في القطر ان تتولى طباعته ونشره •

الانانية ، وهو يتطلب في الوقت نفسه صبرا ودأبا وسعة معرفة ، وحصيلته الشخصية محدودة وغير حافزة على المتابعة على الاطلاق ، ولكننا اذا ما اعتبرنا الفائدة التي يسكن أن يسديها الفهرس للباحث ، والوقت والعناء اللذين يوفرهما عليه ، فاننا نرى كم هو ضروري وأساسي وهام •

ان دعوة المؤتمر للبروفيسور بيرسن ليكون ضيفه وليتحدث عن تجربته في ميدان الفهرسة وعن مشروعه العظيم « الفهرس الاسلامي » انما يعكس التقدير الذي تلقاه البيبلوغرافيا في الغرب • وربما تساءل المرء من يذكر منا مفهرساً كأسعد يوسف داغر هذه الايام أو من يشير الى أياديه البيضاء والتي يسديها في صمت •

ب ــ بول أخترلوني و « مجلس مكتبة الشرق الاوسط » : وقد تحدث السيد أخترلوني عن هذا التجمع الذي يضم قيّمي المكتبات المعنية بشؤون الشرق الاوسط والدراسات العربية والاسلامية والذي ظهر عام ١٩٦٧ ، وعن نشاطاته المختلفة والتي تتوجت باصدار ثلاثة أعمال :

١ ــ الشرق الاوسط والاسلام : مدخل بيبليوغرافي:

Middle East and Islam: A Bibliographical Introduction

والذي صدر عام ١٩٧٢ ، وحرره دريك هبوود وديانا غريم ــ وود جونز• ويبدو أن طبعته قد نفدت لانه قد لبى حاجة ملحة ، ولذلك فانه ستصدر منه طبعة معدلة في نهاية هذا العام •

٢ ــ الفهرس الشامل للدوريات والصحف العربيـة في المكتبات البريطانية :

Union Catalogue of Arabic and Newspapers in British Libraries

والذي أعده بول أخترلوني قيم مكتبة الدراسات الاسلامية في جامعة لانكستر ؛ وياسين الصفدي قيم القسم الشرقي في مكتبة المتحف البريطاني ونشرته Mansell عام ١٩٧٧ • ومن الجدير بالذكر أن هذا الفهرس يضم ثبتاً بما يتجاوز الالف دورية ؛ ويذكر اسم الدورية ، والجهة التي أصدرتها أو ما زالت تصدرها ؛ والمكان وتاريخ الصدور ، والمكتبات التي تملك نسخة منها مع بعض التفصيلات الاخرى الضرورية والتي تيسر على المراجع العثور على بغيته بأقل ما يملك من الوقت والجهد •

٣ ــ بيبليوغرافيا اسلامية عربية: دليل مجلس مكتبة الشرق الاوسط:

Arab Islamic Bibliograph The middle East Library Committee Guide

والذي حررته مجموعة من الباحثين وقيمي المكتبات في الجامعات البريطانية وصدر عام ١٩٧٧ • وليس هذا الكتاب إلا إعادة تحرير لكتاب ج • غابريلي «الوجيز في البيبليوغرافيا الاسلامية» والذي صدر بالايطالية عام ١٩١٦ • وهو يعتبر بحق من الاسهامات الهامة في حقل البيبليوغرافيا الاسلامية •

وقد أشار بول أوخترلوني في نهاية حديثه الى محاولة المجلس الاستفادة من الحاسب الالكتروني (الكومبيوتر) في أعماله من أجل إعداد فهرس بالموضوعات ، والى عزم المجلس على اصدار دليل لأرشيفات الوثائق الرسمية باللغات الاوربية عن الشرق الاوسط والذي سينشر في العام القادم • والى ثبت الاوراق الخاصة الذي أعدته الآنسة ديانا غريم ــ وود جونز ، والذي يمكن أن يعتبر مشروعا رائداً يمكن أن يطور وينمى لتزداد الفائدة منه •

جـ ــ بيتر سلفليت وفهرس الرسائل الجامعية : وقد تحدث الدكتور سلفليت فيه عن المشروع الذي يقوم به حاليا وهو اعداد فهرس شامل بجميع رسـائل الماجستير والدكتوراه المعنية بشؤون الشـرق الاوسط وشمالي أفريقيا ، وهو عمل لا يشتمل على الرسائل المنجزة فقط ، بل يضم الرسائل التي ما زالت قيد الكتابة أيضا • وقد اختار عام ١٩٤٥ ليكون بداية لفهرسه ، وأشار الى أنه جمع حتـى الآن ٣٠٠٠ عنوان في مختلف الموضوعات حتى الحيوان والنبات والعلوم الاخرى ، والى أنه يرغب في أن يقصرها على الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية • وقد اتفق مع الناشر على أن يصدر طبعة جديدة كل خمس سنوات ، وسوف يعمد الى حفظ الفهرس في الحاسب الالكتروني في آكسفورد بالتعاون مع السيد ألن جونز وذلك من أجل تيسير الفائدة على من يريد مراجعته وذلك بالاتصال الهاتفي به والحصول على معلومات فورية بشأن أية أطروحة من الاطروحات•

٢ً ــ العمارة الاسلامية ، وقد تحدث فيها كل من

ا) غ• غودوين G. Goodwin عن تأثير الفتح العثماني على عمارة القسطنطينية وقد ركز في حديثه بشكل خاص على تحويل كنيسة آياصوفيا الى مسجد •

ب) مايكل روجرز Micheal Rogers عن المـواد المستخدمة في عـمارة القسطنطينية في القرن السادس عشر وعـن مصادرها ووسائل الحصول عليها •

جـ) السيد ماثيوس Mr. Mattheus عن العمارة الحديثة في الخليج العربي والمملكة العربية السعودية مع عـرض للشرائح الملونة بالفانوس

انسحري•ومن المعروف أن السيد ماثيوس قد قام بتصميم وتنفيذمشروعات عديدة في مختلف مناطق الخليج العربي والمملكة العربية السعودية • وقد تحدث في محاضرته عن تجربته هناك ، وأشار الى العوامل المختلفة التي تؤثر على نوعية التصاميم الهندسية للابنية والمنشآت المختلفة في المنطقة وذكر منها جنسية المصمم ، ورغبة صاحب البناء ، والاعتبارات المالية ، وطبيعة المناخ ، ومسألة توفر المواد الاولية ، وتنافس المكاتب الهندسية وغير ذلك • وقد أبدى في النهاية أسفه لأن العمارة الحديثة في الخليج العربي والسعودية لا يغلب عليها الطابع العربي • وقال ان المرء يمكن أن يراها في أي مكان : في نيويورك أو طوكيو أو باريس أو غيرها من عواصم العالم • ثم أشار الى محاولة بعض المصممين ادخال بعض العناصر العربية كالاقواس والقباب وغيرهما في تصاميمهم ، والى اخفاقهم في ذلك لأنها تبدو مقحمة على الكثير من الابنية التي عرض شرائح ملونة عنها أثناء حديثه • ويبدو لي أن هذا مفارقة كبيرة حقاً ، وهي لا تقتصر على منطقة الخليج العربي بل تكاد تشمل جميع الاقطار العربية • وانه لمن المؤسف حقاً أن لاتحتفظ العمارة العربية الحديثة بأية صلة مهما كانت واهنة بالتراث العريق والمجيد للعمارة العربية الاسلامية ، والتي لم تترك بصماتها واضحة في كل مكان حل فيه العرب فقط ، وانما تعدت ذلك الى المناطق المجاورة •

جلستا ما بعد الظهيرة :

١ ــ ندوة الخريجين : وألقيت فيها البحوث التالية بعد أن قسمت الجلسة الى حصتين :

أ) تاريخ مدينة ماغادور (الصويرة) المغربية : دانييل شروتر Daniel Shroeter. من جامعة مانشستر •

ب) وجوه في أدب الحديث : عبد القادر شريف من جامعة لنـــدن (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية) .

جـ) علم الكلام الشيعي الوسيط : نورمان كالدر **Norman Calder** من جامعة لندن .

د) باكثير والالتزام الاسلامي في الادب العربي الحديث : محمـــد توفيق من جامعة مانشستر .

وقد ألقيت جميعها في الحصة الاولى . وألقي البحثان التاليان في الحصة الثانية :

هـ) ملاحظات نحو دراسة مقارنة للنقد العربي الحديث : عبد النبي اصطيف من جامعة أكسفورد .

د) صـــور المرأة في الادب التـــركي الحديث : جانيـــت براوننغ **Janet Browning** من جامعة درم .

٤ ــ أرغن أوزبدن **Ergun Ozbudún** وحزب تحرير الامة : وقد تحدث البروفيسور التركي أوزبدن في هذه الجلسة عن (حزب تحـــرير الامة) . والاستاذ أوزبدن هو أستاذ القانون الدستوري في جامعة أنقرة ومحام وعالم وسياسي . وتناول الحديث مذاهب الحزب ونظريته وثقله السياسي في الحياة التركية وناخبيه وأماكن تجمعاتهم وطبقاتهم الاجتماعية، وقدم تحليلا جيداً للانتخابات التركية في الدورتين الاخيرتين . وكان ذلك كله ضمن سياق عام مـــن التطورات السياسية التي شهدتها تركيا خلال العقد الاخير والذي كان تصوره خلفيـــة تتحرك وراء مناقشته لحـــزب تحرير الامة .

اليوم الرابع ، الاربعاء ١١ تموز : وقد عقدت فيه جلستان خصصت الجلسة الصباحية فيه للبيبليوغرافيا واقتصرت جلسة بعد الظهيرة على « مجلس مكتبة الشرق الاوسط »

الجلسة الصباحية : وقد ترأسها البروفيسور ل• إلويل ــ ستون L. Elwell - Suttan وكانت عبارة عن ندوة موسعة تمت فيها مناقشة مشكلات البيبليوغرافيا الإيرانية ، واستغرقت الصباح كله •

جلسة بعد الظهيرة : وقد اقتصرت ، كما ذكرت ، على أعضاء مجلس مكتبة الشرق الاوسط من أجل تدارس مشاريعه ونشاطاته المقبلة التي سبقت الاشارة الى بعضها • ومن الجدير بالذكر أن هذا الاجتماع هو الاجتماع السادس والعشرون للمجلس منذ تأسيسه عام ١٩٦٧ •

* * *

خــواتيم

وبعد هذا العرض الموجز لوقائع المؤتمر يمكن للمرء أن يشير الى الملاحظات التالية :

١) رغم أن المؤتمر مؤتمر دوري يعقد سنويا إلا أنه في موضوعاته التي تم اختيارها لهذا العام كان استجابة واضحة للحاجات الملحة التي تفرضها التطورات الكبيرة التي تمر بها الدراسات الشرق ــ أوسطية في الغرب من جهة ، وللتطورات التي تشهدها هذه المنطقة من جهة أخرى • فموضوع الحركات الصوفية كان نتيجة مباشرة لما أثارته الثورة الايرانية من مناقشات في الاوساط الغربية ، وهو محاولة لفهم الحركات الاخرى التي يمكن لها اذا مادرست أن تلقي بعض الضوء على ما يجري في أجزاء من هذه المنطقة • وموضوع البيبليوغرافيا بشقيه الاسلامي والايراني

ماهو غير استجابة للصعوبات التي يمكن أن يواجهها الباحثون في هذه المنطقة ومحاولة لتوفير المادة الاساسية التي لا غنى عنها في أي بحث سليم • وأما موضوع الهندسة المعمارية الاسلامية فهو موضوع كان وما يزال يستأثر باهتمام الدارسين الاسلاميين ، ودارسي الفنون والعمارة في الغرب نظرا لما كان للعمارة الاسلامية من تأثير على تطور الهندسة المعمارية العالمية •

٢ ـ قد يتساءل المرء هل للبيبليوغرافيا هذه الاهمية حتى تخصص لها ثلاث جلسات مطولة في مؤتمر عمل استمر أربعة أيام ؟ وما هي الفائدة التي يمكن أن يقدمها للباحثين في أي حقل من حقول المعرفة ؟ وقد يستغرب من جهة أخرى أن يكون هناك بروفيسور للبيبليوغرافيا، وأن يدعى ليكون ضيف شرف في مؤتمر كهذا •

لست أريد في هذا الموضوع أن أتحدث عما وصلت اليه حال الدراسات العربية في وطننا العربي ، ولا أظن أن المقام يتسع هنا للتعرض الى الصعوبات التي تعانيها المحاولات المبذولة للنهوض بهذه الدراسات • ولكني سأكتفي بالاشارة الى سبب واحد وهو أن الدراسات العربية في مجملها تفتقر الى أمر حيوي وهام وهو الانطلاق في كل بحث أو مشكلة أو قضية من النقطة التي وصل اليها الآخرون الذين سبقوا الى معالجتها • ان أغلب الدراسات العربية التي تنشر اليوم تنطلق في كثير من الاحيان من نقطة الصفر • وقد يعزو بعضهم أسباب هذا القصور الى كاتبي هذه الدراسات والى أنهم لايعيرون ما أسهم به غيرهم ، في هذا الميدان أو ذاك ، أدنى اهتمام • وهذا بعض الحقيقة لان هؤلاء ينسون أن نقطة البدء في أي بحث هي مراجعة البيبليوغرافيا الخاصة به ، ومعرفة ما كتب عنه ، وبالتالي محاولة الاستفادة من هذا الذي كتب بعد تطويره والوصول به الى نتائج متقدمة •

ان الدراسات العربية تفتقر الى ما سماه الاستاذ يحيى حقي (بالتتابع) الذي يشير اليه في حديث نشر منذ عامين • يقول الاستاذ يحيى حقي :
« أمنيتي أن أرى في حركتنا الادبية ما أسميه بالتتابع ، أي أن تكون الافكار الجديدة مستندة ومتابعة للافكار السابقة • وهذا ما يتطلب ما أرجوه من أن يكون المفكر ملماً بكل ما سبق عن الموضوع الذي يعالجه، لأنه يخيل إليّ في بعض الاحيان حين أقرأ بحثاً صدر اليوم ، أني قد سبق لي أن قرأته ، كأننا ندور في مكان واحد لا نبرحه »(١٨) •

ان البدء بإعداد بيبلوغرافيا شاملة ومستقصية للموضوعات المختلفة التي تتصل بالثقافة العربية أمر حيوي وهام جدا اذا ما أريد للدراسات العربية أن تحقق قفزة نوعية في ميدانها • ولا شك أن التقدم الذي أحرزته الدراسات العربية في الغرب انما تحقق بتطبيق مبدأ متابعة البحث من النقطة التي انتهى الآخرون اليها ، لا من نقطة الصفر ، وأن هذه المتابعة ما كان لها أن تتم لولا وجود بيبلوغرافيا خاصة بكل موضوع •

٣ـ لايمكن للمرء أن يغفل الفائدة الكبيرة التي يمكن أن تجنيها الجامعات والعاملون فيها من هذه المؤتمرات ، فرغم أن الدراسات العربية والاسلامية في بريطانيا لا تشغل إلا حيزا محدودا من اهتمامات جامعاتها، ومن العملية التعليمية فيها ككل ، إلا أنها من جهة أخرى تظفر بما هي جديرة به من عناية كأي حقل من حقول المعرفة الانسانية الاخرى • ولما كان لايمكن تطوير أي فرع من فروع الدراسات الجامعية دون اتاحة الفرصة أمام العاملين في هذا الفرع للتعاون فيما بينهم ، وتبادل النتائج التي يتوصلون إليها ، فان المؤتمرات تلعب دوراً هاماً في تسهيل الاتصالات واللقاءات فيما بين هؤلاء المعنيين من أجل تبادل الخبرات والمعلومات

والفوائد ، وبغاية التنسيق بين فعالياتهم ونشاطاتهم في الجامعات المختلفة. ومن المؤسف أننا لانكاد نعير هذه الامور كبير أهمية في الاقطار العربية رغم أن فـرص التعاون متيسرة وممكنة ، والحاجة الى هـذا التعاون ماسـة جـداً .

ان المؤتمر السادس للجمعية البريطانية لدراسات الشرق الاوسط مؤشر واضح على ما تحظى به الدراسات العربية والاسلامية من اهتمام من جهة،وعلى الطرق المستخدمة في تطوير هذه الدراسات والرقي بمستواها من جهة أخرى . ولعل فيما تقدم من حديث عن المؤتمر ووقائعه ما يبين عن هذا الاهتمام ، وما يدفع الى الافادة من الوسائل المختلفة المستخدمة في تطويره من أجل دفع دراسات المنطقة في الوطن العربي والرقي بمستواها حتى تستطيع أن تزعم لنفسها جدارة الانتماء لعصرها .

جامعة أكسفورد **عبد النبي اصطيف**

تموز١٩٧٩

هوامـــش

(١) British Society for Middle Eastern Studies

(٢) Middle East Studies Association of North America

(٣) Middle East Studies Association Blletin

(٤) International Journal of Middle Eastern Studies

(٥) The Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland .

(٦) Journal of the Royal Asiatic Society.

(٧) Association of British Orientalists

(٨) Bulletin of the Association of British Orientalists

(٩) The Middle East Library Committee

(١٠) British National Committee for Middle Eastern Studies

(١١) من أجل الاطلاع على دستور الجمعية انظر النشرة ، المجلد ١ ، ١٩٧٤ ، صص ٣٦-٣٨ .

(١٢) انظر من أجل وقائع المؤتمر الاول النشرة ، المجلد ١ ، العدد ٢ ، ١٩٧٤ ، صص ١٠٨ - ١٠٩

(١٣) انظر وقائعه في النشرة ، المجلد ٢ ، العدد ٢ ، ١٩٧٥ ، صص ١٠٥ - ١٠٧ .

(١٤) انظر وقائعه في النشرة ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ١٩٧٦ ، صص ١٢٥ - ١٢٦ .

(١٥) انظر وقائعه في النشرة ، المجلد ٤ ، العدد ٢ ، ١٩٧٧ ، صص ٩٩ - ١٠١ .

(١٦) انظر وقائعه في النشرة ، المجلد ٥ ، العدد ٢ ، ١٩٧٨ ، صص ١٠٨ - ١٠٩ .

(١٧) هي كلمة ألمانية تستخدم على نطاق واسع اليوم للدلالة على الكتب المؤلفة من عدة بحوث أو دراسات ألقيت في ذكرى بلوغ شخص هام سنا معينة، ثم جمعت في كتاب وأهديت له تكريما له وتقديرا لخدماته .

(١٨) انظر عاطف مصطفى : « يحيى حقي في حديث عن الابداع الفني وتدهور الفكر » في الهلال ، ديسمبر ، ١٩٧١ ، ص ٦١ .

الشيخ طاهر الجزائري

مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته

الاستاذ علي حيدر النجاري

بعث إلينا الاستاذ علي حيدر النجاري بمقال عن العلامة الشيخ طاهر الجزائري بمناسبة ذكراه الستين أورد فيه نماذج من نثره وشعره في شبابه.

وقدم لها بالحديث عن علاقات الاخوة التي تربط بين الجزائر وبين بلاد الشام والتي تتمثل بأعداد مـن المهاجرين الذين نزلوا سورية قبـل الاستعمار الفرنسي وبعده . وتوقف بخاصة عند الامير عبد القادر ثم أشار الى الشيخ محمد المبارك الجد ، المتوفى في العقد الاول من هذا القرن والد الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك عضو مجمع اللغة العربية (ت ١٩٤٥) وجدّ الاستاذ محمد المبارك الحفيد ، العضو العامل في مجمع اللغة .

وكان ذلك تمهيداً للحديث عن الاستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري (١٨٥١ ــ ١٩٢٠) الذي (أغنانا في ترجمته وتعداد مآثره الاخ البحاثة الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب في دراسته القيمة التي ألقاها على طلاب معهد الدراسات العربية العليا ونشرها المعهد ضمن مطبوعات سنة ١٩٧٠).

وبعد أن نوّه بفضله مستنداً الى أقوال الاستاذ كرد علي في كتابه « كنوز الاجداد » والاستاذ أنور الجندي في مقاله عن كرد علي المنشور في العدد الاول من المجلد ٥٢ من مجلة المجمع ، وإلى ما سمعه من الاستاذ المرحوم محب الدين الخطيب خلال تردده عليه أيام الطلب في القاهرة في

المكتبة السلفية بالسيدة زينب في الثلاثينيات ، ونقل بعد هذا خبراً مكتوباً عن مجلة كل شيء والعالم التي كانت تصدر في القاهرة ، نشرته في صفحة كانت تخصصها لأخبار ماقبل ربع قرن جاء فيها « ٤ مايو ١٩٠٧ قدم القاهرة حضرةالاستاذ العلامةالشيخ طاهر الجزائري إمام شيوخ سورية وأستاذ أدباء دمشق والرجل الذي وقف حياته على العلم والادب » . « كل شي والعالم . العدد ٣٣٨ وتاريخه ٣٠ أبريل ١٩٣٢ » .

بعد هذه التوطئة أورد الاستاذ النجاري ما دار بين والده الشيخ رسول النجاري وبين الشيخ طاهر من رسائل تتضمن شيئاً من الشعر وشيئاً من النثر وهي رسائل محفوظة في مخطوطة للشيخ رسول اسمها : الجواهر الغالية الاثمان في الرحلة الى دار خلافة آل عثمان .

والمخطوطة كما يبدو من عنوانها حديث عن رحلته الى الديار العثمانية وتسجيل للرسائل التي كانت تدور بينه وبين أدباء عصره خلال وجـوده في الحاضرة العثمانية . ويستنتج الاستاذ النجاري من ماجريات والده في الاستانة أن ولادة الشيخ طاهر كانت على الارجح سنة ١٨٥١ وأنه حين كتب الرسالة التي سيوردها كان لم يبلغ الثلاثين ، وفي نحوٍ من ذلك كان والده فكلاهما كان لم يتجاوز طور الشباب . ثم يقول :

بعد أن أتى الوالد على رسالة الشيخ محمد المبارك وجاء في نهايتها ما نصـه :

« هذا وقد ذكرت من نوع المعمّى ، في اسم أشرف مسمّى ، صلى الله عليه ، وكل محبوب لديه ، لمصادفتي يوما أخانا الشيخ طاهر أفندي متوجه الفكر الى ذلك ، فسلكت معه بلطف إيناسه هذه المسالك .»

يقول الوالد :

« أقول إنه ذكر وقتئذ بعض معميات ، ونظمهافي سلوك أبيات كالآيات، تتفتح لورود حقائقها أبواب الالباب ، وتنشرح لصدور دقائقها صــدور الاحباب ، وأما حضرة الشيخ طاهر الذي نوه بجنابه المنيف ، فكره الذكي وطبعه اللطيف ، وهو مفتش المعارف في الشام ، ذات الثغر البسام ، وإنه لأديب تتطفل الادباء على موائد فوائده ، ونبيه تتزين النبهاء ببهاء فرائده ، اجتهد في طلب الفضائل فجمع شملها ، وترقى في العلوم وكان أحق بهـا وأهلها ، وأقر بفضله وعلمه كل فاضل عالم عقول ، وشهد أنه صعد الذروة في المنقول والمعقول ، وحاز قصب السبق في فنون الآداب والعلوم الرياضية. وأضحى لا يشق له غبار في مضمار الدراية والروية ، حتى قصرت عليه كل القصر ، بلاغة أهل العصر ، اذ ظهرت عرائس أفكاره من الخدور ، وبهرت كالشموس والبدور ، وكما أنه جزيل الفضل ، طيب الفرع والاصل ، يفوح من خلقه طيب العرف ، ويلوح من خـُلقه ما يبهج النفس ويمتع الطرف ، وإن مزاياه لاتعد كالكواكب ، اذ تفيض بالفضل كالغمائم السواكب ، وكم له من مؤلف طريف ، ومصنف ظريف ، لم ير مثله الراؤون ، ولم يرو مثله الراوون ، جدير أن يـُكتب بالمسك على الكافور ، بل بالتبر على صحائف النور ، منسوج على أبهى منوال وأحسن أسلوب ، مسبوك في قالب بديع تميل إليه القلوب ، وتلك بديعيته الغرّاء ، قرة أعين الناظرين والقراء ، بـُنـِيـَت أبياتها ببنان اليراعة ، ورفعت قواعدها على أساس البلاغة والبراعة، وقد طوت مافي المطوّل مع ايجازها ، وحوت معاني الاعجاز بحسن حقيقتها ومجازها ، وكأنها في الإطراء والإطناب ، خيمة في رياض البلاغة ممدودة الأطناب ، وكم سمعت له من غادة بكرٍ ، من بنات الفكر ، هام بها لـُبـّي ،

وصبا إليها قلبي ؛ وعندما تيمتني بنات أفكاره بإعراضها وصدها ، سنح لي وحَسُن عندي أن أسدّي شرك لغز لصيدها،فأتيت بهذا اللغز الباهر، باسمه الطاهر :

وحيد العصر : ما اسم مستطاب ... يميل إليه كل الناس طبعا
تنزّه إذ بدا عن كل رجس ... وأضحى طاهراً أصلا وفرعا
تواليه أولو الالباب طراً ... وأرباب النهى تهواه جمعا
له فضل جزيل ليس يحصى ... وأوصاف تعم الخلق نفعا
وما للناس عنه من غناء ... وإن لم تُلْفِه فتضيق ذرعا
غدا قطباً لمحورنا وأمسى ... عليه مدارنا وإليه نسعى
به رُقَت العوالم في المعالي ... وزادت في سماء الفضل رفعا
ولاحت كالشموس بكل حالٍ ... وقد سطعت بها الانوار سطعا
وحاز من المآثر منتهاها ... وها هو مكمل للناس شرعا
فشطر للصلاة وان تبالغ ... فشطر جاء للإيمان قطعا
فيا لله ما أبهى حلاه ... يشنّف وصفه الآذان سمعا
يروق محاسناً ولذا نراه ... بأنفس سامعيه يحل وقعا
هو اسم نبيّنا المختار أحْبِب ... بمن بين البريّة فيه يُدعى
وإن قال الاديب اسمان فيه ... لسيدنا الرسول فليس بِدعا
رُباعيّ الحروف وقد نراه ... ثلاثياً اذا أتقنْت صنعا
وذا عجب لعمري كيف يبدو ... لناظر شكله وتراً وشفعا
فصدراه الى النحويّ أمرٌ ... وعجزاه به حيوان يرعى
وها إن بان طار بلا ارتياب ... فيا عجباً له قد شاق وضعا
وإن يك مفرداً يا صاح فيه ... نرى رهطاً له بالقلب مسعى
فجُدْ بالحلّ يا من قد رتعنا ... بروض رُباه بالآداب رتْعا

وبينما أنا أترقب ورود رقيم ، جواباً عن در لغزي النظيم ، واذا بكتاب كريم وارد ، ألذ للظمآن من الزلال العذب الفرات البارد ، بل أحلى من عطفة الحبيب ، وأشهى من غفلة الرقيب ، ففتحته فإذا طروسه جنة مفتحة الازهار ، وسطوره جداول أنهار ، أدرجت فيه لطائف ترتاح اليها الارواح والنفوس ، وأدرجت فيه دقائق تتجلى على منصة خطّابها كالعروس ، وتأملته فإذا هو من البلاغة في أرفع محل ، تعقد الخناصر على فضل ناظمه وهو صاحب العقد والحل ، وهذا هو بنثره العظيم ، ودرّه النظيم :

منثور رسالة الشيخ طاهر

الى الاديب الذي جعل لأهل الادب في مصره شرعة ...[1] هم في سماء البيان ... الطاهر النفس والنّجار ، البارع الألمعي الشيخ رسول أفندي النجار .

بعد إهداء تحياتٍ رسولُها الصّبا ، وواشيها زهر الربا ، تحكي في اللطافة راء قامة الحبيب اذا مالت من العجب وان جاء .. سين الطرّة اذا شوشها النسيم وان شوشت فكر الصب ، وقيدت سلاسلها واو الصدغ وإن لسع عقربه ، ولام العذار وإن اشتد ظلامه وغيهبه[2] .

أبدي أنه قد وصلتني رسالتك[3] التي آمن بآيتها كل أديب نطق بالضاد ، وحمله الانصاف على أن لايكون مضاداً ، فوجدتها مع كونها من الممتنع منالا من نوع السهل ، وذكرتني بأديب حمص المغرب (اشبيلية)[4] ابن سهل[5] ، فبادرت للجواب عليها بأبيات هي ابنة وقتها من قريحة ناضبة ، ومهجة ناصبة ، وحملني على الاستعجال حضور امتحان المدارس ، التي أصبح رسمها أخفى من الطلل الدارس .

نسيجٌ وحده من فاق صُنعا ... كأني بردة تُزري بصَنعا
حواشيها الرقاق حوت طرازاً ... بديعاً مُذهَباً قد راق وضْعا
أتتني وهْي عامرة المغاني ... بوقت فيهِ أقوى الفضل ربعا
ومسألة الاديب لديه عالت ... فأضحى ثُسْنُه في الناس تسعا
وصار شرابه فيه سراباً ... فما يُلفى لبلٍ صداه نقعا
وأضحى عوده غرباً ضعيفاً ... لعاجبه وعهدي كان نبعا
ومن يقرأ يتيمته يتيم ... يدعْ لدى أهيْل الفضل دعّا
وشنّفت المسامع باللآلي ... فأصغت نحوها الأدباء سمعا
حوت لغزاً بإسمٍ إن يُصَحّف ... تراه ظاهراً للناس جمعاً
فدام بصحةٍ من قد وشاه ... ولا زالت له الايام ترعى

حمص ... علي حيدر النجاري

---

(١) كان هذا الفراغ من جراء تآكل الصفحة
وقد كتب الوالد : منثور رسالة الشيخ طاهر ، على الهامش.
ونحسب ان الكلمة هي : ومنهاجا ، كما أن الفراغ الثاني : وأطلعهم ... سراجا وهاجا -

(٢) راء قامة الحبيب وسين الطرة وواو الصدغ ولام العذار تجمعها كلمة : رسول .

(٣) لم يورد الوالد منثور رسالته وكان يكتفي بذكر بعض الاجوبة .

(٤) هكذا وردت كلمة اشبيلية بين قوسين وقد استوطنها الحمصيون منذ القرن الثاني الهجري ويقول أبو البقاء الرندي في مرثيته :

فأين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن

(٥) أبو اسحاق ابراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفى سنة ٦٤٩ هـ ١٢٥١ م ولم يتجاوز الاربعين وقد أجمع مترجموه على القول : « وقد اسلم وحسن اسلامه » وديوانه من اوائل المطبوعات العربية في القاهرة باشراف الشيخ حسن العطار في مطلع الثلاثينيات في القرن الماضي . وقد اشتهر بموشحه :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس
فهو في حَرّ وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس ... الخ

تعقيب على لفظتي

« البوش و المنــاورة »

الدكتور ف. عبد الرحيم

قال الاستاذ شفيق جبري في مقاله « بقايا الفصاح » المنشور في عدد ذي القعدة عام ١٣٩٩ من مجلة مجمع اللغة العربية ما يلي:

« والغريب في بقايا الفصاح أننا نمرّ بألفاظ نظنها في فاتحة الامر أعجمية ثم يتبين لنا بعد التدقيق أنها عربية فصيحة وإن كنا لا نجد تقارباً بين المعنيين الفصيح والعامي ... » .

ومثّل لهذه الطائفة من الالفاظ بكلمة « بوش » التي تستعمل بمعنى الفنجان الفارغ ، ثم قال : « ومن منا يظن أن هذه اللفظة عربية فصيحة وإن كان معناها العامي يختلف عن معناها الفصيح . فالبوش في اللغة لها معان كثيرة من جملتها الجماعة المختلطة أو الكثرة من الناس وغير ذلك . ولكني لم أجد لأحد هذه المعاني صلة بكلمة البوش المستعملة في المقاهي ».

أقول: ان هذا القول فيه نظر.والصواب أن كلمةالبوش بمعنىالفارغ كلمة دخيلة وأصلها bos بالتركية ومعناها الفارغ . وتطلق على الفنجان الفارغ في بعض اللهجات العربية كالسورية والحجازية ، كما تستعمل بمعنى « الكلام الفارغ » في اللهجة الحجازية وبمعنى « العمل غير الناجح » في اللهجة السورية ، وذلك على سبيل المجاز.

والجدير بالذكر أن هذه الكلمة التركية مستعملة في اللغة الانكليزية أيضاً بمعنى الكلام الفارغ وتكتب bosh ودخلت في اللغة الانكليزية عن طريق قصة موريئير Morier المساة « عائشة » المنشورة عام ١٨٣٤ م حيث يكثر ورود هذه الكلمة .

وجاء في « موجز وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الخامسة والاربعين » المنشور في العدد نفسه بشأن لفظ المنـاورة[١] أنه منقول من الكلمة الفرنسيـة Manoeuvre أو من الكلمة الانكليـزية Maneuver [٢] .

٢ ـ ان للمناورة معنى آخر هو الدهاء فهي من مادة «نور» التي تحمل معنى الخداع والحيلة ...

أقول : ان أقرب الصيغ الاجنبية الى الصيغة العربية هي الصيغـة التركية وهي Manevra والمرجح أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربيـة من اللغة التركية مع مادخل من تلك اللغة من المصطلحات العسكرية .

واللفظ التركي بدوره مأخوذ من الصيغة الايطالية Manovra وكل هذه الكلمات أصلها manu opera باللغة اللاتينية[٢] ومعناها الحرفي: العمل باليد . والمراد به التصرف بلباقة ومنه تطور معنى الدهاء .. وكذلك معناها العسكري وهو تحريك الجيش والسفن الحربيـة ببراعة بقصـد تضليل العدو .

ويتضح من هذا أن معنى الدهاء هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة ؛ والقول بأن المناورة بمعنى الدهاء مشتقة من مادة « نور » ليس بصحيح.

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة **ف. عبد الرحيم**

---

(١) هذا هو الهجاء الامريكي للكلمة . اما الانكليز فيكتبونها هكذا : Manoeuver

(٢) ان الصيغة الاسبانية لهذه الكلمة Maniobra اقرب الى الاصل اللاتيني.

غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث

فقد المجمع في ٢٥ حزيران ١٩٨٠ عضوه المراسل قداسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس.

ولد الفقيد في قرية من قرى الموصل سنة ١٩١٢ وفيها تلقى دراسته الابتدائية ثم سافر الى بيروت فتابع دراسته هناك للسريانية والعربية والانجليزية ، وأتاح له وجوده في الهند سنة ١٩٣٤ مديراً لمدرسة لاهوتية اتقان اللغتين الانجليزية والمليالم (لغة ملبار الهند) ، وتدرج في المناصب الاكليركية فكان مطرانا لبيروت ودمشق ١٩٥٠ الى أن نصب بطريركا لأنطاكية وسائر المشرق سنة ١٩٥٧ باسم أغناطيوس يعقوب الثالث ، وذلك بعد وفاة سلفه البطريرك اغناطيوس افرام الاول برصوم عضو مجمع اللغة العربية .

خلّف الفقيد عدداً من المؤلفات منها مايتصل بتاريخ الكنيسة : (تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ، جزءان . تاريخ الكنيسة السريانية الهندية) . ومنها ما يتصل بالبحث اللغوي المقارن بين العربية والسريانية (مخطوط في الصلات بين العربية والسريانية بعنوان : البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية) نشر جزء منه في مجلة المجمع

مج ٤٠ ج ١ سنة ١٩٦٥ بعنوان العربية وشقيقتها السريانية الوفيّة • وجزء آخر بعنوان : الالفاظ المتشابهة في السريانية والعربية : مج ٤٤ ج ١ سنة ١٩٦٩ • ومنها ديوان شعر بالسريانية • وكان مؤسساً للمجلة البطريركية ومشرفا عليها وله فيها العديد من المقالات والابحاث والمواعظ •

واختير الفقيد عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٦ ؛ كما انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي •

وأقيم له حفل تأبين في ١٢/٩/٨٠ مثّل المجمع فيه الزميل الدكتور عدنان الخطيب وألقى كلمة بعنوان : « عروبة السريان » •

والمجمع الذي يستشعر الألم العميق لوفاته يسأل الله أن يعـوض الدراسات اللغوية العربية المقارنة خيراً ويقدم أحر تعازيه للمجمع العلمي العراقي الزميل •

لجنة المجلة

من هو هذا الرياضي الشاعر

جاءنا السؤال التالي :

لدينا مخطوطة عنوانها « كتاب الحاتمية وتعرف بالمنصورية » فيها ٩٢ مقابلة لحكم ارسطوطاليس بأقوال المتنبي والرياضي •

أولها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب الحاتمية ،

قال ارسطاطاليس : اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغهـا

قال المتنبي :

واذا كـانت النفـوس كبـارا تعبـت في مرادهـا الاجسـام

قال الرياضي :

اذا علت شهوة الانسـان قدرته فجسمه هالك من داء شهوته » •

وآخرها : « قال ارسطاطاليس : آخر افراط التوقي أول مواردالخوف

قال المتنبي :

وغايـة المفـرط في سلمـه كغايـة المفـرط في حربـه

قال الرياضي :

وآخـر الخوف من أمـر يجاوزه يكون أوله افـراط خشيته » •

يلاحظ ان أقوال الرياضي على قافية واحدة • واننا لم نجد سـوى رياضيٍ واحدٍ هو أبو اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني البغدادي (٢٢٣ـ ٢٩٨ هـ) ، كما لم نعثر على نسخة مشابهة لهذه المخطوطة • فمن كان له دراية بذلك فليرشدنا خدمة للعلم والأدب •

زاهـر احمـد عبيـد

دمشق « ص•ب ١٩ »

التقـرير السـنوي عـن أعمـال المجمـع

في دورته المجمعية ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠

١ ـ مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية المنصرمة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ والتي بدأت بالاول من شهر أيلول ١٩٧٩ وانتهت بغاية حزيران ١٩٨٠ اثنتي عشرة جلسة ؛ من بينها جلسة علنية واحدة ، عالج أثناءها أمورا مجمعية مختلفة كان من أبرزها :

أ ـ ناقش التقرير العام الذي وضعه مراقب المجمع عن الاعمال التي أنجزها المجمع في دورته الماضية ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ وأقره .

وبحث المجلس في هذه المناسبة ، أوضاع المجمع وأحواله من النواحي الفنية والقانونية والادارية . وألف لجنة من السادة الاعضاء : الدكتور شكري فيصل ، والاستاذ عبد الهادي هاشم ، والدكتور محمد هيثم الخياط ، ومراقب المجمع الاستاذ مصباح غلاونجي لدراسة هذه الاوضاع دراسة شاملة في هدي القرار الجمهوري ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ والمتضمن القانون الاساسي لمجمع اللغة العربية ، والقرار الوزاري ٣١ لسنة ١٩٦٠ المتضمن اللائحة الداخلية ، وغيرهما من المراسيم والقوانين والقرارات النافذة المفعول وكذلك المقترحات التي قدمها العضوان السيدان الاستاذ أحمد راتب النفاخ والدكتور محمد هيثم الخياط حول مهام المجمع وأجهزته وسير العمل فيه على أن تقدم اللجنة الى المجلس تقريرا يكشف

عن الاسباب التي تعوق مسيرة المجمع الى غايته ، ويطرح مقترحات عملية تساعد على إزالة هذه الاسباب ، وعلى تعزيز أجهزته الادارية والعلمية والفنية بطاقات جديدة تساعد على النهوض بأعبائه ، وعلى تطوير أساليب العمل فيه •

ب ــ نظر في الدعوات الموجهة الى المجمع من مختلف المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية داخل القطر وخارجه للمشاركة في مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية واجتماعات • وأقر المشاركة في بعضها ورشح من السادة الاعضاء من يمثل المجمع فيها •

وكان من أهم ما نظر فيه منها : الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري والمؤتمر العالمي للتاريخ الاسلامي الذي سيعقد في دمشق ، ودراسة الامكانات والوسائل التي يمكن أن يقدمها المجمع منفردا أو متعاونا مع غيره من الهيئات الاخرى في هذين المجالين•

وقد قرر المجمع أن يسهم في الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري بالاعمال التالية :

١ ــ نشر الجزء الاول من تاريخ دمشق لابن عساكر والذي يتعلق بالسيرة النبوية •

٢ ــ اختيار مجموعة من مخطوطات التراث الادبي ونشرها محققة أو مصورة اذا تعذر النهوض بتحقيقها

٣ ــ اختيار مجموعة من مخطوطات التراث العلمي تنشر محققة أو مصورة •

٤ ــ نشر أقدم مخطوطة في الظاهرية وهي مخطوطة مسائل الإمام أحمد على أفضل وجوه النشر •

كما قرر المشاركة في المؤتمر العالمي للتاريخ الاسلامي فرشح الاعضاء السادة : الدكتور محمد كامل عياد والدكتور شكري فيصل والدكتور عبد الكريم اليافي ممثلين فيه ، وترك لكل منهم أمر اختيار موضوع من الموضوعات المحددة في كتاب اللجنة التحضيرية يلقيه في المؤتمر فاختار الدكتور محمد كامل عياد موضوع (أثر صقلية في نقل الحضارة العربية والاسلامية الى الغرب) واختار الدكتور شكري فيصل موضوع (حركات الاصلاح الاجتماعي في العالم الاسلامي) واختار الدكتور عبد الكريم اليافي موضوعين هما : (موازنة في فلسفة الفن وفلسفة العلم بين التراث العربي والتراث الغربي) و (موازنة في حال المرأة بين المجتمع العربي الاسلامي والمجتمع الغربي) •

وكذلك قرر المشاركة في المؤتمر الرابع لاتحاد الجامعات العربية الذي يتناول موضوع (تعريب التعليم الجامعي) وقد سمّى المجلس عضو المجمع السيد الاستاذ المهندس وجيه السمان ممثلا أصيلا للمجمع في هذا المؤتمر وعضو المجمع السيد الدكتور هيثم الخياط رديفا•

جـ ــ درس ما تلقاه من المجامع والهيئات والمؤسسات والافراد من موضوعات ومشاريع ومقررات وتوصيات ومصطلحات مختلفة واستشارات لغوية ، وأحال بعضها على اللجان المختصة لدراستها وابداء الرأي فيها•

د ــ بحث موضوع امكان اعادة طبع بعض كتب المجمع النافدة،وألّف لجنة من أعضائه السادة الاساتذة : عبد الهادي هاشم ، أحمد راتب النفاخ، وعبد الكريم زهور عدي للنظر في هذه الكتب وانتقاء مايرون فائدة من

اعادة طبعه وتصويره منها ، وتقديم مقترحاتهم في ذلك الى المجلس •

هـ ـــ ناقش موضوع مآل مقر المجمع القديم بعد الانتقال الى المبنى الجديد ، وقد انتهى الى :

ـــ أن يبقى مستودع المجمع في المقر القديم ريثما يعد له المكان اللازم في البناء الجديد •

ـــ أن تنقل مخطوطات دار الكتب الظاهرية الى قبة الملك العادل بعد نقل مكتبة المجمع منها ، وإعدادها الإعداد الصالح لحفظ المخطوطات•

ـــ أن تتخذ ، مبدئيا قاعة الرئيس محمد كرد علي مخزنا للكتب ، بعد ترميمها واصلاحها ، وتوفر الاعتمادات اللازمة للانفاق على ذلك •

ـــ أن تجعل القاعة التي كانت مقراً لرئيس المجمع قاعة للباحثين والمحققين •

و ـــ نظر في اللجان الدائمة والمؤقتة ، وأعاد تأليفها من جديد على هدي الاعمال المستجدة ، وترك لكل لجنة أمر اختيار رئيس ومقرر لها ، وفوض اليها أمر تحديد مهماتها ، ووضع خطط لتحقيق هذه المهمات واطلاع المجلس على هذه المنجزات • وكان تأليفها على النحو التالي:

لجنة المخطوطات واحياء التراث :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣١ تاريخ ١٦ـــ٦ـــ١٩٨٠ من السادة:

ـــ الاستاذ الدكتور محمد كامل عياد

ـــ الاستاذ الدكتور شكري فيصل

ـــ الاستاذ عبد الهادي هاشم

ـ الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

لجنة المصطلحات :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٢ تاريخ ١٦ـ٦ـ١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ الدكتور حسني سبح
ـ الاستاذ المهندس وجيه السمان
ـ الاستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

لجنة الاصول :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٣ تاريخ ١٦ـ٦ـ١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ عبد الهادي هاشم
ـ الاستاذ الدكتور شاكر الفحام
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي
ـ الاستاذ أحمد راتب النفاخ

لجنة الفاظ الحضارة :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٤ تاريخ ١٦/٦/١٩٨٠ من السادة:

ـ الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب
ـ الاستاذ الدكتور شكري فيصل
ـ الاستاذ المهندس وجيه السمان
ـ الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

لجنة المجلة والمطبوعات :

المؤلفة بموجب القرار رقم ٣٥ تاريخ ١٧/٦/١٩٨٠ من السادة :

ــ الاستاذ الدكتور شاكر الفحام

ــ الاستاذ الدكتور شكري فيصل

ــ الاستاذ المهندس وجيه السمان

ــ الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

وقد عقدت كل من هذه اللجان اجتماعاتها المقررة عالجت خلالها الموضوعات المحالة عليها من مجلس المجمع ، كما قامت بدراسات حول المهمات المنوطة بها .

ز ــ بحث موضوع المطبعة التي اعتزم المجمع اقتناءها ، بعد أن توافرت لديه الاسباب المادية ، وقد كلف المجلس العضو الدكتور محمد هيثم الخياط الاتصال بالمؤسسات التي تستورد مثل هذه الاجهزة والاستعلام عن أفضلها وأسهلها استعمالا وتناولا وأقربها ثمنا من المبلغ المخصص لشرائها وقد اختير جهاز مناسب بالفعل . وأبرم المجمع عقدا مع أصحابه، وأرسل العقد الى مجلس الدولة لاستكمال أسبابه القانونية .

ح ــ نظر في موضوع ملء الشواغر في المجلس ، وفي ترشيح وانتخاب أعضاء عاملين ومراسلين .

ط ــ عقد جلسة علنية مساء الخميس الواقع في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ أيار ١٩٨٠ في قاعة الامير مصطفى الشهابي بدار الكتب الظاهرية بدلا من قاعة محمد كرد علي التي كانت بحاجة الى الاصلاح والترميم ، استقبل فيها العضو الجديد الاستاذ عبد الكريم زهور عدي بحضور عدد

كبير من العلماء والادباء والمثقفين وقد تم حفل الاستقبال وفقا للاعراف والتقاليد المجمعية المتبعة •

٣ ـ نشاط المجمع داخل القطر وخارجه :

شارك السيد الرئيس في الاجتماع السادس للجنة تحضير المعجم الطبي العربي الفرنسي الانكليزي والمنعقد في تونس في المدة الواقعة بين ١٥ و ٢٥/١٠/١٩٧٩ وفي اجتماعها السابع المنعقد في المدة الواقعة بين ٢٤/١ و ٣/٢/١٩٨٠ واجتماعها الثامن المنعقد بتونس في المدن الواقعة بين ١٠/٤ و ١٩/٤/١٩٨٠ •

شارك المجمع في المعارض التالية :

ـ المعرض الخامس للكتاب العربي الذي أقامته الامانة العامةللمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت في المدة الواقعة بين ٥ و ١٥ تشرين الثاني ١٩٧٩ •

ـ معرض الرياض الدولي للكتاب الذي أقامته جامعة الرياض في المدة الواقعة بين ٢٦ شباط و ٧ آذار ١٩٨٠ •

ـ المعرض الرابع للكتاب العربي الذي أقيم في جامعة البصرة بالعراق في المدة الواقعة بين ١ و ٧ نيسان ١٩٧٠ •

ـ المعرض الثاني للكتاب العربي الذي أقامته جامعة صنعاء في المدة الواقعة بين ١٩ و ٢٨ نيسان ١٩٨٠ •

ـ وفي معرض الكتاب العلمي الذي نظمه المجلس الاعلى للعلوم

بدمشق في أسبوع العلم التاسع عشر والذي أقيم في المـدة الواقعة بين ١٩٧٩/١١/١٠ و ١٥ منه •

ـ شارك موفد من موظفي المجمع في الدورة التدريبية الخامسة لشؤون المخطوطات والتي أقامها معهد المخطوطات العربية في بغداد في المدة الواقعة بين ٤/٧ و ١٩٨٠/٧/٣ •

٤ ـ أعضـاء المجمـع :

جدد المجلس بإجماع أعضائه انتخاب الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات أخرى تبدأ بالثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٨٠ على الرغم من إلحاحه الشديد على زملائه بإعفائه واتاحة الفرصة لغيره ليتولى الرئاسة • ومن الجدير بالذكر أن هذه المرة هي الثالثة التي يجدد المجلس فيها للاستاذ الرئيس مدة رئاسته •

انتخب مجلس المجمع خلال هذه الدورة الاستاذ عبد الكريم زهور عدي والدكتور محمد مروان محاسني عضوين عاملين في المجمع•

فجع المجمع بعضوين جليلين من أعضائه هما الاستاذ شفيق جبري الذي وافته المنيـة يوم الاربعاء الواقع في ٦ ربيع الاول ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ والدكتور ميشيل الخوري الذي توفاه الله يوم الاربعاء في ١٢ شعبان ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٨٠ م •

فجع أيضا بالعضو المراسل غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث بطرك الروم السريان وكانت وفاته يوم الاربعاء في ١٢ شعبان ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٥ حزيران ١٩٨٠ م •

٥ ـ **مطبوعات المجمع :**

أ ـ الكتب التي صدرت :

١ ــ شعر أبي هلال العسكري من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع وطبع بإشراف الاستاذ قدري الحكيم .

٢ ــ فهرس مخطوطات العلوم والفنون المختلفة عند العرب الموجودة في دار الكتب الظاهرية ، من وضع الاستاذ مصطفى سعيد الصباغ .

٣ ــ تاريخ أبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو النصري ، بتحقيق الاستاذ الدكتور شكر الله نعمة الله القوشجاني ، وطبع بإشراف الاستاذ رياض مراد .

٤ ــ الطبعة الثانية من كتاب تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني بتحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري وبإشراف الاستاذ أحمد راتب النفاخ .

٥ ــ عرف البشام فيمن ولي فتوى الشام للمرادي بتحقيق الاستاذين محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .

٦ ــ تصنيف العلوم والمعارف من صنع الدكتور يوسف العش ومراجعة السيدة أسماء محاسني .

٧ ــ مصور للجزء الثاني من كتاب (قاموس الأطبا وناموس الألبا) للطبيب مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري .

ب ـ الكتب التي بوشر بطبعها :

١ ــ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم بعض العبادلة (من عبد الله بن جابر الى عبد الله بن زيد) .

٢ ــ جزء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر يتضمن تراجم بعض العبادلة أيضا (من عبادة الى عبد الله بن ثوب) •

٣ ــ الجزء الثاني من كتاب فهرس مخطوطات التصوف في دار الكتب الظاهرية من صنع الاستاذ رياض المالح•

٤ ــ فهرس مخطوطات كتب الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية من صنع الاستاذ محمد مطيع الحافظ •

٥ ــ شرح مايقع فيه التصحيف لأبي أحمد العسكري بتحقيق الدكتور محمد يوسف ومراجعة الاستاذ أحمد راتب النفاخ•

٦ ــ تاريخ المنصوري بتحقيق الدكتور أبي العيد دودو واشراف الدكتور عدنان درويش •

٧ ــ حاشية ابن بري على المعرب للجواليقي بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، ومراجعة الاستاذ صلاح زعبلاوي•

٨ ــ مشيخة ابن طهمان بتحقيق الاستاذ طاهر مالك •

ج ــ الكتب التي تعاقد المجمع على طبعها وسيباشر بها :

١ ــ المعاصرون للاستاذ محمد كرد علي ويطبع باشراف الاستاذ محمد المصري •

٢ ــ شعر منصور النمري من جمع وتحقيق الاستاذ الطيب العشاش « تونس ــ كلية الآداب » ويطبع بإشراف الاستاذ قدري الحكيم•

٣ ــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون بتحقيق الاستاذ محمد أحمد دهمان « طبعة ثانية » •

٤ ـ شعر ابن ميادة من جمع وتحقيق الاستاذ حنا جميل سليم.

٦ ـ البناء الجديد للمجمع :

لقد أنجز بناؤه وكسوته ماعدا الطابق الارضي والقاعة الكبرى والمستودعات والحدائق . والامل كبير بأن يتم بعضها في الاشهر الثلاثة المتبقية من هذه السنة وأن تتم كسوة البناء في العام المقبل . وقد جهز بقسم هاتفي حديث يستوعب مئة خط وبوسائل التدفئة والتبريد ، كما أنه بدىء بتركيب المصعد واعداده للعمل ، ويعمل المجمع على اقامة مجموعة كهربائية اضافية تستعمل في حالة الطوارىء .

وقد تسلّم المجمع منذ ثلاثة أشهر تسلّماً مؤقتا ، الطوابق الخمسة العليا منه ، ونقل اليها جميع ادارته ، وباشر بنقل مكتبته وسينقل مستودع الكتب والمجلة بعد أن يهيّأ المكان المناسب لها .

٧ ـ موازنة المجمع

بلغت موازنة المجمع العادية للعام ١٩٨٠ (١٫٢١٧٫٠٠٠) ليرةسورية. وبلغت موازنته الاستثمارية لاستكمال مشروع البناء الجديد للعام ١٩٨٠ (١٫٦٠٠٫٠٠٠) ليرة سورية ، ولشراء آلة طابعة (٢٥٠٫٠٠٠) ليرةسورية.

٨ ـ مكتبة المجمع

بلغ مجموع ما تقتنيه من كتب عربية وأجنبية (١٦٫٦٧٣)

وبلغ مجموع أعداد المجلات والدوريات عربية وأجنبية (٣٧٨)

وكان مجموع ما زودت به شراءً وإهداء خلال الدورة من كتب عربية وأجنبية ٣١٢ كتابا.

أنهت اللجنة المكلفة بجرد المكتبة أعمالها ، ونظمت تقريرا قدمته الى المجمع ذكرت فيه نتيجة الجرد والنواقص التي ظهرت وقدمت بعض المقترحات التي ترمي الى تحسين حال المكتبة وتنظيم أعمالها •

باشرت اللجنة أيضا بنقل المكتبة من البناء القديم الى البناء الجديد وبلغ عدد الكتب التي نقلت حتى إعداد هذا التقرير ، الثلث ، ويؤمل بأن يتم نقلها كاملة حتى غاية شهر تشرين الثاني ١٩٨٠ •

٩ ـ دار الكتب الظاهرية :

ـ المخطوطات :

بلغ مجموع المخطوطات فيها ١١٨٩٩ ولم يطرأ على عددها أية زيادة في هذه الدورة وذلك لندرة المخطوطات في الاسواق •

بلغ عدد المخطوطات التي تداولها الباحثون ٢١٢٠ وعدد المخطوطات المصورة للمؤسسات العلمية الرسمية وللباحثين ١٣٥٠ •

عرضت الدار لشذورٍ ومقطعات من مخطوطات قديمة (وهي تعرف باسم : دشت) كانت محفوظة في مستودعاتها ، وبدأت بجمع شتاتها والتأليف بين متفرقها وتصنيفها •

ـ المطبوعات :

بلغ مجموع الكتب في الدار عربية وأجنبية ٦٦٩٥٢ كتابا •

وبلغ عدد الكتب العربية التي زودت بها الدار خلال هذه الدورة شراءً وإهداء ١١٣٥ وعدد الكتب الاجنبية ١٠٠ •

أنهت وضع فهرس بطاقي للكتب التركية والفارسية ، وشرعت بإعداد

فهارس مماثلة للكتب الروسية والبولونية والهولندية .

ـ الدوريات :

بلغ مجموع أعداد المجلات عربية وأجنبية ٤٣٣٧٦

وبلغ عـدد الاعداد العربية والاجنبيـة الواردة اليها خلال هذه الدورة ٣٧٢ .

بلغ عدد الرواد المطالعين ٩٥٠٠٠ وعدد الباحثين ٣٠٠

بلغ عدد الكتب المستعارة داخليا ٢٢٥٣٧ كتابا

ودار الكتـب الظاهرية بحاجة الـى مستودعات جـديدة لكتبها ومخطوطاتها وستتخذ بعض غرف مقر المجمع القديم ومنها قاعة الاستاذ محمد كرد علي مقارئ لهذه الكتب والمخطوطات كما أسلفنا .

كما أن جهازها الاداري قد عزز ببعض الموظفين الذين تحتاج اليهم .

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ صحيح البخاري مع الترجمة الانكليزية (١ ـ ٩)		أنقرة	١٣٩١ هـ
ـ الاقليات القومية في الصين على طريق التقدم	قسم التأليف	بكين	١٩٧٨
ـ ثورة ١٩١١	قسم التأليف	»	١٩٧٦
ـ جغرافيا الصين	قسم التأليف	»	١٩٧٣
ـ حرب الافيون	قسم التأليف	»	١٩٧٩
ـ الحركة الاصلاحية عام ١٨٩٨	قسم التأليف	»	١٩٧٨
ـ حركة يي خه توان عام ١٩٠٠	قسم التأليف	»	١٩٧٩
ـ حكايات يه شنغ تاو المختارة	قسم التأليف	»	١٩٧٩
ـ قصائد ماوتسي تونغ	ماوتسي تونغ	»	١٩٧٩
ـ مسقط رأسي	قاو يوي باو وغيره	»	١٩٧٧
ـ القرآن الكريم مع ترجمة معانيه للانكليزية (١ ـ ٢)	عبد الله يوسف علي	بيروت	
ـ مسار الدعوة الإسلامية في لبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري	حسن خالد	بيروت	١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين	أبو الحسن علي الاشعري تح : هلموت ريتر	بيروت	١٩٨٠
ـ الوافي بالوفيات (ج١٠)	صلاح الدين خليل الصفدي تح : جاكلين سوابله وعلي عمارة	بيروت	١٩٨٠
ـ البيبليوغرافيا القومية التونسية (١ ـ ٣)	دار الكتب الوطنية التونسية	تونس	١٩٧٨ و ١٩٧٩
ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه (ج ١)	محيي الدين الدرويش	حمص	١٩٨٠
ـ ابنة الصين	ماريا جلايت ترجمة عبد الهادي ميداني	دمشق	١٩٩٧
أراغون	برنار لو شربونيه ترجمة : ولي الدين السعيدي	»	١٩٧٩
ـ أساطير فنلندية	إيلينا بريميسيريو ترجمة روز مخلوف	»	١٩٧٩
ـ أصيلا (رواية)	جميل عطية ابراهيم	»	١٩٧٩
ـ انكسارات (مقالات في الادب المقارن)	هاري ليفن ترجمة : عبد الكريم محفوض	»	١٩٨٠
ـ إيبلا منعطف التاريخ	د. عمر الدقاق	»	١٩٧٩
ـ الجدران الاربعة	نديم محمد	»	١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ أربع رغبات	عدد من المؤلفين ترجمة شوكت يوسف	» ١٩٧٩
ـ حكايات بائع الرمل	ايندبلاتيوف ترجمة: وسام نسيب نويلاتي	» ١٩٧٩
ـ حكايا بلاد فارس القديمة للفردوسي (١ ــ ٢)	بربرا ليوني بيكار ترجمة أوديت سلوم	» ١٩٨٠
ـ خراب الدورة الدموية شعر	رياض صالح الحسين	» ١٩٧٩
ـ خطة اقتصادية لمائتي عام	هرمان كاهن و وليام براون ـ ترجمة: عيسى عصفور	» ١٩٧٩
ـ الرحيل الى أرض الجدة	ويليام كامو ترجمة ميشيل واكيم	» ١٩٨٠
ـ رمي الجمار (قصص)	نصر الدين البحرة	» ١٩٨٠
ـ ساعة الحقيقة	أوريليو بيشي ترجمة د. صافي فلوح	» ١٩٨٠
ـ شجرة الامنيات السحرية (حكايات شعبية للاطفال)	عدد من المؤلفين ترجمة توفيق الاسدي	» ١٩٧٩
ـ علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط لها	د. صفوح الاخرس	» ١٩٨٠
ـ فقراء بلغوا المجد	عدد من المؤلفين ترجمة : أنيس الحكيم	» ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ في الاغنية الشعبية	ابراهيم فاضل	« ١٩٨٠
ـ قبل أن يذوب الجليد	جواد فهمي باشكوت ترجمة جوزيف ناشف	« ١٩٧٩
ـ القزم (رواية)	بارلاغا ركفيست ترجمة فيكتور عزام	« ١٩٨٠
ـ القطار الاحمر العجوز (مجموعة قصص للاطفال)	جورج قس	« ١٩٧٩
ـ قول على قول (الجزء الثاني)	الدوس هكسلي ترجمة ندرة اليازجي	« ١٩٧٩
ـ كانت طويلة في المساء	بندر عبد الحميد	« ١٩٨٠
ـ لغة الشعر	أحمد يوسف داود	« ١٩٨٠
ـ لاسي تنذر بالخطر	سوزان بيرول ترجمةحسيب كاسوحة	« ١٩٧٩
ـ مبادىء الادارة المحلية وتطبيقاتها	عبد المهدي مساعدة	« ١٩٨٠
ـ مختارات من الاقاصيص الشعبية التشيكلية والسلوفاكية (١ ـ ٣)	يوجينا نيم تسوفا ترجمة : نزار عبد الله	« ١٩٨٠
ـ مختارات من القصص الانكليزية الحديثة	عدد من المؤلفين ترجمة : عارف حذيفة	« ١٩٧٩
ـ مشكلة السكان نموذج القطر العراقي	د. فاضل الانصاري	« ١٩٨٠
ـ من أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم	المقدسي اختيار غازي طليمات	« ١٩٨٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ من كتاب الاعتبار	أسامة بن منقذ اختيار : د. عبدالكريم الاشتر	دمشق ١٩٨٠
ـ نصوص مختارة	ف. غ. بيلنسبكي ترجمة يوسف حلاق	دمشق ١٩٨٠
ـ النمس السوفي	عدد من المؤلفين ترجمة: عيسى فتوح	« ١٩٧٩
ـ فهارس الخزانة الملكية (المجلد الاول ـ فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات	محمد عبد الله عنان	الرباط ١٩٨٠
ـ القائمة الموحدة للدوريات العلمية والتقنية العربية في الكويت	معهد الكويت للابحاث العلمية	الكويت ١٩٨٠

الفهارس العامة للمجلد الخامس والخمسين

١ ـ فهرس المـواد

منسوقة على حروف المعجم

ـ أ ـ

ـ الادب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه	٣٧٥
ـ استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان	٧١١
ـ استدراكات على المعلمي في كتاب الإكمال	٣٧٠
ـ استدراكات على مقال أحكام ترجمة القرآن وتاريخها	٣٦٢
ـ أسماء أجزاء العين في العلم واللغة	٢٨٨
ـ أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق من سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م	٢٣٣
ـ انتخاب زميلين جديدين : الاستاذ عبد الكريم زهور عدي والاستاذ الدكتور محمد مروان محاسني	٢١٣

ـ ب ـ

ـ بل هو تهذيب التحبير	١٤٩
ـ بيبليوغرافيا اسلامية عربية	١٦٤

ـ ت ـ

ـ تجديد انتخاب الرئيس	٨٣٤
ـ ترجمة المتنبي في تاريخ ابن عساكر	٨٣٨
ـ تصويب أخطاء في مقال ذيل ديوان الطرماح	٤٢٦
ـ التضـمين	٦١

ــ تعقيب على ترجمة المتنبي	٨٤٣
ــ تعقيب على مبحث التضمين	٨٣٥
ــ تعليق على مقال بقايا الفصاح (البوش والمناورة)	٨٩٣
ــ تعليقات على كتاب المصون في الادب	٣٧٨
ــ تقرير عن أعمال المجمع في دورته ١٩٧٨ــ١٩٧٩	٢١٥
ــ تقرير عن أعمال المجمع في دورته ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠	٨٩٨

ـ ج ـ

ــ الجراح بن عبد الله الحكمي	٧٣٢

ـ ح ، خ ـ

ــ حائط البراق والاوقاف الاسلامية في غربه	٢٦٦
ــ حروف الجـر	٤٥٢
ــ حفل استقبال الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور عدي :	٥٧٩
خطاب الزميل الدكتور شـاكر الفحـام	٥٨٢
خطاب الزميل الاستاذ عبد الكريم زهور	٦٠٧
ــ حياة الالفاظ	٣

ـ ذ ـ

ــ ذيل ديوان الطرماح	١٨٩

ـ ر ـ

ــ رثاء جبري ــ لرياض المعلوف	٧٩٨
ــ رثاء جبري ــ لعبد الرحيم الحصني	٧٩٩
ــ الرصافي مؤرخاً	٣٣٦

ـ روح الشاعر	٤٣١

ـ س ـ

ـ سلطات الحكم	٣٦٦

ـ ش ـ

ـ الشيخ طاهر الجزائري	٨٨٧

ـ ع ـ

ـ عبد العزيز الميمني	٢١٠
ـ العربية الدارجة في القطر الجزائري	٧٦٧
ـ عرف البشام	٥٧٤
ـ عود إلى معنى « تصويب الخطأ »	٨٣٨

ـ ف ـ

ـ فقيد المجمع المرحوم شفيق جبري	٤٠٦
ـ الفهارس العامة للمجلد الخامس والخمسين	٩١٥
ـ فوائد من معجم شيوخ الطبراني	٥١٩
ـ في شعر النابغة	٨٠٤

ـ ق ـ

ـ القدس الشريف في تاريخ العرب والاسلام « القسم الثاني »	٢٣
ـ قرارات وتوصيات ندوة تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الاخرى	٤١١

ـ ك ـ

ـ الكتب المهداة خلال الربع الاخير من عام ١٩٧٩	٢٢٥
ـ الكتب المهداة خلال الربع الاول من عام ١٩٨٠	٤٢٢

ـ الكتب المهداة خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٠ ٦٨٢

ـ الكتب المهداة خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٠ ٩١١

ـ كلمة الرئيس الدكتور حسني سبح

« في استقبال الاستاذ عبد الكريم زهور » ٥٨٠

ـ م ـ

ـ مجلتان تاريخيتان ٥٦٠

ـ مجمعي افتقدناه (الدكتور ميشيل الخوري) ٦٧٧

ـ مجمعي افتقدناه (غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث)[1] ٨٩٥

ـ محمد جميل بيهم ومجمع اللغة العربية ١٩٤

ـ مرونة دمشق ٢٤٧

ـ مسابقة مجمع اللغة العربية في القاهرة في مجال إحياء التراث

لعام ١٩٨٠ ٤١٨

ـ المسابقة الجديدة لمكتب تنسيق التعريب في مجال اللغةالعربية

وآدابها ٤٢٠

ـ من أعلام الأحمدين عند ابن عساكر ١٠٨

ـ من معجم عثرات الادباء ٧٥٥

ـ من هو هذا الرياضي الشاعر ٨٩٧

ـ المؤتمر السنوي السادس للجمعية البريطانية لدراسة الشرق ٨٦٧

الأوسط : وقائع وهوامش

ـ ن ـ

ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٣) ٧

(١) وانظر فقيد المجمع : المرحوم شفيق جبري

- نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٤) ٢٥٠
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٥) ٤٣٦
- نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٦) ٦٩٥
- نظرية الضرورة في كتاب سيبويه ١٢٢
- نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب بالمقدمة الخلدونية ٣١٤

ـ هـ ـ

- هدية قيمة ٢٣٢
- الهند في الادب العربي الحديث ٧٨٠

ب ـ فهرس الأعلام : أسماء كتاب المواد منسوقة على حروف المعجم

ـ ا ـ

ـ ابراهيم السامرائي ٧٦٧
ـ أحمد خان ٢١٠
ـ أحمد كتي ٧٨٠

ـ ح ـ

ـ حسني سبح ٧،٢٥٠،٤٣٦،٥٨٠،٦٩٥
ـ حكمت هاشم ٣٦٦

ـ ر ـ

ـ رياض المعلوف ٧٩٨

ـ ز ـ

ـ زاهر احمد عيد ٨٩٧

ـ س ـ

ـ سكينة الشهابي ٣٧٠

ـ ش ـ

ـ شاكر الفحام ٥٦٠،٥٨٢،٨٤٣
ـ شفيق جبري ٣،٢٤٧،٤٣١
ـ شكري فيصل ١٩٤،٤٠٦

ـ ص ـ

ـ صبحي البصام ٨٥٨
ـ صفاء خلوصي ٣٣٦

ـ صلاح الدين الزعبلاوي ٤٥٢،٦١

ـ ع ـ

ـ عبد الرحيم الحصني ٧٩٩
ـ عبد اللطيف الطيباوي ٢٦٦،٢٣
ـ عبد الكريم زهور ٦٠٧
ـ علي حيدر النجاري ٨٨٧
ـ عبد النبي اصطيف ٨٦٧،١٦٤

ـ ف ـ

ـ ف. عبد الرحيم ٨٩٣

ـ م ـ

ـ محمد بهجت الأثري ٨٣٥
ـ محمد أحمد دهمان ٨٣٨،١٠٨
ـ محمد حميد الله ٣٦٢
ـ محمد خير الحلواني ١٢٢
ـ محمد صلاح الدين الكواكبي ٧١١
ـ محمد عبد اللطيف فرفور ٥٧٤
ـ محمد الغدنائي ٧٥٥
ـ محمد المتوني ٣١٤
ـ محمد يحيى زين الدين ٨٥٢،٤٢٦،٣٧٨،١٨٩
ـ محمود شيت خطاب ٧٣٢
ـ مطاع الطرابيشي ٥١٩،١٤٩
ـ ميشيل خوري ٢٨٨

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والخمسين

الصفحة	المقـــالات	
٦٩٥	نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٤٦) . .	الدكتور حسني سبح
٧١١	استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان	د. محمد صلاح الدين الكواكبي
٧٣٢	الجـراح بن عبـد الله الحكمي	الاستاذ محمود شيت خطاب
٧٥٥	من معجم عثرات الادباء	الاستاذ محمد العدناني
٧٦٧	العربية الدارجة في القطر الجزائري . . .	الدكتور ابراهيم السامرائي
٧٨٠	الهند في الادب العربي الحديث	الاستاذ إي. كي. احمد كتي
٧٩٨	رثاء الاستاذ شفيق جبري :	
٧٩٨	بكاك المجمع اللغوي حزنا	الاستاذ رياض المعلوف
٧٩٩	حديث مع شاعر الشام الاكبر . . .	الاستاذ عبد الرحيم الحصني

التعـريف والنقـــد

٨٠٢	في شعر النابغة الذبياني	الاستاذ محمد يحيى زين الدين

آراء وأنبـــــاء

٨٣٤	تجديد انتخاب الرئيس	
٨٣٥	تعقيب صغير على مبحث التضمين	الاستاذ محمد بهجت الاثري
٨٣٨	ترجمة المتنبي في تاريخ ابن عساكر . . .	الاستاذ محمد أحمد دهمان
٨٤٣	تعقيب على ترجمة المتنبي	الدكتور شاكر الفحام
٨٥٨	عود الى معنى « تصويب الخطأ »	الاستاذ صبحي البصام
٨٦٧	المؤتمر السنوي السادس للجمعيـة البريطانيـة لدراسات الشرق الاوسط : وقائع وهوامش .	الاستاذ عبد النبي اصطيف
٨٨٧	الشيخ طاهر الجزائري : مقاطع من نثره وشعره بمناسبة الذكرى الستين لوفاتـه	الاستاذ علي حيدر النجاري
٨٩٣	تعقيب على لفظتي « البوش والمناورة » . .	الدكتور ف. عبد الرحيم
٨٩٥	مجمعي افتقدناه : غبطة أغناطيوس يعقوب الثالث .	
٨٩٧	التقـرير السـنوي	
٩١٠	الكتـــب المهـــداة	
٩١٥	الفهارس العامة للمجلد ٥٥	

